

البلحَصْن

في علوم البلاغة

للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن

القزويني الخطيب

دار

المركز العربي



Bibliotheca Alexandrina



0005476

التلخيص في علوم البلاغة

للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن
القزويني الخطيب

ضبطه وشرحه

الأديب الكبير الأستاذ

عبد الرحمن البرقوقي

مفتي البيان والمخلف بمجلس النواب

—

دار الفكر العربي

مقدمة الشارح للطبعة الأولى

التي طبعت سنة ١٩٠٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله)

حيلة الدين مِلَاك الخير ، والتفقه فيه قَوَامُ السعادة ؛ وإتقان السبيل إلى هذا معرفة اللغة التي جاء بها ذلك الدين ، ومِثَاك اللغة علم البيان ، الذي لولاه لم تر براعة كاتب ، وخلاصة شاعر ، وخرابة خطيب ، وما كنت تسمع نظماً أتقن الظاهر ، عميق الباطن ، بل المعاني السوقية ، والألفاظ المبتذلة التي تعاقبها الطبائع ، وتنبجها الأسماع ؛ والذي لولاه لاستسر إيجاز القرآن ^(١) ، ولاستمر به يدُ الدهر ^(٢) السُّرَّار ، فينجزم إذ ذاك جبل الدين . وتتهار — معاذ الله — دعائم اليقين .

وهذا ما حدا إمام اللغة في عصره : الشيخ عبد القاهر الجرجاني إلى وضع كتابين في هذا العلم ، دار لهما فك الفعاحة ، وبرت أسرار البيان . سعى أحدهما أسرار البلاغة ؛ والآخر دلائل الإيجاز .

(١) استسر : من قولهم : استسر القمر ، أي خفي ليلة السرار . والسرار . آخر ليلة من الشهر .

(٢) يد الدهر : أمد الدهر .

كتب في هذا الفن قبل الإمام عبد القاهر : جماعة من البلغاء ، مثل : الجاحظ
وقدامة الكاتب وابن دريد ، بيد أن ذلك الإمام هو الذي أخذ بضميته^(١) ،
وأناف به على اليفاع^(٢) فهو الذي عين له رسوماً يُمرَّجُ عليها ، وسن له قوانين
يُصَدُّ إليها ، وأبرز ذلك في كلام لا يقوم بفصاحته لسان ، ولا يَطْلُعُ
فَجْهُ إنسان^(٣)

قام بد هؤلاء أبو يعقوب يوسف السكاكي : إمامٌ قَتَّ في عضده حب
الفلسفة^(٤) ، فعمد إلى هذا العلم ، وقبَّع في كِسْرِ يَتِّه^(٥) ، لا يرى إلا ضمه ،
ولا يسمع إلا حسه ، ووضع ما وضع مما نهج فيه أهل النظر من الحسكاه ،
لأمنهج للطبوعين من البلغاء ، وهو وإن فاق عبد القاهر في التثسيم والتبويب
وتقريب الأحكام ؛ فلم يدرك شأوه في لطف الحس ، وصفاء الדיباجة ، وبراعة
الكلام ؛ فكان وسطاً بين عبد القاهر وأضرابه من المتقربين ، وبين
عبد الحكيم وأترابه من المتأخرين .

(١) الضم : العند .

(٢) اليفاع : ما ارتفع من الأرض ، وأناف به على اليفاع ، وأخذ
بضميه : يريد أنثى ونحوه به وسما .

(٣) أطلع الأرض : بلغها ، والفتح : الطريق الواسع بين جبلين في قبل
من أحدهما .

(٤) يقال : قَتَّ هذا الشيء في عضده : إذا كسر قوته ، والمراد بلفظ منه
واستولت عليه .

(٥) قبَّع القنفذ : أدخل رأسه في جلده ، وكذلك الرجل إذا أدخل رأسه
في قبَّعه ؛ وكسر البيت : جانب الحجاب .

نهض بعد ذلك جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب ، فذهب
ماوضه السكاكي ، وضم إليه تنقاً مما وضعه عبد القاهر ، وأخرج للناس كتاباً
هشت له النفوس ، وأصاب منها مواقع الماء من ذى النلة الصادى .

ظهر حوالى ذلك قوم درجوا من عش الفلسفة ، فوضوا على هذا الكتاب
الشروح والحواشى ، وسلكوا بهذا العلم مسلكاً تنكره اللغة ، ويستعجه
البلاء ، فأغضوا عن أسرار البلاغة ، وتشبثوا بالفلسفة ، وحى بينهم وطيس
الناظرة ، حتى أتوا على الذماء الباقى من هذا العلم ، وحتى أضى وقد
انهالت دعائمه ، وتنكرت معاملته :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسر بمكة سامير
أتى على ذلك حين من الدهر بلغ من هذا العلم نسيه^(١) ، حتى أتبع له
في هذا المصر إمام^(٢) تولى الله تأديبه ، وأرضه أفانيق حكته ، وأوحى إليه
صالح العلم ، وأيده بآيات الحق : إمام أرسله الله رحمة للغة والدين ، رحمة
للغة بما يديحه يراعه ، وما يحويه من آثار المتقدمين ، ورحمة للدين بما يبين من
صحيحة ، ويكشف عن صريحه .

فبينما تراه فى جحفل من البلاغة والبيان ، يتافح كتائب المعى بمعض
يمان ، ويغرى أحشاء الفهاهة يبراع أحد من السنان^(٣) ، إذا هو فوق منبر

(١) النيس : بقية الروح ، ويقال : بلغ منه نسيه : إذا أشرف على التلف

(٢) هو أستاذنا الإمام الشيخ محمد عبده .

(٣) الجحفل : الجيش ، ويتافح : يضارب أشد المضاربة ، والكتائب

جمع كتيبة : ومعى الجيش أيضاً ، والعصب : السيف المقاطع ، استعير هنا لسان .
وبغرى : يقطع ، والمراد ظاهر .

التذكير ، يسوق للناس الرشد في نواحي الحكم ، وروائع الحكم ، فلا يلبث أن يقوم من أود للائل ، ويبحث من لنفوس جنود الباطل^(١) ، وبيننا تراه ينقب في مناجم العلم ، يلتقط من آثار الآباء ، ما تكون فيه عبرة الأبناء ، إذا هو يخرج للناس من منجم علمه ، جواهر تزيى بتلك الجواهر ، وينز بها شأو الأوائل والأواخر

كان من بين ماقرأناه عليه حفظه الله : كتابها أسرار البلاغة ودلائل الإجماز لتلك الإمام ، فاهو إلا أن سطع فينا نور هذين السكوكيين ، حتى استبان لنا سوء ما كنا نفتسف فيه^(٢) ، ورحمنا أنفسا وأنصبتها في غير طائل ، ومعلما من العمر أنصبتها في سبيل الباطل ، وحتى علمنا أن ما لدنيا من هذا العلم لم يكن إلا سبابة لا تنفع غلة^(٣) ، ولا تنفي عن رواد البلاغة .

وهذا ما حرك النفس إلى شرح ذلك الكتاب ، الذي هو عمدة طلاب البلاغة في هذا العصر ، وقبلتهم التي يحجون إليها ، لولا ما يعترض سيلهم من اختصار ألجأ المؤلف إليه رغبة أن تكون قواعد هذا العلم على طرف العلم^(٤) ، والذي عقد عليه أولئك القوم سحبا من الألفاظ حجب معانيه دون الطالب تلك الأسرار ، كما تحجب النجوم صفحها بلندر دون الأنظار ، ولم نزل ردحاً من

(١) الأرد : الاعوجاج ، ويبحث : يقتلع .

(٢) الركاب يستغن الطريق : يخبطه على غير هداية .

(٣) نفع الماء الطش : سكه ، وهذا الشيء لا ينفى عنك : لا ينفعك .

(٤) التام : نبت ضعيف لا يطول ، ويقال : هو لك على طرف التام :

أي من للتناول .

الزمن نستخير الله في أن نلج هذا المأزق المتلاحم ، حتى حار لنا سبجانه ولدينا من الصبر درع مسردة لاتنفذ فيها السهام ^(١) ، ومن الثقة بالله قَبَسٌ ^(٢) يضيء لنا دُجَنَاتِ الظلام .

أسلفنا أن ثمرة هذا النوع من العلم هي إدراك إيجاز القرآن ، والوقوف على الأسرار التي بها يرتفع شأن الكلام ، ويفضل بعضه بعضاً . لكن لابد للمرء قبل ذلك أن يحظى بِرَسٍّ ^(٣) من اللغة ، ويصيب ذرواً من النحو ، ويرشف الضرب من لسان العرب ^(٤) ، ويكون له مع ذلك خاطر كدم في مكدم ، وذهن إذا لاقى الضريبة صمم ^(٥) .

أما النحو : فهو معيار لا يتبين قصان كلام ورجحانه ، حتى يعرض عليه ، ومقياس لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه ، ومن شذ فيه فقد خش وجه الكلام ، وجعل نفسه غرضاً لسهام السلام ؛ انظر كيف نهي على أبي نواس حين غلط في قوله يصف الخمر ^(٦) :

(١) الردح : المدة ، والمأزق : المضيق . ويقال : سرد الدرع : نسجها ، وهو قد اخل الخلق بعضها في بعض .

(٢) القَبَس : جذوة من نار ، والدجنة : الظلة .

(٣) يقال : بلغت رَس من خبر وذرو من قول : أى شيء منه .

(٤) الرشف : المحس ، والضرب : العمل الأبيض الغليظ والمخى ظاهر .

(٥) كدم في مكدم : طمع في مطمع . وفوهو ذمن إذا لاقى الضريبة صمم .

فالضريبة : المضروب بالسيف وإنما دخلته الهاء - وإن كان بمعنى مفعول - لأنه صار في عداد الأسماء كالنطحة ، يشبه الذهن بالسيف في الهضاء .

(٦) لأن فعل أفضل لا يجوز حذف الألف واللام فيها ، وإنما يجوز

كان صغرى وكبرى من فوائدها حصياء در على أرض من الذهب
وكيف سلقه الناس بالسهم ، حين قال في الأمين محمد^(١) :

ياخير من كان ومن يكون إلا النهى الطاهر للأمون

وقل لي بشك : هل يمكن الحامل به أن يفود عن القرآن فيما عساه
أن ينحى من ونحو الإعراب ، فيدرك ماقاله الطاء مثلاً قول الله جل شأنه :
«إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون^(٢)» ومااستشهدوا به من قول الشاعر :

وإلا فاعلموا أنا وأتم بناته ما بقينا في شقاق

وأما اللغة والأدب فهما مسرح الفصاحة ، ومعنى البلاغة ، نعم ، وهل
يتسنى للقائل أن يعد إلى ما كان من الكلمات عذب النطق ، سهل اللفظ ،
غير حشو مهجور ، ولا سوق مردود ، وما كان من التراكيب جيد
السبك ، بحكم الرصف . غير مستكره فج ، ولا متكلف وخم ، وما كان من
التشبيه والمجاز والسكناية قد أصاب الحز ، ووضع فيه المنه مواضع الثقب ،

حذفها من فعل التي لا فعل لها نحو : حبل ، إلا أن تكون فعل أفضل مضافة .
وهنا عريت عن الإحافة .

(١) فإنه رفع الاستثناء من الموجب .

(٢) سير بك في الشرح أن «الصابئون» مرفوع على الابتداء ونحوه
محذوف والنية به التأخير عما في جز إن من اسمها ونحوها ، كأنه قيل : إن الذين
آمنوا والذين هادوا والنصارى ، حكمهم كذا ، والصابئون كذلك ، وإن فائدة
التقديم التنبيه على أن الصابئين مع كونهم أبين المذكورين خلافاً وأشدهم غيا .
يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فالظن بهم .

إلا إذا ضرب في اللغة بهم ، وجرى في أساليبها على عرق^(١) ، وهل يتأتى
لرجل أن يترك إعجاز القرآن ، وتبريزه على مائر الكلام ، حتى يلم بحميم
ضروبه ، ويسير مائر أساليبه .

وقد أفضى المجهود بقوم إلى أن بنحسوا الأدب نحوه ، ولم يوفوه من
الإعظام قطه ، حتى صوّحت لبيهم زهرته ، وذوّت بينهم نَفَرته^(٢) ،
وصار من يحاول العلم منهم ، فأما يروى من آجن ، ويكتنز من غير طائل ،
ألم يعلموا أن العلوم عيال عليه ، وأن الشريعة مفتقرة إليه ، وأن مثلها ومثله
قول أنى الأسود الدؤلى :

فَلَا يَسْكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ فَاتَهُ أَخُوها غَدَتُهُ أُمهُ يَلِيَانِيَا

وهل بلغ آفة الدين هذه للفرقة : فهم أغراض القرآن ، وسرقة أسرار
الشريعة ، إلا بعد أن قبضوا على خزائن الأدب ، وألقيت إليهم مقاليد اللغة ،
ألم يكن مما نجم عنه تعدد الآراء بينهم ، أن كان أحدهم يروى من كلام
العرب بما يروى الآخر غيره ؟ هذا فقط القرء مثلاً ، ذهب مالك رحمه الله إلى
أنه الطهر ، ووجهه في ذلك قول الأعشى :

أَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمٌ غَزَوَةٌ تَشْبُ لَأَفْصَلَا عَزِيمَ عَزَائِكَا

-
- (١) يقال : فلان يصيب بكلامه المهر ، ويضع الهاء مواضع النقب :
إذا كان مأمراً مصيباً . والهاء : القطران ، والنقب جمع نقة : وهي أول ما يبدو
من الحرب قطعاً متفرقة ، والرق : الأصل ، والمعنى ظاهراً .
(٢) صوحت الزهرة : يابس ، وذوى البقل : ذبل .

مُورِثَةً مَالًا وَفِي الْحَيِّ رِفْقَةً لِمَا صَاحَ فِيهَا مِنْ قُرْوٍ نَسَانَا
 وذهب أبو حنيفة رحمه الله إلى أنه الحبيص ، ومستنده قول الراجز :

يَا رَبُّ ذِي ضِغْنٍ عَلَى قَرِيضٍ يُرَى لَهُ قَرْمٌ كَقَرْمِ الْحَائِضِ
 وبكذلك قوله جعل الله عليه وسلم : قصوا الثارب وأعفوا اللحى ، قال
 قوم معناه : وفروا وكثروا ، وقال آخرون : قصروا وقصوا ؛ حجة من
 ذهب إلى التكثير قول جرير :

وَلَكِنَّا نَقِصُّ السِّيفَ مِنْهَا بِأَسْثَقِ عَافِيَاتِ اللَّحْمِ كَوْمٍ^(١)

وحجة من ذهب إلى التقصير : قول زهير .

تَحْمَلُ أَهْلَهَا مِنْهَا فَبَانُوا عَلَى آثَارٍ مِمَّنْ ذَهَبَ الطَّافُ
 ومثل هذا كثير : لا يكاد يحصى الاستقصاء ، حتى لقد اختصه العلماء
 بالتأليف ، وأفرحوه بالكتاب ؛ اللهم إنَّ الصادَّ عن معرفة اللثة وأسرار
 العربية صاد عن تعرف كتابك ، وأسرار شريعتك ، فسواء من أعدم
 الناس الدواء الذي يشق من الداء ، وتسبى به حاشاة الأنفس ، ومن
 أعدمهم العلم بأن فيه شفاء ، وأن لهم فيه استبقاء .

أين أنت أيها الفاروق الذي قلت حين توت قول الله جل شأنه :
 « أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ
 مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ » ثم قلت لإخوانك المؤمنين :

(١) منها : أى من النوق . والأسثوق : جمع ساق ، والكوم : جمع كوماه :
 رمى الناقة العظيمة السنام . يقول إنه يعقر النوق العظيمة بالسيوف .

ما يقولون فيها ، فنهض ذلك المذلل وقال : هذه لثنا . التخوف : التقصص ،
وأشد قول أبي كبير يصف نطقه :

تَقَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا كَمَا تَخُوفُ عَوْدَ النَّبْعَةِ السَّفْنُ^(١)
قلت عليكم بديوان العرب ، فإن فيه تيسير كتابكم .

من لى بك لتتظر حال الضائمين بأمر الدين الآن ، وازدراحم لغة القرآن ،
حق بلغ بهم الأمر أنهم يرمون البلاء بالسف ، وتهمونهم بالزيف عن الجادة ،
لأنهم إن هذا خذلان فأدر كنا برحمتك ، وهيء لنا من أمرنا رشدا .

إلى هنا علمت أن البلاغة لا يسلس قيادها ، إلا لمن شدا في الأدب .
وعلم النحو والصرف واللغة ، وهذا النوع من العلم علم أسرار البلاغة ،
ولطائف القصاصة ، للمسى بضمه : علم المعاني ، وبضمه الآخر : علم البيان ،
ومن ثم قال البيانيون : إن البلاغة مطابقة الكلام لمتنقى الحال مع فصاحته ،
إذ لا يكون ذلك إلا بوساطة هذه العلوم ، كما ستعرف .

وحيث انتهى بنا الحديث إلى هذا الموضع ، وجب علينا أن نوفي القول
في القصاصة والبلاغة حقه من البيان .

ولم الناس قديما بأمر الألفاظ ولو عا صرفهم عن جادة الاعتدال ، وجار
بهم عن قصد السبيل ، فصكوا على العبارات المزخرفة ، والألفاظ المنقوفة ،
والتراكيب المنضجة ، والجلل المنضجة ، وكادوا يقصرون القصاصة على هذا

(١) تَامِكًا : سناماً عظيماً ، والقرد : الذي أكله القرد ، والسفن : الحديد
الذي ينحط به وهو المبرد ، بقول : إن الرحل أثر في سنام الناقة وتقص منها
كما يتقص السفن من العود .

النوع من الحسن ، ويذهبون إلى أن ذلك هو الذى يرتفع به شأن الكلام ويفضل بعضه بعضاً ، ويمد الشأن في ذلك حتى ينهى الأمر إلى الإيجاز ، وإلى أن يخرج من طوق البشر جميعاً ، فانهى لم الشيخ عبد القاهر رحمه الله ، وأرهف عليهم لساناً أخرس الشقاشق^(١) ، وأعدم نطق الناطق ، وأسأل الروادى عليهم مجزاً ، وأخذ منقذ القول عليهم أخذاً ، فنادى بفساد مذهبهم هذا ، وإنه قد يفضى إلى إنكار إيجاز القرآن ، وإن ذلك وحده لا تثبت به فضيلة ، ولا يشف عن براعة خاطر ، وإنما التئى يدل على بعد النور ، ودقة الفكر ، ويرتقى به الكلام حتى ينهى إلى حيث تنقطع الأطماع ، وتعسر الظنون ، وتستوى الأقدام في المجز ، هو تلك الأسرار والمقائق التى وضع لها كتابيه : أسرار البلاغة ، ودلائل الإيجاز .

ذهب هذا الإمام إلى أن مترك البلاغة الذى تظهر فيه الخواطر براعتها ، والبناء مئنتها^(٢) ، هو عند توخى تلك الأسرار واللماني فيما بين الكلم على حسب الأغراض التى يصاغ لها الكلام . فالبلغ هو الذى يضع كلامه الوضع الذى تختصيه تلك اللماني ولا يخل بشيء منها . فينظر مثلاً إلى الوجوه التى تراها في قولك : زيد منطلق ، وزيد ينطلق ، وينطلق زيد ، ومنطلق زيد ، وزيد المنطلق ، وللمنطلق زيد ، وزيد هو المنطلق ، وفي الشرط والجزاء إلى

(١) الشقاشق : جمع شققة وهي شيء كالرقة يخرج منه البعير من فيه إذا حاج ، ويقال لنصيح : هددت شقاشقه ، يريدون قوة البيان ، ويقال : في خلاف ذلك : خرست الشقاشق .

(٢) اللنة : القوة .

الوجوه التي تراها في قولك : إن تخرج أخرج . وإن خرجت خرجت ، وإن تخرج فأنا خارج ، وأنا خارج إن خرجت . وأنا إن خرجت خارج ؛ وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك : جاءني زيد مسرعاً ، وجاءني يسرع ، وجاءني وهو مسرع ، أو هو يسرع ، وجاءني قد أسرع وجاءني وقد أسرع ، فيعرف لكل من ذلك موضعه ، ويحيى بمحيث ينبغي له ، وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم يفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى ، فيضع كلاماً من ذلك في حلق معناه ، نحو أن يحيى بما في نقي الحال بلا إذا أراد الاستقبال . وبأن فيما يرجع بين أن يكون وأن لا يكون ، وإذا فيما علم أنه كائن ، وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ، ثم يعرف فيما حقه موضع الواو من موضع الفاء ، وموضع الفاء من موضع ثم ، وموضع أو من موضع أم ، وموضع لكن من موضع بل ؛ وينظر في التعريف والتذكير والتقديم والتأخير في الكلام كله . وفي الحذف والتكرار والإضمار والإظهار ، فيصيب بكل من ذلك مكانه ، ويستعمله على وجهه ؛ ثم إنه ليست للزينة بواجبة لهذه المعاني في أنفسها ، ومن حيث هي على الإطلاق ، ولكن تعرض بحسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام . ثم يعصب موقع بعضها من بعض ، فليس إذا راعك التذكير مثلاً في سؤدد من قول البحترى :

تَنَقَّلَ في خَلْقِ سُدُودٍ سَاحًا مَرَجَى وبَاسًا مَهِيَا

وجب أن يروك أبدأ وفي كل شيء ؛ بل ليس من فضل ومزية إلا يعصب للوضع ، ويعصب المعنى لدى تويد ؛ وإتاسمى هذه المعاني : سبيل الأضباغ

التي تعمل منها العصور والنقوش ، فكما أنك ترى الرجل قد تهذى في الأصباغ
التي عمل منها العصور والنقوش في ثوبه الذي نسج إلى ضرب من الضخير
والتدبر في أنفاس الأصباغ وفي مواضعها ومقاديرها وكيفية مزجها وترتيبه لهاها :
إلى ما له يهتد إليه صاحبه ، غناء نقشه من أنجار ذلك أعجب ، وصورته أغرب ؛
كذلك حال الشاعر والشاعر في توضيحها معاني النحو ووجوهه .

وربما القول : إن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ، وكل ما شا كل
ذلك مما يعبر به عن فضل بعض القائلين عن بعض ، من حيث راموا أن
يطمئئ السامعين ما في نموسهم ، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم ، إنما هي ألفاظ
مترادفة لأمضى لما غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتماها فيها لو كانت
دلالة ، ثم تبرحها في صورة هي أبهى وأزین ، وأتق وأعجب ، وأحق بأن
تستولى على هوى النفس ، وتقال الخط الأوفر من ميل القلوب ، وأولى بأن
تطلق لسان الحامد ، وتطيل رغم الحاسد ، ولاجة لاستعمال هذه إلتصال غير
أن يؤتى للمعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ، ويختار له اللفظ الذي هو
أخس به ، وأكشف عنه وأتم له ، وأحرى بأن يكسوه فصلا ويكسبه نبلا ،
وإن فرجها النظم والكلام ، دون الألفاظ المحررة والكلمات المفردة .

وقد استظهر عد القاهر لهذا بعدة أمور ، منها : أنك
تؤنسك في موضع ، ثم تراها بيننا تنقل عليك في موضع آخر ، كلفظ
الأخذ في بيت الحماسة :

تلفت نحو الحى سقى وحدتى وجعت من الإصفا لیتاً وأخذت

وبيت البحرى :

وإني وإن بليتني شرفَ النفي وأعتقت من ريق الطامع أحدهم
فإن لها في عذيق للكابين مالا يحق من الحسن : ثم إنك تتأملها
في بيت أبي تمام :

يأهر قوّم من أحديك قد أصبحت هذا الآنام من حرقك^(١)
فتجد لها من القتل على النفس . ومن التنفيع والتكدير : أصناف
ما وجدت هناك من الروح والخفة . والإينس والبهمة : وهذا باب واسع .
فإنك تجد الرجلين قد استملا كلا بأعيانها ، ثم ترى هذا قد فرع السماك ، فإنك
وترى ذاك قد لصق بالحضير . موكانت الكلمة إذا حسنت . حسنت
من حيث هي لفظ ، وإذا استحققت المزية والشرف ، استحققت في ذاتها وعلى
أفرادها جون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أحوالها المحاورة لها في
النظم لما اختلف بها الحال ، ولكانت إما أن تحسن أبدا ، أو لا تحسن أبدا .

ومنها أنك لا تشك إذا فكرت في قوله تعالى : « وقيل يا أرض ابنى ما بك
ولاساء ألقى وغيض للساء وقصى الأمر واستوت على الجودى وقيل سدا
للقوم الظالمين » فتجلى لك منها الإعجاز ، وبهرتك الذي ترى وتسمع . إنك لم
تجد ما وجدت من المزية الظاهرة إلا الأمر يرحم إلى ارتباط هذه الحكم بمصها

(١) الخرق بالضم : العنف ، وكذلك الحق والجميل . وضم الراء لفتح
ويريدون بتقويم الأعداء - وهما عرقان في صفحتي المتن كاليتين : لإزالة
الكبر والعنف .

يعضر . وإن لم يرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لامت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة ، وهكذا إن أن تستقر بها إلى آخرها ، وأن الفضل تنأج ما بينها ، وحصل من مجموعها : وكذلك إذا نظرت إلى قول ابن المعتز :

سألت عليه شهاب الجني حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير

فإنك ترى هذه الاستعارة على لفظها وغرابتها ، إنما تم لها الحسن ، وانتهى إلى حيث انتهى بما توشى في وضع الكلام من التقديم والتأخير ، وتجدها ملحت ولطفت بمعاودة ذلك وموازرتة لها ، وإن شككت فانظر إلى الجارين والظرف ، فأرل كلا منهما عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه ، قل سألت شهاب الجني بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره . ثم انظر : كيف يكون المحال وكيف يذهب الحسن والحلاوة ، وكيف تصدم أريحيتك التي كانت ، والنشوة التي كنت تجدها ؟

ومنها غير ذلك مما أجتناه في غير هذا الموضع من الكتب .

أما المتأخرون كالسكاكي والخطيب وابن الأثير فهم — إذا ألطفت النظر وأنصت الفكر — ممن سلكوا طريقة عبد القاهر وقفوا إثره ، ذاك لأنهم لم يقصروا الفضيلة على هذا النوع من الحسن : تلاؤم الحروف وسلاسة الألفاظ بل جعلوا ذلك وجهاً من وجوه الفضيلة ، وداخلاً في عداد ما يفاضل به بين كلام وكلام ، وبينوا أن قوام الشرف والنبل هو تطبيق الكلام على مقتضى الحال ، الذي عبر عنه الشيخ : بتوخى معاني النحويين بين الكلم على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام . بيد أنهم عمدوا إلى الفصاحة وأخرجوها

من حيز البلاغة ، وجعلوها : اسماً ما كان بنجوه من تنافر الحروف . وغرابة الألفاظ ، ومخالفة ما ثبت عن الواضع ، وتنافر الكلمات ، والتعميد في النظم ، والمغنى ، ومخالفة القانون النحوى ؛ وجعلوا البلاغة اسماً ما كان مطابقاً لمقتضى الحال مع فصاحته ؛ وهذا غير قادح فيما ذهب إليه الشيخ .

هذا وما كلف الشيخ رحمه الله بشأن النظم ، والتنويه بتلك الأسرار . حتى طال بكلامه الأمد ، وحتى كاد يتجاوز غاية الإفصاح إلى سبابة الإملال ، إلا لما عفى به ووضع لأجله كتابه دلائل الإعجاز من إزالة ما كان يعلق بالأذهان كافة في عصره من الخطأ في وجه إعجاز القرآن .

هو بعد ذلك من المعروف أن القرآن تحدى العرب إلى معارسته ، وأخدمه بالإتيان بمثل أقصر سورة منه ، فأكان إلا أن استولى عليهم العجز ، وبلغ منهم إلى ، وخرست ألسنتهم فأتعير مقالا ، وخلدت قرومهم فما تستطيع صيلا : وآية ذلك فرارهم إلى شبا الأسته ، واتصامهم غمرات الموت ، ووكان لهم عنها عيى لابتنوا إليه سبيلا : بيد أن للعلماء في وجه الإعجاز مذاهب لا تتعدى أربعا : فذهب بعض إلى أن الله سبحانه ما أنزل القرآن ليكون حجة للنسوة . بل هو كسائر الكتب الميزة لبيان الأحكام ، والعرب إنما يمارصوه لأن الله تعالى صرهم عن ذلك وسلب عومهم به : وذهب فريق إلى أن إعجازه في أن له أسلوبا يختص به ، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد ، وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام المنظوم ، تنقسم إلى أعريض الشعر على اختلاف أنواجه ، وإلى الكلام للوزون للسجع ، وإلى ما يرسل لإسالا ، وأسلوب القرآن

سابق لهذه العار . خارج عن هذه الحسنة : لا سيما في مقاطع الآيات ، مثل
يؤمنون ويؤمنون . وذهب ثالث إلى أن إجماره في أن اشتغل على النبوة
ومالم تلم به علوم الناس : من أخبار من مضى ، وأحوال مستقبل الأيام .

وذهب آخرون إلى أنه معجز بفصاحته ، وواقفهم على ذلك الشيخ
عبد القاهر إلا أنه خالفهم فيما ذهبوا إليه من تفسير الفصاحة بالمزايا اللفظية
التي تتلوه الكلام : كالتشبيهات ، والاستعارات ، والكنائيات ، وإرسال المثل ،
والجناس . والتورية ، وكل أنواع الصناعة اللفظية : وفسرهما هو بتوضيح معاني
النحو ، وأسرار التركيب . وترتيب الكلام حسبما تقتضيه المقاصد والأغراض .
وقال : إن هذا هو وجه الإعجاز في القرآن ، وهذه هي المزية التي امتاز بها عن
سائر الكلام . فأما التشبيهات والاستعارات وأخواتها ، فمزايا يشاركه فيها كل
كلام العرب . وما سمع عن أحد من العرب من محب بفصاحة القرآن أنه طرب
لتشبيه ، أو دهش لتمثيل . أو محب لجناس أو تورية ، أو صغى لسامع مثل
غريب ونكتة بديعة : وما كان يروعه ويملك عليهم مشاعرهم . غير تلك
الأسرار والمغلف التي سلك فيها القرآن مسلكا خرج عن طوق البشر ، فما
عارضه مفارض ، ولا حدث غسه محدث ، بل ظلوا حيارى هائمين ، يقولون :
سحر ! نعم إنه السحر الذي يأخذ بمجامع القلوب ، ويملك الحواس ، ويختلب
الآلباب : ولعل الإفاضة في هذا البحث ، وإيفاء حق من البيان ، يخرج بنا
عن موضوع هذه المقدمة : فلنمسك بئنان القلم ، وننكح إلى كتبه الخاصة به ،
فهناك البيان الواضح . والإفاضة الوافية ، والله ولي التوفيق .

عبد الرحمن بن قري

ليست البلاغة في الحقيقة إلا ملكة البيان ، وقوة النفس على حسن التعبير عما تريد من المعنى ، لتبلغ من مخاطبتها ما تريد من أثر في وجدانه - يميل به إلى الرغبة فيما رغب عنه . أو النفرة عما كان يميل إليه ، أو تمكين ميل إلى ضرعوب ، أو تقرير نفرة - من مكروه . أو تحويل في اعتقاد ، أو تغيير لعادة ، أو ما يشبه ذلك مما يقصد بالمخاطب ، وذوق النفس كذلك لحسن ما تسمعه ، أو وجوه النقد فيما يلقي إليها ؛ هذه هي البلاغة في حقيقة الأمر .

وضموا علوماً ليصل محصلها إلى امتلاك تلك الملكة ، أحكم قواعدها عبد القاهر الجرجاني ، وتبعه من جاء بعده على نوع من التحرير والتنقيح . وجاء صاحب التلخيص بمجل ما يبين تنبيه النفس إليه ، من أسرار تأليف الألفاظ ، ليكون المحصل لذلك الجليل على بصيرة من وجوه التعبير .

شرحه كثير من الناظرين في الفن ، وتعلق الأغلب بلفظه ، ولم ينظروا الغاية من وضعه ، فصرفوا الوقت فيه ، وفاتهم البلاغة نفسها بجميع مقاصدها ، فلام يحسنون إذا كتبوا ، ولا هم يقتنون إذا خطبوا ، ولا هم يحسنون الاستماع إذا خطبوا ، كما هو معروف لأصمهم ، ولكل من يعرفهم .

شرحه الشيخ عبد الرحمن البرقوق ، واطلعت على نموذج من شرحه ، فوجدته كافياً في تبين معنى ما في الكتاب ، موجهاً نظر الناظر فيه إلى مقصد منه : ولا حاجة بالسائر إلى الغاية من الفن إلى ما هو أكثر مما جاء فيه ،

وإنما الواجب عليه تحميل اللسعة بالعمل ، ومزاولة كلام البناء ، وكسب
أساليب الفصحاء ، حتى يتم له من شأنه ما يريد ، ويشهد له كلامه قبل
أن يشهد هو لنفسه ؛ وليس لكلامه أن يشهد حتى يروق المرء وأهله ،
وعنده وخلفه ؛ وأسأل الله أن يضع بهذا الشرح مطالعه ، ويستفيد
منه مراجعه .

محمد عمره

فاتحة التلخيص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ على ما أنعم ، وعلم من البيان ما لم نعلم . والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، خير من نطق بالصواب ، وأفضل من أوتي الحكمة ^(١) . وفصل الخطاب . وعلى آله الأطهار ، وصحابه الأخيار .

« أما بدء » فذا كان علم البلاغة وتوايها من أجل العلوم قدرا ، وأدقها سرًا ، إذ به تُعرف دقائق العربية وأسرارها ، وتُكشف عن وجوه الإيجاز في نظم القرآن أستاذوها ؛ وكان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذي صنفه الفاضل الملامه أبو يعقوب يوسف الكاكي : أعظم ما صنف فيه من الكتب المشهورة فضاء ، لكنه أحسنها ترتيبا ، وأتمها تحريما ، وأكثرها للأصول جمعا ؛ ولكنه كان غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد ، قابلا للاختصار ، مفتقرا إلى الإيضاح والتجريد ^(٢) : ألقتُ مختصرا يتضمن ما فيه

(١) الحكمة : كال العلم وإتقان العمل . وفصل الخطاب : الكلام البين الذي يبه المخاطب إلى المقصود من غير التباس . أو الخطاب الذي يفصل بين الحق والباطل .

(٢) أي تجريده عما فيه من الحشو

مقدمة الشارح

للطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

« وسلام على عباده الذين اصطفى »

« وأما بعد » فإنني أحمدُ الله سبحانه أنْ حاطَ هذا الشرح بالقبول ، وكتب له البقاء والخلود ، حتى رأيتَه يطبع للمرة الثانية ، بعد أن مضى على طبعته الأولى نحو من ثمان وعشرين حجة ، وبعد أن رأيتُ « نَعَام القلوب إليه زَقَافَة ، ورياح الآمال حَوَلة هَفَافَة ، وغيون الأفاضل نحوه رَوَاق ، وأستهم بتمنيهِ نواطق »

والكتاب فيما أُعلن ويظن معي أفاضلنا ، أكان للثن أم الشرح : يستحق هذا القبول . وطول الإفادة منه ، فإن للثن رضى الله عن صاحبه أجمعُ كُنْشَاةٍ لعلوم البلاغة ، على صغر حجمه ، ووجازة كلمه ؛ والشرح من أوسط الشروح وأجملها ، جَلَوَتْ فيه هذا العلم كما تجلَّى العروس .

على أن هذه الطبعة الثانية تمتاز عن الأولى بالكثير الكثير ، من الضبط والزيادة والتحوير .

والى الله أضرع أن يديم الانتفاع به ، ويحمله بسبب من مرضاته .
إنه سميع الدعاء .

عبد الرحمن البرقوقي

٢١ شعبان سنة ١٤٥٠ هـ الموافق أول يناير سنة ١٩٣٢ م

من القواعد ، وَيَسْتَمِيلُ عَلَى مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَالشَّوَاهِدِ ، وَلَمْ آلْ
جَهْدًا^(١) فِي تَحْقِيقِهِ وَتَهْذِيبِهِ ؛ وَرَبَّنَّهُ تَرْتِيبًا أَقْرَبَ تَنَاوُلًا مِنْ تَرْتِيبِهِ ، وَلَمْ يَبَالِغْ
فِي اخْتِصَارِ لَفْظِهِ تَقْرِيبًا لِمَا طَلِبَهُ ، وَطَلَبًا لِتَسْهِيلِ فَهْمِهِ عَلَى طَالِيهِ ؛ وَأَضْفَتْ
إِلَى ذَلِكَ فُرَاقًا عَزَزَتْ فِيهِ بَعْضُ كُتُبِ الْقَوْمِ عَلَيْهَا ، وَزَوَانِدَ لَمْ أَظْفَرْ فِي كَلَامِ
أَحَدٍ بِالتَّصْرِيحِ بِهَا وَلَا الْإِشَارَةِ إِلَيْهَا ، وَسَمِيَتْ « تَلْخِيسَ لِلْفَتْحِ » .
وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ : أَنْ يَنْصَحَ بِهِ ، كَمَا انْصَحَ بِأَصْلِهِ ؛ إِنَّهُ
وَلِيُّ ذَلِكَ ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

(١) الأول : التخصيص ، وأصله : أن يمدى بالحرف ، يد أنه ضمن معنى
المنع ، فصار المعنى : لم أملك اجتهداً .

مقدم

• الفصاحة • يوصف بها للفرد والكلام وللقلم .

• والبلاغة • يوصف بها الأخيران فقط .

فالفصاحة في الفرد : خلوصه من تنافر الحروف ، والترابة ، ومخالفة القياس . فالتنافر ؛ نحو :
 • غداؤه مستشيرات إلى الليل •

(الفصاحة) إن البيان في الفصاحة والبلاغة أقوالا مضطربة ، وآراء متباينة ، وهذا حديث فيهما يلج الصدر إن شاء الله .

الفصاحة ومنها العرب لمعان تشف عن الظهور والإبانة ، يقولون : فصيح اللبن وأفصح : إذا أخذت رغوته ، وأفصح الصبح : إذا بدا ضوؤه . ومنه المثل : أفصح الفصح لدى عينين ، وأفصح الأجمعي بالعربية ، وفصح لسانه بها : خلصت لفته من اللكّة ، وهذا يوم مفصح وفصح : لا غم فيه ولا قر .

ومن هنا أطبق علماء البيان على أن الكلام الفصيح ما كان سهل اللفظ ، واضح المعنى ، جيد السبك ، متلائم الحروف ، غير مستكره فح ، ولا متكلف وخم ، ولا عما يذته العرب ، وعدلت عن ألفاظه البلاء ، أو ما كان بنجوة من تنافر الحروف ، وغرابة الألفاظ ، ومخالفة ما ثبت عن الواضع ، وتنافر الكلمات ، والتعقيد في العظم والمعنى ، ومخالفة القانون النحوي .

أما تنافر الحروف : فهو وصف في الكلمة ينجم عنه نقل عملها على اللسان ، والحكم في ذلك هو الإحساس الروحاني . والذوق السليم الذي يشره التحفظ

والنراة نحو: • وناجًا ومَرَجًا مُرَجًا • أي كالتيف الشريجي
في الدقة والاشواء، أو كالسراج في البريق واللمعان؛ والمحافة نحو:
• الحد في الليل الأجل • قيل: ومن الكرامة في السح نحو:

لكلام العرب، ومزاولة أساليب البلغاء. وما جاء متافراً كلمة: مستحبات،
في قول امرئ القيس:

غَدَاؤُهُ مُسْتَشْرِزٌ بِلَى الْفَلَا تَصِلُ الْقَاصُ فِي مَتْنٍ وَمُرْسَلٍ
الغدا: الدواب، والضمير يربط بفرع في قوله:

وَفَرَجَ يَرِينُ لِلتَّى أَسْوَدَ فَحِجْرٍ أَيْشٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ لِلتَّمَشْكِلِ

والاستدوار: الارتفاع والرفع جياً، فيكون الفعل من تارة لازماً إن
كبرت زايا، ومتدياً إن فتحها. وتعلل: جمع عليه: تأتت الأعلى، وأراد
الجهات العليا، والقاص جمع عصبة: الحصة من الشعر تأخذها المرأة فتلقبها
ثم تعندما حتى يبقى فيها التواء ثم تجعلها وسط رأسها كالرمانه وهي القندرة
يقول: إن غداؤه مشدودة على الرأس وأن يهوج الشعر منه غصص أو غصائر
بومنه متنى - مفتول، ومنه مرسل، وأن القاص فينبغي الأخيرين والمراد أن
توفور شعرها وجمال وضعه.

والنراة: أن يكون النقط حوشياً غير مألوف الاستعمال ولا ظاهر المعنى،
وذلك نوعان حسن لا يصاب استعماله على العربي الفصح، وهو في النظم أحسن منه
في النثر، وذلك مثل مشعر: فإنها في قول البحري يصف إربان كسرى:

مُسْتَحِيرَةٌ تَسْلُو لَهْ شُرُكَاتٍ رُفِيتَ فِدُوسٍ رَضُوسٍ وَقُدُوسٍ
لا بأس بها، وفيح حسن يصاب استعماله على سائر القاصد وهو أن يكون مع

• كريم الجرشى شريف النسب • وفيه نظر .
وفى الكلام : سَخُوصَهُ مِنْ خُصْفِ التَّأْلِيفِ ، وَتَنَافُرِ الْكَلِمَاتِ ،
والتَّعْقِيدِ ، مع فصاحياً ؛ فَالضَّعْفُ نَحْوُ : ضَرَبَ غُلَامُهُ زَيْدًا . والتثاقف
كقوله : • وَلَيْسَ قُرْبَبَ قَبْرِ حَرْمِيٍّ قَبْرٌ •

ذلك كراً غليظاً ، مثل جعش في قول ثابت شراً :
يَلَلُ بِمَوْنَةٍ وَيُمْنِي بِتَيْرِهَا جُعِشًا وَيَتَرَوَّرِي ظُهُورَ الْهَالِكِ (١)
ومثل اطلنم في قول أبي تالم :
قَدْ قُلْتُ لَنَا اِطْلَنِمُ الْأَمْرُ وَابْتَمَنَّتْ عَمَلُهُ تَالِيَةً عُبَا دَهَارِيَسَا (٢)
ومثل جفخ في قول المنفى :
جَفَخَتْ وَهْمٌ لَا يَجْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ شِيمٌ عَلَى الْكُسْرِ الْأَقْرَ دَلَالِ (٣)
ومن هنا كان قول بعضهم : إن الكلام القصيح ما كان في الجاهلية
القرابة ، بعيد عن الاقعدة الإحاطة بمعناه ، وعز على الأنعام إدراكه : جهلا
بمحسن النصيحة وأوضاع البلاغة . قال الجاحظ - وهو من هو - : رأيت
الناس يديرون في كتبهم أن امرأة عاصت زوجها إلى يحيى بن يعمر ، فاتهزلا

(١) بلومة : الخازة الواسعة : ويقال للرجل . إذا كان يستبد برأيه :
جعش وحده : وهو ضم ، ويقال : اعروى الفرس ركبا عريانا وهو
الفرعل ، مستأمرنا للهلكة .

(٢) اطلنم الأمر : اشتد ، والندريس : الندامى .

(٣) جفخ : غر وتكبر ، وشيم : قائل ، والأغر : الشريف ، يقول جفخت
وغررت بهم شيم ، وهم لا يغفرون بها ، وهذه الشيم دلالة على حسبه الأغر

وقوله :

كريمٌ متى أندحهُ أندحهُ وألوزى مِى وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحَدَى
والتعقيدُ : أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد لخلل

مراراً ، فقال له مجي : إِنْ سَأَلْتُكَ ثَمَنَ شُكْرِهِمَا وَشُكْرَكَ أَنْفَعَاتِ تَطْلُبُهَا
وتصلها (١) : ثم قال : فَإِنْ كَانُوا قَدَرُوا هَذَا الْكَلَامَ لَكَ بَدَلٌ عَلَى نَصَاحَةٍ ،
قد باعده الله من حفة النصيحة .

هذا ، ومن القريب المحوش ما يحتاج إلى أن يخرج له وجه بعيد ، مثل :
سرجا ، في قول رؤية بن السراج :

أَيَّامٌ أَبَدَتْ وَإِثْمًا مُمَلَّجًا أَغْرَبَرًا وَطَرَفًا أَبْلَجًا

وَمُثَلَّةً وَحَاجِبًا مَزَجَجًا وَفَاحًا وَمَرَسِنًا مُسْرَجًا

المرس : الألف . فلا يعلم ما أراد بقوله : سرجا ، حتى اختلف في تخريجه ،
ف قيل : من قولم السيوف سرجية أى مفسوة إلى قين يقال له سريج ، يريد : أنه
في الاستواء والنفقة كالسيف السرجي ، وقيل : من السراج ، يريد : أنه في البرقي
كالسراج ، وهذا يقرب من قولم : سرج وجهه بكسر الراء : أى حسن ، وسرج
الله وجهه : أى بهجه وحسنه .

هنا ، وكما أن تهذيب الكلام من الترابية شرط في النصيحة . كذلك
تهذيبه من الابتدال . فينبغي للنصيح أن يجنب السوق المبتذل الذي أبلاه
التكرار ، وتبدل باستعمال العامة إلى الحضيض .

وعنافة ماثبت عن الواضع ، مثل : الأجلل ، في قول أبي النجم :

الحد لله العلى الأجلل .

(١) الفكر بالفتح وبكسر : المزج ، وضلل فلاناً حقه ، كنع : قصه إياه
وأجلله عليه ، وتطلبا كتمدهما : تطلبا ، والتبر : حق النكاح أو التكاثر .

إِنَّمَا فِي النَّفْسِ، كَقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ فِي خَالِ هِشَامٍ :
وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مَمْلُوكًا أَبْوَانُهُ حَتَّى أَبْوُهُ بِقَارِبَةٍ

القياس : الأجل بالإدغام ، ومثله قول المتنبي :
فَلَا يُبْرِمُ الْأَمْرُ الْقَدِي هُوَ حَالِلٌ وَلَا يُجْلِلُ الْأَمْرُ الْقَدِي هُوَ يُبْرِمُ
وعنافة القانون النحوي ، مثل : ضرب غلامه زيداً ، فإن رجوع الضمير إلى
المفعول المتأخر لفظاً مجتمع عند الجمهور ، ثلاثاً يلزم رجوعه إلى ما هو متأخر
لفظاً ورتبة ، ومثل ذلك قوله :

كَأَحِبُّهُ ذَا الْخِلْعِ أَنْوَابُ سُودِي وَرَقِ نَدَاهُ ذَا النَّدَى فِي ذَرَى الْمَجْدِ
وتناثر الكلمات ما كان مثل قول القائل (١) :

وَقَبْرٌ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَبْرٌ وَلَيْسَ قُرْبٌ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ
وقول ابن جني يرقى أحمد بن يوسف :

لَا أَذِيلُ الْأَمَلِ بَعْدَكَ إِنِّي بَعْدَهَا بِالْأَمَلِ جِدُّ بَحِيلِ
كَمْ لَهَا مَوْحِفٌ يَبَابُ صَدِيقِي رَجَعَتْ مِنْ نَدَاةٍ بِالتَّعْطِيلِ
لَمْ يَصْرِهَا وَالْحَدُّ قَدْ شَاءَ وَأَنْتَنْتِ نَحْوَ عَزَفٍ نَحْوِ ذَهُولِ
فتنقد النصف الأخير من البيت الثالث ، فإنه سجد بعض الهامزة تبرا
من بعض . ومن ذلك - يبد أنه أخف عاقبه - قول أبي تمام :
كريم متى أمدحه أمدحه والورى متى وإذا ما لمته لمته وعدى
وقد أشد خلف الآخر في هذا المتن :

(١) زعموا أن قاتل هذا البيت جنى صاح على حرب بن أمة فأت في
قلاة ، ويسمى هذا النوع من الجنى مائناً .

أى : لَبَسَ مِثْلَهُ فِي النَّاسِ حَتَّى يُقَارِبَهُ ، إِلَّا مُمْلَكًا أَبُو أُمِّهِ أَبُوهُ ؛
وَمَا فِي الْإِثْقَالِ ، كَقَوْلِ الْآخَرِ :

وَبَعْضُ قَرِيبِ الْقَوْمِ أَوْلَادُ عَلِيٍّ يَكْذِبُ لِسَانَ النَّاطِقِ لِلتَّحْفِظِ
وَأَجُودُ الْكَلَامِ مَا رَأَيْتُهُ مِتْلَاحِمُ الْأَجْزَاءِ ، بَيْلُ الْخَارِجِ ، فَكَأَنَّهُ أَمْرُغٌ
إِفْرَاقًا وَاحِدًا ، فَهُوَ يَجْرِي عَلَى الْإِسْنِ ، كَمَا يَجْرِي الدُّعَانُ ؛ وَمِثْلُهُ قَوْلُ
أَبِي حَيَّةِ الْغُبَرِيِّ :

رَمَتْنِي رَسِيْرُ اللهِ بَنِي وَبَيْنَهَا عَشِيَّةُ آرَامِ الْكِنَاسِ رَسِمُ
رَسِمُ الْيَقِي قَالَتْ لَجَارَاتِ يَتِيهَا حَمِيْنْتُ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ يَتِيهُمُ
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمَتِيهَا وَلَكِنْ عَهْدِي بِالضَّالِّ قَدِيمُ
يقول : رمتني بطرفها وأصابتني بحاسنها ، ولو كنت شاباً لمزيد كما مزيد ،
وفنت كما فنت ، ولكن قد تطلو عهدي بالصاب . فأتت إذا عمدت إلى مثل
هذا : وجدت له اهتزازاً في نفسك وأريحية في فؤادك .

والتَّحْفِظُ أَنْ يَشِيكَ الْمُكَلِّمُ طَرِيقَكَ إِلَى الْحَقِّ ، وَيُوعِرُ مَذْهَبَكَ نَحْوَهُ . حَقٌّ
يَقْسِمُ فِكْرَكَ وَيَشْعَبُ قَلْبَكَ ، فَلَا تَدْرِي مَنْ إِنْ تَتَوَصَّلُ ، وَأَيُّ طَرِيقٍ تَنْصَلُ
إِلَى مَعْنَاهُ ، مِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُ الْهَرَزْدَقِ :

إِلَى مَلِكٍ مَا أَثَرُ مِنْ مُحَارِبٍ أَبُوهُ وَلَا كَانَتْ كَلِمَتُهُ تَصَاهِرُهُ
يُرِيدُ إِلَى مَلِكٍ أَبُوهُ مَا أَمَّهُ مِنْ مُحَارِبٍ . وَقُوتهُ أَيْضًا يَدْحُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ
هَشَامَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْخُرَوِيِّ عَالِ هَشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا عَسَا أَبُو أُمِّهِ حَتَّى يُقَارِبَهُ
يُرِيدُ : وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ حَتَّى يُقَارِبَهُ إِلَّا مُمْلَكًا أَبُو أُمِّهِ أَبُوهُ ، يَتِي : وَمَا مِثْلُهُ

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الْفَارِ عَنْكُمْ لَتَقَرَّبُوا^١ وَتَكْسِبَ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لَتَجْمَدَا
فَلَنْ لَا إِشْتِكَالَ مِنْ بُجُودِ الْعَيْنِ إِلَى بُخْلِيهَا بِالْأُثْمُوعِ ، لَا إِلَى مَا قَصَدَهُ مِنْ

في الناس أحد يشبه في الصفات إلا هشاماً ، فهو كآراء في غاية التعقيد ، حتى
كانه لم يمنع في صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَاراً^(١)
ومثله قول المتنبي .

وَقَاوُ كَمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَائِفُهُ بَأَنْ تُسَدِّدُوا الدَّمْعَ أَشْفَاءُ سَائِغِهِ
يريد : وقاؤكما بأن تسعدا كالربع أشجاء طائفه . يخاطب صاحبه بأن
حسم وقتها له بالمساعدة على البكاء ، مما يزيد في حزنه . كالربع كلما درست
مسألة كان ذلك أدعى لحزنه : ثم اعتذر بأن الدمع يشق الباكي ، لأن من حزن
قلبه استراح بالبكاء . وهذا الضرب من التعقيد يرجع إلى العطف ، لأن منشاء
خساد النظم بما صنعه الشاعر من التقديم والتأخير وغيرهما ما ليس له أن
يصنعه ، ولا يسوغ أن يقدم عليه . وثممت ضرب آخر يرجع إلى المعنى . وهو
أن لا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول المعروف بحسب اللغة إلى المعنى
الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهراً ، كقول العباس بن الأحنف :

سَأَطْلُبُ بَعْدَ انْفَارِ عَنْكُمْ لَتَقَرَّبُوا وَتَكْسِبَ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لَتَجْمَدَا
بدأ فدل بكسب الدموع على ما يوجبها المراق من الحزن والكدر ، فأحسن
وأصاب ، لأن من شأن البكاء أبداً أن يكون أمانة للحزن . وأن يجعل كتابة
عنه كقولهم : أبكأت وأضكت . على معنى : سافى وسرفى .

الشُّرُورِ . قِيلَ : وَمِنْ كَثْرَةِ التَّكْرَارِ وَتَكَابُهِ الإِضْطِّاطِ ، كَقَوْلِهِ :

ثُمَّ سَأَلَ هَذَا التَّحْقِيقَ إِلَى تَحْقِيقِهِ ، فَاتَّعَسَّ أَنْ يَدُلَّ عَلَى مَا يَوْجِبُهُ دَوْلَمُ التَّلَافُفِ
مِنَ الشُّرُورِ بِقَوْلِهِ : لَتَجْمَدَنَّ ، لَفْظُهُ أَنَّ الْجَمُودَ خَلُوَ الْعَيْنَ مِنَ الْبُكَاءِ مِنْ غَيْرِ
اعتبار شيءٍ آخَرَ ، وَغَلَطَ فِيهَا ظَنُّ ، لِأَنَّ الْجَمُودَ خَلُوَ الْعَيْنَ مِنَ الْبُكَاءِ ، مَعَ أَنَّ
الْحَالَّ حَالُ بُكَاءٍ ، وَمَعَ أَنَّهُ يُرَادُ مِنْهَا أَنْ تَبْكِيَ فَلَا يَكُونُ كِتَابَةً عَنِ الشُّرُورِ ،
وَلَئِنْ يَكُونُ كِتَابَةً عَنِ الْبُخْلِ كَمَا قَالَ الْبَاعِرُ :

أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجْدُ يَوْمَ وَاسِطٍ عَلَيْكَ يَجَارِي دَمْعُهَا جَمُودُ
وَلَوْ كَانَ الْجَمُودُ يَصْلَحُ أَنْ يُرَادَ بِهِ عَنَمُ الْبُكَاءِ فِي حَالِ الشُّرُورِ ، لَجَازَى أَنْ
يُدْعَى بِهِ الرَّجُلُ ، فَيَقَالُ : لَأَزَالَتْ عَيْنُكَ جَامِدَةً ، كَمَا يَقَالُ : لَا أَبْكِي اللَّهُ عَيْنُكَ .
وَذَلِكَ مِمَّا لَا يَشْكُ فِي بَطْلَانِهِ ، وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُ أَهْلِ الْفَنَاءِ : سَنَةُ جَمَادٍ : لَا مَطَرُ
فِيهَا ، وَنَاقَةُ جَمَادٍ : لَا بَيْنَ فِيهَا ، فَكَأَنَّ الْجَمْلَ السَّنَةَ وَالنَّاقَةَ جَمَادٌ إِلَّا عَلَى مَعْنَى أَنَّ
السَّنَةَ بَحِيلَةٌ بِالْمَطَرِ وَالنَّاقَةَ لَا تَسْخَرُ بِالْمَرْءِ ، لَا تَجْمَلُ الْعَيْنُ جَمُودًا إِلَّا وَهَناكَ
مَا يَصْتَعْنِي إِرَادَةُ الْبُكَاءِ مِنْهَا ، وَمَا يَجْعَلُهَا إِذَا بَكَتَ عَمْسَةً مَوْصُوفَةً بِأَنَّهَا قَدْ جَادَتْ
وَإِذَا لَمْ تَبْكِ مَسِيئَةً مَوْصُوفَةً بِبُهَا قَدْ ضَلَّتْ .

هَذَا ، وَبِهِتَ ابْنُ الْأَعْنَافِ الْمَذْكُورُ : فَظَنِيَ كَلَامَ ابْنِ الرَّيِّعِ بْنِ خَيْثَمٍ ، فَإِنْ
زَجَلَا قَالَ لَهُ - وَقَدْ صَلَّى إِلَيْهِ حَتَّى أَصْبَحَ - : أَتَبْتَ نَفْسَكَ ، فَقَالَ : رَاحَتُهَا
أَطْلُبُ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ :

تَقُولُ سُلَيْمِيُّ لَوْ أَتَيْتَ بَارِئًا وَلَمْ تَذَرِ أَيَّ فِئْتَامٍ أَطْلُوفُ
وَهُوَ مَعْنَى كَثِيرٍ حَسَنٍ جَمِيلٍ ، وَقَدْ زَادَ بَعْضُهُمْ عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ الْخَلْفَ
بِالنَّصَاحَةِ أَمْرًا آخَرَ وَهُوَ الْكَرَامَةُ فِي السَّمْعِ بِأَنْ يَجِيعَ الْقَطْرُ وَيَتَبَرَأَ مِنْ سَمَاعِهِ ،
كَالْمَرْحُومِ ، فِي قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ التَّنَوُّحِيِّ بِمَدْحِ سَيْفِ الْفَرُوقِ :

مُبَارَكُ الْأَسْمَاءِ أَغْرَهُ الْقَتَبُ كَرَمُ الْمَرْحُومِ شَرِيفُ النَّسَبِ
(الْمَرْحُومِ : النَّفْسُ) وَفِيَا ذَكَرَ هَذَا التَّعَابُلَ نَظَرَ ، لِأَنَّ الْكَرَامَةَ فِي السَّمْعِ

• سُبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْنَا شَوَاهِدٌ • وَقَوْلُهُ :
 • حَمَامَةٌ حَمْرَى حَوْمَةِ الْجَنْدَلِ اسْجِي • وَفِي نَظَرٍ .
 قَوْلُ الْمُكَلِّمِ : سَلَكَةُ يُقْتَلَرُ بِهَا عَلَى التَّعْيِيرِ عَنْ الْقَصُودِ
 بِلَفْظٍ فَصِيحٍ .

تشملها الغرابة ، وقد احتراز عنها ؛ وزاد بعضهم أمراً آخر أيضاً وهو كثرة
 التكرير وتتابع الإضافات ، وأفتد على الأول قول أبي الطيب :

وَتَسْتَدِينُ فِي حَمْرَةٍ بَعْدَ حَمْرَةٍ سُبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْنَا شَوَاهِدُ
 الشَّمْرَةِ : القُدْبَةُ ، وَالسُّبُوحُ : القُرْسُ الْحَمِينُ الْعَمَلُ الَّذِي لَا يَتِمُّ رَاكِبُهُ ،
 فَكَانَ يَسِجُ فِي الْمَاءِ . وَعَلَى الثَّانِي قَوْلُ ابْنِ بَابٍ :

حَمَلَةٌ جَرَعِي حَوْمَةِ الْجَنْدَلِ اسْجِي فَأَنْتَ عَمْرَأِي مِنْ سَادَةِ وَتَسْتَمِرُّ
 (الجرعاء تأتيثاً لاجرع : وهي رمة لا تبيض شيئاً ، والحزمة : معظم الشيء ،
 والجندل : الحمازة والسجع : مدير الحمام) وفيه نظر ، لأن ذلك إن أنضى باللفظ
 إلى التثقل على اللسان فقد جعل الاحتراز عنه بما تقدم ، وإلا فلا يغفل بالقصاحة .
 قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْغَاثِ : قَالَ الصَّاحِبُ : لِيَاكَ وَالْإِضَافَاتُ الْمَتَدَاخِلَةُ ، فَإِنْ
 ذَلِكَ لَا يَحْسُنُ ؛ وَذَكَرَ أَنَّهُ يَسْتَعْمَلُ فِي الْمَجَاهِدِ كَقَوْلِ الْفَائِلِ :

يَا بَعْلُ بْنُ حَمْرَةَ بْنِ حَمْرَةٍ أَمْسَ وَأَمْسَ عِلْمَةٌ فِي خِيَارِهِ
 ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ : وَلَا شَبَهَ فِي ثِقَلِ ذَلِكَ فِي الْأَكْثَرِ ؛ لَكِنَّهُ لِذَا سَلِمَ مِنَ
 الْإِسْتِكَرَادِ مَلَحَ وَلَفَظَ ؛ وَمَا حَسَنَ فِيهِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ .

وَعَظَّمَتْ خَيْرُ الرِّائِحِ أَيْدِي جَادِرٍ عِثَقِي دَنَائِيرِ الْوَجُوهِ مِلَاحٍ

(والبلاغة) في الكلام مطابقتها لِمقتضى الحال مع فصاحتها ؛ وهو

ومنه قول أبو تمام :

خُذْهُ ابْنَةُ الْفِكَرِ الْمَذْبُوبِ فِي الدُّخَى وَالْأَيْلِ أَسْوَدُ رُقْمَةٍ الْجَلْبَابِ
(وأما البلاغة) فهي في اللغة تفيء عن الوصول والانتهاه ، قال في
القاموس بلغ الرجل بلاغة : إذا كان يبلغ بعبارة كنه مراده من إيجاز بلا
إخلال أو إطالة بلا إملال ، ومن ثم قال اليبانيون : إنها تطبيق الكلام على
حقتضى الحال مع فصاحتها ، وتطبيق الكلام على مقتضى الحال : هو الذي يسميه
الشيخ عبد القاهر بالنظم ، حيث يقول : النظم نوع من النسخة فيما بين
الكلم على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام . فالشاعر البازل ، أو الكاتب
المجيد ، هو الذي يصنع كلامه الموضع الذي تقتضيه تلك المعاني ، وهناك معترك
البلاغة الذي تظهر فيه الخواطر براعتها ، والبناء منها ، فأتت إذا عدت
إلى ما توافقه بالحسن ، وشهدوا له بالفضل ، مثل قول الأول :

تَمَنَّا أَنْ لِقَيْنَا بِقَوْمٍ تَحَالُ بَيَاضَ لَأْسِهِمِ الشَّرَابَا
قَدْ لَاقَيْنَا فَرَأَيْتَ حَرْبًا هَوَانًا تَمْنَعُ الشَّيْخَ الشَّرَابَا
ومثل قول ابن العميرة :

أَبِي أَوْ يُمْنَى يَدِيكَ جَمَلَتِي فَأَقْرَحَ أَمْ صَيَّرَتِي فِي شِمَالِكَ
أَبَيْتَ كَأَنِّي بَيْنَ شِقَتَيْنِ مِنْ عَصَا حِدَارِ الرَّدَى أَوْ حِفَّةٍ مِنْ زِيَالِكَ
تَحَالَتْ كَيْ أَشْجَى وَمَا بِكَ عِلَّةٌ تُرِيدُنِ قَتْلِي قَدْ ظَهَرَتْ بِذَلِكَ
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ لِهَذَا الْحَسَنِ الَّذِي يَجْمَعُ عَلَيْكَ ، ويعلم عليك : ألا توحي
لك المعاني . ومعرفة حقوقها ، ثم إنه ليست المزية بواجبة لهذا المعاني فأعسها ،

تُخْتَلَفُ ، فَإِنَّ مَقَامَاتِ الْكَلَامِ مُتَفَاوِتَةٌ ، فَقَدْ كُلٌّ مِنَ التَّنْكِيرِ ،
وَالْإِمْلَاقِ ، وَالتَّقْدِيرِ ، وَالذِّكْرِ ، يُبَيِّنُ مَقَامَ خِلَافِهِ ؛ وَمَقَامُ الْفَصْلِ يُبَيِّنُ
مَقَامَ الْوَصْلِ ، وَمَقَامُ الْإِيحَازِ يُبَيِّنُ مَقَامَ خِلَافِهِ ؛ وَكَذَا خِطَابُ الذِّكْرِ مَعَ
خِطَابِ النِّعَى . وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ مَعَ صَاحِبَتِهَا مَقَامٌ ، وَلَوْ تَفَاعَلَ شَلْفٌ

ولكن تعرض بحسب الأغراض التي يوضع لها الكلام ، ثم بحسب موقع بعضها
من بعض ، فرب تنكير مثلاً مزية في لفظ ، وهو في لفظ آخر في غاية النجس
(فظهر) لك أن البلاغة صفة في الكلام بها يقع التفاضل ويثبت الإيجاز ، وإذا
كان ذلك كذلك فلا يكون مرجعها الالفاظ من حيث هي ألفاظ مفردة ، بل
الالفاظ باعتبار إقادتها للمعاني : أي الأغراض والمزايا التي يصاغ لها الكلام
(وكثيراً ما) تسمى تلك الصفة فصاحة أيضاً وهذا هو مراد الشيخ عبد القاهر
بما يكرره في دلائل الإيجاز من أن الفصاحة صفة راجعة إلى المعنى دون اللفظ
(قال) وما يشهد لذلك أنك لا تفكر إذا فكرت في قوله تعالى : (وقيل يا أرض
ابلسي ما بك وبإسمائيل) وغضب الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي
وقيل بعد أقوم الظالمين) فتجل لك منها الإيجاز ، وبهوك الذي ترى وتسمع ،
أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة إلا لأمر يرجع إلى تركيبها ، وأن
الفضل تاتج ما بينها وحصل من مجموعها ، فإن ارتبكت في ذلك فتأمل هل ترى
لفظة منها لو أفردت من بين أخواتها لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها
من الآية ؟ وما يفرد ذلك أنك ترى الكلمة تنسك في موضع ، ثم تراها بعينها
تضل عليك في موضع آخر . وهاك مثلاً يشهد بصحة ذلك ، وهو أنه قد جابت
قطة الثمر مقبولة حسنة في قول أبي حنيفة :

إِذَا مَا تَخَافُ لِلرَّءِ يَوْمَ وَلِيَّةٍ . تَخَافُهُ شَيْءٌ لَا يَمْلُ التَّخَافُ

الكَلَامَ فِي الْحُسْنِ وَالْقَبُولِ بِمُطَابَقَتِهِ لِلِاعْتِبَارِ النَّاسِبِ ، وَالْمُطَابَقَةُ
بِدَمِيهَا : فَمَقْتَضَى الْحَالِ هُوَ الْاعْتِبَارُ لِلنَّاسِبِ : فَالْبَلَاغَةُ رَاجِعَةٌ إِلَى اللَّفْظِ
بِاعْتِبَارِ إِفَادَتِهِ الْمُنْفَى بِالْتَّزْكِيهِ : وَكَثِيرًا مَا يُنْسَى ذَلِكَ فَصَاحَةٌ أَيْضًا وَلَهَا
طَرَفَانِ : أَعْلَى وَهُوَ حَدُّ الْإِعْجَازِ وَمَا يَقْرُبُ مِنْهُ ، وَأَسْفَلُ وَهُوَ بِمَا إِذَا
غَيَّرَ الْكَلَامُ عَنْهُ إِلَى مَا دُونَهُ فَتَحَقَّقَ عِنْدَ الْبَلَفَاءِ بِأَصْوَاتِ الْحَيَوَانَاتِ :
وَبَيْنَهُمَا مَرَاتِبُ كَثِيرَةٌ ؛ وَتَقْبَلُهَا وَجْهَةٌ أُخْرَى تَوَرَّثَ الْكَلَامُ حُسْنًا .

وجاءت ضعيفة مستكرمة في قول المتنبي :

لَوْ أَنَّكَ الدَّوَارُ أَبْقَضْتَ سَعِيَّ لَمَوْقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَارِ

فلو كانت الكلمة إذا استنحت المزية والشرف استنحت ذلك في ذاتها وعلى
انفرادها لما اختلفت بها الحال . ولكانت إما أن تحس أبدأ أو لا تحس أبدأ .
وهناك دليل ثالث . وهو أنا نعلم أن النبي عليه السلام تحدى العرب بفصاحة
القرآن . ولو كانت عائدة إلى الالفاظ لكان قد تهاجم بالموجود عندهم في الماضي
والحاضر . ودليل رابع وهو أن العالم بلفظ من اللغات لا يتحاشى في التلغظ بفرداتها
إلى الزوية . هذا هو لباب كلام عبد القاهر رحمه الله (كلمة) هذه تنف
في البلاغة ثلثة من البلاء . قال عبد الحميد بن يحيى : البلاغة تحرير المعنى في الألفاظ
من أقرب وجوه الكلام . وقال الرماني : البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن
صورة من اللفظ . وقال ابن المعتز : البلاغة البلوغ إلى المعنى ولم يطل سفر الكلام .
وقال إعرابي : البلاغة التقرب من البعيد والتباعد من الكلفة . والدلالة بقليل
على كثير . هذا والبلغ عمرك الله من تراه يثبت بالكلام ويقوده بألن زمام .
ومن إذا أنشده مثل قول البحري :

وفي التكلم مَلَكة يُقَدَّرُ بها على تأليف كلامه بليغ . فعلم أن كل بليغ فصيح ، ولا عكس ، وأن البلاغة مرتجىها إلى الاختيار عن الخطأ في تأدية للتلف المراد ، وإلى تمييز الفصيح من غيره ، والثاني منه ما بين في

بَلَوْنَا ذَرَابَ مَنْ قَدْ تَرَى فإِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحٍ صَرِيحَا
هُوَ اللَّزْمُ أَبَدَتْ لَهُ الْحَادِثَا تَعَزَّ وَشَيْكََا وَرَأْيَا صَدِيقَا
تَنْقَلُ فِي خَلْقٍ سُودِي سَمَحًا مُرَجِي وَبَأْسًا مَرِيحَا
فَكَالسَيْفِ إِنْ جِئْتُهُ صَارِحَا وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِئْتُهُ مُسْتَنِيحَا

أقول له ، وأخذه الأريحية عنده ؛ إذ يرى شعراً دنا حتى أطمع ، ونأى حتى امتنع ، ولا غرو فالبحر هو الذي ضرب في قداح الشعر بأعلى السهام ، وأخذ في عيون الفضل بأوفى الأنعام ، وشعره هو الذي يترقق فيه ماء الطبع ويرقع له حجاب القلب والسمع (ملكة) الملكات هي الصفات الرائجة التي تحصل بتكرار الشيء . (وهو) أي مقتضى الحال (مقلبات الكلام) أي أحواله (فقام كل من التذكير الخ) أي فالحال الذي يناسبه التذكير يبين الحال الذي يناسبه التعريف وهكذا (ولكل كلمة مع صاحبها مقام) وإذا فلا يفتنى البليغ أن يصنع ما يخالف ذلك ؛ ألا ترى أن الأعشى لو استبدل بقوله :

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عَيْنُونَ كَثِيرَةٌ إِلَى صَوْنٍ نَارٍ فِي يَفَاعٍ مَحْرُوقٍ
قوله إلى صون نار متعرق ، لباعه الطبع ، وأنكره النفس كل الإنكار . وما ذلك إلا لأنه لا يشبه الغرض ولا يليق بالحال . حيث أن المعنى على أن هناك موقداً تجدد منه الإلهاب والإشمال حالا لحالا . وإذا قيل متعرق كان المعنى

عِلْمٌ مِّنَ اللَّفْظِ ، أَوْ التَّصْرِيفِ ، أَوْ يَذَرُكَ بِالْحُسْنِ ، وَهُوَ مَاعَدًا
التَّعْقِيدَ لِلْمَعْنَوِيِّ . وَمَا يَحْتَزُّ بِهِ عَنِ الْأَوَّلِ عِلْمٌ لِلْمَعْنَى ، وَمَا يَحْتَزُّ بِهِ عَنِ
التَّعْقِيدِ لِلْمَعْنَوِيِّ عِلْمُ الْبَيَانِ ، وَمَا يُعْرَفُ بِهِ وَجْهُ التَّحْسِينِ عِلْمُ الْبَدِيعِ .
وَكَثِيرٌ يُسَمَّى الْجَمِيعَ عِلْمُ الْبَيَانِ ، وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّي الْأَوَّلَ عِلْمَ الْمَعْنَى ،
وَالْآخِرِينَ عِلْمَ الْبَيَانِ ، وَالثَّلَاثَةَ عِلْمَ الْبَدِيعِ .

فصل الفن الأول علم المعاني

وَهُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ أَحْوَالُ اللَّفْظِ الْمَرْبِيِّ أَلَى مَا يَطَائِقُ مُقْتَضَى
الْحَالِ . وَيَنْحَصِرُ فِي ثَمَانِيَةِ أَبْوَابٍ : أَحْوَالُ الْإِسْنَادِ الْخَبَرِيِّ ، أَحْوَالُ
لِلْسُنْدِ إِلَيْهِ ، أَحْوَالُ لِسُنْدِهِ ، أَحْوَالُ مُتَصَلِّقَاتِ الْفِعْلِ ، الْقَصْرِ ، الْإِنْشَاءِ

على أن هناك نارا قد جفت لها وفيها هذه الصفة لحسب . وقس على هذا مثله
(للاعتبار المناسب) ألا الذي اعتبره المتكلم مناسباً بحسب السليقة ، أو بحسب
تتبع تراكيب البلاء ، وهو الخصوصيات (وما يقرب منه) ظاهر عبارة المتناح
أنه معطوف على هو والضمير في منه عائد إلى الأهل ويكون حد الإيجاز خيراً
عنهما . وهو صحيح ، فإن التذليل فيه ماهر متناه في البلاغة وما هو دون ذلك ،
وكلاهما وقع به الإيجاز (وأسفل) قال الرازي : وليس من البلاغة في شيء .
(التصق الخ) وإن كان صحيح الإعراب (إن كل بليغ فصيح ولا عكس)
أما عبد القاهر فإنه يرى أن فصاحة والبلاغة والجزالة والبراعة ألفاظ مترادفة
(والثاني) أي تمييز النصيب من غيره (بالحسن) هو الذوق (الأول) يعني الخطأ
في تأدية المعنى المراد (أحوال اللفظ) أي الأمور العارضة له من التقديم

الفصل والوصل ، الإيجاز والإطناب ، وإنساؤه . لِأَنَّ الْكَلَامَ إِذَا خَبِرَ
أَوْ إِنشَأَ ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ لِنِسْبَتِهِ خَارِجَ تَطَابُقِهِ أَوْ لَا تَطَابُقَهُ خَبِرَ ، وَإِلَّا
فَانْشَأَ . وَالْخَبَرُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُسْنَدٍ إِلَيْهِ وَمُسْنَدٍ وَإِسْنَادٍ ، وَالْمُسْنَدُ قَدْ يَكُونُ
لَهُ مُتَمَلِّقَاتٌ إِذَا كَانَ فِعْلًا أَوْ فِي مَعْنَاهُ : وَكُلٌّ مِنَ الْإِسْنَادِ وَالْتَمَعْتُ إِذَا
يَقْصُرُ أَوْ يَتَغَيَّرُ قَبْصَرٍ ، وَكُلُّ جُمْلَةٍ قَرِئَتْ بِأُخْرَى إِذَا مَعْطُوفَةٌ عَلَيْهَا
أَوْ غَيْرُ مَعْطُوفَةٍ ، وَالْكَلَامُ الْبَلِيغُ إِذَا زَانِدٌ عَلَى أَصْلِ الْمُرَادِ لِقَائِدَةٍ ،
أَوْ غَيْرُ زَانِدٍ .

« تنبيه » صِدْقُ الْخَبَرِ مُطَابَقَتُهُ لِلْوَاقِعِ ، وَكَذِبُهُ عَدَمُهَا ؛ وَقِيلَ
مُطَابَقَتُهُ لِإِعْتِقَادِ الْخَبَرِ وَلَوْ خَطَأً ، وَعَدَمُهَا : بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ .

والتأخير ، والتعريف والتكثير ، والفصل والوصل ، وغير ذلك مما ساقى تفصيله
(لأنه إن كان لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه خبر) يعين قول بعضهم :
الخبير هو القول المتعنى بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنق أو بالإيجابات
(أن في معناه) كالمصدر واسم الفاعل واسم المفعول وما أشبه ذلك .
(تنبيه) بين فيه حقيقة الصدق والكذب حيث تقدم إشارة ما إلى ذلك
في قوله تطابقه أو لا تطابقه (مطابقة الواقع الخ) وهذا هو المشهور وعليه
التحويل (وقيل) القائل النظام (ولو خطأ) أي غير مطابق للواقع (بدليل
أن كان المنافقين لكاذبون) فكذبهم جل شأنه في قولهم إنك لرسول الله وإن
كان مطابقاً للواقع لأنهم لم يعتقدوه . والنظام دليل آخر وهو أن من اعتقد

وَرَدَّ بَأَنَّ الْمُنَى لَكَاذِبُونَ فِي الشَّهَادَةِ ، أَوْ فِي تَسْمِيَّتِهَا ، أَوْ فِي الْمَشْهُودِ بِهِ .
فِي زَعْمِهِمْ .

« الْجَاحِظُ » مُطَابَقَتُهُ مَعَ الْإِعْتِقَادِ ، وَعَدَمُهَا مَعَهُ ، وَغَيْرُهُمَا لَيْسَ
بِصِدْقٍ وَلَا كَذِبٍ ، بِدَلِيلٍ : أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ . لِأَنَّ الْمُرَادَ

أمرأ فأخبر به ثم ظهر خبره بخلاف الواقع يقال ما كذب ولكنه أخطأ كما روى
عن عائشة أنها قالت فيمن شأته كذلك : ما دىب ولكنه وهم ، ورد بأن المنق
تعمد الكذب لا الكذب ، بدليل تكذيب الكافر كاليهودى إذا قال الإسلام
باطل وقصديقه إذا قال الإسلام حق كدائى الإيضاح (و الشهادة) لأن المنق
تشهد شهادة وأطأت فيها قلوبنا أليتنا ، كما يترجم عنه إن واللام وكون الجملة
اسمية ، فالتكذيب فى قولهم تشهد وادعائهم المواطأة لافى قولهم إنك لرسول الله
(أو فى تسميتها) أى فى تسميتهم إخبارهم شهادة . لأن الإخبار إذا خلا عن
المواطأة لم يكن شهادة فى الحقيقة (أو فى المشهود به) يعنى قولهم إنك لرسول الله
(فى زعمهم) لأنهم يستندون أنه خبر على خلاف ما عليه حال الخبر عنه فكأنه
قيل إنهم يزعمون أنهم كاذبون فى هذا الخبر الصادق (الجاحظ) حاصل ما ذهب
إليه أن الخبر ثلاثة أقسام : صادق . وكاذب ، وغير صادق ولا كاذب ، لأن
الحكم إما مطابق للواقع مع اعتقاد الخبر له أو عدمه . ولما غير مطابق مع
الاعتقاد أو عدمه ، فالأول أى المطابق مع الاعتقاد هو الصادق . والثالث أى
غير المطابق مع الاعتقاد هو الكاذب ، والثانى والرابع أى المطابق مع عدم
الاعتقاد وغير المطابق مع عدم الاعتقاد كل منهما ليس بصادق ولا كاذب ،
فالصدق عنده مطابقة الحكم للواقع مع اعتقاده ، والكذب عدم مطابقتها مع
اعتقاده . وغيرهما خبر بان مطابقتها مع عدم اعتقاده وعدم مطابقتها مع عدم

لأننا عَيَّرَ الكَذِبَ . لِأَنَّهُ قَسَمَهُ ، وَغَيْرُ الصِّدْقِ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَمْتَحِدُوا
وَرَدُّ بَأْسِ اللَّعْنِ أَمْ لَمْ يَغْتَرِ ، فَغَيَّرَ عَنْهُ الْجَنَّةَ ، لِأَنَّ الْجَنَّةَ لَا اقْتِرَاءَ لَهَا .

في أحوال الإسناد الخبري

لَا شَكَّ أَنَّ قَعْدَ الْمُخْبِرِ بِخَبَرِهِ : إِبَادَةُ الْمُخَاطَبِ . إِنَّمَا الْحُكْمُ . أَوْ كَوْنُهُ

اعتقاده (بالتالي) أي الإخبار حال الجنة (بأن المعنى أم لم يفت) فيكون التفسير
للخبر الكاذب في نوعه الكاذب عن عمد ولا عن عمد (الخبر) أي من يريد
الإخبار لا من ينطق بالجملة الخبرية فإنه قد يقصد التحجير والتحزن . في القرآن
حكاية عن امرأة عمران : رب إني وضعتها أنثى . وفي حكاية عن زكريا عليه
السلام : رب إني وهن العظم مني . ومثل هذا كثير ومنه قوله :

قَوْمِي ثُمَّ قَتَلُوا أُمِّي^(١) أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ أَصَابِي سَهْمِي

فَلَيْتَ عَمَوْتُ لِأَعْفُونَ جَلًّا وَلَيْتَ سَمَوْتُ لِأَوْهَتِنِ عَطِي

(الحكم) المراد به الثبوت أو الانتفاء وكون ذلك مقصوداً للمخبر بخبره
لا يستلزم تحققه في الواقع وهذا مفزى قول من قال : إن الخبر لا يدل على
ثبوت المعنى أو انتفائه وليس مفزاه أنه لا يهيم الثبوت منه ولا الانتفاء فإن
ذلك هو مفهوم الكلام بلا ريب ولا يصح إنكاره ، فإننا إذا قلنا زيد قائم
لفهمه ثبوت القيام لزيد ، وأما احتمال عدم الثبوت فليس مفهوماً لفظاً أصلاً
بل احتمال عقل من جهة صحة تخلف الدلالة لكونها وضعية (كونه) أي

عالمًا به ؛ وَيُسَمَّى الْأَوَّلُ قَائِدَةَ الْخَبَرِ ، وَالثَّانِي لَازِمَهَا ، وَقَدْ يُنْزَلُ الْعَالِمُ
بِهَذَا مِثْلَ الْجَاهِلِ لِعَدَمِ جَوَابِهِ عَلَى مُوجِبِ الْعِلْمِ ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ يَفْتَحَرَ مِنْ
التَّزْكِيَةِ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ ، فَإِنْ كَانَ خَالِي الذَّهْنِ مِنَ الْحُكْمِ وَالتَّرَدُّدِ فِيهِ
أَسْتَفْنَى عَنْ مُوْكَدَاتِ الْحُكْمِ ، وَإِنْ كَانَ مُتَرَدِّدًا فِيهِ طَلَّاهُ ، حَتَّى
تَقْوِيَّتُهُ بِمَوْكِدٍ ، وَإِنْ كَانَ مُنْكَرًا وَجَبَ تَوْكِيدُهُ بِغَسِّ الْإِنْكَارِ ،

الْخَبَرِ (وَيُسَمَّى الْأَوَّلُ قَائِدَةَ الْخَبَرِ وَالثَّانِي لَازِمَهَا) قَالَ السَّادِسِيُّ : وَالْأَوَّلُ
يَدُونُ هَذِهِ تَحْتِمُ وَهَذِهِ يَدُونُ الْأَوَّلُ لَا يَمْتَنِعُ كَمَا هُوَ حَكْمُ اللَّازِمِ الْمَجْهُولِ
الْمُسَاوَةِ ، أَيْ يَمْتَنِعُ أَنْ لَا يَحْصُلَ الْعِلْمُ الثَّانِي مِنَ الْخَبَرِ نَفْسَهُ عِنْدَ حَوَالِ الْأَوَّلِ
مِنْ لَامْتِنَاعِ حَوَالِ الثَّانِي قَبْلَ حَوَالِ الْأَوَّلِ مَعَ أَنْ يَسْمَعَ الْخَبَرَ مِنَ الْخَبَرِ
كَافٍ فِي حَوَالِ الثَّانِي مِنْهُ ، وَلَا يَمْتَنِعُ أَنَّهُ لَا يَحْصُلُ الْأَوَّلُ مِنَ الْخَبَرِ نَفْسِهِ عِنْدَ
حَوَالِ الثَّانِي مِنْهُ لِحَوَالِ الْأَوَّلِ قَبْلَ حَوَالِ الثَّانِي وَامْتِنَاعِ حَوَالِ
الْخَاصِلِ (وَقَدْ يُنْزَلُ الْعَالِمُ بِهَذَا مِثْلَ الْجَاهِلِ) فَيَلْقَى إِلَيْهِ الْكَلَامُ كَمَا يَلْقَى إِلَى
الْجَاهِلِ . وَقَدْ وَرَدَ كَثِيرٌ أَنْ يُنْزَلَ الْعَالِمُ بِالْثَمَةِ مِثْلَ الْجَاهِلِ بِهِ لِأَغْرَاضٍ تَرْجِعُ إِلَى
الْقِسْمِيَّةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَاهِلِ . فَمِثْلُ مَا لَهُ وَتَضِيغًا لِحَالِهِ . وَإِنْ شِئْتَ فَمِثْلُكَ بِكَلَامِ
رَبِّ الْعِزَّةِ . وَلَقَدْ عَلِمُوا لِمَنْ اشْتَرَاهُ بِأَلِهٍ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلِبْسٍ مَا شَرَوْا
بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . وَأَنْظُرْ كَيْفَ تَجِدُ صَدْرَهُ يَصِفُ أَهْلَ الْكِتَابِ بِالْعُلَمِ
عَلَى سَبِيلِ التَّوْكِيدِ الْقِسْمِيِّ وَآخِرُهُ يَنْفِيهِ عَنْهُمْ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمُوا بِعِلْمِهِمْ (فَيَنْبَغِي)
أَيْ إِذَا كَانَ الْفَرْضُ الْأَصْلِيُّ مِنَ الْكَلَامِ مَا تَقْدِمُ فَيَنْبَغِي الْخ (فَإِنْ كَانَ الْخ) أَصْلُ
هَذَا الْكَلَامِ مَا أَجَابَ بِهِ أَبُو الْعَبَّاسِ عَنْ قَوْلِ الْكَنْدِيِّ الْمُتَخَلِّفِ إِنِّي لَا جِدُ فِي
كَلَامِ الرُّبِّ حِسْوًا ، يَقُولُونَ عَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ وَأَنْ عَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ وَأَنْ عَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ
وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ بِأَنْ قَالَ بِلِ الْمَعْنَى : مُخْتَلَفَةٌ فَعَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ إِنْخَابَرُ عَنْ قِيَامِهِ ، وَإِنْ
عَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ جَوَابٌ عَنْ سَوَالِ سَائِلٍ ، وَإِنْ عَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ جَوَابٌ عَنْ إِنْكَارِ

كما قال تعالى حِكَايَةً عَنْ رَسُولٍ عِنْدَ عَدُوِّهِ السَّلَامَ ، إِذْ كَذَّبُوا فِي لَمَزَةٍ
الْأُولَى : إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ، وَفِي الثَّانِيَةِ : إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ، وَبَسْمَى
الضَّرْبِ الْأَوَّلِ ابْتِدَائِيًّا ، وَالثَّانِي طَلَبِيًّا ، وَالثَّالِثُ إِنكَارِيًّا : وَإِخْرَاجُ
السَّلَامِ عَلَيْهَا إِخْرَاجًا عَلَى مُقْتَضَى الظَّاهِرِ ، وَكثيرًا مَا يُخْرِجُ الْكَلَامَ عَلَى
خِلَافِهِ ، فَيُجْعَلُ غَيْرُ السَّائِلِ كَالسَّائِلِ ، إِذَا قَدَّمَ إِلَيْهِ مَا يُبَلِّغُ لَهُ بِالْخَبَرِ
فَيَسْتَشْرِفُ لَهُ اسْتِشْرَافَ التَّرَدُّدِ ، الطَّالِبِ ، نَحْوُ : وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ
ظَلَمُوا إِلَيْنَا مُفْرَقُونَ . وَغَيْرُ الْمُنْكَرِ كَالْمُنْكَرِ ، إِذَا لَاحَ عَلَيْهِ شَيْءٌ
مِنْ أَمَارَاتِ الْإِنْكَارِ ، نَحْوُ :

منكر (إخراج الكلام عليها) على الوجوه المذكورة وهي الخلو من التأكيد
في الأول والتعوية بمؤكد استحضاراً في الثاني ووجوب التأكيد بحسب الإنكار
في الثالث (بلوح) بشير (له) أى لغير السائل (فيستشرف له) أى فيطلع
غير السائل للعر ، وأصل الاستشرف أن ينظر الإنسان إلى الشيء رافعاً رأسه
باطعاً كفه على عينه كالنق لشماع الشمس (نحو ولا تخاطبني) الخطاب لنوح
أى لا تكلمني يا نوح في شأن قومك ولا تشفع في دفع العذاب عنهم ، فهذا بلوح
بالخبر تلويحاً ويشعر بأنه قد حق عليهم العذاب فصار المقام مقام أن يردد
المخاطب في أنهم صار محكوماً عليهم بالإغراق أم لا . فقيل إنهم مفرقون مؤكداً
ونحوه : وما أرى نفسي أن تنفخ لأمارة بالسوء وصل عليهم إن صلاتك سكن
لهم ، ومثل هذا قول بعض العرب :

فَنَسَبُ وَفَى لَكَ الْفِدَاءُ إِنَّ غِنَاءَ الْإِبِلِ أَطْعَامُهُ

جاء شقيق عارضا رُتحة إن بقي عمك فيهم رِمَاحٌ
والسِكْرُ كثيرٌ للنكرِ إذا كانَ معه ما إن تأمله ارتدع ، نحو :
لَا رَيْبَ فِيهِ .

ومنه قول بشار بن مرد :

بَكْرًا صَاحِبًا قَبْلَ التَّجِيرِ إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْيِيرِ
وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة وغموض (نحو جاء
شقيق) فإن مجيء هكذا مدلا بشجاعته قد وضع رُحمة عرضاً دليل على إيجاب
شديد منه واعتقاد أنه لا يقوم إليه من بنى همه أحد ، كأنهم كلهم عزل ليس
مع أحد منهم روح . والبيت لحمل بن فضالة أحد بنى عمرو بن عبد القيس بن معن
وهو أحد أولاد عم شقيق الذي جاء لمحاربتهم ، ومثل البيت قوله تعالى :
ثم إنكم بعد ذلك ليتون ، مؤكداً بأن اللام وإن كان مما لا ينكر لأن تعاديه
في الغفلة والإعراض عن العمل لما بعده من أمارات الإنكار (نحو لا ريب
فيه) أي ليس مظنة للريب لأنه من وضوح الدلالة وسطوح البرهان بحيث
لا ينبغي لمُرتاب أن يقع فيه . ومقتضى ضيقه في الإيضاح إن ذلك تنظير لتزبل
الشيء منزلة عدمه فينبى كإزالة الإنكار منزلة عدمه فتنى مقتضاه وهو التأكيد
(تمككة) قال الشيخ عبد القاهر : قد تدخل كلمة إن للدلالة على الظن قد كان
منك أبها المتكلم في الشيء كان أنه لا يكون كقولك الشيء هو بمرأى من الخطاب
وسمع : إنه كان من الأمر ما ترى ، وكان منى إلا فلان إحسان ثم إنه جعل
جزأى ما رأيت ، فتجسس كأنك ترد على نفسك ظنك الذي ظننت وتبين
الخطأ الذي توهمت . ومن خطائهم أن ضمير الشأن معها حسناً ولطفاً
ليس بدونها بل لا يصلح إلا بها وذلك في مثل قول رب العزة : إنه من يتق

وَهَكَذَا اعْتِبَارَاتِ النَّقْيِ « ثُمَّ الْإِسْنَادُ » مِنْهُ حَقِيقَةُ عَنَلِيَّةٍ . وَهِيَ

وَيَصِيرُ . فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ ، وَمِنْ لَطِيفِ ذَلِكَ مَا تَجِدُهُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْآيَاتِ
الَّتِي أَنْفَدَهَا الْجَاهِلُ لِغَضَبِ الْمَجَازِينَ :

إِذَا طَمَعَ يَوْمًا تَحْرَانِي قَرِينَتُهُ كَتَاتِبَ يَأْسٍ كَرَهَا وَأَطْرَادَهَا
أَكْثُ ثَمَادِي وَلَهْجَاهُ كَثِيرَةٌ أَعَالِجُ مِنْهَا حَفَرَهَا وَأَكْثِدَادَهَا (١)
وَأَرْضَى بِهَا مِنْ بَحْرِ آخِرٍ إِنَّهُ هُوَ الرَّيُّ أَنْ تَرْمَى النُّفُوسَ ثَمَادَهَا
وَمَا تَعْنِيهِ إِنْ فِي الْكَلَامِ أَنْكَ تَرَاهَا تَبِيءُ التَّكْرَرُ لِأَنَّهُ تَكُونُ مَبْتَدَأَ كَقَوْلِهِ :

إِنَّ شِوَاءَ وَيَشَوَّهَ وَخَبَّ الْبَابِلِ الْأُمُونِ (٢)

وَلِنْ كَانَتِ التَّكْرَرُ مُوَصَّوْقَةً تَرَاهَا مَعَ أَنْ أَحْسَنَ كَقَوْلِهِ :

إِنَّ دَهْرًا يَفُتُّ بِتَمَلُّي بِسُعْدَى لَزَمَاتِ بِهِمْ بِالْإِحْسَانِ

وَمِنْ تَأْمِيرٍ إِنْ فِي الْجُمْلَةِ أَنَّهَا تَقَى عَنِ الْجَبْرِ نَحْوُ :

إِنَّ مَحَلًّا وَإِنْ مُرْتَعَلًا وَإِنْ فِي النَّفْسِ إِنْ مَصَوًّا مَهَلًا

فَلَوْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَحْسَنَ الْمَهْذُفُ أَوْ لَا يَسْخُ (وَهَكَذَا اعْتِبَارَاتِ النَّقْيِ)
فَيَسْتَفِي عَنِ التَّأْكِيدِ فِي الْإِبْتِدَائِ وَيَحْسَنُ تَأْكِيدُهُ فِي الْعَطْفِ . وَيَجِبُ تَأْكِيدُهُ
بِحَسَبِ الْإِنْكَارِ فِي الْإِنْكَارِ وَيَخْرُجُ الْكَلَامُ فِيهِ عَلَى خِلَافِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ
وَالْمَثَلُ ظَاهِرٌ (ثُمَّ الْإِسْنَادُ مِنْهُ الْخ) أَعْلَمُ أَنَّ سَبَبَ تَسْمِيَةِ الْإِسْنَادِ وَهَذِينَ
الْقَسْمِينَ مِنَ الْكَلَامِ عَقْلِيًّا هُوَ اسْتِنَادُهُ إِلَى الْعَقْلِ دُونَ الْوَضْعِ . لِأَنَّهُ إِسْنَادُ
الْكَلِمَةِ إِلَى الْكَلِمَةِ شَيْءٌ يَحْصُلُ بِقَصْدِ التَّكْلِيمِ دُونَ وَاصِعِ الْفَقْدِ ، فَلَا يَصِيرُ

(١) الْإِسْنَادُ جَمْعُ مُدٍّ : وَهُوَ الْمَاءُ الْقَلِيلُ :

(٢) الْمُطِيعَةُ الْمُؤْتَفَقَةُ الْخَلْقِ الْمَأْمُورَةُ الْعَتَارُ :

إِسْتَدْعَاهُ إِلَى مَا هُوَ لَهُ عِنْدَ التَّكَلُّمِ فِي الظَّاهِرِ كَقَوْلِ الْمُؤْمِنِ :
أَنْبَتَ اللَّهُ الْبَقْلَ ، وَقَوَّيَ الْجَاهِلِ : أَنْبَتَ الرِّيحُ الْبَقْلَ ، وَكَقَوْلِكَ :
جَاءَ زَيْدٌ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَجِئْ ، وَمِنْهُ جَزَاءٌ عَقْلِي . وَهُوَ إِسْنَادُهُ إِلَى

ضَرْبٍ خَبِرَ عَنْ زَيْدٍ بِوَضْعِ الْفِعْلِ مِنْ قَصْدِ إِثْبَاتِ الضَّرْبِ فَلَا لَهُ وَإِنَّمَا
الَّذِي يَعُودُ إِلَى وَضْعِ الْفِعْلِ إِنْ ضَرْبُ إِثْبَاتِ الضَّرْبِ لَا لِإِثْبَاتِ الْخُرُوجِ وَأَنَّهُ
لِإِثْبَاتِهِ فِي زَمَانٍ ماضٍ وَلَيْسَ لِإِثْبَاتِهِ فِي زَمَانٍ مُستَقْبَلٍ ، فَأَمَّا تَعْيِينُ مَنْ ثَبَتَ لَهُ
فَإِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِمَنْ أَرَادَ ذَلِكَ مِنَ الْمُضَرِّينَ وَلَوْ كَانَ لَفِعْلاً لَكَانَ حَكْماً بِأَنَّهُ جَزَاءٌ
فِي مِثْلِ قَوْلِنَا خَطَّ أَحْسَنُ مَا وَشَى الرِّيحُ مِنْ جِهَةٍ أَنْ الْفِعْلُ لَا يَصِحُّ إِلَّا مِنَ الْحَيِّ
الْقَادِرِ حَكْماً بِأَنَّ الْفِعْلَ هُوَ الَّذِي أُوجِبَتْ أَنْ يَخْتَصَّ الْفِعْلُ بِالْحَيِّ الْقَادِرِ دُونَ الْإِنْعَادِ
وَذَلِكَ عَمَّا لَاشْكَ فِي بَطْلَانِهِ (أَوْ مَعْنَاهُ) الْمُرَادُ بِمَعْنَى الْفِعْلِ نَحْوُ الْمَصْدَرِ وَاسْمِ
الْفَاعِلِ وَاسْمِ الْمَفْعُولِ وَالصِّفَةِ الْمَشَبَّهِةِ وَاسْمِ التَّفْضِيلِ وَالظَّرْفِ (فِي الظَّاهِرِ) مُتَعَلِّقٌ
بِقَوْلِهِ لَهُ وَإِنَّمَا قَالَ فِي الظَّاهِرِ لِشُمُولِ مَا لَا يَطَابِقُ اعْتِقَادَ التَّكَلُّمِ مَا يَطَابِقُ الْوَاقِعَ
وَمَا لَا يَطَابِقُهُ ، فَأَقْسَامُ الْحَقِيقَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَرْبَعَةٌ مِثْلُ ثَلَاثَةٍ مِنْهَا هِيَ مَا يَطَابِقُ الْوَاقِعَ
وَالْإِعْتِقَادَ جَمِيعاً ، وَمَا يَطَابِقُ الْإِعْتِقَادَ فَقَطْ ، وَمَا لَا يَطَابِقُ الْوَاقِعَ وَالْإِعْتِقَادَ .
أَمَّا مَا نَالِ مَا يَطَابِقُ الْوَاقِعَ فَقَطْ فَقَوْلُ الْمُعْتَزِلِ لَمْ لَا يَمُرُّ حَالُهُ وَهُوَ يَخْفِيهِ مَتْنُهُ :
خَلَقَ اللَّهُ الْأَعْمَالَ كُلَّهَا (أَنْبَتَ الرِّيحُ الْبَقْلَ) مِثْلُهُ قَوْلُ الْكَفَّارِ : وَمَا يَهْلِكُنَا
إِلَّا الدَّهْرُ ، فَهَذَا وَنَحْوُهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ قَائِلُهُ عَلَى أَنَّهُ مُتَأَوَّلٌ بِلِإِطْلَاقِهِ بِجِهَلِهِ
وَعَمَاهُ إِطْلَاقُ مَنْ يَضَعُ الصِّفَةَ فِي مَوْضِعِهَا لَا يَوْصَفُ بِالْمَجَازِ ، وَلَكِنْ يُقَالُ عِنْدَ
قَائِلِهِ إِنَّهُ حَقِيقَةٌ وَهِيَ كَذِبٌ وَبَاطِلٌ (مَجَازٌ عَقْلِي) وَيُسَمَّى مَجَازاً حَكْماً وَمَجَازاً
فِي الْإِثْبَاتِ وَإِسْنَاداً مُجَازِياً (إِسْنَادُهُ) أَيْ الْفِعْلُ أَوْ مَعْنَاهُ (بِتَأَوَّلِ) مُتَعَلِّقٌ

مُلاَبِسٍ لَهُ غَيْرِ مَا هُوَ لَهُ بِأَوَّلٍ ؛ وَلَهُ مُلاَبَسَاتٌ شَتَّى ، يَلَابِسُ الْفَاعِلُ
وَالْمَفْعُولُ بِهِ ، وَالْمَصْدَرُ ، وَالزَّمَانُ وَالْمَكَانُ ، وَالسَّبَبُ ، فَيُسْنَدُهُ إِلَى الْمَفْعُولِ
وَالْمَفْعُولُ بِهِ ، إِذَا كَانَ مَبْنِيًّا لَهُ ، حَقِيقَةً ، كَأَمَرٍ ، وَإِلَى غَيْرِهَا لِلْمُلاَبَسَةِ

بإسناده ، والتأول من آل إلى كذا يرجع إليه ومعناه تطب المآل من الحقيقة
أو الموضع الذي إليه من العقل وحاصل . ذلك أن تنصب قرينة صارقة للإسناد
على أن يكون إلى ما هو (وله) أى الفعل . . واعلم . أن هذا الضرب من الجواز
على حدته كذا من كنوز البلاغة وذخر يعمد إليه الكاتب البليغ والشاعر المقلق
والخطيب المصقع ، وربما يدور بخلك أن الإبداع فيه أمر يستطيمه كل الناس
وينجم هذا الفن من أنك ترى الرجل يقول أتى في الشوق إلى لقاءك ، وسأرى
الحنين إلى رؤيتك ، وأشبه ذلك مما نحمده لشهرته يجرى مجرى الحقيقة التي
لا يشكك أمرها ، وهو عمرك الله على خلاف ما تفتن . لأنك تراه يدنو ويطلق
حتى يمتنع مثله على الفحول البزل ، وحتى يأتيك بالبدعة لم تعرفها والنادرة تأتق
لها . . هذا ، وليس كل شيء يصلح لأن تتعاطى فيه أبحار العقل بسهولة بل
تجددك في كثير من الأمر وأنت محتاج إلى أن تبني الشيء وتصلحه له بشيء
تروعه في النظم كقول من يصف رجلاً :

تَنَاسَّ طِلَابَ الْعَامِيَّةِ إِذْ نَأَتْ بِأَسْجَعِ مِرْقَالِ الصُّعَى قَلْبَ الصَّنْفِرِ (١)

(١) الأسجع : الرقيق المشفر . ومِرْقَال الصُّعَى : أى يسرع السير في الصُّعَى
وهو وقت الحر . والصنفر : حزم الرجل .

جَارَ . كَقَوْلِهِمْ عَيْشَةُ رَاضِيَةٌ ، وَسَيْلٌ مُقَمَّمٌ ، وَشِعْرٌ شَاعِرٌ ، وَنَهَارٌ حَاسِمٌ ، وَنَهْرٌ جَارٌ ، وَبَقِيَ الْأَمِيرُ لِلدَّيْنَةِ : وَقَوْلُنَا بِتَأْوِيلٍ يُخْرِجُ مَا مَرَّ مِنْ قَوْلِ الْجَلَالِ ، وَلِهَذَا لَمْ يَهْمَلْ نَحْوُ قَوْلِهِ :

إِذَا مَا أَحْسَنَهُ الْأَقَاعِي تَعَيَّرَتْ شَوَاهُ الْأَقَاعِي مِنْ مُثَلَّةٍ سُمِرَ (١)
تَجُوبُ لَهُ الظَّلَاءُ عَيْنٌ كَانَتْ زُجَاجَةٌ شَرِبَ غَيْرُ مَالَى وَلَا صِفَرٍ
يريد أن يمتدى بنور عين في الظلمات ويمكنه بها أن يخرقها ويعنى فيها
ولولاهما لكانت الظلاء كالسد الذي لا يجد السائر شيئاً يفرجه به ويجعل لنفسه
فيها سبيلاً ، فلو لا أنه قال تجوب له فعلق له بتجوب لما صلت العين لأن يسند
«تجوب» إليها ولكان لاثنين جهة التجوز في جملة تجوب فلما عين كما ينبغي ،
وكذلك لو قال تجوب له الظلاء عين لم يكن له هذا الموقع ولا اضطرب عليه
معناه . وانقطع السلك من حيث كان يمينه حيث أن يصف العين بما وصفها به
الآن (مضم) أي غلوه . سائحه . قال الشيخ عبد القاهر : وبما طريق المجاز فيه
الحكم قول الحنفية :

تَرْتَمِي مَا رَمَتْ حَقِّي إِذَا أَدَّكَرْتُ ظَنَنَّا مِنِّي إِقْبَالَ وَإِدْبَارُ
وذلك أنها لم ترد بالإقبال والإقبال غير معناها فتكون قد تجاوزت في نفس
الكلمة وإلما المجاز في أن جعلتها لكثرة ما تدبر وتقبل كأنها تجسست من الإقبال
والإدبار . وليس أيضاً على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، وإن
كانوا يذكرونه منه ، إذ لو قلنا أريد إنما هي ذات إقبال وإدبار أقصدنا الصبر

(١) يقول إذا سار ليلاً واحسب به الإقاعي وهي بعيدة عن جوارها
تجبرت : أي تلوذت ، شواتها : أي أطرافها أو انقبضت جفونها وتحت ، والمثلة :
الصبر . يريد أخافها التي ثلها الصبر على المجازة .

أَشَابَ الصَّيِّدَ وَأَفَنَى الْكَيْسَرَ كَرَّ الْغَدَاةِ وَمَرُّ الْقَيْشِ
عَلَى الْمَجَازِ ، مَا لَمْ يُعْلَمْ أَوْ يُظَنَّ أَنَّ قَائِلَهُ لَمْ يَرُدْ ظَاهِرُهُ ، كَمَا اسْتَدْرَجَ
عَلَى أَنْ يُسَادَّ مِيزَ فِي قَوْلِ أَبِي النَّجْمِ :

مِيزَ عَنْهُ قُنْزُعًا عَنْ قُنْزُجٍ جَذَبَ اللَّيَالِي أَبْطَى أَوْ أَسْرَعَ
تَجَازَ بِهِ حَقِيْبَهُ : * أَفْنَاهُ قِيلُ اللَّهِ لِلشَّمْسِ ، أَطْلَعِي * (وَأَقْسَمَهُ

على أنفسنا وخرجنا إلى شيء مضمول وإلى كلام حامى مردول لا مسامح له عند
من هو صحيح الذوق ، صحيح المعرفة ، ناسبة للعاني (نحو قوله أشاب) وقول
أبي الإصبع :

أَهْلَكْنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَعًا وَالْفَرْقُ يَفْدُو مَصْمًا جَدًّا

(أشاب) هو الصلتان العبدى الشاعر الحامى وبعبده :

إِذَا لَيْلَةٌ أَهْرَمَتْ يَوْمَهَا أُنَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَقِ

فَرُوحٌ وَفَدُو لِحَابَتَيْنَا وَحَاجَةٌ مِّنْ عَاشٍ لَا تَنْقُصِي

تَسَوُّتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ

(ميز) قبله :

قَدْ أَضْبَعَتْ أُمُّ الْخِيَارِ تَدْعِي عَلَى ذَنْبًا كُلَّهُ لَهْ أَضْمَرَ

مِنْ أَنْ رَأَيْتُ رَأْسِي كَرَأْسِ الْأَضْمَرِ

ميز : أى فصل عنه أى عن راسه ، والتنزع : الشعر المتجمع فى نواحي الرأس .
وجذب الليالى : مضىها وتعلقها ، وقوله أبطلى أو أسرعى : حال من الليالى على
تقدير القول أى مقولاً فيها فيجوز أن يكون الأمر بمعنى الخير (أفناه) تمامه

أَرْبَعَةٌ) لَأَنَّ طَرَفَيْهِ إِنَّمَا حَقِيقَتَانِ ، نَحْوُ : أُنْبَتَ الرَّيِّعُ الْبَقْلَ ، أَوْ حَجَّازَانَ
نَحْوُ : أَحْيَا الْأَرْضَ شَبَابَ الزَّمَانِ ، أَوْ مُخْتَلِفَانِ ، نَحْوُ : أُثْبِتَ الْبَقْلَ شَبَابُ
الزَّمَانِ ، وَأَحْيَا الْأَرْضَ الرَّيِّعُ ؛ وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ : وَإِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ
آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ، يَدَّبَحُ أَنَّاءَهُمْ . يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ، يَوْمًا يَعْمَلُ

• حَقِّ إِذَا وَارَاكَ أَفْقٌ فَادْجِئِي •

(لأن طرفيه) وهما المسند والمسند إليه (حقيقتان) لغويان (نحو أنبت
الريبع البقل) مثله قوله :

« وَشَبَّ أَيَّامُ الْفِرَاقِ مَقَارِقِي •

وقول جرير :

لَقَدْ لَسْنَا يَا أُمَّ غِيْلَانَ فِي السَّرَى وَنَمَتْ وَمَا لَيْلُ اللَّيْلِ بِنَاهِمِ
(حجازان) لغويان (نحو أحيا الأرض شباب الزمان) فإن المراد بإحياء
الأرض إحداث النظرة والحضرة الناشئة عن تهييج القوى المنمية فيها ،
والإحياء في اللغة : إعطاء الحياة ، وهي صفة تقتضي الحس والحركة الإرادية .
والمراد بشباب الزمان : زمان ازدياد قواها المنمية ، والشباب في اللغة : كون
الحيوان في زمان تكون حرارته الغريزية مشبوبة (وأحيا الأرض الريبع)
مثله قول أبي الطيب :

وَنَحْمِي لَهُ لَدَّلَ الصَّوَارِمِ وَالْقَتْلَ وَبِقَتْلِ مَا يَنْحِي التَّبَسُّمَ وَالْجَلْدَا

جعل الزيادة والوفور حياة للسال . وفريقه في العطاء قتلا له ، ثم أنبت
الإحياء فلا الصوارم ، وقتل فلا التبسم ، مع أن القتل لا يصح منهما ، ونحوه
قولهم : أهلك الناس الدينار والدرهم ، جعلت القشة إهلاكاً ثم أنبت الإهلاك
فلا للدينار والدرهم (وإذا تليت الخ) فأنت القتل في جميع ذلك لما لا يثبت له .

الْوَلَدَانِ شَيْئًا ، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَ . وَغَيْرَ مُخْتَصِرٍ بِالتَّخْرِيقِ بَيْنَ
يُنْمِي فِي الْإِنشَاءِ نَحْوُ : يَا هَلُمَّنْ أَتَيْنِي صِرْحًا . وَلَا بَدَلَهُ مِنْ قَرِينَةٍ
لَقَطِيقَةٍ ، كَامَرٌ ، أَوْ مَعْنَوِيَّةٌ ، كَأَسْتَحَالَةٍ قِيَمِ السُّنْدِ بِالْمَذْكُورِ عَقْلًا
كَقَوْلِكَ : تَحَبَّبْتُكَ تَجَامْتُ بِي إِلَيْكَ ، أَوْ عِدَّةٌ نَحْوُ : هَزَمَ الْأَمِيرُ الْجُنْدَ ،
وَصَدَّقَهُ عَنِ الْمَوْحِدِ فِي مَثَلٍ : أَشَابَ الصَّغِيرَ . وَمَعْرِفَةُ حَقِيقَتِهِ إِنَّمَا

فعل . إِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْمَقُولِ ، عَلَى مَعْنَى السَّبَبِ (أَتَمَّهَا) مَا كُنْزُ فِيهَا وَأَوْدَعَ
جَوَافِهَا (نَحْوُ يَا هَامَانَ ابْنَ لِي صِرْحًا) فَأَتَيْتُ الْبِنَاءَ لَهَا مَانَ وَإِنَّمَا هُوَ الْعَمَلَةُ
وَهَامَانَ أَسْرَ . (كَامَرٌ) يَرِيدُ قَوْلَ أَبِي النِّعَمِ : أَقْنَاهُ قِيلَ أَقْنَاهُ . (بِالْمَذْكُورِ) أَيْ
بِالسُّنْدِ إِلَيْهِ الْمَذْكُورِ مَعَ السُّنْدِ (وَمَعْرِفَةُ حَقِيقَتِهِ) قَالَ الْإِمَامُ عَبْدُ الْقَاهِرِ :
أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ بِوَاجِبٍ فِي هَذَا الْجَوَازِ أَنْ يَكُونَ لِلْفِعْلِ فَاعِلٌ فَرِ التَّقْدِيرِ إِذَا أَنْتَ
أَسْنَدْتَ الْفِعْلَ إِلَيْهِ عَدْتَ بِهِ إِلَى الْحَقِيقَةِ ، مِثْلُ أَنْكَ قَوْلُ فِي رَحْمَتِ تِجَارَتِهِمْ :
وَبِحَوْرٍ فِي تِجَارَتِهِمْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَتَأْتِي فِي كُلِّ شَيْءٍ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يُمْكِنُكَ
أَنْ تُثَبِّتَ لِلْفِعْلِ فِي قَوْلِكَ أَقْدَمْنِي بِكَ حَقْلِي فَاعِلًا سِوَى الْحَقْلِ ، وَكَذَا
لَا نَسْتَطِيعُ فِي قَوْلِهِ

وَصَيَّرَنِي هَوَانًا وَيِي لِحَيْثِي يُضْرَبُ لِلثَّلَاقِ

وقوله يزيدك وجهه ، أَلَيْتَ ، أَنْ تَزْعُمَ أَنَّ لَهُ فَاعِلًا قَدْ نُقِلَ عَنْهُ الْفِعْلُ لِمَجْلِ
الْهَوَى وَلَوْجِهِ : فَلَا عِتْبَارَ لِذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْفِعْلُ مَوْجُودًا
فِي الْبِكَلَامِ عَلَى حَقِيقَتِهِ . مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْقُدُومَ مَوْجُودًا عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَكَذَلِكَ
الصَّغِيرَةَ طَالِبًا لِرَادَةِ مَوْجُودَتَانِ عَلَى الْحَقِيقَةِ . وَإِذَا كَانَ مَعْنَى الْفِعْلِ مَوْجُودًا

غَدِيرَةِ كَأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : فَدَرَجَتْ نَجَرَتِهِمْ ، أَيْ هَـ رَجَعُوا فِي تَجَارَتِهِمْ ،
وَأَمَّا خَمِيَّةٌ ، كَأَنَّ قَوْلَكَ : سَرَرْتَنِي رُؤْيَاكَ ، أَيْ سَرَرَنِي اللَّهُ عِنْدَ رُؤْيَاكَ
وَقَوْلُهُ : يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حُسْنًا * إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

على الحقيقة لم يكن المجاز فيه نفسه فيكون في الحكم . قال الرازي : فيه نظر
لأن الفعل لابد من أن يكون له فاعل حقيقة لا امتناع صدور الفعل لا عن
فاعل . فهو إن كان ما أسند إليه الفعل فلا مجاز . وإلا فيمكن تقديره . فزعم
السكاكي أن الحق بجانب الرازي ، وأن فاعل هذه الأفعال هو الله تعالى
وتسمه المصنف في ذلك ، قال التفتازاني : وفي ظني أن هذا تكلف والحق ما ذكره
الإمام : وهذا صحيح لأن تقدير الصاعل الموجد ، وهو الله تعالى ، في مثل هذه
الأفعال تقدير ألي لا يقصد في الاستعمال . ولا يتعلق به الغرض في التراكيب
(يزيدك) مولاي نواس من قصيدة يهجو فيها الأعراب لتعتصم النساء
دون الغلمان . ومثله قول حاجر بن عوف :

أَيُّ عَهْدِ الْغَوَارِسِ يَوْمَ دَلَجٍ وَغَمِّي مَلِكٌ وَضَعَ نِسِيهَاً^(١)
فَلَوْ صَاحِبِنَا لَرَضِيَتْ عَنَّا إِذَا لَمْ تَمُتْ لِلْأَتَةِ الْغُلَامَاً^(٢)

يريد إذا كان العام عام جدب ، وجئت ضروع الإبل ، حتى إن حلب منها
مائة لم يحصل من لبنها ما يكون غبوق غلام واحد . فالفعل هو الذي غبق

-
- (١) عبر الغوارس : وزنها وعرف عددها وقوتها ، واحتمل بعد ذلك
بالجمعية عدم عمره العدو حتى رجع إلى قومه وكانوا كالمجنين ، قتلوا أهل
أعدائهم وتلبوهم . ويوم داج : أي يوماً داجياً ، أي مطلقاً بالسلب .
(٢) أي إذا لم يكف لبن مائة ناقة لغبوق غلام واحد ، أي عند الجدب

أَمْ يَزِيدُكَ اللَّهُ حُشْنًا فِي وَجْهِهِ : وَأَنْكَرَهُ السَّكَائِيُّ ذَاهِبًا إِلَى أَنْ
مَازَعَهُ وَنَعْوَهُ اسْتِعَارَةً بِالْكِنَايَةِ ، عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالرَّبِّيعِ الْفَاعِلُ الْحَقِيقُ
بِقَرِينَةٍ نِسْبَةِ الْإِنْبَاتِ إِلَيْهِ ، وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ غِيْزُهُ . وَفِيهِ نَظَرٌ : لِأَنَّهُ
يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِمِثْلِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ، صَاحِبَهَا
كَاسِيًا . وَأَنْ لَا تَصِحَّ الْإِضَافَةُ فِي مَحْوِ نَهْذِهِ صَاحِمٌ ، لِطِلَالِ إِبْصَارِهِ
الشُّبُهَةِ إِلَى نَفْسِهِ ، وَأَنْ لَا يَكُونَ الْأَمْرُ بِالْبِنَاءِ لِهَامَانٍ ، وَأَنْ يَتَوَقَّفَ نَعْوُهُ :

مستعمل في نفسه على حقيقة ، والمجاز في إسناده إلى الإبل وجعله فلا لها
(وأنكره السكائي) وهناك ما قاله : الذي عندي هو نظم هذا النوع في سلك
الاستعارة بالكناية بمجمل الربيع استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي ،
بوساطة المبالغة في التشبيه وجعل نسبة الإنبات إليه قرينة للاستعارة ، وبمجل
الأمير المدير لأسباب هزيمة العدو ، استعارة بالكناية عن الجند المهازم
وجعل نسبة المهزم إليه قرينة للاستعارة (وفيه نظر) إن ما أورده المصنف
على مذهب السكائي لا يتم إلا إذا كان المراد بالشبه نفس التشبه به حقيقة
والسكائي صرح بأن المراد التشبه به ادعاء فاعرف هذا حتى تكون على بصيرة
من الأمر ، نعم قد ردوا مذهبه في الاستعارة بالكناية بما يصعب دفعه
وسير بك في محله (أن يكون المراد بعيشة صاحبها) وهو باطل إذ لا معنى
لقولنا فهو صاحب عيشة (كاسيائي) يريد تفسير الاستعارة بالكناية
على مذهب السكائي (وأن لا تصح الإضافة) لأن المراد بالتهار حيثن فلان
نفسه . يعني وقد وقعت هذه الإضافة في البلغ من الكلام : فاربحت تجارتهم
(وأن لا يكون الأمر بالبند لهامان) لأن المراد به حيثن هو العملة أنفسهم
والملازم باطل ، لأن النداء له والمخاطب معه (وأن يتوقف) لأن أسماء الله

أُنْبِتَ الرَّيْحُ الْبَقْلَ عَلَى السَّعَرِ : وَالْوَزَامُ كُلُّهَا مُنْتَفِعَةٌ ؛ وَلِأَنَّهُ يَفْتَقِضُ
يَسُو : نَهْلُهُ صَائِمٌ ، لَاشْتِجَالِهِ عَلَى ذِكْرِ طَرَفِ التَّشْبِيهِ .

في أحوال المسند إليه

أَمَّا حَذْفُهُ : فَلِإِحْتِرَازِ عَنِ الْمُبْتَدَأِ عَلَى الظَّاهِرِ ، أَوْ تَخْيِيلِ
الْمَذْوُومِ إِلَى أَهْوَى الدَّالِّينَ مِنَ الْعَقْلِ وَالْفِطْرِ كَقَوْلِهِ :

توقيفية ، يعني وليس كذلك ، لأن مثل هذا التركيب صحيح شائع ، سمع من
الشارع أو لم يسمع (لاشتغاله الخ) وذلك يمنع من حمل الكلام على الاستمارة
كما صرح به السكاكي ، لكن أجابوا عن هذا بأن ذلك إنما يكون مانعاً إذا كان
ذكر ما على وجه يفني عن التشبيه مثل زيد أسد ، وبعد ، قطع اعتاد السكاكي
أن يخالف أئمة البلاغة فيما لا غناء في مخالفتهم فيه ، وما كان أغناء عن معرفة
مذهبه هذا . وجبنا حمل المصنف لو أنه جعله دبر أذنه (أما حذفه) قال
عبد القادر يصف الحذف : إنه لسجيب الأمر ، شبيه بالسر ، فإنك ترى به
ترك الذكر أنصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك
أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأنتم ما تكون بياناً إذا لم تبين (فللاحتراز الخ)
يقول : إن المسند إليه — بعد أن تدل عليه القرينة — تختلف مقاصد البلغاء
من حذفه ، فإما يكون الغرض التحرز عن المبتدأ ، لأن ذكره يعد عبثاً
لدلالة القرينة عليه وعلم السامع به ، وأخرى يكون لتخييل أن في تركه تمويلاً
على شهادة العقل ، وفي ذكره تمويلاً على شهادة الفطرية من حيث الظاهر ، وكما بين
المشاهدتين . إل آخر ما ذكره . هذا . وإنما قال تخييل لأن الدال حقيقة

« قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتَ عَلِيلٌ » أَوْ اخْتِيارَ تَنْقُصُ السَّامِعَ عِنْدَ
الْقَرِينَةِ ، أَوْ مِقْدَارَ تَنْبِيهِ ، أَوْ إِيهَامَ صَوْتِهِ عَنْ لِسَانِكَ ، أَوْ عَكْسِهِ ، أَوْ
تَأْتِي الْإِنْكَارَ لَدَى الْحَاجَةِ ، أَوْ تَقْيِيهِ ، أَوْ ادِّعَاءَ التَّعْيِينِ ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ،

عند الحذف هو اللفظ المدلول عليه بالقرائن (قال لى) تمامه :

« سهر دائم وحن طويل » فلم يقل أنا عليل للاحتراز أو التخييل . وربما
يكون الحذف لغير ذلك لأن لكل امرئ في باب البلاغة ما نوى (أَوْ إِيهَامَ صَوْتِهِ
عَنْ لِسَانِكَ) تعظيماً له (أَوْ عَكْسَهُ) أى إِيهَامَ صَوْنٍ لِسَانِكَ عَنْ تَحْقِيرِهِ لَهُ
(أَوْ تَأْتِي) أى تيسر الإنكار عند الحاجة إلى الإنكار ، نحو نذل لثيم ، عند
قيام القرينة على أن المراد زيد ، ليتأتى لك أن تقول ما أردت زيدا بل غيره
(أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ) كاتباع الاستعمال الوارد على تركه مثل رمية من غير رلم
وشفتة « أعرها من أخزم ، أو على تركه فظاؤه كافي الرفع على المدح أو
الذم أو القرحم ، فإنهم لا يكادون يذكرون فيه المبتدأ ، قال :

مُمَّ حُلُوٍّ مِنَ الشَّرَفِ الْمُعْلَى وَمِنْ كَرَمِ السَّيِّدَةِ حَيْثُ نَاوَا
بُنَاةً مَبْكَارِمٍ وَأَسَاءَةً كَلَمٍ دِمْلَوْهُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشِّفَا
وقال الحماسي :

رَأَى عَلَى مَابَى خُمَيْلَةٍ فَاشْتَكَى إِلَى مَا لِهَ حَالِي أَسْءُ كَا - دَرٍ

(١) هو لآي أخزم الطائي وكان له ابن عاق يقال له أخزم . فأتى وترك
بنين ، فوحيوا يوماً على جدم أبى أخزم فأدموه فقال :

لأن بنى ضرجوني بالدم شفتة أعرها من أخزم

يعنى أن هؤلاء أشبهوا أباهم في العفوق ، والشفتة : الطيبة . والمادة .

وَأَمَّا ذِكْرُهُ فَلْيَكُونِ الْأَمَلُ وَلَا مُتَقَنِّي لِمُدْوَرِّ عَنْهُ ، أَوْ لِلِاحْتِطَاطِ

غَلَاةَ رَمَاهُ اللَّهُ بِاتَّخِذِ يَأْفَاحًا لَهُ سَيْمِيَاهُ لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرِ
وقال الأفيشر في ابن عم له موسر شأه فنه ، فشكاه إلى القوم وذمه ،
فوجب إليه ابن عمه ولطفه :

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعٍ
حَرِيبٌ عَلَى الدُّنْيَا مُضِيعٌ لِدِينِهِ وَلَيْسَ لِسَاقِي بَيْنِهِ بِمُضِيعٍ
ومنه قولهم - بعد أن يذكروا الرجل - فَيَمْنُ شَاهُ كَفَا وَكَفَا ، وَأَعْرِ
من صفته كَيْتُ وَكَيْتُ كَقَوْلِهِ :

سَأَشْكُو عَمْرًا مَا تَوَاحَتِ مَيِّتِي أَبْلَدِي لَمْ يُنَمَنَّ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ
فَقِي غَيْدٌ مَحْجُوبِ الْغَيِّ عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مَطْهَرُ الشُّكْرِ إِذَا النُّعْلُ رَلَّتِ
رَأَى خَلْقِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانَهَا فَكَانَتْ قَدَى هَيْلِيهِ حَقٌّ تَجَلَّتِ
وقوله :

فَقِي كَانَ بِدُنْيِيهِ الْغَيِّ مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَفَقَ وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ
فَقِي لَا يَمُدُّ لِلَّالِ رَبًّا وَلَا تَرَى بِهِ جَفْوَةً إِنْ نَالَ مَا لَا وَلَا كِبْرُ
فَقِي كَانَ يَطْلِي السِّيفَ فِي الرُّوْعِ حَقُّهُ إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِي وَتَشَقَّى بِهِ الْجُزُرُ
وقول جميل :

وَهَلْ بُنِيَّةٌ يَا لِنَاسٍ قَاضِيَتِي دِينِي وَقَاعِلَةٌ خَيْرًا فَأَجْزِيهَا
تَرُونُو حَيَّتِي مَهْأَةً أَفْصَدَتْ بَهْمًا قَلْبِي عَشِيَّةٌ تَرْمِيهِ وَأَرْسِيهَا

لِيَصْنَفَ التَّنْوِيلَ عَلَى الْقَرِينَةِ ، أَوْ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى غَبَاوَةِ السَّامِعِ ، أَوْ زِيَادَةَ
الإِبْصَاحِ وَالتَّفْصِيلِ ، أَوْ لِإِظْهَارِ تَنْظِيمِهِ ، أَوْ لِإِهْأَاتِهِ ، أَوِ التَّبَرُّكِ بِذِكْرِهِ ، أَوْ
لِاسْتِغْلَازِهِ ، أَوْ بَسْطِ الْكَلَامِ حَيْثُ الْإِصْنَاءُ مَطْلُوبٌ ، نَحْوُ : هِيَ عَمَاى .

هَيْفَاهُ مُقْبِلَةٌ عَجَزَاهُ مُذِيرَةٌ رِيًّا الْمِظَامُ يَلِينُ الْمَيْشُ غَازِيهَا
وبعد أن يذكروا الديار والمنازل : ربع كذا وكذا ، قال :

اِعْتَادَ قَلْبُكَ مِنْ تَلَى عَوَائِدُهُ وَهَاجَ أَهْوَاؤُكَ لَلْكُنْهَةِ الطَّلَلُ
رَبْعٌ قَوْلًا أَذَاعَ الْمُعْصِرَاتُ بِهِ وَكُلُّ حَيْرَانٍ سَارِي مَاؤُهُ حُضِلُ (١)
وهذه طريقة مستمرة عندهم . وهذا ، ومن لطيف الخلف قول بكر
ابن النطاح .

الْمَيِّنُ يُجِدِّي الْحُبَّ وَالْبُغْضَا وَتُظْهِرُ الْإِبْرَامَ وَالنَّقْصَا
دُرَّةٌ مَا أَنْصَفْتَنِي فِي الْهَوَى وَلَا رَحِمْتَ الْجَسَدَ الْمُنْفَى
غَضَبِي وَلَا وَفَّقِهِ يَا أَهْلَهَا لَا أَطْعَمُ الْبَارِدَ أَوْ تَرَفَعِي .

التقدير هي غضي . وهذا شعر يمزج بأجزاء النفوس ، ويصل إلى القلوب
بلا آذان (أو لإظهار تنظيمه أو إهْأَاتِهِ) كما في بعض الأساى المحمودة أو المذمومة
(حيث الإصْنَاءُ مطلوب) أى في مقام يكون لإصْنَاءِ السامع مطلوباً للتكلم

(١) أَذَاعَ الْمُعْصِرَاتُ : أَزَلَتْ بِهَا بِكَتْرَةٍ . وَالْحَيْرَانُ السَّارَى : هُوَ
المرن يجرى ليلاً .

وَأَمَّا تَعْرِيفُهُ قِيَالِإِقْتِمَارٍ : لِأَنَّ الْمَقَاءَ لِلتَّكَلُّمِ أَوْ الْخُطَابِ أَوْ النَّبِيَّةِ . وَأَصْلُ
الْخُطَابِ أَنْ يَكُونَ لِمَقَّيْنِ ، وَقَدْ يُتْرَكُ إِلَى غَيْرِهِ لِيَمَّ كُلُّ خُطَابٍ نَحْوُ :
وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، أَى تَنَاهَتْ حَالُهُمْ
فِي الظُّهُورِ ، فَلَا يَخْتَصِرُ بِهَا خُطَابٌ . وَبِالْعَلِيَّةِ لِإِحْضَارِهِ بَيْنَهُ فِي ذَهْنِ السَّامِعِ

لشرفه ، ولذلك يطال الكلام مع الأحياء (فتكلم) بقول بشار :

أَنَا الْمُرْعَثُ لَا أَخْفَى عَلَى أَحَدٍ ذَرَّتْ فِي الشَّمْسِ لِقَامِي وَلِلدَّائِي (١)
(أَوْ الْخُطَابِ) بقول الخاسي :

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَنْتَمَتْ بِي مِنْ كَأَنَّ فِيكَ يَلُومُ
(أَوْ النَّبِيَّةِ) لكون المسند إليه مذكوراً ، أَوْ حِكْمَ الْمَذْكُورِ لقرينة .
بقول أبي تمام :

بِئْسَ أَبِي إِسْحَاقَ طَالَتْ يَدُ الثُّلَى وَقَامَتْ قَنَاطَةُ الدِّينِ وَاشْتَدَّ كَاهِلُهُ
هُوَ السَّعْرُ مِنْ أَى النَّوَاحِي أَتَيْتَهُ فَلَجَّتْهُ الْمَرْوُفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ
وقوله تعالى : وَلَا يَجِدُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّبْحَ . أَى وَلَا يَجِدُ الْمَيْتَ (لَمَعَيْنِ)
وَاحِداً أَوْ كَثِيراً (لِيَمَّ كُلُّ خُطَابٍ) عَلَى سَبِيلِ الْبَدَلِ لِأَعْلَى سَبِيلِ التَّنَازُلِ دَفْعَةً
وَاحِدَةً (نَحْوُ : وَلَوْ تَرَى) وَكَأَيُّ قَوْلٍ : فَلَا تَرَى لِمَ إِنْ أَكْرَمْتَهُ أَهَانَكَ . وَإِنْ
أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ أَسَاءَ إِلَيْكَ ، فَلَا تَرِيدُ خُطَاباً بَيْنَهُ بَلْ تَرِيدُ أَنْ أَكْرَمَ أَوْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ
قَصْداً إِلَى أَنْ سَوَّاهُ مُعَامَلَتَهُ لَا يَخْتَصِرُ بِوَاحِدٍ دُونَ وَاحِدٍ (نَاكِسُوا رُءُوسَهُمْ)
مِنْ أَحْيَاءٍ وَالْحَزَى (بَهَا) أَى بِرُؤْيَا حَالِهِمْ (وَبِالْعَلِيَّةِ) أَى تَعْرِيفِ الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ

(١) كَانَ يَبَارِ يَلْقَبُ بِالْمُرْعَثِ لِرُعْتِهِ كَانَتْ لَهُ فِي صَفَرِهِ ، وَالرُّعْتَةُ : الْقِرَطَةُ

الْمَنْعَةُ وَنَجْمَةُ الْأَذَى وَذَرَّتْ الشَّمْسُ : طَلَعَتْ .

ابتداء باسم مختص به ، نحو : قل هو الله أحد ؛ أو تعظيم أو إلهية أو
كنائية ، أو إيهام استغذاه ، أو التبرك به أو نحو ذلك . ولهو صولية
ليقدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به نيوى الصلة ، كقولك : الذى
كان معنا أبسى رجلاً عالم . أو استيجان التصريح بالاسم ، أو زيادة

يلزاهه علماً (نحو : قل هو الله أحد) هو ضمير الثانى مبتدأ أول واقعة مبتدأ
ثان والجملة خبره ، فقد ورد المسند إليه علماً لأجل إحضاره فى الذهن ابتداء
بجميع مشخصاته التى قام عليها الدليل كالقدرة ونحوها ، باسم خاص به تعالى ،
ونحو قول الشاعر :

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ قَرَرُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمُشِيعٌ عِنْدَهُ
وقول الآخر :

أَلْفُ يَمَلُّ مَا تَرَكْتُ فِتَالَهُمْ حَتَّى عَلَوْا قَرِيْبِي بِأَشَقَرِ مَرْبِدٍ
(أو تعظيم أو إلهية) كافى الكنى واللقاب المهدودة والمذمومة (أو كناية)
حيث الاسم صالح لها ، وما ورد صالحاً للكناية من غير باب المسند إليه
قوله تعالى : ثبت يدا أبى لهب ، كناية عن كونه جهنمياً (أو إيهام استغذاه) .
نحو قوله :

يَا ظَلَمِيْنَ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَايَ مِنْكُنْ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ
(أو نحو ذلك) مما يناسب اعتباره فى الإعلام كالتناول والتعظيم .
(أو استيجان التصريح بالاسم) قال السكاكى : والعدول عن التصريح
باب من البلاغة يصار إليه كثيراً ، وإن أوردت تطويلاً . يحكى عن
شرح أن عدى بن أرطاة أثناه ومعه امرأة له من أهل الكوفة يخاضعها ،

القرير نحو : وَرَأَوْنَهُ الّٰتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ، أَو التّفخيم نحو :
فَنَشِيبُهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ، أَوْ تَنْبِيهِ الْمُخَاطَبِ عَلَى خَطَايَاهُمْ :

لما جلس بين يدي شريح قال عدى : أين أنت ؟ قال بينك وبيننا لحائط . قال : إني
أمرؤ من أهل الشام ، قال : بعيد حقيق ، قال وأنى قدمت العراق ، قال : خير
مقدم ، قال : وتزوجت هذه ؟ قال : بالرفاء والبنين ، قال : وإنها ولدت
غلاماً ، قال : ليهنك الفارس ، قال : وأردت أن أخلصها إل داري ، قال : المرء
أحق بأهله ، قال : قد كنت شرطت لها وكرها ، قال الشرط أملك . قال :
أقص بيتنا ، قال : فعلت ، قال : فعلى من فعليت ؟ قال : على ابن أملك : عدل
شريح عن لفظ عليك ثلاثاً بواجبه بالصرح على ما يشق على المخاض من التضاد
عليه (نحو ورواده) فالكلام مسوق لنزاعة يوسف وطهارة ذيله والمذكور
أدل عليه من امرأة العزيز أو زليخا . ومما هو نص في زيادة تقرير الغرض
المسوق له الكلام في غير المسند إليه بيت السقط :

أَعْبَادَ لِلْإِسْحَاقِ يَخَافُ صَحْبِي وَنَحْنُ عَبِيدُ مَنْ خَلَقَ لِلْمَسِيحَا
فإيه أدل على عدم خوفهم النصارى من أن يقول نحن عبيد الله (نحو :
فَنَشِيبُهُمْ) وقوله تعالى : وَالْمُؤْتَفِكَةُ أَمْوًا فَتَنَّاها مَا أُغْنَى : ومثله قوله :

مَقَى بِهَا مَا مَقَى مِنْ عَقْلِ شَارِبِهَا وَفِي الزَّجَاجَةِ بَاقِي يَطْلُبُ الْبَاقِي
ومنه في غير هذا الباب بيت الحماسة :

صَبَا مَا صَبَا حَقٌّ عَلَا الشَّيْبُ رَأْسُهُ فَلَمَّا عَلَاةَ قَالَ لِلْبَاطِلِ ابْعِدْ

فإن ما مفعول ، وقول أبي نواس :

وَلَقَدْ نَهَزْتُ مَعَ الْتَوَاوِي بِدُلُومِي وَأَسْمَتُ سُرْحَ الْهَرِّ حَيْثُ أَسَامُوا

إِنَّ الَّذِينَ قَرَّوْهُمْ إِخْوَانَكُمْ يَشْقَىٰ غَيْلًا مَّذْمُومًا أَنْ نَصْرَعُوا
أَوِ الْإِيمَانَ إِلَىٰ وَجْهِ بِنَا الْخَبِيرِ نَحْوُ : إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَذَرُوكَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ : ثُمَّ إِنَّهُ رُبَّمَا جِيلٌ ذَرِيعةٌ إِلَى التَّمْرِ بِيضٍ مَّا تَعْلَمُ
لشأنه نَحْوُ :

وَبَلَّغْتُ مَا بَلَغَ أُمُرُؤُا بِشَبَاهِ فَإِذَا عَمَلَةٌ كُلُّ ذَلِكَ أَتَمُّ (١)
(نحو : إن الذين) فيه من التنبيه على عظمهم في هذا الظن ما ليس و
قولك إن القوم الفلاني . والبيت لمعدة بن العليب من قصيدة يعظ فيها بنيه
(أو الإيماء إلى وجهه بناء الخبير) يقول : قد يعرف المسند إليه بالموصولية لما
في صلتك من الإشارة إلى نوع الخبر من ثواب أو عقاب أو مدح أو ذم مثلا .
وحاصله أن يوقى بالماتحة على وجه يذبه الفطن على الخاتمة نحو : إن الذين
يستكبرون الآية . ففي مضمون الصلة الذي هو الاستكبار لإيماء إلى أن الخبر
أمر من جنس الإذلال والعقوبة : قال السكاكي : ثم يتعرع على هذا اعتبارات
لعليفة ، ربما جعل ذريعة إلى التمريض بالتعظيم كقولك : الذي يرافقك يستحق
الإجلال والرفع والذي يشاركك يستحق الإذلال والصفع ، ومنه قولهم جاء
بعد التيا والتي ، أو بالإهانة كما إذا قلبت الخبر في الصورتين ، وربما جعل

(١) أتمام : كلام . جناء الإتمام .

(٢) قال السكاكي في فصل الإيجاز : وقول العرب جاء بعد التيا والتي
بترك صلة الموصول إثارة للإيجاز تنبيهاً على أن المشار إليهما بالتيا والتي وهي
الهيئة ، والتدائد بلغت من شدتها وفضاعة شأنها ، مبلغاً يهت الواصف معها
حتى لا يعجز ببنت شفة .

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بِفَى لَنَّا نَبِتًا دَعَاتِمُهُ أَعَزُّ وَأُصُولُ
أَوْ شَأْنٍ غَيْرِهِ نَحْوُ : الَّذِينَ كَذَبُوا شَيْئًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ
وَبِالْإِشَارَةِ لِمَيِّزِهِ أَكْبَرَ تَمْيِيزٍ نَحْوُ قَوْلِهِ :
* هَذَا أَبُو الصَّغْرِ قَرَدًا فِي تَحَايِيهِ *

ذريعة إلى تعظيم شأن الخبر كقول العروذق * إن الذي سمك السماء البيت
فإن فيه إيماء إلى أن الخبر المبني عليه أمر من جنس الرقة والبناء ؛ ثم في هذا
الإيماء تعريض لتعظيم بناء بيته من حيث أنه فعل من رفع السماء ، أو تعظيم
شأن غير الخبر نحو : الذين كذبوا شئياً كانوا هم الخاسرين ، فيه إيماء إلى أن
الخبر المبني عليه أمر من جنس الخسران ، وفيه مع ذلك تعظيم لشأن شبيب .
وفي هذه الاعتبارات كثرة ، فلم لها حول ذلك . وهذا ، وقد يقصد بالمرصود
الحث على التعظيم نحو : جاء الذي عليك ، أو التحقير نحو : جاء الذي سألك
أو النهك كقوله تعالى : يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون . ولطائف هذا
الباب لا تكاد تضبط (تميزه أكبر تمييز) لغرض من الأغراض كأن يكون
في مقام المدح وفي حال إجراء أو صاف الرقة ونموت الأثرة (نحو هذا
أبو الصغر) مثله قوله :

وَإِذَا تَأَمَّلَ شَخْصَ ضَيْفٍ مُقْبِلٍ مُقْتَرِبٍ لِيَرَبِّكَ لَيْلٍ أَغْبَرِ
أَوْ مَا إِلَى الْكُؤْمَاءِ هَذَا طَارِقٌ نَحْمُسِّنِي الْأَعْدَاءَ إِنْ لَمْ تَنْتَحِرِ
وقول المتنبي :

أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَسُوا أَحْسَنُوا فِينَا وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ هَدَّوْا شَدَّوْا

أَوْ التَّعْرِيسِ بِبَقَاوَةِ السَّامِعِ كَقَوْلِهِ :

أُولَئِكَ آبَائِي فَحَنَنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتُنَا يَا جَرِيرُ الْجَامِعُ
أَوْ بَيَانِ حَالِهِ فِي الْقُرْبِ أَوْ الْبُعْدِ أَوْ التَّوَسُّطِ : كَقَوْلِكَ : هَذَا أَوْ ذَلِكَ
أَوْ ذَاكَ زَيْدٌ ؛ أَوْ تَحْفِيرِهِ بِالْقُرْبِ نَحْوُ : أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ؛ أَوْ
تَسْطِيرِهِ بِالْبُعْدِ نَحْوُ : لَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ ؛ أَوْ تَحْفِيرِهِ كَمَا يُقَالُ : ذَلِكَ اللَّعِينُ
فَعَلَّ كَذَا ، أَوْ تَحْفِيرِهِ عِنْدَ تَقْيِيبِ الشَّارِ إِلَيْهِ بِأَوْصَافٍ عَلَى أَنَّهُ جَدِيرٌ
بِمَا يَرُدُّ بَعْدَهُ مِنْ أَجْلِهَا نَحْوُ : أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمْ .

والبيت لابن الرومي وتامه هـ من نذل شيان بين الضال والسلم هـ الضال :
هو السدر ، والسلم : شجر ذو شوك ، وهما من شجر البوادي ، وأشار بذلك إلى
ما تتبادح به العرب من سكنى البادية لأن العز مفقود في الحضر (أو التعريض
ببقاوة السامع) وأنه لا يتميز الشيء عنده إلا بالחס (أولئك آبائي) هو المفرد في
من قصيدة يختصر فيها على جرير (نحو هذا أو ذلك أو ذاك) فهذا زيد في حال
القرب وذلك في حال البعد وذاك في حال التوسط ، وإنما أخر لأنه إنما يتحقق
بعد تحقيق الطرفين (أهذا الذي يذكر آلهمكم) مثله قوله تعالى : وما هذه الحياة
الدنيا إلا لهو ولعب ، وقوله تعالى ، وهو من غير باب المسند إليه : ماذا أراد
الله بهذا مثلا . وقول الشاعر :

تَقُولُ وَدَقَّتْ صَدْرَهَا بِبِسْمِهَا أَبَيْتِي هَذَا بِالرَّحَا لِلتَّقَاعِسِ (١)

(نحو ذلك الكتاب) ذهاباً إلى بعد درجته ، ونحوه : فذلكن الذي لثقتني
فيه ، لم تقل لهذا — وهو حاضر — وضاً لمزلته في الحسن وتحميداً للعدو
في الافتتان به (نحو : أولئك على هدى) فقد عقب انشراح إليه وهو المنتقى

(١) التقاعس : الذي يخرج صدره ويدخل ظهره .

لَمُفْلِحُونَ. وَبِاللَّهِ لِلْإِشَارَةِ إِلَى مَقْهُودٍ، نَحْوُ: وَلَيْسَ الَّذِي كَرُّ كَأَنَّ نَفَى

بأوصاف هي الإيمان بالقيوم وإقام الصلاة وغير ذلك، ثم عرف المسند إليه بالإشارة تنبيها على أن المشار إليهم أحقاء بما يرد بعد أولئك وهو كونهم على الهدى عاجلا والنور والفلاح آجلا من أجل اتصافهم بالأوصاف المذكورة.. ومثل ذلك قول عروة بن الورد:

لَمَّا أَفْهَ صُنُوفًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصَافٍ لِلْمَشَاشِ^(١) أَلَقَا كُلَّ مُجْزَرٍ
يَنَامُ قَتِيلًا ثُمَّ يَصْبِحُ قَاعِدًا يَخْتِ الْخَمَى عَنْ جَنْبِهِ التَّمَعُّرُ
يُعِينُ نِسَاءَ الْخَمَى مَا يَسْتَعِينُهُ فَيَضْحِي طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ الْحَسَرِ
وَلَكِنْ صُنُوفًا صَبِيحَةً وَجِبِهِ كَصَوْنِ سِرَاجِ الْقَابِسِ الْمُتَوَرِّ
مُطْلًا بَعْلَى أَهْدَائِهِ يَزْجُرُوهُ يَسَاحَتِهِمْ زَجَرُ اللَّيْلِ لِلشَّهْرِ
وَإِنْ بَعْدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ تَشَوُّفَ أَهْلِ الْغَائِبِ التَّنْظِيرِ
فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَى الْمَنِيَّةَ يَلْقَاهَا حَمِيدًا وَإِنْ يَسْتَعْنِي يَوْمًا فَاجْدِرِ

عده له خصالا فاحشة كما ترى ثم عجب هذا بقوله، فذلك فأفاد أنه حرى بما ذكر بعده لأجل اتصافه بتلك الخصال (معمود) بين المتكلم والمخاطب لتقدم ذكره صريحا أو كتابة كما في الآية، أو لعلم المخاطب به نحو: إذ هما في النار

(١) المشاش جمع مشاشة: قيل هي رموس الفاصل مثل الركبتين، وفي إضافة مصاف إلى المشاش من التهكم ما لا ينبغي. والمجزر: موضع جزر الإبل. والتعفر: المترب. والبعير الحسر: هو الخفي. وقوله وإن بعدوا الخ: على التقديم والتأخير. أو لا يأمنون اقترابه وإن بعدوا.

أَي لَيْسَ الَّذِي طَلَبْتَ كَأَنِّي وَهَبْتُ لَهَا . أَوْ إِلَى نَفْسِ الْحَقِيقَةِ كَقَوْلِكَ :
الرَّجُلُ خَيْرٌ مِنَ الْمَرْأَةِ ؛ وَقَدْ بَأَيْتُ لِوَاحِدٍ بِاعْتِبَارِ عَهْدِيَّتِهِ فِي الذَّهْنِ كَقَوْلِكَ :
أَدْخُلِ السُّوقَ حَيْثُ لَا عَهْدَ ؛ وَهَذَا فِي اللَّفْظِ كَالْتَنكِيرَةِ ، وَقَدْ يَنْبَغِ

ونحو : إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، وَكَقَوْلِكَ لِمَنْ فَوْقَ سَهْمَا : الْقُرْطَاسُ .
أَوْ لِحُضُورِهِ نَحْوَ هَذَا الرَّجُلِ ، بِأَيَّهَا الرَّجُلِ (أَي لَيْسَ الَّذِي أَخ) أَيْ لَيْسَ الذَّكَرُ
الَّذِي طَلَبْتَ امْرَأَةً حِمْرَانِ كَالْأَنثَى الَّتِي وَهَبْتُ لَهَا ، أَيْ قَالَامٌ فِي الْأَنثَى إِشَارَةٌ إِلَى
مَعْبُودٍ تَقْدِمُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ، لَكِنَّهُ لَيْسَ مُسْتَدَآ إِلَى
لَا أَنَّهُ يَجُوزُ بِالسَّكَافِ ، وَالْإِلَامُ فِي الذَّكَرِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا سَبَقَ ذِكْرَهُ كِتَابَةً وَقَوْلُهُ
تَعَالَى : رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي عَحْرَاءَ ، فَإِنْ لَفِظَ مَا وَإِنْ كَانَ يَمُومُ الذَّكَوْرَ
وَالْإِنَاثَ إِلَّا أَنِ التَّجَرُّرَ ، وَهُوَ لَنْ يَمُومَ الْوَلَدَ لِحُدُودِ بَيْتِ الْقُدْسِ ، إِنَّمَا كَانَ
لِلذَّكَوْرِ دُونَ الْإِنَاثِ (إِلَى نَفْسِ الْحَقِيقَةِ) بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ جُمُومِهَا وَخُصُوصِهَا
(الرَّجُلُ خَيْرٌ مِنَ الْمَرْأَةِ) مِثْلَهُ الدِّينَارُ خَيْرٌ مِنَ الدِّرْهَمِ وَقَوْلُ الْمَرْي :

وَأَدْخُلِ كَلَامًا يُبْدِي لِي سَمَائِرَهُ مَعَ الْعَصَا وَيُخَفِّبُهَا مَعَ السَّكَدَرِ
وَقَوْلُهُ تَعَالَى ، وَهُوَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْبَابِ : وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ .
أَيَّ جَعَلْنَا مَبْدَأَ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ هَذَا الْجَنْسُ الَّذِي هُوَ الْمَاءُ (بَأَيُّ) أَيْ الْمَرْفُوعُ
بِلَامِ الْحَقِيقَةِ (بِاعْتِبَارِ عَهْدِيَّتِهِ فِي الذَّهْنِ) لِمُطَابَقَتِهِ الْحَقِيقَةَ (أَدْخُلِ السُّوقَ)
فَأَشِيرَ بِالْإِلَامِ إِلَى الْحَقِيقَةِ لَكِنْ فِي زَمَنِ بَعْضِ الْإِفْرَادِ قِيَاسُ الْقَرْبَةِ عَلَى ذَلِكَ
وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ (فِي اللَّفْظِ) وَأَمَّا فِي النَّظَرِ فَتَجَرُّوْهُ
عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْمَظَارِفِ مِنْ وَقْعِهِ مَبْتَدَأُ وَذَا حَالٍ وَوَصْفًا لِلْعُرَّةِ وَمَوْصُوفًا بِهَا
وَنَحْوُ ذَلِكَ (كَالْتَنكِيرَةِ) فَيَعَامَلُ مَعَ مَبْلَغِهَا وَيُوصَفُ بِالْجُمْلَةِ كَقَوْلِهِ :

* وَقَدْ أَمَرَ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ .

الاستفراق ، نحو : « إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ » وَهُوَ صَرِيحٌ : حَقِيقٌ ، نحو :

• وإنما لم يقل نكرة لما بينهما من تفاوت ما ، وهو أن النكرة معناها بعض غير معين من جملة أفراد الحقيقة وهذا معناه نفس الحقيقة ، وإنما تستند البعضية من القرينة كالدخول والأكل فيما مر (نحو إن الإنسان) فأشير باللام إلى الإنسانية في ضمن كل فرد من أفرادها بدليل الاستثناء الذي هو معيار العموم لأن شرطه دخول المستثنى منه لو لم يذكر هذا . والحاصل أن المراد باسم الجنس المعروف باللام إما نفس الحقيقة لا ما يصدق عليه من الأفراد وهو تعريف الجنس والحقيقة ، ونحوه علم الجنس كإسماء ، وإما فرد معين وهو العهد الخارجي . ونحوه العلم الخاص كزيد ، وإما فرد غير معين وهو العهد الذهني ونحوه النكرة كرجل ، وإما كل الأفراد وهو الاستفراق . ونحوه لفظ كل مضافاً إلى النكرة كقولنا كل رجل . (وبعد) فقد قال أستاذنا الشيخ محمد عبده في تفسير سورة والعصر : إن الاستفراق بأل في لسان العرب ليس كالاستفراق بلفظ كل وليست أل مساوية لكل التي تضاف إلى النكرة ويراد بها تعميم الحكم في جميع أفراد الجنس ، وإنما يراعى في أل استفراق المعبود عند مخاطبين ، لأنها في لسانهم العهد . وتعريف الجنس إما في فرد أو أفراد ولن تخارق العهد أبداً وكذلك التي يسميها النحاة العهد الذهني ويتميزون في الفرق بينها وبين النكرة ثم يقول فريق منهم إن الفرق في اللفظ وإجراء أحكامه أما المعنى فلا فرق فيه ، وهو وهم قاسد . وهذا كلام من قتل اللغة علماً وأساط بأسرارها خيراً (وهو) أي الاستفراق (حقيق) وهو أن يراد كل فرد عما يتناول اللفظ لغة .

عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، أَيْ كُلُّ غَيْبٍ وَشَهَادَةٍ : وَعَرَفْنِي كَقَوْلِنَا : جَمَعَ الْأَمِيرُ الصَّاعَةَ ، أَيْ صَاعَةً بَلَدِهِ أَوْ مَمْلَكَتِهِ . وَاسْتَفْرَقَ الْمَفْرَدُ أَشْمَلُ : بِدَلِيلِ صَحَّةِ لَا رَجَالَ فِي الدَّارِ ، إِذَا كَانَ فِيهَا رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ ، ذَوْبَ لَا رَجُلَ . وَلَا تَنَافٍ بَيْنَ الْإِسْتِفْرَاقِ وَالْإِفْرَادِ الْإِسْمِ ، لِأَنَّ الْحَرْفَ إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ مُجَرَّدًا عَنْ مَعْنَى الْوَحْدَةِ ، لِأَنَّهُ بِمَعْنَى كُلِّ فَرْدٍ لَا تَجْمُوعِ الْأَفْرَادِ ، وَلِهَذَا

(وعرف) وهو أن يراد كل فرد عما يتناول به اللفظ بحسب مقام العرف (أى صاعقة بلده أو مملكته) لاصافة الدنيا (واستفراق المفرد أشمل) هذه العبارة قد أشار إلى مغزاها جاراه الزمخشري في كتابه ، ومعناها أن اسم الجنس المفرد إذا دخل عليه أداة الاستفراق تكلف التعريف أو التقي كان شموله للأفراد أكثر من شمول المثنى والجمع الداخل عليهما تلك الأداة وذلك أن المفرد يتناول كل واحد من الأفراد ، والمثنى إنما يتناول كل اثنين اثنين ، ولا ينافيه خروج الواحد ، والجمع إنما يتناول كل جماعة جماعة ، ولا ينافيه خروج الواحد والاثنين . ودليل ذلك صحة : لا رجال في الدار إذا كان فيها رجل أو رجلان وعدم صحة لا رجل إذا كان فيها رجل أو رجلان . هذا ، وقد قالوا إن كلام المصنف ، مسلم في النكرة المنفية دون المعرفة باللام ، لأن الجمع المعرفة بلام الاستفراق يتناول كل واحد من الأفراد بل هو في ذلك أقوى من المفرد (ولا تنافي) هذا جواب عن سؤال أورده السكاكي وهو أن إفراد الاسم يناقض أن تكون الأداة الداخلة عليه للاستفراق . لأن الإفراد يدل على الوحدة . والاستفراق على التعدد (الحرف) الحال على الاستفراق تكلف التقي ولاه التعريف (عليه) أى على الاسم المفرد .

اُتَمَّتْ وَصْفُهُ بِنَعْتِ الْجَمْعِ . وَبِالإِضَافَةِ لِأَنَّهَا أَخْصَرُ طَرِيقٍ تَحْوِي :

• هَوَاىَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُضَعَّدٌ • أَوْ تَضَمُّنًا تَعْلِيمًا لِشَأْنِ
الْمُضَافِ إِلَيْهِ ، أَوْ لِلضَّيَافِ أَوْ غَيْرِهَا ، كَقَوْلِكَ هَبْدَى حَصْرَ ، وَهَبْدُ
الْخَلِيفَةِ رَكِيبَ ، وَهَبْدُ السُّلْطَانِ عِنْدِي ؛ أَوْ تَحْقِيرًا نَحْوِ : وَلَهُ الْحَبَامُ حَاضِرٌ .

(اُتَمَّتْ وَصْفُهُ بِنَعْتِ الْجَمْعِ) وَلَا أَكْثَرَاتٍ بِمَا حَكَاهُ الْأَخْفَرُ فِي الدِّينَارِ الصَّغِيرِ
وَالدَّرَمِ الْبَيْضِ (لِأَنَّهَا الْجَمْعُ) أَوْ لِإِغْنَائِهَا عَنْ تَفْصِيلِ مُتَعَدِّ كَقَوْلِهِ :

تَبَوَّ طَمَرٌ يَوْمَ الْفَقَاءِ كَأَنَّهَا
أَوْ تَضَمُّنًا اعْتِبَارًا لَطِيفًا بِجَارِيَا كَقَوْلِهِ :

إِذَا كَوَّرْتُ الْخُفَّاءَ لَاحَ بِسُخْرِي سَهِيلٌ أَذَاعَتْ غَزَلَهَا فِي الْقَرَائِيسِ
(لِأَنَّهَا أَخْصَرُ طَرِيقٍ) وَالْحَبَامُ سَقَامُ اخْتِصَارِ (هَوَاىَ) حَوْزِ الْجَمْعِ بِنِ عِلَّةِ
الْخَلَرِ مِنْ آيَاتِ قَالَهَا وَتَمَامِهِ :

• جَنِيبٌ وَجَنَائِي بِمَكَّةَ مُؤْتَقٌ •

وَعَدَهُ :

عَجِبْتُ لِمَسْرَاقَا وَأَتَى تَخَلَّعْتُ	إِلَى وَبَابِ الشَّجْنِ دُونِي مُغْلَقُ
الْمَتِّ فَحَيْثُ نَمَ قَامَتْ فَوَدَّعْتُ	فَلَمْ تَوَلَّ كَادَتِ النَّفْسُ رَزَقُ
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَخَشَّمْتُ بَعْدَ كَمْ	لِيْلِي وَلَا أَنِّي مِنَ اللَّوْتِ أُنْفِقُ
وَلَا أَنَّ قَلْبِي يَزِدُّنِي وَهَيْدُمْ	وَلَا أَنِّي بِالْمَتَى فِي التَّيْدِ أُخْرِقُ
وَلَكِنْ عَرَّيْتُ مِنْ هَوَاكِ ضَامَةً	بِمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْكَ إِذْ أَنَا مُطْلَقُ

وَأَمَّا تَنْكِيرُهُ فَلِلْإِفْرَادِ نَحْوُ : وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْتَعِي . أَوْ
النُّوعِيَّةِ نَحْوُ : وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ . أَوْ التَّمْظِيمِ أَوْ التَّحْقِيرِ كَقَوْلِهِ :
لَهُ حَاجِبٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَشِينُهُ وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبٌ

والغضاية الحب والعشق ، وذهواني بمعنى مهوى ، فهو أنصر من الذي أهواه .
ونحوه ، ومصدق : مبعذ ذاهب في الأرض .

(فللأفراد) وقد ينكر لكون المقام غير صالح للتعريف إما لأنك لا تعلم
جهة من التعريف حقيقة أو تتجاهل ، وباب التجاهل في البلاغة عريق ، وإن
شئت فانظر لفظ كان في قول الخارجية :

أَيَا شَجَرَ الْخَبُورِ مَالِكٌ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَا تَجْزَعُ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ

ماذا ترى ؟ وإما لأنه يمنع من التعريف مانع كقوله .

إِذَا سَمِعْتَ مُهَذَّهً يَتِينَ لَطُوفُ الْخَمَلِ بِذَلِكَ شَمَالًا

لم يقل يمينه احتراراً عن التصريح بنسبة السامة إلى يمين المدحوح (رجل)
أى فرد من أشخاص الرجال (غشاة) أى نوع من الأغشية غير ما يتعارفه الناس
وهو غطاء النعاس عن آيات الله ، ورأى السكاكي أن التذكير للتعظيم أى غشاة
عظيمة تحجب أبصارهم بالكلية وبحول بينها وبين الإدراك ، وهذا أليق
(له حاجب) أى له حاجب أى حاجب وليس له حاجب ما ومثله قوله :

وَلَقَدْ مَنَى جَانِبٌ لِأُضْيَعُهُ وَلَقَدْ مَنَى وَالْخَلَاءَ جَانِبُ

والبيت لابن أبي السمت من أبيات منها :

فَتَى لَا يَبَالِي اللَّذِيجُونَ بِنُورِهِ إِلَى بَابِهِ أَنْ لَا تُضَى السَّوَاكِبُ

يَقْمُ عَنْ الْقَحْشَاءِ حَتَّى حُكَاةٌ إِذَا ذُكِرَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ غَائِبُ

أَوِ التَّكْثِيرِ كَقَوْلِهِ : إِنَّ لَهُ لَا إِلَهًا إِلَّا هُوَ . أَوْ التَّقْلِيلِ نَحْوُ :
وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ؛ وَقَدْ جَاءَ لِلتَّعْظِيمِ وَالتَّكْثِيرِ نَحْوُ : وَهَـ
يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ نُوحٌ ، أَيْ ذَوُو عَدَدٍ كَثِيرٍ وَأَيَّاتٍ عِظَامٍ .
وَمِنْ تَنْكِيرٍ غَيْرِهِ لِلْأَفْرَادِ أَوِ النَّوْعِيَّةِ نَحْوُ : وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ
مَلَكٍ ، وَالتَّعْظِيمِ نَحْوُ : فَأَذْنُونا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَالتَّحْقِيرِ نَحْوُ : إِنْ
نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا . وَأَمَّا وَصْفُهُ : فَلْيَكُونَتْهُ مَبِينًا لَهُ كَاشِفًا عَنْ مَعْنَاهُ ،

(ورضوان من الله أكبر) أى وشيء من رضوانه أكبر مما ذكر قبل من
الجنة ونفيسها لأن البعد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه
من النعم وإنما تنبأ له برضاه ، كما إذا علم بسخطه تنقصت عليه ولم يجد لها لذة
وإن عظمت (للتعظيم والتكثير) معاً (غيره) أى غير المسند إليه (كل دابة
من ملك) أى كل فرد من أفراد الدواب من نقطة معينة أو كل نوع من أنواع
الدواب أو كل من نوع من أنواع المياه . وهذا ومن تكثير غير المسند إليه للنعارة
وعدم التعيين قوله تعالى : أو اطرحوه أرضاً ، والتقليل قول المتنبي :

فَيَوْمًا يَخِيلُ تَطَرُّدُ الرُّومِ عَنْهُمْ وَيَوْمًا يَجُودُ تَطَرُّدُ الْفَقَرِ وَالْجُدْبَا

أى بعدد زور من خيولك وشيء يسير من فيضان جودك . . واعلم ، أنه
كما أن التكثير لإبهامه يفيد التعظيم والتحقير والتقليل ، كذلك لعطف البعض
كما في قوله :

تَرَكِ أُمُكِنَّةً إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضُ النَّفُوسِ حِمَامَهَا

كقولك : الجسم الطويل المريض العميق ، يحتاج إلى فراغ يشغله ونحوه في الكشف قوله :

الألمى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمع
أو تحسها نحو : زيد التاجر عندنا ، أو مدحا أو دما نحو : جاءني
زيد العالم أو الجاهل حيث يتمين الموصوف قبل ذكره . أو تأكيذا

أراد نفسه ، ونحو هذا كلام ذكره بعض الناصب . ونحو قولهم : كفى هذا
الامر بعض اهتمامه (في الكشف) وإن لم يكن وصفاً للسند إليه (الألمى)
قال ألمى الحديد الدان والقلب وقد أباه بقوله : الذى يظن بك الظن . حكى أن
الاصمى سئل عن الألمى فأنتد البيت ولم يرد : وهو لاوس بن حجر التميمي
من قصيدة يرى بها فضالة بن كعدة وأولها :

أيتها الذئب أجلى جرعا إن الذى تحذرين قد وقعا
إن الذى جمع السباحة والنهدة والبر والتقى نجما
أودى فآ تنفع الإشاعة من شوم لمن قد يحاول الدعا

الإشاعة : الحذر ، والبعد : الأمور الغريبة ومثل البيت قوله : إن الإنسان
خلق هلوفا إذا مسه الشر عزوا وإذا مسه الخير منوعا . قال الزعزعي : الملح :
سرعة الجزع عند من المكروه ، وسرعة المنع عند من الخير . من قولهم فاقه
هلوع : سريعة السير . وعن أحمد بن يحيى قال لى محمد بن عبد الله بن طاهر :
ما الملح ؟ قلت قد فرسه الله تعالى (حيث يتعين الخ) وإلا صار الوصف مخصصاً
هـ . وهذا وقد يكون الوصف لبيان المقصود وتفسيره ومنه قوله تعالى : وما من دابة

نحو: أَمْسِ الدَّائِرَ كَانَ يَوْمًا عَظِيمًا . وَأَمَّا تَوَكِيدُهُ : فَلِتَقْرِيرِ أَوْ دَفْعِ
تَوْهْمِ التَّجَوُّزِ أَوْ السَّبْوِ ، أَوْ عَدَمِ الشُّمُولِ * وَأَمَّا بَيَانُهُ : فَلِإِبْصَاحِهِ بِاسْمِهِ

في الأرضي ولا طائر يطير بجناحيه . قال في الكتاب : فإن قلت هلا قيل
وما من دابة ولا طائر إلا أم أمثالكم ، ومعنى زيادة قوله في الأرض ويطير
بجناحيه ؟ قلت : معنى ذلك زيادة التعميم والإحاطة كأنه قيل وما من دابة قط
في جميع الأرضين السبع وبما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه
إلا أم أمثالكم بحفظة أحوالها غير مهمل أمرها ، فلتقريره أى جعل المسند إليه
مستقراً محققاً ثابتاً بحيث لا يظن به غيره نجو جاءني زيد زيد إذا ظن المشكك
غفلة السامع عن سماع لفظ المسند إليه أو عن حمله على معناه (النحو) أى التكم
بالمجاز (أو عدم الشمول) أى أو لدفع توم عدم الشمول ، فأنت إنما : تقول
جاء القوم كلهم ، لأنك لو قلت جاء القوم وسكت لكان يجوز أن يتوم السامع
أنه قد تخلف بعضهم إلا أنك لم تعد به ، أو أنك جعلت الفعل الواقع من
البعض كالواقع من الجميع لكونهم في حكم الشخص الواحد كما يقال للقبيلة :
فعلتم وصنعتم . يراد فعل قد كان من بعضهم . وربما يجمع بين كل وأجمعين
بحسب اقتضاء المقام كقوله تعالى : فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، بناء على كثرة
الملائكة واستبعاد مجرد جميعهم مع تفرقهم واشتغال كل منهم بشأن وهذا يزداد
التعبير والتفريح على إبليس . واعلم أنهم لم يعنوا بظوهم التوكيد فبعد الشمول
أنه يوجب من أصله وأنه لولاه لما فهم الشمول من اللفظ وإلا لم يسم توكيداً
وإنما المعنى أنه يمتنع أن يكون اللفظ مقتضى الشمول مستعملاً على خلاف
ظاهراً ومتجوزاً فيه (بيانه) أى تقييده بلفظ البيان (فلا يباح) وقد يحى .

مُخْتَصَرٌ بِهِ نَحْوُ : قَدِيمٌ صَدِيقُكَ خَالِدٌ . وَأَمَّا الْإِبْدَالُ مِنْهُ :
فَلِزِيَادَةِ التَّقْرِيرِ نَحْوُ : جَاءَنِي زَيْدٌ أَخُوكَ ، وَجَاءَ الْقَوْمُ أَكْثَرُهُمْ ،
وَسُيِّلَ عَمْرُو قَوْمُهُ . وَأَمَّا الْعَطْفُ : فَمُتَفَصِّلٌ لِلتَّنْدِيدِ إِلَيْهِ مَعَ
اِخْتِصَارٍ ، نَحْوُ : جَاءَ زَيْدٌ وَعَمْرُو . أَوَّلُ التَّنْدِيدِ كَذَلِكَ نَحْوُ : جَاءَنِي زَيْدٌ

عطف البيان لغير الإيضاح كما في قوله تعالى : جعل الله الكعبة البيت الحرام
قياماً للناس . فقد ذكر اليعقوبي أن البيت الحرام عطف بيان للكعبة جيء به
للدخ لا للإيضاح ، كما تسمى الصفة لذلك . وذكر في قوله تعالى : ألا بعداً لعاد
قوم هود ، إنه عطف بيان لعاد ، وقائمه — وإن كان البيان حاصلًا بدونَه —
أن يوسموا بهذه الدعوة وسماً ، وتجعل فهم أنراً محققاً لا شبهة فيه بوجه من
الوجوه (فلزيادة التقرير) إنما عبر بذلك إيماء إلى أن البديل هو المقصود بالنسبة
والتقرير زيادة تحصل تبيناً وضماً ، أما التوكيد فإن الغرض منه نفس التقرير
(نحو جاءني زيد أخوك) مثال لبديل الكل والتقرير فيه ظاهر لما فيه من التكرير
ومثله — وهو من غير المسند إليه — قوله تعالى : اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين أنعمت عليهم . قال في الكشف : وقاعدة البديل التوكيد لما فيه من
التكرير والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين (وجاء
القوم أكثرهم) مثال لبديل البعض ، وقد حصل التقرير فيه بذكر ما اشتهل
عليه الأول بالدلالة الكلية ، فإن الأكثر بعض القوم (وسلب زيد ثوبه)
مثال لبديل الاستحالة ، وبيان التقرير فيه أن البديل منه يشعر به في الجملة ،
فالنفس قبل ذكره تتشوف لشيء يطلبه البديل منه ، فإذا ذكر كان
شكراً (كذلك) أي مع اختصار (نحو جاءني زيد فعمرو الخ)

فَعَمَرُوا أَوْ تَمَّ عَمَرُو، أَوْ ج. نى القَوَّةَ حَتَّى خَالَدَ : أَوْ رَدَّ السَّامِعَ إِلَى الصَّوَابِ
نَحْوُ : جَاءَنِي زَيْدٌ لَا عَمْرُو، أَوْ صَرَفَ الْحُكْمَ إِلَى آخَرٍ نَحْوُ : جَاءَنِي زَيْدٌ
بَلْ عَمَرُو، وَمَا جَاءَنِي عَمَرُو بَلْ زَيْدٌ : أَوْ الشَّكُّ، أَوْ التَّشْكِيكُ لِلسَّامِعِ
نَحْوُ : جَاءَنِي زَيْدٌ أَوْ عَمْرُو * وَأَمَّا فَصْلُهُ : فَيَتَخَصَّصُ بِهِ الْمُسْنَدُ .

فالقاء وثم وحتى تفترك في تفصيل المسند وتختلف من جهة أن القاء
تدل على أن ملازمة الفعل للتابع بعد ملازمة للتبوع بلا مية ، وثم كذلك مع
مهمة وحتى مثل ثم إلا أن فيها دلالة على أن ما قبلها ما ينقض شيئاً فشيئاً إلى
أن يبلغ ما بعدها (جاءني زيد لا عمرو) تقول ذلك لمن زعم أن عمراً جاءك دون
زيد أو أنهما جاءك جميعاً . ومثل أن تقول : ما جاءني زيد لكن عمرو ، فإنك
تخاطب به من يعتقد أن زيدا جاءك دون عمرو (آخر) أي محكوم عليه آخر
(نحو جاءني زيد بل عمرو) . اعلم أن بل إذا تقدمها لإيجاب جعلت ما قبلها
كالسكوت عنه عند الجمهور أو مقطوعاً بنفى الحكم عنه عند ابن الحاجب وأثبتت
الحكم لما بعدها عند الجميع ، وإن تقدمها نفي أو نهي فهي لتقرير ما قبلها على
حالته وجعل ضده لما بعدها . وعند المبرد أنها تنقل معنى النفي والنهي لما بعدها
(أو الفك) أي شك المتكلم (أو التشكيك للسامع) إلى إيقاعه في الشك . يبق
الإيهام كقوله تعالى : ولما أو لياكم لعل هدى أو في ضلال مبين . والإباحة
والتخيير مثل قولك : يدخل النار زيد أو عمرو ، والفرق بينهما واضح ، فإن
الإباحة لا تمنع من الإتيان بالبعينين أو الأشياء جميعاً (فصله) أي تعقيبه بضمير
الفصل (فتخصيصه بالمسند) أي تقصر المسند على المسند إليه . وقد يكون الفصل
للتأكيد لحسب وذلك إذا كان التخصيص حاصلًا بدون أن يكون في الكلام

وَأَمَّا تَقْدِيمُهُ : فَمِنْ كَوْنِ ذِكْرِهِ أَمَّ ، لِأَنَّهُ الْأَصْلُ وَلَا مُتَقَفًى
لِلْعُذُولِ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا لَيْتَمَكَّنَ الْخَبِيرَ فِي ذَهْنِ السَّامِعِ ، لِأَنَّهُ فِي الْبُتْدَةِ
تَشْوِيقًا إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ :

وَالَّذِي حَارَتِ الدَّرِيَّةُ فِيهِ حَيَوَانَ مُسْتَحْدَثٍ مِنْ جَدَادٍ
وَإِنَّمَا لِيَتَحِيلَ لِلسَّرَةِ أَوَّالُ الْمَسَاءِ لِلتَّفَاوُلِ أَوْ التَّطَلُّرِ ، نَحْوُ : سَمَدٌ فِي دَارِكَ ،
وَالشَّفَاحُ فِي دَارِ صَدِيقِكَ ، وَإِنَّمَا لِإِيْنَاهُمْ أَنَّهُ لَا يَزُولُ عَنْ الْخَطِّيرِ أَوْ

ما يفيد قصر المسند على المسند إليه نحو : إن الله هو الرزاق ، أو قصر المسند
إليه على المسند كقول أبي العلي :

إِذَا كَانَ الشَّابُّ الشُّكْرَ وَالشَّيْبُ هَمًّا فَالْحَيَاءُ هِيَ الْحِمَامُ

وواعلم ، أن مثل هذه المباحث المذكورة في العطف والعصل ولو بينت
في النحو فإنها تذكر في البيان باعتبار استعمالها لمناسبة الحال . وهكذا كل ما
ماثلها في ذلك (تقديمه) اعلم أن التقديم في باب البلاغة القدرح المحل فإنه
لا يزال يتردد عن بديسة ، ويضعى بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعراً
بروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعة ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف
عندك أن قبم فيه شيء وحول القبط عن مكان إلى مكان (والذي) البيت
لأبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المهرى ، من أبيات يرقى بها قتيماً
جنفياً والمقصود بالخيران في البيت هو الإنسان كما لا يخفى ، والحكمة الواضحة فيه
من وجهة نياط النفس بالجسم . هنا ، وقد جعل السكاكي البيت شاعداً ليكون

أَنَّهُ يُسْتَلْذَبُ ؟ وَإِنَّمَا لِنَحْوِ ذَلِكَ . عَبْدُ الْقَهْرِ : وَقَدْ يُقَدَّمُ لِيُفِيدَ تَخْصِصَهُ
بِالتَّخْبِيرِ الْفِعْلِيِّ إِنِّ وَلِيَّ حَرْفِ النَّقْلِ نَحْوُ : مَا أَنَا قُلْتُ هَذَا ، أَيْ لَمْ أَقُلْهُ مَعَ
أَنَّهُ مَقُولٌ لِنَفْسِي ، وَلِهَذَا لَمْ يَصَحَّ مَا أَنَا قُلْتُ هَذَا وَلَا غَيْرِي ، وَلَا : مَا أَنَا

المستدل إليه موصولا وهو أحسن (وإما لنحو ذلك) مثل الدلالة على أن المطلوب
إنما هو انصافه بالخبر لا نفس الخبر ، كما إذا قيل لك : كيف الزاهد ؟ فنقول :
الزاهد يشرب ويعطرب ، ومثل إفادة زيادة تخصيص كقوله :

مَتَى تَهَيَّزُ زَيْنِي قَطَنَ تَحْدَثُهُمْ سَيُوفًا فِي عَوَاتِقِهِمْ سَيُوفُ
جُنُوسٍ فِي تَجَالِيهِمْ رِزَافٌ وَإِنْ صَيَّفَ أَلَمَ فَهُمْ خُفُوفُ

قَالَ السَّكَاكِيُّ (وَقَدْ يَقْدُمُ الْخ) هَذَا مَعْرَى كَلَامِ عَبْدِ الْقَاهِرِ لَا لِقَطْعِهِ .
(تَخْصِصُهُ بِالْخَبَرِ الْفِعْلِيِّ) أَيْ قَصْرُ الْخَبَرِ الْفِعْلِيِّ عَلَيْهِ (وَلِيَّ حَرْفِ النَّقْلِ) أَيْ وَقَعَ
بَعْدَ حَرْفِ النَّقْلِ بِلَا فَصْلِ (أَيْ لَمْ أَقُلْهُ الْخ) فَأَعَادَ التَّقْدِيمَ نَقْلَ الْفِعْلِ عَنْكَ وَمَبُوتَهُ
لِنَفْسِكَ ، فَلَا تَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا فِي شَيْءٍ يَبْتَغِي أَنَّهُ مَقُولٌ وَأَنْتَ تَرِيدُ نَقْلَ كَوْنِكَ
قَائِلًا لَهُ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

وَمَا أَنَا أَتَقَمْتُ جِسْمِي بِهِ وَلَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا

الْمَعْنَى عَلَى أَنَّ السَّعْمَ ثَابِتٌ مُوجُودٌ وَلَيْسَ الْقَصْدُ بِالنَّقْلِ إِلَيْهِ وَلَكِنْ إِلَى أَنَّ
يَكُونُ هُوَ الْجَانِبَ لَهُ وَيَكُونُ قَدْ جَرَّ إِلَى نَفْسِهِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ :

• وَمَا أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشَّعْرِ كَلَّةً •

الشَّعْرُ مَقُولٌ عَلَى الْقَطْعِ وَالنَّقْلِ لِأَنَّهُ يَكُونُ هُوَ وَحْدَهُ الْقَائِلَ لَهُ (لَمْ يَصَحَّ
مَا أَنَا قُلْتُ هَذَا وَلَا غَيْرِي) لِمُنَاقَضَةِ مَنْطُوقِ الثَّانِي مِنْهُيْمِ الْأَوَّلِ . وَالَّذِي يَصَحُّ
عِنْدَ قَصْدِ هَذَا الْمَعْنَى أَنْ يَقَالَ : مَا قُلْتُ أَنَا وَلَا أَحَدٌ غَيْرِي (وَلَا مَا أَنَا رَأَيْتَ

رَأَيْتُ أَحَدًا، وَلَا : مَا أَنَا ضَرَبْتُ إِلَّا زَيْدًا، وَإِلَّا فَقَدْ يَأْتِي لِتَخْصِصِ رَدِّهَا
حَتَّى مَنْ زَعَمَ أَفْرَادَ غَيْرِهِ بِهِ، أَوْ مُشَارَكَتَهُ فِيهِ نَحْوُ : أَنَا سَمِعْتُ فِي حَاجَتِكَ
وَيُؤَكِّدُ عَلَى الْأَوَّلِ بِنَحْوِ لَا غَيْرِي، وَعَلَى الثَّانِي بِنَحْوِ وَحْدِي ؛ وَقَدْ يَأْتِي

أَحَدًا) لِأَنَّهُ يَقْتَضِي الْحَالِ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ إِنْسَانٌ غَيْرُ الْمُتَكَلِّمِ قَدْ رَأَى كُلَّ أَحَدٍ
مِنَ النَّاسِ لِأَنَّهُ قَدْ نَوَى عَنِ الْمُتَكَلِّمِ الرُّوْيَةَ عَلَى جِهَةِ السَّمْعِ فِي الْمَفْعُولِ لِأَنَّ التَّنْكِيرَ
فِي سِيَاقِ النَّقْيِ تَمَّ فَيَجِبُ أَنْ تُثَبِّتَ لِنِيَرِهِ عَلَى جِهَةِ السَّمْعِ فِي الْمَفْعُولِ (وَلَا بَأْأَنَا
'ضَرَبْتُ إِلَّا زَيْدًا') لِأَنَّ نَقْضَ النَّقْيِ بِالْأَلَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْقَائِلُ لَهُ قَدْ ضَرَبَ
زَيْدًا وَإِلْبَاءَ الضَّمِيرِ حَرْفَ النَّقْيِ يَقْتَضِي أَنْ لَا يَكُونَ ضَرْبُهُ وَذَلِكَ تَنَاقُضٌ .
(وَالْأَلَا) قَدْ عَلَتْ أَنْ الْمُسْتَدَّ إِلَيْهِ الْمَقْدَمُ إِنْ وَلَّ حَرْفَ النَّقْيِ فَهُوَ يَفِيدُ التَّخْصِصَ
أَبْلَغَ وَإِنْ لَمْ يَلِ حَرْفَ النَّقْيِ بَأَنَّ لَا يَكُونَ نَمَّ نَقْيٍ أَصْلًا أَوْ يَكُونَ حَرْفَ النَّقْيِ
مَتَأَخَّرًا عَنِ الْمُسْتَدِّ إِلَيْهِ فَقَدْ يَفِيدُ التَّخْصِصَ وَقَدْ يَفِيدُ التَّقْوَى (غَيْرِهِ) أَيْ غَيْرِ
الْمُسْتَدِّ إِلَيْهِ (بِهِ) أَيْ بِالْخَبَرِ الْفَعْلِ (وَيُؤَكِّدُ عَلَى الْأَوَّلِ) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ
لِلرَّدِّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَفْرَادَ الْغَيْرِ . (وَعَلَى الثَّانِي) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ
الْمُشَارَكَةَ، فَإِنْ قُلْتُ أَنَا فَعَلْتُ كَذَا وَحْدِي فِي قُوَّةِ أَنَا فَعَلْتُهُ لَا غَيْرِي فَلَمْ اخْتَصِ
كُلَّ مِنْهُمَا بِرُوحِهِ مِنَ التَّوَكُّيدِ دُونَ وَجْهِ ؟ فَإِنَا نَقُولُ لِأَنَّ جَدْوَى التَّوَكُّيدِ لَمَّا كَانَتْ
إِمَاعَةً شَبْهَةً خَالَجَتْ قَلْبَ السَّامِعِ وَكَانَتْ فِي الْأَوَّلِ أَنَّ الْفَعْلَ صَدَرَ مِنْ غَيْرِكَ
وَفِي الثَّانِي أَنَّهُ صَدَرَ مِنْكَ بِشَرَكَةِ الْغَيْرِ أَكَلْتُ وَأَمَطْتُ الشَّبْهَةَ فِي الْأَوَّلِ بِقَوْلِكَ
لَا غَيْرِي وَالثَّانِي بِقَوْلِكَ وَحْدِي لِأَنَّهُ عَزَّهَ وَلَوْ عَكَسْتَ أَهْلَكَ . هَذَا، وَمِنَ الْبَيِّنِ
فِي ذَلِكَ قَوْلُهُمْ فِي اللَّتْلِ :

التَّوْبَةُ الْمَكْتُومَةُ : هُوَ يُعْطَى الْجَزِيلُ . وكذا إذا كَانَ التَّعْمَلُ مَنِيًّا

« أَتَدُلُّنِي » يَصْبِي أَنَا حَرَشْتُه .

(نحو هو يعطى الجزيل) فأنت لا تريد أن غيره لا يعطى الجزيل ولا أن تعرض بإنسان ولكن تريد أن تقرر في ذهن السامع وتحقق أنه بفعل إعطاء الجزيل . وسلب التقوى على ما ذكره الشيخ عبد القاهر هو أن الاسم لا يؤتى به معرى من الأموال إلا بالحديث قد نوى إسناده إليه فإذا قلت عباده فقد أشعرت قلب السامع بذلك أنك تزيد الحديث عنه فهذا توطئة له وتقدمة للإعلام به ، فإذا جئت بالحديث قلت : قام مثلاً دخل على القلب دخول المأنوس به وذلك لا محالة أشد لثبوته وأنى تشبهه وأمنع شكك . وجهة الأمر أنه ليس بالإعلامك بالشيء بقية مثل الإعلام به بعد التنبيه عليه لأن ذلك يجرى بجرى تكرير الإعلام في التأكيد والأحكام . قال : ويشهد لما قلنا أنا إذا تأملنا وجدنا هذا الضرب من الكلام يجرى فيما سبق فيه إظهار من منكر أن يقول الرجل : ليس لي علم بالذي تقول ، فنقول : أنت تعلم أن الأمر على ما أقول ولكنك تميل إلى تخصمي ، ويحيى فيما اعترض فيه شك نحو أن تقول للرجل : كأنك لا تعلم ما صنع فلان ولم يبلغك ، فيقول : أما أعلم ولكني أداريه ، وفي تكذيب مدح كقولهم عز وجل : وإذا جاءكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ، فإن قولهم آمنا دعوى منهم أنهم لم يخرجوا بالكفر كما دخلوا به .

(١) المثل بقوله العالم بالشيء لمن يريد تعليمه إياه ، وحرص الضم واحتش : صاده بالحيلة المعروفة . وهي أن يحرك يده على باب جبره ليظنه حجة فيخرج ذنبه ليضربه فيأخذه . . .

فللموضع موضع تكذيب ، وفيما القياس في مثله أن لا يكون كقولہ تعالى : والذين
اتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون . وذلك أن عبادتهم لها
تقتضى أن لا تكون مخلوقة ، وفيما يستغرب من الامر نحو أن تقول : الا تصعب
من فلان يدعى العظيم وهو يمي باليسير ويرغم أنه شجاع وهو يفرغ من أدنى
شيء . وفي الوعد والضمان كقول الرجل : أنا أعطيك أنا أكفيك ، وذلك أن
من شأن من تعدده وتضمن له أن يعترضه الشك في تمام الوعد وفي الوفاء به فهو
من أحوج شيء إلى التأكيد ، وفي المدح والافتخار كقول الحماسي :

مُمْ يَمْرُؤُونَ^(١) اللَّبْدَ كُلَّ طَيْرَةٍ وَأَجْرَدَ سَبَاحٍ يَبْذُ الْغَالِيَا
وقوله :

فَمَا يَلْبَسَانِ الْمَجْدَ أَحْسَنَ لِبَسَةٍ تَحِيحَانِ مَا شَطَاعَا عَلَيْهِ كَلَامَا
وقوله :

مُمْ يَضْرِبُونَ الْكَبِشَ تَبْرِقُ بَيْنَهُ

عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الدَّمَاءِ سَابِيبٌ^(٢)

وذلك أن من شأن المادح أن يمنع السامعين من الشك فيما يمدح به ويبيدهم
عن الشبهة ، وكذلك المفتخر كقول طرفة :

(١) البد : الصوف . وقلم جرت العادة بوضع قطعة منه على ظهر الفرس
لمحسب السرج لئنه . والطيرة : الفرس الجواد . والأجرد : الفرس القصير الشعر .
والسباح : الذي يشبه عدوه السباحة ويبد : يغلب .

(٢) الكبش : رئيس الجيش يتركوه قنبلاً . والسباب جمع سبية .
الترب : يشبهون بها طراقي الدم .

نحو: أَنْتَ لَا تَكْذِبُ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ لَنِي الْكَذِبِ مِنْ لَا تَكْذِبُ، وَكَذَا مِنْ لَا تَكْذِبُ أَنْتَ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا كَيْدُ الْحُكْمِ عَلَيْهِ لَا الْحُكْمُ؛ وَإِنْ بَيَّنَّ الْفِعْلُ عَلَى مُكْرَرٍ أَبَادَ تَحْصِيصَ الْجِنْسِ أَوْ الْوَاحِدِ بِهِ، نَحْوُ رَجُلٍ

نَحْنُ فِي الْمَشَاءِ نَدْعُو الْجَلِّيَّ *

المشاة: مكان الشتاء أو زمانه. والجَلِّي: الدعوة العامة إلى الطعام (نحو أنت لا تكذب) مثله قوله تعالى: والذين هم بربهم لا يشركون، فإنه يفيد من التأكيد في نفي الإشتراك مالا يفيد قولنا والذين لا يشركون بربهم ولا قولنا والذين بربهم لا يشركون (لأنه) أي فقط أنت في لا تكذب أنت (لتأكيد المحكوم عليه) ثلاث يوم أنه غير ضميم المخاطب وأستد الحكم للضمين مجزئاً أو سهواً أو نسياناً (وإن بنى الفعل على منكر) يعني إن أخبر بالفعل بن منكر أفاد تخصيص الجنس أو الواحد به نحو، رجل جاءني أي لا امرأة أو لا رجلان، وذلك لأن أصل النكرة أن تكون لواحد من الجنس فيقع التقصد بها تارة إلى الجنس فقط. كما إذا كان المخاطب بهذا الكلام قد عرف أن أذاك آت ولم يدرك أنه رجل هو أم امرأة، أو اعتقد أنه امرأة. وتارة إلى الواحد فقط، كما إذا عرف أن قد أذاك من هو من جنس الرجال ولم يدرك أنه رجل هو أم رجلان أو اعتقد أنه رجلان، وبعد: فالحاصل كلام عبد القاهر أن الاسم إذا قدم على الفعل فإن ولي حرف النفي أفاد التقديم أن نفي الفعل مخصوص بهذا الاسم، وإن لم يل حرف النفي اقتضى ذلك أن يكون التقصد إلى الفاعل إلا أن المعنى من هذا التقصد ينقسم قسمين: أحدهما ما يفيد تخصيص لحوى الفعل بالاسم لرد على من زعم اغتراف غيره به أو مشاركته فيه، الثاني ما لا يفيد إلا تقوى

جاءني ، أي لامرأة أو لا رجلا . ووافق السكاكي على ذلك ، إلا أنه قال : التقديم يفيد الاختصاص ، إن جاز تقدير كونه في الأصل مؤخرًا على أنه فاعل متفق قط نحو : أنا قت ، وقدر ، وإلا فلا يفيد إلا تنويع الحكم ، سواء جاز كما مر ولم يقدر ، أو لم يجوز يجوزيد قام ؛ واستثنى المنكر بجمله من باب : وأسرثوا التجوى الذين ظلموا ، أي على القول

الحكم وتحريره في ذهن السامع وهكذا أيضاً الفعل المنى فإذا قلت أنت لا تحسن هذا كان أشد لني إحسان ذلك عنه من أن تقول لا تحسن هذا حتى لو أبيت بآنت فيما بعد تحسن فقلت لا تحسن أنت لم يكن له تلك القوة هذا كله إذا بني الفعل على معرف ، فإن بني على منكر أفاد التقديم تخصيص الجنس أو الواحد بالفعل كاعلت (على ذلك) أي على أن التقديم يفيد التخصيص والتنويع (إلا أنه قال) حاصل مذهبه أن المسند إليه المقدم إن كان نكرة فهو التخصيص إن لم يمنع منه مانع وإن كان معرفة فإن كان مظهراً فلا يكون التخصيص البتة وإن كان مضمرًا فإن قدر كونه في الأصل مؤخرًا فهو التخصيص وإلا فالتنوي (نحو أنا قت) فإنه يجوز أن يقدر أصله قت أنا ، على أن أنا تأكيد للعامل الذي هو التاء في قت فيكون فاعلاً في المنى وإن كان تأكيداً في اللفظ (وقدر) مطوف على جاز يقول إن إعادة التخصيص تتوقف على شيئين أحدهما جواز التقديم ، والآخر حصول ذلك التقديم من المتكلم (نحو زيد قام) فإنه لا يجوز أن يقدر أن أصله قام زيد قدم ، لأنه يلزم عليه تقديم العامل الفعلي وهو لا يجوز (واستثنى الخ) لما كان منزه كلامه قبل أن لا يكون نحو رجل

بالإبدالِ مِنَ الصَّيْرِ لِثَلَا يَنْتَقِي التَّخْصِصُ إِذْ لَا سَبَبَ لَهُ سِوَاهُ ، بِخِلَافِ
لِلْمَعْرِفِ ؛ ثُمَّ قَالَ : وَشَرْطُهُ أَنْ لَا يَمْنَعَ مِنَ التَّخْصِصِ مَانِعٌ ، كَقَوْلِنَا
رَجُلٌ جَاءَنِي ، عَلَى مَا مَرَّ ، دُونَ قَوْلِهِمْ : شَرٌّ أَهْرَ ذَا نَابٍ ، أَمَّا عَلَى التَّقْدِيرِ
الْأَوَّلِ فَلَا مِتْنَاعَ أَنْ يُرَادَ لِلْمَهْرِ شَرٌّ لَا خَيْرَ ، وَأَمَّا عَلَى الثَّانِي فَلْيَنْبُوْهُ هِيَ
مَقْلَانٌ اسْتِثْنَاهُ ؛ وَإِذْ قَدْ صَرَّحَ الْأُئِمَّةُ بِتَخْصِصِهِ حَيْثُ تَأَوَّلُوْهُ بِمَا أَهْرَ
ذَا نَابٍ إِلَّا شَرٌّ ، فَاتَّوَجَّهَ تَطْلِيْعُ شَأْنِ الشَّرِّ بِتَنْكِيرِهِ . وَفِيهِ نَظَرٌ ، إِذِ الْفَاعِلُ

جاءني مفيداً للتخصيص لأنه إذا أخر فهو فاعل لفظاً لا معنى استثناء بأن قدر
أصله جاءني رجل ، لا على أن رجل فاعل جاءني بل على أنه بدل من الفاعل
الذي هو الضمير المستتر في جاءني ، فيكون فاعلاً معنى ، كما قيل في قوله تعالى :
وَأَسْرَوْا النِّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا : إِنْ الَّذِينَ ظَلَمُوا بَدَلُ مِنَ الْوَاوِ فِي أَسْرَوْا ، وَفَرَّقَ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْرِفِ بِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَقْدِرْ ذَلِكَ فِيهِ انْتَقَى تَخْصِصُهُ إِذْ لَا سَبَبَ لِتَخْصِصِهِ
سِوَاهُ ، وَلَوْ انْتَقَى تَخْصِصُهُ لَمْ يَقْعِ مَبْتَدَأُ بِخِلَافِ الْمَعْرِفِ لَوْجُودِ شَرْطِ الْإِبْتِدَاءِ
فِيهِ وَهُوَ التَّعْرِيفُ (وَشَرْطُهُ) أَيْ شَرْطُ جَمْعِ الْمُنْكَرِ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَاعْتِبَارِ
التَّيْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ فِيهِ (عَلَى مَا مَرَّ) مِنْ أَنَّ مَعْنَاهُ رَجُلٌ جَاءَنِي لَا امْرَأَةً أَوْ لَا
رَجُلَانِ (شَرٌّ أَهْرَ ذَا نَابٍ) هَذَا مِثْلُ يَضْرِبُ فِي ظُهُورِ أَمَارَاتِ الشَّرِّ وَخِطَابِهِ ،
وَأَمْرُهُ : حَلَهُ عَلَى الْمَهْرِ ، وَهُوَ التَّصْوِيتُ ، وَذُو النَّابِ : السَّبْعُ (الْأَوَّلُ) يَنْبُو
تَخْصِصِ الْجِنْسِ (الثَّانِي) يَنْبُو الْوَاحِدَ (فَلْيَنْبُوْهُ) لِأَنَّهُ لَا يَقْعُدُ بِهِ أَنَّ الْمَهْرَ شَرٌّ
لَا شَرَّانَ (تَطْلِيْعُ شَأْنِ الشَّرِّ بِتَنْكِيرِهِ) لِأَنَّ التَّنْكِيرَ كَمَا يَحْتَقِ بِغَيْدِ التَّعْظِيمِ وَالتَّهْوِيلِ
فَيَكُونُ الْمَعْنَى شَرٌّ عَظِيمٌ أَهْرَ ذَا نَابٍ لَا شَرَّ خَيْرٍ ، فَيَكُونُ تَخْصِصاً نَوْعِيّاً هَذَا .

اللفظي والمعنوي سواء في امتناع التقديم ما بقيا على حالهما ، فمخوِّزٌ
تقديم المعنوي دون اللفظي تحكُّمٌ ؛ ثم لا نسلم انتفاء التخصيص لولا
تقدير التقديم ، لحصوله بغيره كما ذكرته ؛ ثم لا نسلم امتناع أن يراد
المهر شرًّا لآخر . ثم قال ؛ ويقرَّبُ من هو قائم ، زيد قائم ، في التقوى
ليضمَّنه الضمير ؛ وشبهه بالخالي عنه من جهة عدم تغيُّره في التكلم

ولأن لا يجب من السكاكي عفاؤه عنه حيث أسمع جمعة ولا أرى طعنا .
وليت شعري ما الذي حدا به إلى مخالفة الإمام عبد القاهر حتى وقع في ذلك
الخطب الظاهر ، وبعد ، فإذا على المصنف لو أنه ثبت مذهبه هنا بين سطور
كتابه (والمعنوي) كالتأكيد والبدل (ما بقيا على حالهما) أي مادام التفاعل فاعلا
والتابع تابعا (تحكُّم) أي حكم بلا موجب (انتفاء التخصيص) يعني في نحو
رجل جاءني (كما ذكره) أي السكاكي في بيان وجه الخصوص في قولهم شرَّاهر
ذا ناب من التهويل والتفطيع (ثم لا نسلم امتناع أن يراد المهر شرًّا لآخر) قال
الشيخ عبد القاهر إنما قدم شر لأن المراد أن يعلم أن الذي أمر ذا ناب هو من
جنس الشر لا من الخير ، مجرى مجرى أن تقول رجل جاءني ، تريد أنه رجل
لا امرأة ، وقول العلماء إنه إنما صلح لأنه بمعنى ما أمر ذا ناب إلا شر بيان
لذلك ، وهذا صريح في خلاف ما ذكره السكاكي (ثم قال) هاك ما قاله
السكاكي في حقتنا بعد تقرير التقوى في نحو هو قام لما فيه من الإستاد مرتين .
ويقرَّب من قبيل أنا عرفت وأنت عرفت وهو عرف في اعتبار تقوى الحكم
زيد عارف ؛ وإنما قلت يقرَّب دون أن أقول نظيره لأنه لا لم يتفاوت في التكلم

وَالْخَطَابِ وَالْعَيْتَةِ : ولهذا لم يحكم بأنه جملة ، ولا عومل بمعاملتها في البناء .
وَمَا يَرَى تَقْدِيمَهُ كَاللَّامِ ، لَفْظُ مِثْلُ وَغَيْرُهُ ، في نحو : مِثْلُكَ لَا يَبْخُلُ ، وَغَيْرُكَ
لَا يَجُودُ ، بِمَعْنَى أَنْتَ لَا تَبْخُلُ وَأَنْتَ تَجُودُ ، مِنْ غَيْرِ إِزَادَةِ تَعْرِيضٍ لِغَيْرِ

وَالْخَطَابِ وَالْعَيْتَةِ فِي أَنَا عَارِفٌ وَأَنْتَ عَارِفٌ وَهَذَا عَارِفٌ أَشْبَهَ الْخَالِ عَنْ
الضَّمِيرِ ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَحْكَمْ عَلَى عَارِفٍ بِأَنَّهُ جَمْلَةٌ وَلَا عُمِلَ بِمَعَامِلَتِهَا فِي الْبِنَاءِ حَيْثُ
أَعْرَبَ فِي نَحْوِ رَجُلٍ عَارِفٍ رَجُلًا عَارِفًا رَجُلٌ عَارِفٌ (مِثْلُ وَغَيْرِ) إِذَا اسْتَعْمَلَا
عَلَى سَبِيلِ الْكِنَايَةِ (فِي نَحْوِ مِثْلِكَ لَا يَبْخُلُ) عَمَّا لَا يَرَادُ بِلَفْظِهِ مِثْلُ إِنْسَانٍ غَيْرِ
مَا أَصِيفَ إِلَيْهِ وَلَكِنْ أُرِيدَ أَنْ مَنْ كَانَ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا كَانَ مِنْ مَقْتَضَى
الْقِيَاسِ أَنْ يَفْعَلَ مَا ذَكَرَ أَوْ أَنْ لَا يَفْعَلَ وَلَكُونِ الْمَعْنَى هَذَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَمْ أَقُلْ مِثْلُكَ أَغْنِي بِي سِوَاكَ يَا فَرْدًا فِي تَحَايِيهِ
وعايناه قول المتنبي :

مِثْلُكَ يَنْتَنِي الزَّنَّ عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنْ غُرْبِهِ
(وَغَيْرُكَ لَا يَجُودُ) مِثْلُهُ قَوْلُ الْمَتَنِ :

• غَيْرِي بِأَسْكَرٍ هَذَا النَّاسُ يَنْخَدِعُ •

فإنه معلوم أنه لم يرد أن يعرض بواحد هناك فيصفه بأنه ينخدع ، بل أراد
أنه ليس عن ينخدع ، وكذا قول أبي تمام :

وَعَيْرِي بِأَسْكَلِ الْمَرْؤُفِ سَحْتًا وَتَشَعَّبُ عِنْدَهُ يَبْغِضُ الْأَيْدِي

فإنه لم يرد أن يعرض بشاعر سواه ، فيزعم أن الذي عرف به عند المدح
من أنه مجاهد كان من ذلك الشاعر لا منه بل أراد أن ينفي عن نفسه أن يكون

المخاطب ، لِيَكُونَهُ أَغْوَى عَلَى اللُّرَادِ بِهِمَا « قِيلَ » ، وَقَدْ يُقَدَّمُ لِأَنَّهُ دَالٌّ عَلَى الْعُمُومِ نَحْوُ : كُلُّ إِنْسَانٍ لَمْ يَقُمْ ، بِخِلَافِ مَا لَوْ أُخِّرَ نَحْوُ : لَمْ يَقُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ ، فَإِنَّهُ يُفِيدُ نَقْيَ الْحُكْمِ عَنْ جُمْلَةِ الْأَفْرَادِ ، لَا عَنْ كُلِّ فَرْدٍ ، وَذَلِكَ لِثَلَاثٍ يَلْزَمُ تَرْجِيحُ الْأَكِيدِ عَلَى التَّائْسِيسِ ، لِأَنَّ الْمَوْجِبَةَ الْمُهِمَّةَ الْمَعْدُولَةَ

عن يكفر بالعدة ويلزم . هذا ، واستعمال مثل وغير هكذا مركوز في الطباع وإذا تصفحت الكلام وجدتهما بقدما ن أبداً على الفعل إذا نحى بهما نحو ما ذكرناه ولا يستقيم المعنى فيما إذا لم يقدم ، والر في ذلك أن تقديمهما يفيد تقوى الحكم كما سبق تقريره ، وسيأتى أن المطلوب بالكناية في مثل قولنا مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود هو الحكم ، وأن الكناية أبلغ من التصريح فيما قصد بهما ، فكان تقديمهما أغوى للمعنى الذى جلبنا لأجله (قيل) القائل ابن مالك وجماعة (نحو كل إنسان لم يتم) فتقديم كل إنسان على لم يتم يفيد نقي القيام عن كل الناس (وذلك لثلا يلزم الخ) يقول هذا القائل . إنه لو لم يكن التقديم مفيداً للعموم النقي والتأخير مفيداً لنقي العموم للزم ترجيح التأكيد على التأسيس . ومعلوم أن التأسيس الذى هو إنشاء معنى لم يكن حاصلًا قبل أرجح من التأكيد الذى هو إعادة ما قد حصل ، لأن الإفادة خير من الإعادة . وبيان اللزوم في التقديم ، أن قولنا إنسان لم يتم ، موجهة مهمة معدولة المحمول ، أما أنها موجهة فلاه حكم فيها بثبوت عدم القيام لإنسان . وأما أنها مهمة فلاه أهل فيها بيان كية أفراد المحكوم عليه ، وأما أنها معدولة المحمول فلأن حرف السلب قد جعل جزأ من المحمول ، وإذا كانت كذلك كان معناها السلب عن جملة الأفراد من غير تعرض لكليتها ولا لجزئيتها والمحقق منها السلب عن البعض

المحمول في قوة السالبة الجزئية المستزمنة نفي الحكم عن الجملة دون كل فرد ، والسالبة المهيمنة في قوة السالبة السكلية المقتضية لنفي عن كل فرد ، لزود موضوعها في سياق النفي ، وفيه نظر ، لأن النفي عن الجملة في العنونة الأولى وعن كل فرد في الثانية ، إنما أفادة الإشناد

فهي في قوة السالبة الجزئية المستزمنة نفي الحكم عن الجملة البتة ، لأن مفهومها سلب الحكم عن بعض الأفراد ، كقولنا ليس بعض الإنسان بقائم . وهذا المعنى يصدق عند انتفاء الحكم عن بعض الأفراد دون بعض وعند انتفائه عن كل فرد وعلى كل حال يصدق النفي عن جملة الأفراد أى عن مجموعها على طريق السلب المسلط على الإيجابات الكلية وإذا كان ذلك كذلك كانت المهمة والجزئية متلازمين لأنه كلما صدق السلب عن البعض الذي هو مفاد الجزئية صدق ثبوت السلب للصدق في الجملة الذي هو مفاد المهمة ، وكلما صدق ثبوت السلب المصدق في الجملة صدق السلب عن البعض .

فيتحقق بهذا أن الموجبة المهمة المدولة المحمول السلب عن الجملة لا عن كل فرد . فلو كان إنسان لم يعم بعد دخول كل أيضاً معناه كذلك كان كل منيذاً للنفي الحاصل قبله . فيجب أن يحمل على نفي الحكم عن كل فرد ليكون كل لتأسيس معنى آخر ترجيحاً للتأخير على التأكيد . وبيان الزوم في التأخير ، أن مولنا لم يعم إنسان سالبة مهمة والسالبة في قوة السالبة السكلية المقتضية لنفي عن كل فرد مثل لا شيء من الإنسان بقائم وإنما كانت تلك في قوة هذه لورود موضوعها وهو منكورة في سياق النفي ، والمنكورة في سياق النفي تم . ففني لم يعم لإنسان نفي الحكم عن كل فرد ، فلو كان بعد دخول كل أيضاً كذلك كان كل

إِلَى مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ كُلُّهُ ، وَقَدْ زَالَ ذَلِكَ بِالِاسْتِدَارَةِ إِلَيْهِ فَيَكُونُ تَأْسِيسًا
لَا تَأْكِيدًا ، وَلِأَنَّ الثَّانِيَةَ إِذَا أَقَادَتِ النَّقْيَ عَنْ كُلِّ قَوْلٍ فَقَدْ أَقَادَتِ
النَّقْيَ عَنِ الْجُمْلَةِ ، فَإِذَا حُلَّتْ عَلَى الثَّانِي لَا يَكُونُ كُلُّ تَأْسِيسٍ ، وَلِأَنَّ
التَّكْرَرَ لِلنَّفِيَةِ إِذَا عَمَّتْ كَانَ قَوْلُنَا : لَمْ يَقُمْ إِنْسَانٌ ، سَالَةً كَثِيَّةً
لَا مُهْمَلَةً . . عَبْدُ الْقَاهِرِ : إِنْ كَانَتْ كُلُّ دَاخِلَةٍ فِي حَيْثُ النَّقْيِ بَأَنَّ أُخْرِجَتْ

تأكيد معنى حصل قبل فيجب أن يحصل على نقى القيام عن جملة الأفراد ليكون
كل تأسيس معنى آخر ، إذ التأسيس أرجح من التأكيد (وفيه) أى فيما استدل
به هذا القائل أما أصل قوله فصحيح (الاول) يعنى الموجبة المهمة المدولة
المحول كقولنا إنسان لم يقم (الثانية) يعنى السالبة المهمة كقولنا لم يقم إنسان
(ما أضيف إليه كل) وهو لفظ إنسان (فيكون تأسيساً لا تأكيداً) لأن
التأكيد لفظ يفيد تقوية ما يفيد لفظ آخر وما نحن فيه ليس كذلك ، وبعد ،
فقد قالوا إن هذا المنع لا يصح إلا على تقدير أن يراد التأكيد الاصطلاحي ، أما
لو أريد بذلك أن يكون كل لإفادة معنى كان حاصلًا بدونه فاندفاع المنع ظاهر
(الثانية) يعنى السالبة المهمة (حلت) أى كل (الثاني) وهو النقى عن جملة
الأفراد (لا يكون تأسيساً) بل تأكيد لأن هذا المعنى كان حاصلًا بدونه وحيث
فلو حللنا لم يقم كل إنسان لمعوم النقى مثل لم يقم إنسان لم يلزم ترجيح التأكيد
على التأسيس إذ لا تأسيس أصلاً بل يلزم ترجيح أحد التأكيدين على الآخر
(ولأن التكررة) هذا بحث فى التسمية يقول إن التكررة المنفية إذا عمت كانت
لنقضية المحنوبة عليها سالبة كلية لا مهمة ، فتسمى ذلك القائل لها بالمهمة
لا يصح (وعبد القاهر) كلامه هو مفاد كلام ابن مالك وجماعته ولكن أين

عَنْ أَدَاتِهِ نَحْوُ * مَا كُلُّ مَا يَتَمَسَّى الْمَرْءَ يَذَرُكَ * أَوْ مَمْنُولَةٌ لِلْفِعْلِ
الْبَاقِي نَحْوُ : مَا جَاءَ الْقَوْمَ كُلَّهُمْ ، أَوْ مَا جَاءَ كُلُّ الْقَوْمِ ، وَلَمْ أَخْذْ كُلَّ

الماء من السماء بموقع السين من مطلع سيل ، ثم إن ما ذكره المصنف هو مفرد
كلام عبد القاهر لا لفظه (نحو ما كل) مثله قول الآخر :

* مَا كُلُّ رَأْيِي الْفَقِي يَدْعُو إِلَى رَشْدٍ *

والبيت للبتني وتماه :

* تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَعِي الشُّنْ *

(أَوْ مَمْنُولَةٌ لِلْفِعْلِ الْمُنْفِي) الذي يظهر أن ذلك معمول لفعل مقدر محطوف
على آخرت أي أو جعلت مَمْنُولَةٌ . وهاك عبارة الشيخ عبد القاهر مع تصرف ما :
واعلم أنك إذا أدخلت كلا في جيز النفي بأن تقدم النفي عليه لفظاً أو تقديرأ ،
يعنى كما إذا قدمته على الفعل المنفي العامل فيه فإنه مؤخر تقديرأ لأن مرتبة
المعمول التأخر عن العامل ، فالمنفى على نفي الشمول دون نفي الفعل والوصف
نفسه . والسبب في ذلك أنك إذا قلت أتأني القوم مجتمعين ، فقال قائل لم يأتك
القوم مجتمعين ، كان فيه ذلك متوجهاً إلى الاجتماع الذي هو تقييد في الإتيان
من أصله كان من سبيله أن يقول إنهم لم يأتوك أصلاً ، فما معنى قولك مجتمعين ،
وإذا كان هذا حكم النفي إذا دخل على كلام فيه تقييد ، فإن التأكيد ضرب من
التقييد فتي نفيت كلاماً فيه تأكيد فإن نفيتك ذلك يترجمه إلى التأكيد خصوصاً .
فاذا قلت لم أركل القوم كنت عمدت بنفيتك إلى معنى كل خاصة ، وإذن يجب
أن يكون قد أتاك بعض القوم . وإذا أخرجت كلا من جيز النفي ولم تدخله فيه
للفظاً ولا تقديرأ كان المعنى على أنك تقبعت الجملة فنفيت الفعل والوصف عنها

الذَّاهِر ، أو كَلَّ الذَّاهِر لم آخِذْ ، تَوَجَّهَ النَّفْيُ إِلَى الشُّوْلِ خَاصَّةً وَأَقَادَ ثُبُوتِ الْفِعْلِ أَوْ الْوَصْفِ لِبَعْضٍ ، أَوْ تَمَلُّقَهُ بِهِ ، وَإِلَّا عَمَّ ، كَقَوْلِي

واحداً واحداً ، واللفظ في أن كان ذلك كذلك أنك إذا بدأت بكل كنت قد بنيت النفي عليه وسلطت الكلية على النفي وأعلتها فيه وإعمال معنى الكلية في النفي يقتضي أن لا يشذ شيء عن النفي فأعرفه (توجه النفي إلى الشمول خاصة) فإن قلت لما تصنع في قوله تعالى : وَاَقِهْ لَا يَحِبُّ كُلَّ غَتَالٍ غُورٍ ، وَاَقِهْ لَا يَحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ . فإننا نقول قد عرضنا ذلك على شيخنا الإمام الشيخ محمد عبده فأجاب - حفظه الله - بما يشرح الصدر ويملأ النفس ارتياحاً ، قال : قد يعدل عما يدل على عموم السلب إلى ما يفيد سلب العموم ، والسلب عام على الحقيقة ، للتعريض بالمخاطب والإيماء إلى أنه شر صنفه ، مثلاً إذا قلت لسفيه ، تعرض بأنه شر السفيهاء : أنا لا أحب كل سفيه ، فاللفظ أنه لو فرض أن عجبتي تتعاق بسفيه لكنت غير موضع لها ، وكذلك الذي جاء في الآية الكريمة أريد به والله أعلم التعريض بمن نزلت فيهم من أعداء الله وأنهم شر أصنافهم ، فقوله تعالى : وَاَقِهْ لَا يَحِبُّ كُلَّ غَتَالٍ غُورٍ ، معناه أن عجة الله لا تمم المختالين المخورين حتى تشمل هؤلاء فكانه سبحانه يقول لو أن عجبنا تعلقت بمختال غور لما تعلقت بأولئك لأن مختالهم وغورهم شر غتال وغور ، وهكذا يقال في سائر الآيات وما يكون ظاهره أنه من سلب العموم وحقيقته أنه من عموم السلب (وأقاد ثبوت الفعل أو الوصف لبعض أو تملقه به) أما إقادته ثبوت الفعل أو الوصف ضمياً إذا كانت كل فاعلا معنى أو مفعلاً للفعل أو الوصف ، وأما إقادته تعلق العمل أو الوصف ضمياً إذا كانت مفعولاً لفظاً أو معنى لها وإطلاق الثبوت على نسبة أحدهما للفاعل والتعلق على نسبته للمفعول اصطلاح شائع (وإلا)

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا قَالَ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ : أَتَصْرَتِ الْعَلَّةُ أَمْ
سَيِّئَتْ : كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ :

قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الْيَلْبَارِ تَدْعِي * عَلَى ذَنْبَا كُلِّهِ لَمْ أَصْنَعِ
وَأَمَّا تَأْخِيرُهُ فَلَا قِتْضَاءَ الْقَامِ تَقْدِيمَ لِلْسُنْدِ .. هَذَا كُلُّهُ مُفْتَقِي

أى وإن لم تكن داخلة في حيز النفي بأن قدمت عليه لفظاً ولم تكن معمولة بالفعل
النفي (كل ذلك لم يكن) فالمضى لا محاولة على نفي الأمرين جميعاً وعلى أنه عليه
السلام أراد أنه لم يكن واحد منهما لا الفصر ولا النسيان . والدليل على ذلك
وجهان : أحدهما أن السؤال بأم عن أحد الأمرين لطلب التبيين بعد ثبوت
أحدهما عند المتكلم على الإبهام ، لجوابه إما بالتبيين أو بنفى كل واحد منهما .
وثانيهما ما روى أنه لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل ذلك لم يكن ،
قال له ذو اليدين بعض ذلك قد كان ، والإيجاب الجزئ يفيقه السلب الكلى
(وعليه قوله) أى قول أبى النجم وقد تقدم ، ومثله قول دجبل :

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي بَأَيِّ سِهَامِيَا رَمَتْهُ وَكُلُّ عِيدَنَّا لَيْسَ بِالْمَكْدِيِّ (١)
أَبِي جَدٍّ أَمْ تَجْرِي الْوِشَاحِ وَإِنِّي لَا تُنِيمُ عَيْنِيهَا مَعَ الْفَاحِشِ الْجَفْدِ
المضى على نفي أن يكون في سهامها مكدم على وجه من أوجوه ، ومن البين
في ذلك قوله :

فَكَيْفَ وَكُلُّ لَيْسَ يَمْذُوحًا وَلَا لَامَرِي : عَمَّا قَضَى اللَّهُ مَزْحَلُ
(كله لم أصنع) برقع كله على معنى لم أصنع شيئاً بما تدعيه على من الذنوب
ولهذا عدل عن النصف (فلا قِتْضَاءَ الْقَامِ تَقْدِيمَ الْمُسَدِّ) وسيأتي بيان ذلك

(١) المكسب : الذى يحفر ولا يجد الماء ، أى وليس من سهامها ما يخطئ .

الظاهر ، وقد يخرج الكلام على خلافه ، فيوضع المضمرة موضع المظهر
كقولهم : نعم رجلاً زيد . مكان نعم الرجل ، في أحد القولين .
وقولهم هو أو هي زيد عالم . مكان الشأن أو القصة ، لتمكن . يفتنه
في ذهن السامع ، لأنه إذا ما يفهم منه معنى انتظروا وقد يمكن ،
فإن كان اسم إشارة فيكون الحذف بتمييزه ، لإختصاصه بحكم
دفع كقوله :

إن شاء الله (كقولهم) ابتداء من غير جري ذكر أو فريضة حال (وأحد القولين)
وهو القول بأن المخصوص خبر مبتدأ محذوف ، وأما من يجعل المخصوص مبتدأ
ونعم رجلاً خبره فيحتمل عدة أن يكون المضمرة عائداً إلى المخصوص وهو
متقدم تقدراً (وقولهم هو أو هي زيد عالم) ويختار تأنيث هذا المضمرة إذا
كان في الكلام مؤنث غير فضلة نحو : هي هند مليحة ، وقوله جل شأه : فإنها
لا تسمى الأبصار ، قصداً إلى المطابقة لأنه راجع إلى ذلك المؤنث ، ولم يسمع
نحو : هي زيد عالم ، وإن كان القيان يقتضي قياسه . هذا ، ومن ذلك وإن كان
من غير باب المسند إليه قولهم : ياله رجلاً ، ويالها قصة ، وربه رجلاً . وقوله
تعالى : قطعا من سبع سموات (لتمكن) تعليل لوضع المضمرة موضع المظهر
، هذا ، وقد يكون وضع المضمرة موضع المظهر لاشتهاره ووضوح أمره مثل
قوله تعالى : إنا أنزلناه أو لادعاء أن الذهن لا يلتفت إلى غيره كقوله في مطلع :

« زَاوَتْ عَيْنَهَا لِلظَّلَامِ زَوْقًا »

إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد (يعكس) فيوضع المظهر موضع

كَمْ عَاقِلٍ عَاقِلٍ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ وَجَاهِلٍ سَاجِدٍ تَقَاهُ مَرْزُوقًا
هَذَا الَّذِي تَرَكْنَا الْأَوَاهِمَ حَاطِرَةً وَصَدَّرَ الْعَالِمَ النُّحْرِيَّةَ زَنْدِيغًا

المضمر (كقوله كم عاقل الخ) قوله في أول البيت الثاني هذا إشارة إلى حكم سابق غير محسوس وهو كون العاقل محروماً والجاهل مرزوقاً، فكان القياس فيه الإضمار بأن يقال مما مثلاً، فعدل إلى اسم الإشارة لكمال العناية بتمييزه ليرى السامعين أن هذا الشيء المتميز المنعبر هو الذي له الحكم الصحيح، وهو جعل الأوهام حائرة والعالم التحرير زنديقاً، فالحكم البديع هو الذي أسند للسند إليه المبرر عنه باسم الإشارة، والبيتان لأحمد بن يحيى بن إسحق الراوندي وعاقل ثلثان صفة لعاقل الأول بمعنى كامل العقل متناه فيه، وأعيت مذاهبه: أجهزته وصعبت عليه طرق معانيه، والتحرير: الحاذق الماهر المتقن، كأنه ينحر العلم نحرأ، والزنديق: الذي لا يؤمن بالربوبية ولا باليوم الآخر. وكلام ابن الراوندي هذا إحدى حماقاته وهو بالجهال أليق، وما أبدع ما يقول أبو تمام :-

بَسَّ الْفَقْرُ مِنْ دَهْرِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ وَيَسْكُدِي الْفَقْرُ فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ
وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْزَاقُ تُعْرَى عَلَى الْحِمْدِ هَلَكُنْ إِذَنْ مِنْ جِهَانِ الْبَهَائِمِ
وما أجمل قول الصابي :

إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ مِثْلَ فَأَحْبَبْتَ أَنْ تَدْرِيَ الَّذِي هُوَ أَحَدُكُمَا
فَلَا تَتَفَقَّدَ مِنْهُمَا غَيْرَ مَا جَرَتْ بِهِ لَهُمَا الْأَرْزَاقُ حِينَ تَفْرُقُ
غَيْثُ يَكُونُ الْجَهْلُ قَارِزُكَ وَاسِعٌ وَحَيْثُ يَكُونُ الْعِلْمُ قَارِزُكَ ضَيِّقُ
وانته إذا أردت فلسفة هذا الباب فعليك بكتاب القلافة والمخلوكين

أَوْ التَّهَكُّمِ بِالسَّامِعِ ، كَمَا إِذَا كَانَ فَقِدَ الْبَصَرِ ، أَوْ الْإِدَاءَ عَلَى كَلَامِهِ
بِلَادَتِهِ ، أَوْ فُطَاتَتِهِ ، أَوْ ادِّعَاءِ كَلَامِ ظُهُورِهِ : وَعَيْنِهِ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْبَابِ
تَمَلَّتْ كَيْفَ أَشْجَى وَمَا بِكَ عِلَّةٌ * تُرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَنَنْتِ بِذَلِكَ
وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ فَذِي بَيَّادَةِ التَّمَكُّنِ ، نَحْوُ : قَالَ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ

(كما إذا كان فاقده البصر) ولم يكن ثم مشار إليه أصلا (والنداء على كمال بلاذته)
لأن في اسم الإشارة إيماء إلى أن السامع لا يدرك إلا المحسوس (أو فطانت)
ففي استعمال اسم الإشارة الذي أصله المحسوس في المعنى الغامض إيماء إلى أن
السماع مع لذاته صارت المعقولات لديه كالمحسوسات (تمالت) أي أظهرت العلة
ومعنى أشجى : أحزن ، فأنت تراه عند إلى اسم الإشارة مع أن المشار إليه غير
محسوس ، وذلك لادعائه ظهور القتل وأنه كالمحسوس ، والبيت لعبد الله بن
الدمينة من قصيدة مطلعها :

فَقِي قَبْلَ وَشَكَّ الْبَيْنَ يَا بِنْتَ مَالِكٍ وَلَا تَحْرَمِي نَظْرَةَ مَنْ جَمَالَكَ
(وإن كان غيره) أي وإن كان المظهر الذي وضع موضع المضمحل غير اسم
الإشارة (فلربادة التمكن) ومن هنا كان لإعادة اللفظ في مثل قوله :
وَإِنْ طَرَفَةٌ رَأَيْتُكَ فَاسْطَرُّ قَرِينًا أَمَرَ مَدَافِي الْعُودِ وَالْعُودُ أَخْفَرَ
وقول المتن :

بَيْنَ نَفْسِ الْأَمْثَالِ أَمْ مِنْ نَفْسِهِ إِلَيْكَ وَأَهْلُ الدَّهْرِ ذَوَاتُ الدَّهْرِ

وبيت الحماسة : شَدَدَتْ شِدَّةَ اللَّيْلِ غَدَاً وَاللَّيْلُ غَضَبَانُ
من الحسن والبهجة ومن القنطرة والنبل ما لا يخفى موضعه ، وكان لو ترك
فيها الإظهار إلى الإضمار لعدمت الذي أتت واجده الآن (نحو قول هو الآية)

وَنَظِيرُهُ مِنْ غَيْرِهِ : وَيَخْلُقُ أَنْزَلَهُ وَبِالْحَقِّ تَزَكَّى ، أَوْ إِذْخَالَ الرَّوْعَ
فِي صَمِيرِ السَّامِعِ وَتَرْبِيَةِ الْمُبَاقَةِ ، أَوْ تَقْوِيَةَ دَاغِي الْمَأْمُورِ : مِثْلُهُمَا قَوْلُ
الْخَلْقَاءِ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُكَ بِكَذَا ، وَعَلَيْهِ مِنْ غَيْرِهِ : فَلِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، أَوْ اِسْتَعِظْ كَقَوْلِهِ : هُوَ إِخَى عَبْدِكَ الْعَامِي أَيْ كَمَا :

فلم يقل هو الصمد لزيادة التحسن (الصمد) أي الذي يقصد في الحوائج و"يقضي
فها غيره (وبالحق) مثله قول عبد الله بن عتبة :

، إِنْ تَسْأَلُوا الْحَقَّ لَنُطِيقَ سَأَلَهُ (دَاعِي الْمَأْمُورِ) أَيْ مَا يَكُونُ دَاعِيًا لِمَنْ -
أَمَرْتَهُ بِشَيْءٍ إِلَى الْإِثْمِ وَالْإِثْمَانِ بِهِ (أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَمْرِكَ بِكَذَا) مَكَانَ أَنَا
أَمْرُكَ (وَعَلَيْهِ) أَيْ عَلَى وَضْعِ الْمَظْهَرِ مَوْضِعَ الْمَضْمَرِ لِقْوَةِ دَاعِي الْمَأْمُورِ (مِنْ
غَيْرِهِ) أَيْ مِنْ غَيْرِ أَبِي الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) فَمِنْ يَقُلُ فَتَوَكَّلْ عَلَى لِمَا
فِي لَفْظِ الْجَلَالَةِ مِنْ تَقْوِيَةِ الدَّاعِي إِلَى التَّوَكُّلِ لِدَلَالَتِهِ عَلَى ذَاتِ مَوْصُوفَةٍ
بِالْإِسْمِ السَّامِعِ الْكَامِلَةِ مِنَ الْقُدْرَةِ وَمَا إِلَيْهَا (كَقَوْلِهِ : إِخَى عَبْدِكَ الْعَامِي أَيْ كَمَا)
فَمِنْ يَقُلُ أَنَا الْعَامِي أَتَيْتُكَ ، لِأَنَّهُ فِي لَفْظِ عَبْدِكَ مِنَ الْخُضُوعِ الْمَوْجِبِ لِلْعَظْفِ
وَالْتَفَقَ مَا لَيْسَ فِي لَفْظِ أَنَا . وَفِيهِ مَعَ ذَلِكَ تَحْكُنُ مِنْ وَصْفِهِ لِلْعَامِي ، وَنَظِيرُ
هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا - إِلَى قَوْلِهِ - فَأَمَنُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ، لَمْ يَقُلْ فَأَمَنُوا بِاللَّهِ وَبِى لِيَتِمَّ
مِنْ إِجْرَاءِ الصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ عَلَيْهِ ، وَيُشْعِرُ أَنَّ الَّذِي وَجِبَ الْإِيمَانُ بِهِ بِعَدَدِ
الْإِيمَانِ بِاللَّهِ هُوَ الرَّسُولُ الْمَوْصُوفُ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ كَأَنَّهُ مَنْ كَانَ أَنَا أَوْ غَيْرِي
إِظْهَارًا لِلنِّسْبَةِ وَبَعْدًا عَنِ التَّعَصُّبِ لِنَفْسِهِ وَتَعَامُّ الْبَيْتِ :

مُقَرَّرًا بِالْمَثُوبِ وَتَمَّزَّ دَعَا كَمَا *

السكاك : هَذَا غَيْرُ مُخْتَصَرٍ بِالسَّنَدِ إِلَيْهِ ، وَلَا يَبْدَأُ الْقَدْرُ ، بَلْ كُلُّ مَنِ
التَّكْلُمَ وَالْخَطَابَ وَالنَّبِيَّةَ مُطْلَقًا يُنْقَلُ إِلَى الْآخِرِ : وَيَسَمَّى هَذَا النُّقْلُ
التَّفَاتَا كَقَوْلِهِ : « تَطْلُقُ لَيْلُكَ بِالْأَمْسِ »

وبعد :

فَإِنْ تَفَرَّقَ فَتَ يَذْأَنَ أَهْلُ وَإِنْ تَقَرَّرَ فَمَنْ يَرْحَمُ سِوَاكَ
(السكاك) عبارته : واعلم أن هذا النوع أعنى نقل الكلام عن أحكامه
إلى الغيبة لا يختص بالسند إليه ولا هذا القدر ، بل الحكاية والخطاب والغيبة
ثلاثها ينقل كرواحد منها إلى الآخر ويسمى هذا النقل التفاتاً عند علماء المعاني
والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل
في القبول عند السامع ، وأحسن نظرية لشاطه ، وأمثلاً باستدرا لإصفاته وهم
أحرى بذلك ، أليس قرى الأضياف حينهم ، ونحو المشار للصيف دأبهم
ومهرام (١) ، لأمزقت أيدي الأدوار لهم أديماً ، ولا اباحت هم حريماً ، أقرام
يحسنون قرى لأشباح ، فيخالفون فيه بين لون ولون وطعم وطعم ولا يحسنون
قرى الأرواح فلا يخالفون فيه بين أسلوب وأسلوب وإيراد وإيراد (كقوله تظاول)
لامرئى الفيس الكدى الصحن من قصيدة يرثيها أباه وتماه : « نام الحلى ولم
يرقد » الأمد : اسم مكان ، والخطاب ليالك لنفسه ومقتضى الظاهر ليلي ، فهو
التفات على مذهب السكاك ، وعند الجمهور تجريد ومثله قول ربيعة بن مقروم :

بِأَنْتَ سَعَادُ فَأَمْسَى الْقَتَبُ مَعْمُودَا وَإِخْلَفَتْكَ أَنْتَ الْخَرُّ لِلْوَاعِيدَا

(١) عادته .

وَالْمَشْهُورُ أَنَّ الْإِلْتِفَاتَ هُوَ التَّمْيِيزُ عَنْ مَقَرِّ بَطْرِيقٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ بَعْدَ التَّمْيِيزِ
عَنْهُ بِآخِرِ مَنَابِ وَهَذَا أَحَقُّ . مِثَالُ الْإِلْتِفَاتِ مِنَ التَّكْمُلِ إِلَى الْخُطَابِ :
وَمَا بِي لَا أُعْبِدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ؟ وَإِلَى النُّبِيِّ : إِنَّا أُعْطِينَاكَ
الْكِبْرَ ثُمَّ فَضَّلْنَا لِرَبِّكَ وَآخِرُهُ . وَمِنْ الْخُطَابِ إِلَى التَّكْمُلِ :
طَلَعَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَنِ طَرُوبٌ بِمَيْدِ الشَّبَابِ عَصْرٌ حَانَ مَشِيبُ
يُكَلِّفُنِي نَيْلِي وَقَدْ تَطَّ وَنَيْبُ وَعَادَتْ عَوَادِي وَسُوحُطُ

فالتفت كما ترى حيث لم يقل وأخلفتني (والمشهور) هذا من كلام المصنف
(وهذا أحسن) من تيسير السكاكي ، لأن السكاكي أراد بالنقل أن يعبر بطريق
من هذه الطرق عما عبر عنه بغيره أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره من
فكل التفتا عند التفتا عنده من غير عكس (ومالي الآية) أي وما لك
لا تبيدون الذي فطركم ، تطف في الإرشاد بإيرازه في معرض المناجاة لعل
وإعاض النصح حيث أراد لهم ما أرادوا لها . وإذ عمد إلى التكميل لذلك كن
مقتضى الظاهر أن يجري الكلام على طريقه فيقول وإليه أرجع ، فلما قصد إلى
الخطاب حيث قال وإليه ترجعون كان التفتا (طلع بك) البيتان لعلهم نعمة
الصحل ، طلع بك : ذهب بك كل مذهب ، وضروب : له طرب في طلب الحسن
وشاط في مرادتهم ، وبميد الشباب : بمنه حين ولي وكاد ينصرم ، ومعنى
عصر حان مشيب : زمان قرب المشيب واعتماده بالهجوم ، وقاعل يكلفني :
ضمير يعود إلى القلب ، وشط : بعد ، والول : القرب ، والموادى : الصوارف ،
وعوادي النحر : عواقبه ، والخطوب : الأمور الشديدة تنزل ، فالتفت كما ترى
في قوله يكلفني عن قوله بك ، وبعد ، فقد اشترطوا في الالتفات أن يكون

وَالِى النَّبِيَّةِ : حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الثَّلَاثِ وَجَرَيْنَ بِهِ ، وَ مِنْ النَّبِيَّةِ إِلَى
التَّكْلُمِ : وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَنِيْرَ سَحَابًا فَسَقَنَاهُ ، وَ إِلَى الْخُطَابِ :
مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ إِنَّا نَاكُ نَعْبُدُ . وَ وَجْهَهُ أَنَّ الْكَلَامَ إِذَا غَلِيَ مِنْ أُنُوبٍ
إِلَى أَشْلُوبٍ كَانَ أَحْسَنَ تَطْرِيبَةً لِلشَّامِ السَّامِعِ وَ أَكْثَرَ إِيقَاطًا لِلْإِصْدَافِ
إِلَيْهِ : وَقَدْ تَحْتَضِرُ مَوَاقِعُهُ بِطَوَائِفِ كَمَا فِي الْفَاتِحَةِ ، فَإِنَّ الْعَدَّ إِذَا ذَكَرَ
الْحَقِيقَ بِالْجِدِّ عَنْ قَلْبٍ حَاصِرٍ وَحَدَّ مِنْ نَفْسِهِ نَحْرًا كَمَا لِلْإِقْبَادِ عَلَيْهِ
وَكُلُّهُ أَجْرَى عَلَيْهِ صَعَةً مِنْ ثَلَاثِ انْعِدَابِ الْعِظَمِ قُوَى دَلِيلِ الْمَحْرَمَةِ .
إِلَى أَنْ يَكُنْ الْأَمْرُ إِلَى حَاقِمَتِهِ مُبِيدَةً ، أَنَّهُ مَالِكُ الْأَمْرِ كُلِّهِ

المخاطب بالكلام و الحالين واحداً و من هنا كان قول جرير :

أَغْنَى يَا فِدَانِي وَ أُمِّي سَيْبَ مِلَّةٍ بَاتَ دُونَ رَجَحِ
ثِقَى اللَّهِ نَيْبَ لَهُ سَرِيكَ وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بَانْتِحَاحِ

ليس من الالتفات في شيء لأن المخاطب بالبيت الأول امرأته ، و المخاطب
بالبيت الثاني هو الخليفة كما لا يخفى (ووجهه) أى وجه حسن الالتفات (تطرية)
مجديداً (كما في الفاتحة) و كما في قوله تعالى : وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ
فَاسْتَفْرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرُوا لِمَ الرُّسُولُ ، لَمْ يَقُولْ وَاسْتَغْفَرُوا لَهُمْ ، وَعَدَلَ عَنْهُ إِلَى
طَرِيقَةِ الْإِلْتِفَاتِ فَضَحِيحاً لِمَا أَنَّ الرُّسُولَ وَقَعْلِيّاً لَاسْتَغْفَارِهِ وَتَنْبِيْهاً عَلَى أَنَّ شِفَاعَةَ
مِنْ اسْمِهِ الرُّسُولِ مِنْ أَنْ يُمْكِنَ (مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ) الدَّالُّ أَوْهَا عَلَى أَنَّهُ الْمُتَوَلَّى
تَدْبِيرَ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ ، وَثَانِهَا عَلَى أَنَّهُ الْمُنْعَمُ بِأَنْوَاعِ النِّعَمِ جَلَالِهَا وَدَقَائِقِهَا .
(غَلَامَتَا) وَهُوَ قَوْلُهُ مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ ، تَكْلُفٌ ، قَدْ يُطْلَقُ الْإِلْتِفَاتُ عَلَى مَعْنَيْنِ

في يوم الجزاء : فينذ يوجب الاقبال عليه ، والمخاطب بخصيصه بناية
المضوع والاستقامة في المهيئات . ومن خلاف الفتقى تلقى المخاطب بنير
ما يترقب ، بمخاطب كلامه على خلاف مراده تنبيهها على أنه هو الأولى

آخرين ، فواحد أن يفرغ التكلم من المعنى ، فإذا ظننت أنه يريد أن يحاوره
يلتفت إليه فيذكره بنير ما تقدم ذكره به قال تعالى : وزعم الباطل إن الباطل
كان ذوقاً ، وقال جل شأنه : ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ، وقال حمزة :
سلبت الحكمة يدي الأمان فشاقي لا زالت في علي وأيك فأنير
وقال :

مَتَى كَانَ الْخِيَةِ بِدِي طُوحِ سَتِيتِ النَّيْتِ أَيْتَهَا إِيْلَامِ
أَتَذْكُرُ يَوْمَ تَقْضَى عَرِصَتِي بِتَوْرَعِ شَامَةِ سِقَى الْبَشَامِ

والثاني أن تذكر معنى فتوم أن السامع اختلج شيء فتلقت إلى كلام يزيل
اختلاجه ثم ترجع إلى مقصودك كقول ابن ميادة

فَلَا مَرَمُهُ يَبْذُو وَفَى الْيَتْسِ رَاحَةً وَلَا وَصْلُهُ يَعْفُو لَنَا فَنُكَارِمُهُ

(تلقى المخاطب) هنا هو الذي سمع الحكاكي الأسلوب الحكيم وقال فيه :
إن هذا الأسلوب لربما صادف المقام لحرك من نشاط السامع ما سلبه حكم
الوقور ، وأبرزه في معرض المسحور وجل لأن شكيمة الحجاج لذلك الخارجى
وسل سحيمة (١) حتى آثر أن يحسن على أن يسى غير أن سحره بهذا الأسلوب ؟
وسماه الشيخ عبد القاهر معالطة : وعن سلوك هذه الطريقة في جواب المخاطب
عن من قال مفخراً :

يَا قَعْدِ ، كَقَوْلِ الْقَبْرِىِّ لِلْحَجَّاجِ - وَقَدْ قَالَ لَهُ مَبُوعِدًا لِأَحْمَلِكَ عَلَى
الْأَذَمِ - مِثْلُ الْأَمِيرِ يَحْمِلُ عَلَى الْأَذَمِ وَالْأَشْهَبِ ، أَيْ مِنْ كَانَ مِثْلُ
الْأَمِيرِ فِي الشُّطْرَانِ وَبَسْطَةِ الْيَدِ فَجَدِيرٌ بِأَنْ يُصْفَدَ لِأَنْ يُصْفَدَ ، أَوِ السَّائِلِ
بِمَنْزِلِهِ مَا يَتَطَلَّبُ بِتَنْزِيلِ سُؤَالِهِ مَنَزَلَةً غَيْرَهُ تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّهُ الْأَوَّلَى بِحَالِهِ
أَوِ الْهَمِّ لَهُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ
وَالْحَجَّاجِ ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلَوْلَا الَّذِينَ

أَنْتَ تَشْتَكِي عِنْدِي مُزَاوَلَةَ الْفِرَى وَقَدْ رَأَيْتِ الضَّيْقَانَ يَنْتَحُونَ مَنَزِلِي
فَقُلْتُ كَأَنِّي مَا سَمِعْتُ كَلَامَهَا ثُمَّ الضَّيْفُ يَدْخِي فِي قِرَافَتِهِمْ وَعَجَلِي
(لاحمك على الادم) والحجاج يريد القيد (مثل الامير الخ) فأتت ترى
القبحى. أبرز وعيد الحجاج في معرض الوعد وتقاه بغير ما يترقب عمل الادم
في كلامه على الفرس الادم، وأكد ذلك بذكر الأشهب تنبيها على أن ذلك هو
الأولى أن يقصد الامير (يصفد) أى يعطى (لا أن يقصد) يقيد (أو السائل)
أى أو تلقى السائل الخ (يسألونك عن الأهله الآية) روى أن ثلث من الصحابة
قالوا ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الحيط ثم يزداد ذليلاً قليلاً حتى يختل
ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ. وهذا سؤال عن السبب فأجيبوا
ببيان الحكمة تنبيها على أن الأولى أن يسألوا عن ذلك. وبعد ، فالحققون من
المفسرين على أنه سؤال عن الحكمة والكلام أتت على مقضى الظاهر (يسألونك
ماذا ينفقون الآن) سألوها عن بيان ما ينفقون. فأجيبوا مبيناً المصروف قال

وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالسَّائِكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ ؛ وَمِنْهُ التَّعْيِيرُ عَنِ السُّتَقْبَالِ
يَلْفِظُ اللَّامِي تَنْبِيهاً عَلَى تَحَقُّقِ وَقْعِهِ نَحْوُ : وَيَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ فَصَيَّقَ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، وَمِثْلُهُ : وَإِنَّ الَّذِينَ لَوَاقِعُ ، وَنَحْوُهُ :
ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ؛ وَمِنْهُ الْقَلْبُ نَحْوُ : عَرَضْتُ النَّاقَةَ عَلَى

في الكشاف إن قوله من خير تضمن بيان ما ينفقونه وهو كل خير إلا أنه بفتح
الكلام على ما هو أم وهو بيان المصرف لأن النفقة لا يمتد بها إلا أن تضع
موقعها ، قال الشاعر :

إِنَّ الْعَدِيَّةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً حَتَّى يَصَابَ بِهَا طَرِيقُ الصَّنِيعِ
(نحو ويوم ينفخ في الصور فصق) ومقتضى الظاهر فيصق وهذا ونظم
القرآن فزع . وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسمه زنبور وهو طفل لجاء
إليه يسكى فقال له : يا بني مالك ، قال : لسمي طوير كأنه ملثف في بردى حبرة
فضمه إلى صدره وقال : يا بني قد قلت الشعر (ومثله) أي ومثل التعبير عن
المستقبل بغير لفظه اسم الفاعل واسم المفعول لأن كلا منهما ليس حقيقة للاستقبال
(لواقع) ومقتضى الظاهر يقع (القاب) هو أن يحمل أحد أجزاء الكلام مكان
الآخر والآخر مكانه وهو مما يورث الكلام ملاحه ولا يشجع عليه إلا كمال
البلاغة (نحو عرضت الخ) ومقتضى الظاهر عرضه . الحوض على الناقة لأن
نمعه ومن عليه يجب أن يكون ذا شعور حتى يميل المروض أو يحجم عنه ،
وفد أخذ المصنف هذا من جعل الزمخشري قوله تعالى : ويوم يعرض الذين
كفروا على النار . من القاب . والباب في هذا هو أن الأمل أن يجاء بالمروض
إلى المروض عليه . وهذا حتى بالمعرض عليه وهو الناقة إلى المروض وهو

المؤمنين ، وَقِيلَ السَّكَائِيُّ مُطْلَقًا ، وَرَدَّةٌ غَيْرُهُ مُطْلَقًا ، وَالْحَقُّ أَنَّهُ إِنِ
فَقَسَمَ اعْتِبَارًا لَطِيفًا قَبْلَ ، كَقَوْلِهِ
وَمَتَمَةٍ مُتَمَرَّةٍ أَرْجَاؤُهُ * كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ
أَيَ لَوْنُهَا ، وَإِلَّا رَدَّ ، كَقَوْلِهِ * كَأَطِيفَتِ بِالْقَدَنِ السَّيَاعَا *

المؤمنين فاعتبر ذلك ، فقول أحدهما منزلة الآخر (ومعه) البيت لرؤية بن
الغضاض . المهمة : الغاية ، ومثيرة : ملوثة بالنبرة ، والأرجاء : الأطراف ، بقوله
كَأَنَّ الْحَقَّ : أَي كَانَ لَوْنُ سَمَاءِهِ لَمَثَرَتِهَا لَوْنُ أَرْضِهِ فَيُورِثُ مِنَ الْقَلْبِ وَالْإِعْتِبَارِ الطَّيْفَ
هُوَ الْمُبَالَغَةُ فِي وَصْفِ لَوْنِ السَّمَاءِ بِالنَّبْرَةِ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ يَصِفُ قَلَمَ الْمَدُوحِ :
لَعَلَّيْ الْأَقْلَامُ الْقَاتِلَاتُ أَمَانَةٌ وَأَرَأَيْتِ الْبُخْتِ اشْتَرَتْهُ أَيْدِ عَوَائِلُ
(أَي لَوْنُهَا) يُرِيدُ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفِ مضافٍ والتقدير كَانَ لَوْنُ أَرْضِهِ
لَوْنُ سَمَاءِهِ (كَأَطِيفَتِ) صدره :

• فَلَمَّا أَنْ جَرَى سَمْنٌ عَلَيْهَا •

وهو القطاى من قصيدة يمدح بها زفر بن حارث الكلابى وقد أنفذه من
أعدائه وأعطاه مائة ناقة وقبلة :

أُسْكِرْنَا بَمَدِّ رَدِّ اللَّوْتِ عَقَى وَبَمَدِّ عَطَائِكَ لِثَاثَةِ الرُّمَحَا

وبعده :

أَمَرْتُ بِهِ الرُّجُلَ لِيَأْخُذَهَا وَتَعَيَّنَ سَبْلِي أَنْ تَنْتَحِمَاعَا

فقد شبه السباع في سمنها بالندن ، وهو القصر المطين بالسياع ، وهو الطين
بالتبين ، وقد عكس لجل المطين هو للسياع ، والمطير به هو الندن ، وليس فيه

﴿أحوال المسند﴾

أَنَا تَرَكُهُ فَلَمَّا مَرَّ كَقَوْلِهِ * فَلَانِي وَقِيَارٌ بِهَا لَغَرِيبٌ * وقوله :

اعتبار لطيف وفيه نظر لأن القلب هنا يدل على كثرة السباع حتى صار كأنه الأصل ومن الناقصة مثبه ، فيدل حينئذ على عظم السمن حتى صار الشحم لكثرتة بالنسبة للعظم كأنه الأصل وما هو مردود لعدم تضمنه اعتباراً لطيفاً قول حسان :

« يَكُونُ مِنْ أَجْهَا عَسَلٌ وَمَا : »

وقول عروة بن الورد :

« قَدَرْتُ نَفْسَهُ نَفْسِي وَمَالِي »

وقول القطامي :

« وَلَا يَكُ مَوْقِفٌ مِنْكَ الْوَدَاعُ »

، حق الاستعمال يكون مزاحها عسلاً وماه . فديت نفسي نفسه وماه . ولا ملك موقفاً منك الوداع (فلما مر) في حذف المسند إليه . وما يقتضي تركه . باع الاستعمال كقولهم ضرب زيداً قائماً وأكثر شربي السويق ملتوتاً وأخطب ما يكون الأدهر قائماً ودولهم بكل رحل وضعيته وقولهم لولا زيد لكان كذا (كقوله فاني وقيار) فإنه حذف المسند إلى قيار كما ترى . وتقدير الكلام فاني لغريب وقيار كذلك ، وما هذا إلا لقصد الاختصار والاحتراز عن العبث مع خضيق المقام بسبب التوجع . المحافظة على الوزن والسر في تقديم قيار على خبر إن قصد التسوية بينهما في التحسر على الاغتراب ، كأنه أثر في غير ذوى العقول أيضاً . ومن هنا قال الريحشري عند قوله تعالى : إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ الْآيَةَ . الصَّابِغُونَ : مستأد وهو مع خبره المحذوف صلة معطوفة على

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ
وَقَوْلُكَ : زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ وَعَمْرُوهُ ، وَقَوْلُكَ : خَرَجْتُ فَلِذَا زَيْدٌ ، وَقَوْلُهُ

جملة إن الذين آمنوا إلى آخره لا محل لها من الإعراب وفائدة تقديم الصابون
التنبيه على أنهم مع كونهم أبين المذكورين ضلالاً وأشدّ غيياً يتاب عليهم إن
صح منهم الإيمان والعمل الصالح فإلّا الظن ينيرهم . هذا ، وقد أشد البيت
صاحب الكامل لُفَاتِي وقياراً بالنصب ثم قال ولو رفع لكان جيداً تقول إن
زيداً منطلقاً وعمراً وعمرو فبن قال عمراً فلانما رده على زيد ومن قال عمرو فنه
وجهان : جيد وهو أن تحمل عمراً على الموضع ، وجائر وهو أن يعطف على المضمر
في الخبر . والبيت لضابط بن الحارث البرقي من أبيات قالها وهو محبوس في
المدينة أيام الخليفة الثالث وصدوره .

وَمَنْ يَلْبِ أُنْمَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ :

الرحل : المزل ، وقيار . اسم فرس أو جمل للشاعر ولفظ البيت خبر وهذه
التوجيع من الغربة . قوله نحن بما عندنا أي نحن بما عندنا راضون فالمسند إلى
نحن محذوف كما ترى للاختراز عن العبث مع ضيق مقام الوزن قيل وبما حذف
فيه المسند للاختراز عن العبث قوله تعالى : والله ورسوله أحق أن يرضوه . أي
والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك . يعجبني أن يكون جملة واحدة وتوحيد التضمين
لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم مرضى واحد . والبيت
لقيس بن الخطيم من حول شعراء الجاهلية (وقولك زيد منطلق وعمرو) ومن هذا
الباب قوله تعالى : واللاتي يئسن من المحض من نساءكم إن ارتبتم بعدتهن ثلاثة أشهر
واللاتي لم يحضن أي واللاتي لم يحضن مثلهن (وقولك خرجت فإذا زيد) حذف

* إِنَّ تَحَلًّا وَإِنْ مُرْتَحَلًا * أَيْ إِنَّ لَنَا فِي الدُّنْيَا ، وَلَنَا عَنْهَا ، وَقَوْلُهُ تَمَالَى :
قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي . وَقَوْلُهُ تَمَالَى : فَصَبْرٌ جَعِيلٌ ،

المسند إلى زيد للاحتراز عن العبث مع اتباع الاستعمال وإنما كان ذكره هنا عبثاً لأن إذا المجانية تدل على مطلق الوجود وقد انعم إليها ما يدل على الخبر المخصوص وهو خرجت الشعر باز ، الماد ، فإذا ريد بالباب أو موجود مثلاً (وقوله إن محلاً) إذ التقدير — كافي المصنف — إن لنا في الدنيا محلاً ولنا عنها إلى الآخرة مرتحلاً ، فالمسند محذوف كما ترى لقصد الاختصار مع اتباع الاستعمال . ومن هذا قول الرجل للرجل : هل لكم أحد إن الناس ألب عليكم ، فنقول إن زيدا وإن حمرا أى لنا وقد وضع سبويه في ذلك باباً فقال : هذا باب ما يحسن عليه السكوت في هذه الأحرف الخمسة لإخمارك ما يكون مستقراً لها وموضماً لو أظهرته وليس هذا المضمر بنفس المظهر . وذلك إن مالا وإن ولداً وإن عدداً ، قال عبد القاهر : لو أسقطت إن لم يحسن الحذف أو لم يجر لأنها المحاذية له والمتكفلة بشأه والمرجعة عنه . والبيت للأعشى وتماهه .

* وَإِنْ فِي السَّفَرِ إِذْ صَوَّأَ مَهَلًا *

في الصحاح : السفر جمع سافر كصحب وصاحب ، وفي القاموس : السافر المسافر لا فعل له (وقوله تمالى قل لو أنتم تملكون) قال صاحب الكشف وتقديره لو تملكون تملكون مكرراً لفائدة التأكيد فأخبر تملك الأول إخماراً على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ ، فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تقديره قال وهذا ما يقتضيه علم الإعراب ، فأما ما يقتضيه علم البيان فهو إن أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص ، وأن الناس هم المختصون بالشئ البالغ

يَحْتَمِلُ الْأَمْرَيْنِ ، أَيْ أَجَلُ ، أَوْ فَاسْرِي : وَلَا بُدَّ مِنْ قَرِينَةٍ ، كَوَقُوعِ
الْكَلَامِ جَوَابًا لِسُؤَالِهِ - مُحَقِّقُ نَحْوِ : وَثَبْنٌ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ ، أَوْ مُقَدَّرُ نَحْوِ : يَسْتَلِمْ يَرِيدُ ضَارِعٌ لِحُصُونَةٍ :

ونحوه قول حاتم :

* لَوْ ذَاتُ سِوَايَ لَعَلَّمَنِي *

وقول المتلبس :

* وَلَوْ غَيْرُ إِخْوَانِي أَرَادُوا تَقْيِيعِي *

وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لأجل المضمر برز الكلام في صورة المتبادر
والخبر (يحتمل الأمرين) يعني حذف المسند إليه وحذف المسند ، والتقدير
﴿فأمرني صبر جميل ، أو فصر جميل أجل . وما يحتمل الأمرين قوله تعالى :
سورة أنزلناها ، وطاعة معروفة ، أي هذه سورة أو فيما أوحينا إليك سورة ،
والمطلوب منكم طاعة معروفة ، مطوعة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة المخلص
من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره لا إيمان تخسمون بها بأفواهكم
وقلوبكم على خلافها ، أو طاعتكم طاعة معروفة بأنها بالقول دون الفعل ،
أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة قاله الزمخشري ، ومن
هذا الباب قوله تعالى : ولا تقولوا ثلاثة . أي ولا تقولوا لنا آلهة ثلاثة
أو ولا تقولوا لله وعيسى ومريم آلهة ثلاثة ، فلي الحذف تكثير فائدة الترسعة
بالاحتمال . تكة ، قال صاحب المفتاح : وقد يكون حذف المسند بناء على أن
ذكره يخرج إلى ما ليس بمراد كقولك أريد عندك أم عمرو فانك لو قلت
أم عندك عمرو أو أم عمرو عندك لخرج أم عن الاتصال إلى الانقطاع (نحو
ليك يريد) وتامه . وعقب على ما تطيح الطوائج . فأت ترى أنه لما قال

وَقَضَاهُ عَلَى خِلَافِهِ يَتَكَوَّرُ الْإِسْنَادُ إِجْمَالًا ثُمَّ تَفْصِيلًا ، وَيَوْقُوعُ نَحْوِ :
يَزِيدُ غَيْرَ فَضْلِهِ ، وَبِكَوْنِهِ مَعْرِفَةُ الْفَاعِلِ كَحُصُولِ نِسْمَةٍ غَيْرِ مُتَوَقَّعَةٍ

ليك يزيد كان سائلا سأل من ييكه فقال ضارع أى ييكه ضارع ، وقد روى.
البيت بفتح ياء ييك فيكون يزيد مفعولا وضارعا فاعلا والضارع المستكن الخاشع
وقوله المحصورة أى لأجل خصومة ناله لأنه كان ملجأ المائذين ، والمخبط الذى
يطلب المعروف من غير آصرة والطوائع جمع مطيعة وهى القوافذ على غير قياس
كلواقع جمع ملطحة يقال طوحته الطوائع أى نزلت به الممالك والبيت لضرار بن
نهمل يرنى أعاه يزيد (وقتهله) يعنى هذا التركيب وهو بناء ليك للفة ول على
الرواية المشهورة (على خلافه) يعنى ليك يزيد ببناء الفعل للفاعل ونصب يزيد
(إجمالا ثم تفصيلا) أى بأن أسند أولا إجمالا أى إسناد إجمال ثم أسند ثانيا
تفصيلا أى إسناد تفصيل ، وبعد ، فقد قال الكاكي إن مثل هذا التركيب مرق
وقع موقعه رفع شأن الكلام فى باب البلاغة إلى حيث ينال طبع السامعين
ويارى الفرقدين وموقعه أن يصل من بليغ عالم بجهات البلاغة بصير بمقتضيات
الأحوال سائر فى اقتضاب الكلام ماهر فى أغانين السحر إلى بليغ مثله مطلع
من كل تركيب على حاق معناه وفصوص مستبعدة . ومن هذا الأسلوب قوله
تعالى : وجعلوا لله شركاء الجن ، على وجه فإن لله شركاء إن جملا مفعولين
جعلوا فالجن يحتمل وجهين أحدهما ما ذكره الشيخ عبد القاهر أن يكون منصوبا
بمحذوف دل عليه سؤال مقدر كأنه قيل من جعلوا لله شركاء فقيل الجن فيفيد
الكلام إنكار الشريك مطلقا فيدخل اتخاذ الشريك من غير الجن فى الإنكار
دخول اتخاذ من الجن ، والثانى ما ذكره صاحب الكشف أن ينتصب الجن
بدلا من شركاء فيفيد إنكار الشريك مطلقا أيضا ، قال : وإن جعلت لله لفرأ

لأنَّ أوَّل الكلام غير مُطعِم في ذِكْرِهِ . وَأَمَّا ذِكْرُهُ فَلَمَّا مَرَّ ، أَوْ أَنْ
يَتَعَيَّن كَوْنُهُ اسْمًا أَوْ فِعْلًا . وَأَمَّا فِرَاقُهُ فَلِكَوْنِهِ غَيْرَ سَبْقِيٍّ مَعَ

كان شركاء الجزن مفعولين قدم ثانيهما على الأول وقائدة التقديم استعظام أن يتخذ
فه شريك من كان ملكاً أو حراً أو غيرهما . ولذلك سمى اسم الله على الشركاء
(فلما مر) في ذكر المسند إليه من أن الذكر هو الأصل ولا مقتضى العدل
عنه ومن الاحتياط لضعف التحويل على القرينة ومن الرخص بفاوة السامع
مثل قوله تعالى : بل لعله كبيرهم هذا بعد ، وقوله : أأنت صنعت هذا بأهتنا بإبراهيم
وغير ذلك (أو أن يتعين كونه اسماً) فيستعاد منه الشرر (أو فعلاً) فيستفاد
منه التجدد (فلكونه غير سبقي إلى آخره) إليك جارة السكاني مع شيء من
التصرف قال : وأما الحالة المقتضية لأفراد الأسماء فهي إما أن تكون فعلياً ولم يكن
المقصود من نفس التركيب تقوى الحكم والمراد بالفعل بما يكون مفهوماً محكوماً
به بالثبوت للمسند إليه أو بالانتفاء عنه كقولك أو يريد منظاره الكر من الربستين
وحارب آخر عمرو ويشكر كعمرو أن تعطه وفي النار حاله إذ تقديره واستقر
أو حصل في النار على أقوى الاحتمالين فقام الصلة بالظرف . بما يقتضي أن يكون
جملة أن يراد تقوى الحكم نفس التركيب كقولك (١) أنا م . أنت عرفت وهو

(١) بينا لك سبب التقوى في مثل هذه المثل عند الكلام على تقديم المسند
إليه على ما رآه الشيخ عبد القاهر ، أما على ما ذكره السكاكي فسبب التقوى أن
المبتدأ لكونه مبتدأ يستدعي أن يسند إليه شيء . فلهذا جاء بعده ما يصاحبه
أن يسند إليه صرفه إلى نفسه فيستفاد بينهما حكم سواء كان ثانياً عن الصمير
أو متضمناً له ثم إذا كان متضمناً لضميره ص به ذلك الصمير إلى المبتدأ ثانياً
فيكسب الحكم قوة .

هَدَمَ إِفَادَةُ تَقْوَى الْحُكْمِ ؛ وَالْمَرَادُ بِالسَّبِيحِ نَحْوُ : زَيْدٌ أَبُوهُ مُنْطَلِقٌ ،
وَأَمَّا كَوْنُهُ فِيْلًا فَلْتَقْيِيدُ بِأَحَدِ الْأَزْمِنَةِ الثَّلَاثَةِ عَلَى أَخْصَرِ وَجْهِ ، مَعَ
إِفَادَةِ التَّجَدُّدِ كَقَوْلِهِ :

أَوْكُلْنَا وَرَدَّتْ عُكَاظُ قَبِيلَةٍ • نَعْنُوا إِلَى عَرِيفِهِمْ يَتَوَسَّمُ

عرف وزيد عرف أو أن يكون المسند سيبياً وهو أن يكون مفهومه مع الحكم
عليه بالثبوت لما هو مبنى عليه أو بالانتماء عنه المطلوب التعليق بغير ما هو مبنى
عليه تعليق إثبات لذلك الغير بنوع ما أو نفي عنه بنوع ما أو يكون المسند فعلاً
يستدعي الاستناد إلى ما بعده بالإثبات أو بالنفي فيطلب تعليقه على ما قبله
بنوع إثبات أو نفي ليكون ما بعده بسبب ما قبله ، فالأول نحو زيد أبوه منطلق
فإن مفهوم منطلق مع الحكم عليه بثبوته لمبتدئه يعنى أبوه قد علق بزيد بالإثبات
له وزيد غير ما بنى منطلق عليه ، والثاني نحو عمرو ضرب أبوه ، فإن ضرب فعل
أسند إلى ما بعده وهو أخوه ثم علق على ما قبله وهو عمرو بالإثبات لأن الآخر
متعلق به ومضاف إلى صميره (كقوله) أى قول طريف بن تميم العنبري من
آيات يصف بها نفسه بالشجاعة (أو كلما إلى آخره) فاللغى على قوسه وتأمل
ونظر تجد من الريف هناك حالا ، ونصيح منه للوجود واحداً بعد
واحد ، ولو قيل متوسماً لم يفد ذلك حتى الإفادة . ومن البين في ذلك قوله
جل شانه : هل من غائق غير الله يرزقكم ، إذ لو قيل هل من غائق غير الله
راذق لكم لكان المعنى غير ما أريد ، وقول الاعشى :

وَأَمَّا كَوْنُهُ إِنَّمَا فَلِلْفَائِدَةِ عَدَمِهَا كَقَوْلِهِ :

لَا يَأْتِي الدَّرَمُ الضَّرْبُ ضَرْمَتَنَا لَكِنْ يَرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقٌ
وَأَمَّا تَقْيِيدُ الْفِعْلِ بِمَفْعُولٍ وَنَحْوِهِ فَمِثَرِيَّةُ الْفَائِدَةِ ، وَالتَّقْيِيدُ فِي نَحْوِ

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عَيُونٌ كَثِيرَةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ مَحْرُوقٍ^(١)
تَشَبُّ لِيَقْرُوْرَتِي بِصَطْلِيَانِيهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ
المنى بل أن هناك موقداً يتجدد منه الإلهاب والإشعال حالا لحالا ، وإذا
خيل إلى ضوء نار متحركة كان المنى أن هناك نارا تدببت لها وفيها هذه الصفة
وحسرى ذلك جرى أن يقال إلى ضوء نار خليفة في أنه لا يفيد فعلا يفعل
هنا ، وعكاظ منسوق للعرب يجتمعون فيه فيقتاضدون ويتفاخرون . يقول
الحسام : إن لكل قبيلة على جناية فني وردوا عكاظ طلبني الكافل مأمرهم ،
(للإفادة بهما) أى عدم التقييد المذكور وإقادة التمدد ، لأد الاسم وسيم
لأجل أن ثبت ه المنى الشيء حسب (كقوله) أى قول الضربين سوية يتدح
بالنفي والكرم - فالمنى أن الانطلاق من الصرة ثابت الدرم دائما ، عما هو
ظاهر في ذلك قوله تعالى : وكلهم بأسط ذراعيه بالوصيد ، فإن أحدا لا ينك
في امتناع الفعل هنا كما لا يخفى (ونحوه) كالحال والتميز (فلتد الفائدة)
لأن الحكم العارى عن الضود لا يزيد عن فائدة نسبة المحكوم ه للحكوم
عليه بل ربما كان ذلك الحكم معلوما عند السامع ، فلا صد فإذا زيد قيد كان

(١) لاحت : لمعت ، واليفاع : ملاء جمع من الأرض . وتشب : توفد ،
والقروور : المضارب بالقر وهو البرد ، والندى : الكرم ، والمحلق : اسم رجل
كريم من ولد أبي بكر بن كلاب من بني عامر

كَانَ زَيْدٌ مُنْطَلِقًا هُوَ مُنْطَلِقًا لَا كَانَ . وَأَمَّا تَرْكُهُ فَلَدَانِعٍ مِنْهَا . وَأَمَّا تَقْيِيدُهُ بِالشَّرْطِ ، فَلِلْعَتَبَارَاتِ لَا تُعْرَفُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ مَا يَتَّبِعُ أَدْوَاتِهِ مِنَ التَّفْصِيلِ ، وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ فِي عِدَّةِ النُّحُو ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ هَهُنَا فِي إِنْ وَإِذَا وَتَو . . . وَنُ وَإِذَا لِلشَّرْطِ فِي الْإِسْتِقْبَالِ ، لَكِنْ أَصْلُ إِنْ عَدَمُ الْجَزْمِ بِوُقُوعِ الشَّرْطِ ، وَأَصْلُ إِذَا الْجَزْمُ بِوُقُوعِهِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ الْمَادِرُ مَوْقِعًا لِإِنْ ، وَغَلَبَ لَفْظُ اللَّامِ مَعَ إِذَا نَحْوُ : فَإِذَا جَاءَتْهُمْ

فِيهِ فَائِدَةٌ غَرِيبَةٌ : وَكَمَا كَثُرَتْ قِيوده كَثُرَتْ فَوَائِدُهُ (هُوَ مُنْطَلِقًا لَا كَانَ) لِأَنَّهُ مُنْطَلِقًا هُوَ الْمُسَدَّدُ حَقِيقَةً وَكَانَ قَبْدُهُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى زَمَانِ النِّسْبَةِ (تَرْكُهُ) أَيْ تَرْكُ تَقْيِيدِ الْمُسَدَّدِ (فَلَدَانِعٍ مِنْهَا) أَيْ مِنْ تَرْبِيَةِ الْفَائِدَةِ كَعَدَمِ الْعِلْمِ بِالْحَقِيقَاتِ أَوْ عَدَمِ الْإِحْتِيَاجِ إِلَيْهَا وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ (تَقْيِيدُهُ) أَيْ الْفِعْلُ (أَدْوَاتُهُ) أَدْوَاتُ الشَّرْطِ (وَلِلشَّرْطِ فِي الْإِسْتِقْبَالِ) أَيْ لِتَعْلِيقِ حَاصِلِ الْجُزْأِ بِمَحْصُولِ الشَّرْطِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ (وَلِذَلِكَ كَانَ الْمَادِرُ مَوْقِعًا لِإِنْ) لِأَنَّهُ غَيْرُ مُقْطُوعٍ بِهِ وَغَالِبُ الْأَمْرِ (١) (وَغَالِبُ الْمَطْلُوعِ مَعَ إِذَا) لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْقَطْعِ بِالْوُقُوعِ نَظَرًا إِلَى الْمَطْلُوعِ وَبَعْدَهُ ، فَلَا يَبْدُو لِلْبَلِيغِ مِنَ الْعِلْمِ بِمَوْجَعِ أَنْ وَإِذَا سِوَى بَكُونِ بِنَجْوَةٍ مِنَ الْخَطَا وَمَعَاذَةِ مِنَ الْقَوْمِ ، أَوْ مَا تَرَى كَيْفَ انْحَرَا بِاللَّامَةِ عَلَى عِبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانٍ إِذَا أَخْطَأَ هُمَا الْمَوْجَعُ فِي قَوْلِهِ يَخَاطَبُ بَعْضَ الْوَلَاةِ وَهَذَا سَأَلُهُ حَاسِبَةٌ فَلَمْ يَقْضِئْ ثُمَّ شَمِعَ لَهُ فِيهَا فَتَضَاهَا :

(١) قَالُوا ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَادِرَ - وَهُوَ مَا وَقُوعُهُ قَلِيلٌ - قَدْ يَجْزِمُ بِوُقُوعِهِ كَمَا يَجْزِمُ بِوُقُوعِ الْيَوْمِ الْآخَرِ مَعَ تَدْوِيرِ وَقُوعِهِ إِذْ لَا يَحْصُلُ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً .

الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُنَا سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ، لَأَنُكْرَاكَ
الْحَسَنَةَ الْمَطْلُوقَةَ ، وَلِهَذَا عُرِفَتْ تَعْرِيفُ الْجَنَسِ ، وَالسَّيِّئَةُ نَادِرَةٌ بِالنَّبَةِ
إِلَيْهَا ، وَلِهَذَا نُسَكَّرَتْ ؛ وَقَدْ تُسَمَّلُ إِنْ فِي الْجَزْمِ تَجَاهُلًا أَوْ لِعَدَمِ جَزْمِ

ذُمِّتْ وَلَمْ تُحْمَدْ وَأُذِرْتُ حَاجَتِي تَوَلَّى سِوَاكُمْ أَجْرَمَا وَاضْطَنَاعَهَا
أَبَى لَكَ كَسْبَ التَّحْدِيدِ رَأْيِي مُقَصَّرٌ وَنَفْسُ أَصَاحِ اللَّهِ بِإِتِّفَاقٍ بَاعَهَا
إِذَا مَرَّ جَنَّتُهُ عَلَى الْخَيْرِ مَرَّةً عَصَاهَا وَإِنْ هَمَّتْ بِشَرٍّ أَطَاعَهَا

(جاءتهم) قوم موسى (الحسنه) من الخصب والرخاء (لنا هذه) لاجلنا
ونحن مستحقوها (سيئة) جذب وبلاء (لأن المراد إلى آخره) أصل هذا
الكلام لمصاحب الكشف غفر الله له وهماك عبارة : فإن قلت كيف قيل فإذا
جاءتهم الحسنه فإذا وتعريف الجنس وإن تصبهم سيئة بأن وتكثير السيئة ، قلت
لأن جنس الحسنه وقوعه كالواجب لكثرة وانساعه ، وأما السيئة فلا تقع
إلا في الندرة ولا يقع إلا شيء منها ، انتهى كلامه . أما قوله تعالى : إذا مس
الناس ضر ، بلفظ إذا مع الضر فلفظ إلى لفظ المس وإلى تكثير الضر المقيد
في المقام التوبيخي القصد إلى اليسير من الضر وإلى الناس المستحقين أن يلحقهم
كل ضرر والتنبية على أن مأسا قدر يسير من الضر لأمثال هؤلاء حقه أن
يكون في حكم المقطوع به ، وأما قوله تعالى : وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض ،
بعد قوله عز وجل : وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ، أي أعرض
عن شكر الله وذهب بنفسه وتكبر وتعظم ، فالذي تقتضيه البلاغة أن يكون
الضمير في مسه للعرض المتكبر ، ويكون لفظ إذا للتنبية على أن مثله يحق أن
يكون انلاؤه بالشر مقطوعاً به (تجاهلاً) لاستدعاء المقام إياه كما إذا استطلعت

لِلْخَالِصِ كَقَوْلِكَ لِمَنْ يَكْذِبُكَ : إِنْ صَدَقْتُ فَأَذًا تَقَعُ ، أَوْ تَنْزِيلِهِ
مَنْزِلَةَ الْجَاهِلِ لِحَاقَتِهِ مُقْتَضَى الْعِلْمِ أَوِ التَّوْبِيخِ ، وَتَصْوِيرُ أَنْ لِلْقَامِ لَاشِيَاهُ
عَلَى مَا يَقْلَعُ الشَّرْطُ عَنْ أَصْدِهِ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِقَرْمِهِ كَمَا يَفْرَضُ الْحَالُ نَحْوُ :
أَفَنْضَرْبُ عَنَّاكَ الَّذِي كَرَّ صَفْحًا إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ، فَيَمُنْ قَرَأَ إِنْ
بِالْكَثْرِ ، أَوْ تَقْلِيلٍ غَيْرِ التَّصْفِيهِ بِهِ عَلَى التَّصْفِيهِ : وَقَوْلُهُ تَعَالَى : وَإِنْ كُنْتُمْ

لَيْتَكَ فَتَقُولُ إِنْ بَطَلَ الْمَسْحُ وَبَقِيَ الْعِلُّ أَفَلْ كَذَا فَتَجَاهِلُ تَوَلَّاهُ وَتَضَرَّأَ
(أَوْ تَنْزِيلِهِ إِلَى آخِرِهِ) كَمَا يَقُولُ الْآبُ لِابْنٍ لَا يَرَاعِي حَقَّهُ ، أَفَلْ مَا شِئْتَ إِنْ
إِنْ لَمْ أَكُنْ لَكَ أَبًا كَيْفَ تَرَاعَى حَقَّ (كَمَا يَفْرَضُ الْحَالُ) مَتَى تَعْلَقُ بِفَرْضِهِ
غَرَضٌ مِنَ الْأَغْرَاضِ نَحْوُ إِرْعَاءِ الْعَنَانِ لِإِزَامِ الْحَصَمِ وَالتَّكْيُوتِ كَمَا ذَكَرَ الرَّعْشَرِيُّ
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا ، أَنَّهُ مِنْ بَابِ التَّكْيُوتِ
لِأَنَّ دِينَ الْحَقِّ وَاحِدٌ لَا يَرُودُ لَهُ مِثْلٌ ، فَقِيلَ فَإِنْ آمَنُوا بِكَلِمَةِ الشَّكِّ عَلَى سَبِيلِ
الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ ، أَيْ فَإِنْ حَصَلُوا دِينًا آخَرَ مِثْلَ دِينِكُمْ مَسَاوِيًا لَهُ فِي الصَّحَةِ
وَالسَّادَةِ فَقَدْ اهْتَدَوْا . وَفِيهِ أَنْ دِينَهُمُ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ وَكُلُّ دِينٍ سِوَاهُ مُضَارٌّ لَهُ
غَيْرُ مِمَّا نِلَ لَاهُ حَقٌّ وَهَدَى وَمَا سِوَاهُ بَاطِلٌ وَخِلَالٌ ، وَنَحْوُ هَذَا قَوْلُكَ لِلرَّجُلِ
نَسَرَ عَلَيْهِ هَذَا هُوَ الرَّأْيُ وَالصَّوَابُ فَإِنْ كَانَ عِنْدَكَ رَأْيٌ أَصَوَّبَ مِنْهُ فَاعْمَلْ بِهِ
وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ لَا أَصَوَّبَ مِنْ رَأْيِكَ ، وَاسْتَكْنَكَ تَرِيدُ تَكْيُوتَ صَاحِبِكَ وَتَوْقِيفَهُ
عَلَى أَنْ مَارَأَيْتَ لَا رَأْيَ وَرَأَاهُ (نَحْوُ أَفَنْضَرْبِ الْآيَةِ) فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ الْإِسْرَافَ
مَقْطُوعٌ بِهِ لَكِنْ جَاءَ بِهَذَا الْفِعْلِ الْإِسْرَافُ وَالتَّجَهُّلُ فِي ارْتِكَابِ الْإِسْرَافِ ،
وَتَصْوِيرُ أَنَّ الْإِسْرَافَ مِنَ الْعَاقِلِ فِي هَذَا الْمَقَامِ — مَقَامِ ظُهُورِ الْآيَاتِ وَنَزُولِ
الْقُرْآنِ — حَرَى أَنْ لَا يَكُونَ ثَبُوتُهُ لَهُ إِلَّا عَلَى بَعْدِ الْقَرَضِ وَالتَّقْدِيرِ (بِهِ) أَيْ

فِي رَسْمِهِمَا نَزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ، بِحَتْمِلُهُمَا . وَالتَّغْلِيْبُ يُجْرَى فِي فَنُونٍ كَقَوْلِهِ
تَعَالَى : وَكَانَتْ مِنَ الْقَانَتَيْنِ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ ، وَمِنْهُ أَيْوَانُ

بالشرط (بِحَتْمِلُهُمَا) أى يحتمل أن يكون للتوبيخ على الرية وتصور أن الرية
عما لا ينبغي أن تلبس لم إلا على القرض لاشتغال المقام على ما يربطها وهو الآيات
وأن يكون لتغليب غير المرتابين من المخاطبين على المرتابين منهم ، فإنه كان فيهم
من يعرف الحق وإنما ينكر عناداً (والتغليب) وهو أن يغلب على الشيء ما فيه
التناسب بينهما أو اختلاط ، وهو أمر يجري في كل متناسبين ومختلطين بحسب
المقامات لكن غالب أمره دائر على الشرف والحفة (وكانت من القانتين)
فعدت الأتى من المذكور بحكم التغليب ، لأن القنوت مما يوصف به الذكور
والإناث ، ولولا ذلك لقليل وكانت من القانتات (بل أنتم قوم تجهلون) فكان
القياس يجهلون لأن الضمير عائد إلى قوم ولغناه لفظ القانت لكونه اسماً مظهرآ
لكنه في المعنى عبارة عن المخاطبين ، فغلب جانب الخطاب على جانب النية ،
(ومنه أويان) ومنه قوله تعالى : لخرحك يا شعيب والذين آمنوا معك من
قريقتنا أو لتعودن في ملتنا ، أدخل شعيب عليه السلام في لتعودن في ملتنا بحكم
التغليب إذ لم يكن شعيب في ملتهم ، وقوله تعالى : فسجدوا إلا إبليس ، عدد
إبليس من الملائكة بحكم التغليب ، وقوله تعالى : جعل لكم من أنفسكم أزواجا
ومن الأنعام أزواجا يذروكم فيه ، فإن الخطاب فيه شامل للعقلاء والأنعام فغلب
فيه المخاطبون على القانتين والعقلاء على الأنعام ، وقوله يذروكم فيه : أى يشكم
ويكثركم في هذا التدبير ، وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجا حتى كان بين
ذكورهم وإناثهم التوالد والناسل ، لجل هذا التدبير كالمعدن والمنبع البث والتكثير
ولذلك قيل يذروكم فيه ولم يقل به كما في قوله تعالى : ولكم في الفصا ص حياة .

وَنُفُوهُ ، وَلِكُونِهِمَا لِتَعْلِقَ أَمْرُ بَيِّنِهِ فِي الْإِسْتِقْبَالِ كَانَ كُلُّ
مِنْ جُلُوعٍ كُلِّ قَلِيلَةٍ اسْتِقْبَالِيَّةٍ ، وَلَا يُخَالَفُ ذَلِكَ لَفْظًا

(ونحوه) كالشرق والمغرب ، والقمر ، الشمس والقمر ، والحسين
الحسن والحسين وما أشبه ذلك ما غلب أحد المتصاحبين أو المتشابهين على الآخر
بأن جعل متفقاً له في الاسم ، ثم تبيّن ذلك الاسم وقصد إليهما جميعاً (ولكونهما)
إن وإذا (لتعلق أمر) وهو حصول مضمون الجزء (بغيره) وهو حصول
مضمون الشرط (في الاستقبال) مرتبط بلفظ غيره على معنى جعل حصول
الجزء مترتباً على حصول الشرط في الاستقبال (كان كل من جعل كل فعلية
استقبالية) ذاك لأن الشرط كما لا يخفى مفروض الحصول في الاستقبال فيمتنع
ثبوته ومضيه ، والجزء معلق حصوله على حصول الشرط في الاستقبال ، ويمتنع
كما هو ظاهر تعليق حصول الحاصل الثابت على حصول ما يحصل في المستقبل
(لفظاً) وأما معنى فلا يمكن التغافل بحال ، وقوله تعالى : وإن يكذبوك
فقد كذبت رسل من قبلك ، معناه فاصبر ولا تحزن فقد كذبت رسل من قبلك ،
وقوله : إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ، ومعناه ينصره
من نصره قبل ذلك . وقس على هذا بقدر ما يناسب المقام وهذا ، وقد تستعمل (١)
إن في غير الاستقبال قياساً إذا كان الشرط لفظ كان مثل قوله تعالى : وإن كنتم
فريب عما نزلنا على عبدنا الآية ، وفي غير ذلك قليلاً ، كقول أبي العلاء المبرى :

(١) يكون ذلك إذا قصد بها تعليق الجزء على حصول الشرط في الماضي
ولا يقال إن هذا يتنافى ما قدمناه آخفاً من أن الشرط مفروض الحصول في
الاستقبال لأننا نقول هذا حين استعمال إن لتعليق في المستقبل كما هو غالب أمرها .

إِلَّا لِنَكْتَةٍ ، كَأَمْرٍ لَّا غَيْرَ الْحَاصِلِ فِي مَقَرِّ الْحَاصِلِ ، لِقُوَّةِ الْأَسْبَابِ
أَوْ كَوْنِ مَا هُوَ فَوْقَ قَوْعٍ كَالْوَقْعِ أَوْ التَّقَاوُلِ ، أَوْ لِهَاجِرِ الرِّغْبَةِ فِي وَقْعِهِ

وَلَمَّا ذَهَلَتْ عَمَّا أَجِبْ صُدُورُهَا فَقَدْ أَلْهَبَتْ وَجَدًا غَمُوسَ رِجَالٍ (١)
لظهور أن المعنى على المعنى دون الاستقبال ، وقد تستعمل إذا للمعنى مثل قوله
تعالى : حتى إذا بلغ بين السدين . حتى إذا ساوى بين الصدفين . حتى إذا جعله
ظراً ، وللاستمرار مثل قوله جس شأنه : وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا .
(إلا لنكتة) فإن قلت فأي نكتة في قوله تعالى : إن يتفوقكم يكونوا لكم أعداء
ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لتكفرون ، وقد ذكر في موضع
جواز هذا الشرط ثلاث جهل متعاطفة وعدل في الثالثة إلى لفظ الماضي ، فإنما
تقول الفرض من ذلك كما قال الزعزعي الدلالة على أنهم ودوا قبل كل شيء
حسب المؤمنين وارتدادهم ، يعني أنهم يريدون أن يلبسوا بكم مضار الدنيا
والدين جميعاً من قتل النفس وتمزيق الأعراض وردكم كفاراً ، وردكم كفاراً
أسبق المضار عندهم وأولها لعلهم أن الدين أمر عليكم من أرواحكم لأنكم بذالون
لها دونه والعدو أم شيء عنده أن يقصد أمر شيء عند صاحبه (لقوة الأسباب)
وذلك كما تقول حال انقضاء أسباب الاشتراء إن اشترينا كذا كان كذا (أو كون
ما هو للوقوع كالواقع) هذا كما هو ظاهر معطوف على قوة الأسباب يعني أنه يعبر
بالماضي عن المستقبل في جملة الشرط لتقصد إبراز غير الحاصل في العرض الحاصل
لكون المعنى شأنه الوقوع فهو كالواقع في ترتب ثمرة الوقوع في الجملة على كل
منهما وذلك مثل أن تقول إن كنت كان كذا وكذا (في وقعه) أي وقوع الشرط أو

(١) يقول : إن هذه الإبل قد أحرقت بجنيها قلوب رجال ، يعني
راكبها وإن غلت صدورها عن للوجد الذي أخره .

نَحْوُ : إِنْ ظَنَرْتُ بِمَحْنِ السَّاقِيَةِ فَهُوَ لِلرَّامِ ، فَإِنَّ الطَّالِبَ إِذَا عَطَلَتْ رَفِيقَتَهُ
فِي حُصُولِ أَمْرٍ يَكْثُرُ تَصَوُّرُهُ لِبَاءَهُ ، قَرِيبًا بِخَيْلٍ إِلَيْهِ حَاصِلًا ، وَعَلَيْهِ :
إِنْ أَرَدَنْتَ تَحَصُّنًا . السَّكَائِي : أَوْ لَتَمْرِضَ نَحْوُ : لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَتَحَبَّنَّ

غير الحاصل (إن ظفرت إلى آخره) هو مثال للأمرين قبله (فرما بخيل إليه
حاصل) وقد يقوى هذا التخيل عند الطالب حتى إذا وجد حكم المحس بخلاف
حكمه غلطه تارة واستخرج له محلا أخرى وعليه قول أبي العلاء المعري :

مَا سِرْتُ إِلَّا وَطَبَّبْتُ مِنْكَ بِصَحْبِي سُرَى أُمَامَى وَتَأْوِيًا عَلَى أَثَرِي
يقول لكثرة ما ناجيت نفسي بك انتفتحت في خيالي فأعدك بين يدي مغلطاً
البصر بملء الظلام إذا لم يدركك ليلاً أُمَامَى وأعدك خلقاً إذا لم يقسر لي غلطي
حين لا يدركك بين يدي نهراً (وعليه) أى على إظهار الرغبة في الوقوع قوله
تعالى : وَلَا تَكْرَهُوا قِتَابَتَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ، فلم يقل إن اردن
وجيء بلفظ الماضي للدلالة على توفر الرغبة في إرادته التحصن ، وإنما قال
وعليه لأن الله منزه عن الرغبة ، والمراد هنا لا إمامها وهو كالرضا به .
هنا ، وقائدة قوله إن أردن تحصناً أن يوضع عند المخاطب الوقوع في الإكراه
لكن يعرف أنه كان ينبغي له أن يأتي من هذه الرذيلة ، وإن لم يكن ثم راجع
شرعي ، ذلك لأن مضمون الآية النداء عليه بأن أمته خير منه لأنها أثرت
التحصن عن القاحشة وهو باب الإكراه عليها (نحو لئن أشركت) فالمخاطب
لحمد عليه السلام وعدم إشراكه مقطوع به لكن جيء بلفظ الماضي لإيراد
الإشراك في معرض الحاصل على سبيل الفرض والتقدير تضرعاً لمن صدر عنهم
الإشراك بأنهم قد حبطت أعمالهم ، وما هو بين في ذلك قوله تعالى : وَلَئِنْ
اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ، قال صاحب الكشاف

عَمَلِكُمْ ، وَنَظِيرُهُ فِي التَّعْرِيضِ : وَمَالِي لَا أَعْبُدُ إِلَهَ قَطَرِي ؟ أَيْ وَمَلَائِكُمْ
لَا تَقْبُدُونَ إِلَهَ قَطَرِكُمْ ، بِدَلِيلِ وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ ؛ وَوَجْهُ حُسْنِهِ إِمْتِنَاعُ
الْمُخَاطَبِينَ الْحَقَّ عَلَى وَجْهِ لَا يَزِيدُ غَضَبَهُمْ ، وَهُوَ تَوَكُّهُ التَّعْرِيجَ بِنِسْبَتِهِمْ
إِلَى الْبَاطِلِ ، وَيُعِينُ عَلَى قَبُولِهِ لِيَكُونَهُ أَدْخَلَ فِي إِمْتِنَاعِ النَّصِيحِ ، حَيْثُ
لَا يَزِيدُ إِلَّا مَا يَزِيدُ لِنَفْسِهِ . وَلَوْ لِلشَّرْطِ فِي اللَّاحِظِ مَعَ الْقَطْعِ بِإِنْتِفَاءِ
الشَّرْطِ فَيَلْزِمُ عَدَمُ الثَّبُوتِ وَالْمُضِيِّ فِي جَمَلَتَيْهَا ، فَدُخُولُهُ عَلَى الْمَقَارِعِ

هذا الكلام ورد على سبيل التعميم والتقدير ، وفيه لطف السامعين وزيادة محذور
واستغفار لخال من يترك الدليل بعد إلمامه بربيع الهوى (ونظيره في المريض
ومال لا أعبد الذي فطرني) ومثل ذلك قوله تعالى : أَلَا تَتَذَكَّرُونَ أَنَّهُ إِنْ
يَرُدُّنَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئاً وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى إِذَا لَقِيَ ضَلَالٍ مُبِينٍ .
إِذَا الْمَرَادُ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يَرُدُّكُمْ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْكُمْ شُعَاعَتُهُمْ
شَيْئاً وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَيْكُمْ إِذَا لَقِيَ ضَلَالٍ مُبِينٍ وَلِهَذَا قِيلَ أَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ دُونَ بَرِيٍّ
وَأَتَّبَعْتُمُ الْفِتْنَةَ (بَدِيلٌ وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ) إِذْ لَوْلَا التَّعْرِيضُ لَكَانَ الْمُنَاسِبُ وَإِلَيْهِ
أَرْجَعْ لَأَنَّهُ الْمَوَاقِفُ السَّيَاقُ (حُسْنُهُ) أَيْ التَّعْرِيضُ (الْمُخَاطَبِينَ) الَّذِينَ هُمْ أَعْدَاءُ
الْمُتَكَلِّمِ (وَمُعِينٌ) عَنَّفَ عَلَى قَوْلِهِ لَا يَزِيدُ أَيْ أَنَّ ذَلِكَ الْوَجْهَ لَا يَزِيدُ غَضَبَهُمْ . وَهُوَ
عَلَى ذَلِكَ يُعِينُ عَلَى قَبُولِ الْحَقِّ (وَلَوْ لِلشَّرْطِ فِي اللَّاحِظِ إِلَى آخِرِهِ) يَقُولُ أَصْلُ
لَوْ أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْجُزْءَ كَانَ فَيَا مَعْنَى بِمَحِيطٍ يَقَعُ عَلَى تَقْدِيرِ وَقُوعِ الشَّرْطِ
مَعَ الْقَطْعِ بِإِنْتِفَاءِ الشَّرْطِ الْمُتَقَضَّى انْتِفَاءُ الْجُزْءِ فَأَنْتَ إِذَا قُلْتَ لَوْ جِئْتُ لَأَكْرَمْتُكَ
فَهِيَ أَنَّ الْجَمْعَ . شَرْطٌ فِي الْإِكْرَامِ وَأَنَّهُ عَلَى تَقْدِيرِ وَقُوعِهِ يَجْعَلُ وَفَهْمٌ مَعَ هَذَا
أَنَّ الْأَوَّلَ لَمْ يَقَعْ فَيَلْزِمُ — حَيْثُ كَانَ الْجَمْعُ شَرْطاً وَاتَّفَقَ — انْتِفَاءُ الشَّرْطِ
الَّذِي هُوَ الْجُزْءُ ، وَمِنْ هُنَا قِيلَ إِنْ لَوْ لَأَمْتِنَاعُ الشَّيْءِ لَأَمْتِنَاعُ غَيْرِهِ وَتَوْفِيقُهُ
ذَلِكَ حَقٌّ مِنَ الْبَيَانِ أَمَّا يَلْمُ الْفَتَى (وَالْمُضَى) وَذَهَبَ الْمُرَدُّ إِلَى أَنَّهَا تَسْتَعْمَلُ

فِي نَحْوِ: لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَمَنِشْتُمْ، لِقَصْدِ اسْتِمْرَارِ الْفِعْلِ
فِيَا مَعَى وَقْتًا فَوْقَتَا، كَأَنَّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ، وَفِي نَحْوِ:
وَلَوْ تَرَى إِذْ وَهَبُوا عَلَى النَّارِ، لِنَزِيلِهِ مَنَزِلَةً لِّلْأَخْيَرِ لِمَصْدُورِهِ عَمَّنْ
فِي الْمُسْتَقْبَلِ اسْتِعْمَالُ إِنَّ وَأَنَّ قَوْلَ الْهَذَلِ:

وَلَوْ تَلَوْتَنِي أَصْدَاؤُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا

وَمِنْ دُونِ رَمْسَيْنَا مِنَ الْأَرْضِ سَبَبٌ^(١)

أَفَلَا صَدَى صَوْتِي وَإِنْ كُنْتُ رَمَّةً لِّصَوْتِ صَدَى لَيْلِي يَهْشُ وَيَطْرُبُ
(لَعَنْتُ) أَي لَوْعَنْتُ وَ الْعَنْتُ وَالْهَلَكَ، يُقَالُ فُلَانٌ بَنَعْتُ فُلَانًا: أَي طَلَبْتُ
مَا يُوْدِيهِ إِلَى الْهَلَكَ، وَهَذَا عِنْتُ الْأَطْلَمِ إِذَا هِيَضَ بِدِ الْجَبْرِ (لِقَصْدِ اسْتِمْرَارِ
الْعَمَلِ إِلَى آخِرِهِ) قَالَ الرَّعْتَرِيُّ: إِنَّمَا قِيلَ يُطِيعُكُمْ دُونَ أَطَاعَكُمْ لِدَلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ
كَانَ وَ إِرَادَتُهُمْ اسْتِمْرَارَ عَمَلِهِ عَلَى مَا يَتَصَوَّرُونَهُ، وَإِنَّهُ كَلَّمَا عَنْ لَهْمِ رَأَى
فِي أَمْرٍ كَانَ مَدْبُولًا عَلَيْهِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ، كَقَوْلِكَ فُلَانٌ يَقْرَى
الضَّيِّبَ وَيَحْمِي الْحَرِيمَ: تَرِيدُ أَنَّهُ اعْتَادَهُ وَوَجَدَ مِنْهُ مَسْتَرًا (كَأَنَّهُ قَوْلُهُ
أَلَهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) قَالَ فِي الْكَشَافِ: فَإِنْ قُلْتَ هَلَا قِيلَ إِنَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ لِيَكُونَ
طَبَقًا لِقَوْلِهِ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَوْنَ، قُلْتَ لِأَنَّ يَسْتَهْزِئُ يَفِيدُ حُدُوثَ الْاسْتِهْزَاءِ
وَتَجَدُّدَهُ وَقْتًا بَعْدَ وَقْتٍ وَهَكَذَا كَانَتْ نَكَايَاتُ أَهْلِ فِيهِمْ وَبَلَايَاهُ النَّازِلَةُ بِهِمْ
(وَفِي نَحْوِ وَلَوْ تَرَى إِلَى آخِرِهِ) مِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ: وَلَوْ تَرَى إِذْ الظَّالِمُونَ
مَوْفُورُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَقَوْلُهُ: وَلَوْ تَرَى إِذْ الْجَاهِلُونَ نَاكِسُوا رُؤُسَهُمْ. هَذَا

(١) الْأَصْدَاءُ جَمْعُ صَدَى: ظِلُّ الصَّوْتِ يَرْجِعُ مِثْلُهُ فِي الْجَبَلِ وَنَحْوِهِ،
وَالرَّسْ: الْقَبْرُ، وَالسَّبَبُ: الْغَاظَةُ، وَيَهْشُ: يَرْتَاحُ وَيَمِيلُ.

لا خِلَافَ في إخباره ، كافي : رَبُّمَا يَوْمُ الدِّينِ كَفَرُوا ! أَوْ لَا اسْتِحْضَارِ
الصُّورَةِ كَمَا قَالَ نَسَائِلُ : فَتَثِيرُ سَعَابًا ، اسْتِحْضَارًا لِتِلْكَ الصُّورَةِ الْبَدِيَّةِ
الَّذِي عَلَى الْقُدْرَةِ الْبَاهِيَةِ . وَأَمَّا تَنْكِيرُهُ : فَلِإِرَادَةِ عَدَمِ الْحَضَرِ وَالْمَهْدِ ،
كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ كَاتِبٌ وَتَحْمَرُّو شَايِرٌ ، أَوْ لِفَتْحِهِ ، نَحْوُ : هَذِي

ويعود أن تكون لو في هذه الآيات التي ، كأنه قال وليتك ترى ، وحيث
لا استبعاد لأن التي التي تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي (كما
في رجاورد) قال صاحب الكشف : فإن قلت لم دخلت ربما على المضارع
وقد أبوا دخولها إلا على الماضي ؟ قلت لأن المترقب في إخبار الله تعالى بمنزلة
الماضي المقطوع به في تحفته فكأنه قيل رجاورد (أو لاستحضار الصورة)
هو مخطوف على قوله لتزيه يعني صورة رؤية الكافرين موقوفين على النار
قائلين باليقين أن لا تكذب بآيات ربنا ، وكذا صورة رؤية الظالمين موقوفين
عند ربهم والمجرمين ناكسي رؤسهم متقابلين بتلك المقالات وصورة وذادة
الكافرين لو أسلوا (كافي قوله تعالى فتثير سحاباً) وكما في قول تأبط شراً :

أَلَا مَنْ مَبْلُغٌ فَيَتَيَّانَ فَنَّهُم بِمَا لَأَقِيْتُ عِنْدَ رَحَا بَطَانِ
بِأَيِّ قَدْ قِيْتُ النُّوْلَ تَهْوِي بِسَهْبٍ كَالْمَصْحِفَةِ صَحْصَحَانِ
قُلْتُ لَهَا كِلَا نَا نِيضُو أَرْضِي أَخُو سَقَرٍ فَنُحْلِي لِي مَكَانِي
فَنَدْتُ شِدَّةَ نَجْوَى فَأَقْوَتْ مَا كُنْتُ يَتَقُولُ بِنَانِي
فَأَضْرِبَهَا بِلَا دَقْسٍ فَخَرَّتْ صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ
إِذْ قَالَ فَأَضْرِبَهَا لِيَصُورَ قَوْمَهُ لِلحَالَةِ الَّتِي تَشْجَعُ لَهَا عَلَى ضَرْبِ النُّوْلِ كَأَنَّهُ

مَحْتَقِينَ ، أَوْ لِلتَّحْقِيرِ . وَأَمَّا تَحْقِيفُهُ بِالْإِضَافَةِ أَوْ الْوَصْفِ : فَلَيْتَكُونَ
الْفَائِدَةُ أَيْ كَأَمْرٍ . وَأَمَّا تَرْكُهُ فَظَاهِرٌ مِمَّا سَبَقَ . وَأَمَّا تَعْرِيفُهُ : فَلِلْإِغَادَةِ
إِلَيْهِ حِكْمًا عَلَى أَمْرٍ مَقْلُومٍ لَهُ بِأَحَدِي طَرَقِي التَّعْرِيفِ بِأَخْبَرِ مِثْلِهِ ،

يَصْرَحُ بِإِنِّهَا وَهُوَ طَلَبُ مِنْهُمْ مَشَاهِدَتِهَا تَعْلِيماً مِنْ جَرَاهُ عَلَى كُلِّ هَوْلٍ وَبِأَنَّهُ
عِنْدَ كُلِّ شِدَّةٍ ، تَكْلَفُ ، قَدْ يَكُونُ دُخُولُ لَوْ عَلَى الْمَضَارِعِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الصَّلَ
مِنَ الْعِظَاةِ بَعِثَ يَحْتَرِزُ عَنْ أَنْ يَمُرَّ عَنْهُ بِلَفْظِ الْمَاضِي لِكُونِهِ عَمَّا يَدُلُّ عَلَى
الْوُقُوعِ فِي الْجُمْلَةِ ، كَمَا يَقُولُ : لَقَدْ أَصَابَنِي حَوَادِثُ لَوْ تَبَقَى إِلَى الْآنَ لَمَا بَقِيَ مِنِّي
أَرْ . وَقَدْ يَبْدُلُ عَنْ عَدَمِ الثَّبُوتِ إِلَى جَعْلِ الْجُمْلَةِ النَّاتِيَةِ اسْمِيَّةً مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى : وَلَوْ
أَنْتُمْ آمَنُوا وَاتَّقُوا الْمُتَوَبِّعِينَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ ، دَلَالَةٌ عَلَى ثُبُوتِ الْمُتَوَبِّعِينَ وَاسْتِقْرَارِهَا
أَمَّا الْجُمْلَةُ الْأُولَى فَلَا تَقَعُ إِلَّا فِعْلِيَّةً أَلْبَنَةً (نَحْوُ هَدَى لِلتَّقِينِ) عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ
مَبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ أَوْ خَبَرٌ ذَلِكَ الْكِتَابُ ، أَيْ هَدَى لَا يَكُنْ كُنْهَ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ
اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ : إِنْ زُلْزِلَتِ السَّاعَةُ شَيْءٌ عَظِيمٌ (أَوْ لِلتَّحْقِيرِ) كَمَا يَقُولُ الْحَاصِلُ
مِنْ هَذَا الْمَالَ شَيْءٌ أَيْ حَقِيرٌ (كَأَمْرٍ) مِنْ أَنْ زِيَادَةَ الْخُصُوصِ تَوْجِبُ اتِّعَامَ
الْعَائِدَةِ (تَرْكُهُ) أَيْ تَرْكُ تَخْصِيسِ الْمُسْنَدِ بِالْإِضَافَةِ أَوْ الْوَصْفِ (عَمَّا سَبَقَ) فِي تَرْكِ
تَفْصِيلِ الْمُسْنَدِ لِمَنْعٍ مِنْ تَرْبِيَةِ الْعَائِدَةِ (فَلِلْإِغَادَةِ السَّامِعَ إِلَى آخِرِهِ) قَالَ فِي الْإِبْصَاحِ
تَقْسِيرُ هَذَا أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ الْقَبْلِيُّ صِفَتَانِ مِنْ صِفَاتِ التَّعْرِيفِ وَيَكُونُ السَّامِعُ عَالِمًا
بِاتِّصَافِهِ بِأَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ ، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُخْبِرَهُ بِهِ ، تُصَفِّ بِالْآخَرِ فَإِنَّكَ
تَعْمَلُ إِلَى الْقَطْعِ الدَّالِّ عَلَى الْأَوَّلِ وَتَجْعَلُهُ مَبْتَدَأً وَتَعْمَلُ إِلَى الْقَطْعِ الدَّالِّ عَلَى الثَّانِيَةِ
وَتَجْعَلُهُ حَبْرًا ، فَتَقْدِيرُ السَّامِعِ مَا كَانَ يَجْهَلُهُ مِنَ اتِّصَافِهِ بِالثَّانِيَةِ ، كَمَا إِذَا كَانَ السَّامِعُ
أَخٌ يُسَمَّى زَيْدًا وَهُوَ يَعْرِفُهُ بَيْنَهُ وَاسْمِهِ ، وَلَكِنْ لَا يَعْرِفُ أَنَّهُ أَخُوهُ ،
وَأَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَهُ أَنَّهُ أَخُوهُ فَتَقُولُ لَهُ : زَيْدٌ أَخُوكَ ، سَوَاءٌ عَرَفَ أَنْ لَهُ

أَوْ لَا زِمَ حُكْمُ كَذَلِكَ ، نَحْوُ : زَيْدٌ أَخُوكَ وَسَمَرٌ الْمُنْطَلِقُ ،
بِاعْتِبَارِ تَعْرِيفِ التَّهْدِ أَوِ الْجِنْسِ وَعَكْسِيَّيَا ، وَالثَّانِي قَدْ يُفِيدُ قَصْرَ

أَخًا ، وَلَمْ يَعْرِفْ أَنْ زَيْدًا أَخُوهُ أَوْ لَمْ يَعْرِفْ أَنْ هَـ أَخًا أَصْلًا ، وَإِنْ عَرَفَ أَنْ
هَـ أَخًا فِي الْجُمْلَةِ وَأَرَدَتْ أَنْ تَعَيَّنَ عِنْدَهُ قُلْتُ : أَخُوكَ زَيْدٌ ، أَمَا إِذَا لَمْ يَعْرِفْ أَنْ
هَـ أَخًا أَصْلًا فَلَا يُقَالُ ذَلِكَ لِامْتِنَاعِ الْحُكْمِ بِالتَّعْيِينِ عَلَى مَنْ لَا يَعْرِفُهُ الْمُخَاطَبُ
أَصْلًا ، فَظَهَرَ الْفَرْقُ بَيْنَ قَوْلِنَا زَيْدٌ أَخُوكَ وَقَوْلِنَا أَخُوكَ زَيْدٌ ، وَكَذَا إِذَا
عَرَفَ السَّامِعُ إِنْسَانًا يُسَمَّى زَيْدًا بِعَيْنِهِ وَاسْمِهِ ، وَعَرَفَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ إِنْسَانٍ
الْمُنْطَلَقِ وَلَمْ يَعْرِفْ أَنَّهُ كَانَ مِنْ زَيْدٍ أَوْ غَيْرِهِ . فَأَرَدْتُ أَنْ تَعْرِفَهُ أَنْ زَيْدًا هُوَ
ذَلِكَ الْمُنْطَلَقُ ، فَتَقُولُ زَيْدٌ الْمُنْطَلَقُ ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَهُ أَنْ ذَلِكَ الْمُنْطَلَقُ هُوَ
زَيْدٌ ، قُلْتُ الْمُنْطَلَقُ زَيْدٌ ، وَكَذَا إِذَا عَرَفَ السَّامِعُ إِنْسَانًا يُسَمَّى زَيْدًا بِعَيْنِهِ
وَاسْمِهِ وَهُوَ يَعْرِفُ مَعْنَى جِنْسِ الْمُنْطَلَقِ ، وَأَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَهُ أَنْ زَيْدًا مُتَصِفًا
بِهِ فَتَقُولُ زَيْدٌ الْمُنْطَلَقُ ، وَلَئِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَعَيَّنَ عِنْدَهُ جِنْسَ الْمُنْطَلَقِ ، قُلْتُ
الْمُنْطَلَقُ زَيْدٌ ، أَتَمَّ . فَقَوْلُهُ هُنَا بآخر مثله مرتبط بقوله حكا أي لإفادة
السَّامِعِ حكا على أمر معلوم بأمر آخر ، مِثْلُ ذَلِكَ الْأَمْرُ الْمَحْكُومُ عَلَيْهِ فِي أَنَّهُ
مَعْلُومُ السَّامِعِ بِإِحْدَى طَرِيقِ التَّعْرِيفِ ، وَقَوْلُهُ أَوْ لَا زِمَ حُكْمٌ كَذَلِكَ مَعْلُوفٌ
عَلَى حكا أي أَوْ لإفادة السَّامِعِ لَزِمَ حُكْمٌ عَلَى أَمْرٍ مَعْلُومٍ بِإِحْدَى طَرِيقِ التَّعْرِيفِ
بَأَمْرٍ آخَرَ مِثْلَهُ ، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ كَوْنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ مَعْلُومَيْنِ لَا يَنَاقِ
كَوْنَ الْكَلَامِ مُفِيدًا لِسَّامِعٍ قَلْبَةً مَجْهُولَةً ، لِأَنَّهُ لَا يَسْتَحِيدُ السَّامِعُ مِنَ الْكَلَامِ هُوَ
انْتِسابُ الْخَبَرِ إِلَى الْمُبْتَدَأِ ، أَوْ كَوْنَ التَّكْلِيمِ عَالِمًا بِهِ ، وَالْعِلْمُ بِغَضِّ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ
لَا يُوْجِبُ الْعِلْمَ بِانْتِسابِ أَحَدِهِمَا إِلَى الْآخَرِ ، وَقَوْلُهُ بِاعْتِبَارِ مُتْلَقٍ بِمَحْذُوفٍ
حَالٌ مِنَ الْمُنْطَلَقِ (وَالثَّانِي) أَيُّ اعْتِبَارِ تَعْرِيفِ الْجِنْسِ (قَدْ يُفِيدُ) وَقَدْ لَا يُفِيدُ
الْقَصْرَ كَقَوْلِ الْخَفَاءِ .

الجنس عَلَى شَيْءٍ ، تَحْقِيقًا نَحْوُ : زَيْدٌ الْأَمِيرُ ، أَوْ مُبَالَغَةً لِكَلَامِهِ فِيهِ ؛ نَحْوُ :
عَمِرُوا الشُّجَاعَ ، وَقِيلَ : الْإِنْسُ مُتَكَيِّنٌ لِلْإِبْتِدَاءِ لِذِلَالَتِهِ عَلَى الْقَدَاتِ وَالصَّنَةِ
فِي غَيْرِيَّةٍ لِذِلَالَتِهَا عَلَى أَمْرِ نِسِيَةٍ ؛ وَرَدَّ بَلْبٌ لَلتَّقَى الشَّخْصُ الْقَدِي

إِذَا قَبِيعَ الْبُكَاءِ عَلَى قَتِيلٍ * رَأَيْتُ بُكَاءَكَ الْحَسَنَ الْجَمِيلَا
لم يرد أن ما عدا البكاء عليه فليس بحسن ولا جميل ، ولكنها أرادت أن
تقر في جنس ما حسنه الحسن الظاهر الذي لا يكره أحد ومثله قول الآخر :
أُسُوذُ إِذَا مَا أَبَدَتِ الْكَرْبُ نَابِيَا وَفِي سَائِرِ الدَّهْرِ التُّبُوتُ لِلْوَاظِرِ
وقول حسان :

وَإِنْ سَنَامَ الْجَدِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بَنُو بِنْتِ خَزُومٍ وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ
أراد أن يثبت له العبودية ثم يحمله ظاهر الأمر فيها معروفاً بها (نحو
زيد الأمير) إذا لم يكن أمير سواء (لكلامه فيه) أي لكلام ذلك الجنس
في المقصور عليه أو لكلام المقصور عليه في الجنس (نحو عمرو الشجاع)
أي الكامل في الشجاعة ، فنخرج الكلام في صورة توم أن الشجاعة لم توجد
إلا فيه لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال . . وبعد ،
فالمقصود قد يكون نفس الجنس مطلقاً ، أي من غير اعتبار تقييده بشيء كما
في الأمثلة المذكورة قبل ، وقد يكون الجنس باعتبار تقييده بظرف أو غيره ،
كقولك هو الوفي حين لا تظن نفس بنفس خيراً ، ومثله قول الأضي :

هُوَ الْوَاهِبُ لِلِائَةِ الْمُطْفَنَةِ لِمَا تَحَافَا وَهِنًا حِشَارَا
فإنه قصر عليه هبة المائة من الإبل حال كونها غنماً أو هماراً لا هبة
المائة بأي حال كانت . ولا الهبة مطلقاً ، سواء كانت هبة الإبل أو غيرها ، هنا .

لَهُ الصِّفَةُ صَاحِبُ الْإِسْمِ . وَأَمَّا كَوْنُهُ مُجَلَّةٌ : فَلْيَتَّقَوْنِي أَوْ لِيَكُونِي سَبِيحًا

وقد ذكر الشيخ في دلائل الإيجاز للخبر المعروف باللام معنى غير ما ذكر دقيقاً ، وذلك مثل قولك : هو البطل المحامي ، لا تريد أنه البطل المجهود ولا قصر جنس البطل عليه مبالغة ونحو ذلك ، بل تريد أن تقول لصاحبك هل سمعت بالبطل المحامي ، وهل حصلت معنى هذه الصفة ، وكيف ينبغي أن يكون الرجل حتى يستحق أن يقال ذلك له وفيه ؟ فإن كنت قتله عدواً وتصورته حتى تصوره فعليك صاحبك واشدد به يدك فهو ضالتك وعنده بيتك ، وطريقه كطريق قولك ، هل سمعت بالأسد ، وهل تعرف ماهو ؟ فإن كنت تعرفه فزيد هو هو بعينه . ويزداد هذا المعنى ظهوراً بأن تكون الصفة التي تريد الإخبار بها عن المبتدأ مجرأة على موصوف ، وإن أردت أن تسمع في ذلك ما تسكن للنفس إليه ستكون العادى إلى برد الماء فاسمع قول ابن الرومي :

هُوَ الرَّجُلُ الشَّرُّوكُ فِي جُلِّ مَالِهِ وَلَكِنَّهُ بِالْمَجْدِ وَالْحَمْدِ مُفْرَدٌ
وليس شيء أغلب على هذا الضرب من الذي ، فإنه يحى كثيراً على أنك تفقد شيئاً في ومحك ثم تغير عنه بالذي ، ومثال ذلك قوله :

أَخْرَجَكَ الَّذِي إِن تَدْعُهُ لِمَلْعَةٍ يُجْبِلُكَ وَإِنْ تَقْضِبَ إِلَى السِّيفِ يَنْقَضِبِ
وقول الآخر :

أَخْرَجَكَ الَّذِي إِن رَبَّتَهُ قَالَ إِنَّمَا أَرَبْتَ وَإِنْ عَاتَبَتْهُ لَأَنَّ جَانِبَهُ
وهذا فن عجيب الشأن ، وله مكان من الضخامة والتبل ، وهو من بحر البيان الذي تقصر العبارة عن تأدية حقه (وقيل إلى آخره) ذهب الإمام الرازي إلى أن الاسم في نحو زيد المطلق وللنطلق زيد ، لما كان دالاً على الذات تعين للإبتداء تقدم أو تأخر ، والصفة لما كانت دالة على أمر نسي تيفت

لِأَمْرٍ ، وَاسْمِيَّتَهَا وَفَعْلِيَّتَهَا وَشَرْطِيَّتَهَا لِأَمْرٍ ، وَظَرْفِيَّتَهَا لِاخْتِصَارِ الْفِعْلِيَّةِ

التبعية قدمت أو آخرت ، فأجاب المصنف بأن المنطلق لا يحمل مبتداً إلا بمعنى الشخص الذى له الانطلاق ، وأنه بهذا المعنى لا يجب أن يكون خبراً ، وزيد لا يحمل خبراً إلا بمعنى صاحب اسم زيد ، وأنه بهذا المعنى لا يجب أن يكون مبتداً (فلتقوى) أى تقوى الحكم الذى هو ثبوت المسند للسند إليه أو سلبه ، كزيد قام وما زيد قام (أو لكونه سلبياً) نحو زيد أبوه قائم (لما مر) أن أفراده يكون لكونه غير سلبى مع عدم إفاضة التقوى ، وهذا وسبب التقوى فى مثل زيد قام على ما ذكره السكاكى هو أن المبتداً لكونه مبتداً يستدعى أن يسند إليه شيء ، فإذا جاء بعده ما يصلح أن يسند إلى ذلك المبتداً ، صرفه ذلك المبتداً إلى نفسه سواء كان خالياً عن الضمير أو متضمناً له فينقد بينهما حكم ، ثم إذا كان متضمناً للضمير المعتد به بأن لا يكون مشابهاً للخال عن الضمير كما فى زيد قائم . صرفه ذلك الضمير إلى المبتداً ثانياً فيكتسب الحكم قوة ، فعل هذا يختص التقوى بما يكون مسنداً إلى ضمير المبتداً ويخرج عنه نحو : زيد ضربته ، ويجب أن يحمل سلبياً . وأما على ما ذكره عبد القاهر فى دلائل الإيجاز وهو أن الاسم لا يرقى به معنى عن العوامل إلا لحدوث قد نوى إسناده إليه ، فإذا قلت زيد فقد أشمرت قلب السامع بأنك تريد الإخبار عنه ، فهذا توطئة له وتقدمة للإعلام به ، فإذا قلت قام دخل فى قلبه دخول المأنوس وهذا أشد الثبوت وأمنع من الشبهة والشك . وبالجملة ليس الإعلام بالشيء بفتة مثل الإعلام به بعد التنبيه عليه والتقدمة ، فإن ذلك يجرى بجرى تأكيد الإعلام فى التقوى ، فيدخل فيه نحو زيد ضربته وزيد مررت به (لما مر) فتكون اسمية لإفاضة الثبوت وفضلية لإفاضة التجدد ، قال السكاكى : وما تسمع من هاتوت الجملتين الفعلية والاسمية تجمداً وثباتاً هو بطالك على أنه حين ادعى للماتقون الإيمان

إِذْ مِنْ مُقَدَّرَةٍ لِلْفِتْلِ عَلَى الْأَصَحِّ . وَأَمَّا تَأْخِيرُهُ : فَلِأَنَّ ذِكْرَ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ
أَهَمُّ كَامَرٍ . وَأَمَّا تَقْدِيمُهُ : فَلِتَخْصِيصِهِ بِالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ نَحْوُ : لَا فِيهَا غَوْلٌ ؛
أَيْ بِخِلَافِ خُحُورِ الدُّنْيَا ، وَلِهَذَا أَمْ يَقْدَمُ الظَّرْفُ فِي نَحْوِ : لَا رَيْبَ فِيهِ ؛
لِقَوْلِهِ يُفِيدُ ثَبُوتَ الرَّيْبِ فِي سَائِرِ كُتُبِ آفَةِ تَعَالَى ، أَوْ لِقَوْلِهِ مِنْ أَوَّلِ
الْأَمْرِ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ لَا نَمَتْ كَقَوْلِهِ :

بقولهم آمنا بالله وباليوم الآخر جائين به جملة فعلية ، على معنى أحدنا الدخول
في الإيمان ، وأعرضنا عن الكفر ليرجع ذلك عنهم كيف طبق الفصل في رد
دعواهم الكاذبة قوله تعالى : وما هم بمؤمنين ، حيث جرى به جملة اسمية ومع الباء
وعلى تفاوت كلام المنافقين مع المؤمنين ومع شياطينهم فيما يحكيه جل وعلا عنهم
وهو : وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ،
تفاوتاً إلى جملة فعلية وهي آمنا ، وإلى اسمية ومع إن وهي إنا معكم ، كيف أصاب
شاكلة الزمن ، وعلى أن إبراهيم حين أجاب الملائكة عن قولهم له سلاماً بالنصب
بقوله لهم سلام بالرفع ، كيف كان عاملاً بالذي يتل علىك في القرآن المجيد : وإذا
حييتهم بصية لمحيا بأحسن منها . وتكون شرطية للاختبارات المختلفة الحاصلة
من أدوات الشرط (إذ هي إلى آخره) يعني إنما قلنا إن الظرفية يثبت بها
اختصار الفعلية لأن الظرف في قوتها زيد عندك مقدر بالفعل على الأصح فصار
في تأويل الجملة لا بالاسم حتى يكون الظرف في تأويل المفرد (فلتخصيصه بالمسند
إليه) أي لتصر المسند إليه على المسند (نحو لا فيها غول) مثله قوله عز وعلا :
لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ، وقولك لن يقول زيد إما قائم وإما قاعد فيرده بين القيام
والقعود من غير أن يخصه بأحدهما قائم هو (أي بخلاف خور الدنيا) فإنها تغفل
العقول (أو تنبيه إلى آخره) قال السكاكيني وإنما يصر إلى هذا التنبيه لأن الظرف

لَهُ هِمَّةٌ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهَمَّتْهُ الصُّغْرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ
أَوْ التَّغَاوُلِ ، أَوْ التَّشْوِيقِ إِلَى ذِكْرِ السَّنَدِ إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ :
ثَلَاثَةٌ تَشْرِقُ الْإِدْنِيَا بَيْنَهُمَا كَمَسُ الصُّحَى وَأَبُو إِسْمَاعِيلَ وَالْقَمَرُ
فِي تَنْبِيهِهِ كَثِيرٌ مِمَّا ذَكَرَ فِي هَذَا الْبَلَدِ وَالَّذِي قَبْلَهُ غَيْرُ مُخْتَصَرٍ
بِهِمَا ، كَالَّذِي كَرِهَ ، وَالْمَذْذِفِ وَغَيْرِهَا ؛ وَالْقَلِيلُ إِذَا أَتَيْنَا أَعْيَارَ ذَلِكَ فِيهَا
لَا يَخْفَى عَلَيْهِ اِعْتِبَارُهُ فِي غَيْرِهَا .

بتأخره عن النكر يكون بالحل على الوصف أولى منه بالحل على الخبر لاسم
بتأخذان في ذلك ، استعاضا للنكر في مقام الابتداء أن يوصف لينتقى بذلك
قاعدة الحكم ، وصلاحيه الطرف أن يكون من صفاته ، ولذلك لا يجب تقديم
الطرف على النكر إذا كان موصوفاً ، قال الله تعالى : وأهل سمى عنده ،
(كنوه له هم) وقوله تعالى : ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ،
وقوله الشاعر :

لَيْسَ كُنَّا جَدِيدَ قَدَّةٍ غَيْرَ أَنْتَى وَجَدْتُ جَدِيدَ لَلَوْتِ غَيْرَ لَدِيدِ
والبیت الحسن بن ثابت في النبي صلى الله عليه وسلم (أر التناول) نحو :
• سَعِدْتُ بِفُرْقَةٍ وَجِئْتُكَ الْيَوْمَ •

(أر التشويق إلى ذكر السند إليه) قال السكاكي : وحق هذا الاعتبار تطويل
الكلام في السند وإلا لم يجر من ذلك الحسن (كنوه ثلاثة) وقول الآخر :
وَكَاثِلَرِ الْحَيَاةِ فَبَيْنَ رَمَادٍ أَوَاخِرُهَا وَأَوَّلُهَا دُخَانٌ

﴿ أَحْوَالُ مُصَلِّكَاتِ الْفِعْلِ ﴾

الْفِعْلُ مَعَ الْمَفْعُولِ كَالْفِعْلِ مَعَ الْفَاعِلِ ، فِي أَنَّ الْفَرْضَ مِنْ ذِكْرِهِ مَتَّعَ
إِفَادَةً تَلْبِئِهِ بِهِ ، لَا إِفَادَةً وَقُوعِهِ مُطْلَقًا ، فَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ مَتَّعَ فَالْفَرْضُ
إِنْ كَانَ إِبْنَانَهُ لِفَاعِلِهِ ، أَوْ نَتِجَهُ عَنْهُ مُطْلَقًا ، نُزِّلَ مَنَزِلَةُ اللَّازِمِ ، وَلَمْ
يَقْدِرْ لَهُ مَفْعُولٌ ، لِأَنَّ الْقُدْرَةَ كَالَّذِ كُورِ ؛ وَهُوَ ضَرَبَانِ : لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يَجْعَلَ
الْفِعْلَ مُطْلَقًا كِنَايَةً عَنْهُ مُمْتَلَقًا مَفْعُولٍ مَخْصُوصٍ دَلَّتْ عَلَيْهِ قَرِينَةٌ
أَوْ لَا ، الثَّانِي كَقَوْلِهِ تَعَالَى : قَاتِلْ هَٰؤُلَاءِ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْلِكُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؟

والبيت لمحمد بن وهيب يمدح المعتصم بالله (الفعل مع المفعول كالفاعل مع الفاعل)
أصل هذا الكلام للشيخ عبد القاهر في دلائل الإيجاز جعله تمهيداً للكلام على
حذف المفعول والعبارة الواضحة أن يقال : إن حال الفعل مع المفعول الذي يتعدى
إليه حاله مع الفاعل . فكأ أمك إذا أسندت الفعل إلى الفاعل ، كان غرضك أن
تفيد وقوعه منه ، لأن نفي وجوده في نفسه فقط ، كذلك إذا عديته إلى المفعول
كان غرضك أن تفيد وقوعه عليه ، فقد اجتمع الفاعل والمفعول في أن عمل الفعل
فيهما إنما كان ليعلم التباسه بهما ، فعمل الرفع في الفاعل ليعلم التباسه به من جهة
وقوعه منه ، والنصب في المفعول ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه . أما إذا
أريد الإخبار بوقوعه في نفسه من غير إرادة أن يعلم من وقع أو على من وقع
فالعبارة عنه أنه يقال كان ضرب أو وقع ضرب أو وجد أو نحو ذلك من
ألفاظ تفيد الوجود المجرد . . . وإذا قد عرفت هذا فاعلم أن الفعل المتعدي إذا
أسند إلى فاعله ولم يذكر له مفعول ، فإما أن يكون الفرض إثبات المعنى نفسه

السكاكي : ثم إذا كانَ اللَّقَامُ خِطَابِيًّا لَا اسْتِدْلَالِيًّا أَفَادَ ذَلِكَ مَعَ التَّعْمِيمِ ، دَفْعًا لِلتَّحَكُّمِ ، وَالْأَوَّلُ كَقَوْلِ الْبُحْتَرِيِّ فِي الْمُتَرَبِّعِ بَاقِهِ :

الفاعل من غير اعتبار عمومته وخصوصه ، ولا اعتبار نطقه بمن وقع عليه . وأما أن لا يكون كذلك ، فإن كان الأول كان المتدنى بمنزلة اللازم فلا يذكر له مفعول ، لأن ذكره ينقض الفرض ، ألا ترى أنك لو قلت هو يعطى الدنانير كان المعنى بيان جنس ما تناوله الإعطاء نفسه ، لا بيان كونه معطياً ، ولا يقدر أيضاً لأن المقدّر في حكم المذكور ، وهذا النوع قسمان : قسم هو مثل قوله تعالى : قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون . المعنى : هل يستوى من له علم ومن لا علم له من غير أن يقصد النص على معلوم ، وقوله تعالى : وأنه هو أغنى وأقنى ، وقوله : وأنه هو أمات وأحيا ، على معنى أنه الذي منه الإغناء والإقناء والإحياء والإماتة . وهنا قال السكاكي : إذا كان المقام خطاياً يكتفى فيه بمجرد الظن لا استدلالياً يطلب فيه اليقين البرهاني ، أفاد ذلك مع العموم في أفراد الفعل بلمة إبهام أن القصد إلى فرد دون فرد آخر مع تحقق الحقيقة فهما تحكّم ، ثم جعل قولهم في المبالغة فلان يعطى ويمنع ويوصل ويقطع محتملاً لذلك ولتعميم المفعول ، وعنه الشيخ عبد القاهر بما يفيد أصل المعنى على الإطلاق من غير إشعار بشيء من ذلك . وقسم هو أن تذكر الفعل وفي نفسك له مفعول مخصوص قد علم مكانه ، إما لجري ذكر ، أو دليل حال ، إلا أنك تنسبه نفسك وتخفيه . وتوهم أنك لم تذكر ذلك الفعل إلا لأن ثبت نفس معناه من غير أن تعديه إلى شيء ، أو تعرض فيه لمفعول ، وهذا هو ما أراده المصنف بقوله أن يحمل الفعل مطلقاً كناية عنه متدنياً بمفعول مخصوص دلت عليه قرينة . ومثاله قول البحتري يمدح المتر بآفه ويعرض المستعين بآفه :

شَجَوُ حُسَادِهِ وَغَيِظُ عِدَائِهِ • أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعُ وَاعٍ
أَيُّ أَنْ يَكُونَ ذُو رُؤْيَا وَذُو سَمْعٍ ، فَيَذَرِكَ مَحَاسِنَهُ وَأَخْبَارَهُ الظَّاهِرَةَ
الدَّالَّةَ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ الْإِمَامَةَ دُونَ غَيْرِهِ فَلَا يَجِدُوا إِلَى مُنَازَعَتِهِ سَبِيلًا ،
وَالْأَوَّلُ وَجَبَ التَّقْدِيرُ بِحَسَبِ الْقَرَأَتَيْنِ . ثُمَّ الْخُذْفُ إِنَّمَا لِلْبَيِّنِ بَعْدَ

فهم حساده وغيظ عداؤه أن يرى مبصر ويسمع واع
المعنى لامعة أن يرى مبصر عاينه ويسمع واع أخباره ، بيد أنه يتناول
من ذلك ، لأنه أراد أن يقول محاسن المدح وآثاره لم تحف على من له بصير
لكثرتها واشهرها ، ويمكن في معرفة أنها سبب لاستحقاقه الإمامة دون
غيره ، أن يقع عليها بصير وبصيرها سمع لظهور دلالتها على ذلك لكل أحد ،
حسادته وأعدائه يمتنون أن لا يكون في الدنيا من له عين يبصر بها وأذن يسمع
بها كي يحق استحقاقه للإمامة ، فيجدوا بذلك سبيلا إلى منازعته إياها ، ومن
هذا قول طيغالب النتوي لبي جعفر بن كلاب :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَفَرًا حِينَ أَرْزَلْتَنَا نَعْنًا فِي الْوَاحِشِينَ فَرَزَلَتْ
أَبْوًا أَنْ يَمْلُوكَنَا وَلَوْ أَنَّ أَمْنًا تَلَاقَى الَّذِي لَأَقْوَهُ مِنَّا لَمَكَّتْ
هُمْ خَلَطُونَا بِالنَّفُوسِ وَالْجَنُودِ إِلَى حُجَرَاتٍ أَدْفَلَتْ وَأَظْلَلَتْ
فقد حذف المفعول في أربعة مواضع ، لأن الأصل للثنا والجلونا وأدقنا
وأظللنا ، إلا أنه كالتناسي حتى كأن لا قصد إلى مفعول وكان العمل أبهم أمره
فلم يقصد به شيء يقع عليه ، وإن كان الثاني وهو أن يكون الغرض إفادة
تملقه بمفعول وبسبب تقديره بحسب القرائن ، ثم حذفه من اللفظ إما لبيان بعد
الإيهام كافي فعل المشبهة إذا لم يكن في تملقه بمفعوله غرابة ، كقولك لو شئت
حنت أو لم أجبه . أي لو شئت . المحي . أو عده المحي . فانك متى قلت لو

الْإِبْهَامِ كَافٍ فَيَلِيَّ لِلشَّيْئَةِ ، مَا لَمْ يَكُنْ تَعْلُقُهُ بِهِ غَرِيْبًا ، نَحْوُ : فَلَوْ شَاءَ
لَهَذَا كُمْ أَجْمَعِينَ ، بِخِلَافِ نَحْوِ : • وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ •
وَأَمَّا قَوْلُهُ :

شِئْتُ عِلْمَ السَّامِعِ أَنَّكَ عُلِقْتَ الْمَشِيئَةُ بِشَيْءٍ فَيَقَعُ فِي نَفْسِهِ أَنْ هُنَاكَ شَيْئًا تَعْلُقُ
بِهِ مَشِيئَتَكَ بِأَنْ يَكُونَ أَوْ لَا يَكُونَ ، فَإِذَا قُلْتَ جِئْتُ أَوْ لَمْ أَجِ عَرَفَ ، ذَلِكَ
الشَّيْءَ ، وَمَنْ قَوْلُهُ تَعَالَى : فَلَوْ شَاءَ لَهَذَا كُمْ أَجْمَعِينَ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ
يُضِلَّهُ ، وَقَوْلُ طَرِيقَةٍ :

فَإِنْ شِئْتُ لَمْ تَرَقِ وَإِنْ شِئْتُ أَرَقَلْتُ

مَخَافَةَ تَلَوِيٍّ مِنَ الْقَدِّ مُخَصَّدٌ^(١)

وقول البحري :

لَوْ شِئْتُ عُدْتُ بِإِلَادَ تَجِدُ عَوْدَةً • فَحَلَلْتُ بَيْنَ عَفِيفِهِ وَزُرُودِهِ
وقوله أيضاً :

لَوْ شِئْتُ لَمْ تُفْسِدْ سَمَاحَةَ حَاسِمٍ كَرَمًا وَلَمْ تَهْدِمْ مَأْتَرَ خَالِدٍ

فَإِنْ كَانَ فِي تَعْلُقِ الْفِعْلِ بِهِ غَرَابَةٌ ، ذَكَرْتُ الْمَفْعُولَ لِتَقَرُّرِهِ فِي نَفْسِ السَّامِعِ
وَتَوَاضُعِهِ ، يَقُولُ الرَّجُلُ يَخْبِرُ عَنْ عِزِّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُرْدَ عَلَى الْأَمِيرِ رَدَدْتُ ،
وَإِنْ شِئْتُ أَنْ أَلْقَى الْخَلِيفَةَ كُلَّ يَوْمٍ لَقِيْتُهُ ، وَعَلَيْهِ قَوْلُ الْخَزَرَمِيِّ يَرَى أَبَا الْهَيْذَامِ :
وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ

(١) الإِرْقَالُ : سُرْعَةُ الْمَرْحِ ، وَنَاقَةُ مَرْقَالٍ وَمَرْقَلَةٌ : سَرِيعَةٌ ، وَالْقَدُّ :
السُّوْطُ مِنَ الْجِلْدِ ، وَالْمُجَمَّدُ : كَالْمَلْوِيِّ الْمَقْتُولِ .

وَلَمْ يَبْقِ مِنِّي الشَّوْقُ غَيْرَ تَفْكَرِي فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِيَ بَكَيتُ تَفْكَرَا
فَلَيْسَ مِنْهُ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَوَّلِ الْبُكَاءَ الْحَقِيقِيَّ ، وَإِنَّمَا لِدَفْعِ تَوَهُّمِهِمْ لِإِرَادَةِ
غَيْرِ الْمُرَادِ ابْتِدَاءَهُ كَقَوْلِهِ :

وَكَمْ ذُذْتُ عَنِّي مِنْ تَحَامُلِ خَادِثٍ وَسُورَةِ أَيَّامٍ حَزْنًا إِلَى الْعَظَمِ
إِذْ لَوْ ذُكِرَ اللَّحْمُ لَرُبَّمَا تَوَهُّمَ قَبْلَ ذِكْرِ مَا بَعْدَهُ أَنَّ الْحَزْنَ لَمْ يَنْتَهَ

فلما كان أن يشاء الإنسان أن يبكي دماً بدءاً عجيباً ، صرح بذكره ليغروه
في نفس السامع ويؤنسه ، فأما قول أبي الحسين علي بن أحمد الجوهري أحد
شعراء الصاحب بن عباد :

وَلَمْ يَبْقِ مِنِّي الشَّوْقُ غَيْرَ تَفْكَرِي فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِيَ بَكَيتُ تَفْكَرَا
فَلَيْسَ مِنْهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَرُدَّ - يَقُولُ فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِيَ تَفْكَرَا بِكَيتُ تَفْكَرَا ،
وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ أَفَنَأَيُّ التَّحَوُّلِ فَلَمْ يَبْقِ مِنِّي وَفِي غَيْرِ خَوَاطِرٍ تَحْوِيلٍ ، حَتَّى
لَوْ شِئْتُ الْبُكَاءَ لَفَرِيتُ جَفَوْنِي وَعَصَرْتُ عَيْنِي لَيْسِيلَ مِنْهَا دَمْعٌ لَمْ أَجِدْهُ وَيَخْرُجُ
بَدَلِ الدَّمْعِ التَّفْكَرُ - فَالْمُرَادُ بِالْبُكَاءِ فِي الْأَوَّلِ الْحَقِيقِيَّ ، وَفِي الثَّانِي غَيْرَ الْحَقِيقِيَّ ،
فَالثَّانِي لَا يَصْلُحُ لِأَنَّهُ يَكُونُ تَضْيِيقاً لِلأَوَّلِ ، وَإِنَّمَا لِدَفْعِ أَنْ يَتَوَهَّمُ السَّامِعُ فِي أَوَّلِ
الْأَمْرِ إِرَادَةَ شَيْءٍ غَيْرِ الْمَزَادِ . كَقَوْلِ الْبَحْثِيِّ وَتَقْصِيدِهِ الَّتِي أَوَّلَهَا :

• أَعْنِ سَهْ يَوْمَ الْإِيْبَقِ أَمْ حَلْمِ •

وهو يذكر حمامة المدحوع عليه وصيانه له ، ردفه نواب الزمان عنه
وَكَمْ ذُذْتُ عَنِّي مِنْ تَحَامُلِ خَادِثٍ وَسُورَةِ أَيَّامٍ حَزْنًا إِلَى الْعَظَمِ
إِذْ لَوْ قَالَ حَزْنُ اللَّحْمِ لَجَازَ أَنْ يَتَوَهَّمُ السَّامِعُ قَبْلَ ذِكْرِ مَا بَعْدَهُ أَنَّ الْحَزْنَ
كَانَ فِي بَعْضِ اللَّحْمِ وَلَمْ يَنْتَهَ إِلَى الْعَظَمِ ، فَتَرَكَ ذِكْرَ اللَّحْمِ لِيَرَى السَّامِعُ مِنْ
هَذَا الرُّومِ وَيَجْعَلُهُ بِحَيْثُ يَقَعُ الْمُنَى مِنْهُ فِي أَنْفِ الْهَيْمِ وَيَصُورُ فِي نَفْسِهِ مِنْ أَوَّلِ

إِلَى الْعَظَمِ . وَإِنَّمَا لِأَنَّهُ أُريدَ ذِكْرُهُ ثَانِيًا عَلَى وَجْهِ يَتَضَمَّنُ إِبْقَاعَ الْفِعْلِ
عَلَى صَرِيحِ لَفْظِهِ ، إظهاراً لِكَمَالِ الْعِنَايَةِ بِوُقُوعِهِ عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ :
قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْكَ فِي السُّورِ * دَدَ وَالْجَدِ وَالْكَارِمِ مِثْلًا
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ تَرْكُ مُوَاجَهَةِ الْمَذُوحِ بِطَلَبِ مِثْلِهِ ؛ وَإِنَّمَا
لِلتَّسْمِيَةِ مَعَ الْإِخْتِصَارِ كَقَوْلِكَ : قَدْ كَانَ مِنْكَ مَا يُؤْلِمُ ، أَيْ كُلُّ أَحَدٍ ،
وَعَلَيْهِ : وَاقِفُهُ يَدْعُو إِلَى دَلِيلِ السَّلَامِ . وَإِنَّمَا لِمَجَرَّدِ الْإِخْتِصَارِ عِنْدَ قِيَامِ

الامر أن الحز معنى في العم حتى لم يرد إلا العظم ، وإما لأنه أريد ذكره
ثانياً على وجه يتضمن إبقاء الفعل على صريح لفظه ، إظهاراً لِكَمَالِ الْعِنَايَةِ
بِوُقُوعِهِ عَلَيْهِ ، كَقَوْلِ الْبَحْرِيِّ أَيْضاً :

قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْكَ فِي السُّورِ دَدَ وَالْجَدِ وَالْكَارِمِ مِثْلًا .
المعنى قَدْ طَلَبْنَا لَكَ مِثْلًا ثُمَّ حُذِفَ الْمَثَلُ ، إِذْ كَانَ غَرَضُهُ أَنْ يَوْقَعَ نَفْيُ
الْوُجُودِ عَلَى صَرِيحِ لَفْظِ الْمَثَلِ ، وَلِأَجْلِ هَذَا الْمَعْنَى بَعِيثُهُ عَكْسُ ذَوَالرَّمَةِ فِي قَوْلِهِ :
قَلَمَ أَمْدَحُ لِأَرْضِيَّةٍ بِشَعْرِي لَيْسَ أَنَّ يَكُونَ أَصَابَ مَا لَا

لِيَأْتِ أَحْمَلُ الْفِعْلَ الْأَوَّلَ الَّذِي هُوَ أَهْبَحُ فِي صَرِيحِ لَفْظِ التَّيْمِ ، وَالثَّانِي الَّذِي
هُوَ أَرْضِي فِي ضَمِيرِهِ ، إِذْ كَانَ غَرَضُهُ إِبْقَاعُ نَفْيِ الدَّحِ عَلَى التَّيْمِ صَرِيحاً دُونَ
الْإِرْضَاءِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ سَبَبُ الْخَفِيفِ فِي بَيْتِ الْبَحْرِيِّ قَصْدُ الْمُبَالَغَةِ فِي
التَّنَادُبِ مَعَ الْمَذُوحِ بِتَرْكِ مُوَاجَهَتِهِ بِالصَّرِيحِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى تَجَوُّزِ أَنْ يَكُونَ لَهُ
مِثْلُ ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَطْلُبُ إِلَّا مَا يَجُوزُ وَجُودُهُ .

قَرِيبَةً ، نَحْوُ : أَصْنَيْتُ إِلَهِهٖ ، أَيْ أَذْنِي ، وَعَلَيْهِ : أَرْنِي أَنْظُرُ إِلَيْكَ ، أَيْ
ذَاتَكَ ، وَإِنَّمَا لِلرَّحْمَةِ عَلَى الْفَاعِلَةِ ، نَحْوُ : مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ، وَإِنَّمَا
لِاسْتِجْعَانِ ذِكْرِهِ ، كَقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا . مَا رَأَيْتُ مِنْهُ وَلَا رَأَى
مِنْهُ ، أَيْ التَّوَرَّةَ ، إِنَّمَا لِنُسْكُنَةِ أُخْرَى . وَتَقْدِيمُ مَفْعُولِهِ وَنَحْوِهِ عَلَيْهِ ،
لِرَدِّ الْخَطَأِ فِي التَّعْيِينِ ، كَقَوْلِكَ : زَيْدًا عَرَفْتُ ، لَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّكَ عَرَفْتَ
إِنْسَانًا ، وَأَنَّهُ غَيْرُ زَيْدٍ ، وَتَقُولُ لِنَأْكِيهِ لَا غَيْرَهُ . وَلِلَّذَلِكَ لَا يَقَالُ : مَا زَيْدًا

وقد بين المصنف بقية أسباب الحذف بقوله وإما للتعميم إلى آخره (نحو
ماودعك ربك وما قلى) أى ما فلاك . وقال صاحب الكشاف : حذف المفعول
في مثل هذا اختصار لفظي العلم به . وقال بعضهم : إن الحذف هنا ترك مواجبه
عليه السلام بإيقاع لفظ القلى على ضميره ولو كان منفياً ولم يفعل ذلك في ودع
لأن لفظ ودع ليس كلفظ قلى (وإما لنسكة أخرى) كالتفكير من إنكاره
إن مست الحاجة إليه أو تعينه أو ادعاء تعينه أو نحو ذلك ، قال الله جل شأنه :
لينذر بأساً شديداً ، أى لينذر الذين كفروا المحذوف لتعنيه ، ولأن الفرض هو ذكر
المنذره (ونحوه) من الجار والظرف والحال وغيرها من سائر المعمولات
(عليه) أى على الفعل (لرد الخطأ في التعيين) أى لرد التكلم خطأ المخاطب
في ظنه وقوع الفعل على مفعول معين . وقد يكون لرد الخطأ في ظن الاشتراك
في المفعول ، فتقروا ريباً : عرفت ، لمن اعتقد أنك عرفت زيدا وعمراً (ولهذا
لا يقال ما زيدا ضربت ولا غيره) انقصة دلالة الأول والثاني . وهذا كما
هو ظاهر عند إيرادك أن ترد على المخاطب في اعتقاده وقوع الضرب منك على
زيد ، أما إذا لم ترد ذلك فإنه يجوز لك أن تقول : ما زيدا ضربت ولا غيره .

حَرَبْتُ وَلَا عَقْرَهُ ، وَلَا مَا زِيدًا حَرَبْتُ وَلَكِنْ أَكْرَمْتُهُ ، وَأَنَا نَحْوُ زَيْدًا
عَرَفْتُهُ فَتَأْكِيدٌ ، إِنْ قُدِّرَ الْقَسْرُ قَبْلَ النَّصُوبِ ، وَالْإِفْتَحَاصِمْ . وَأَنَا
نَحْوُ : وَأَنَا نَحْوُ فَهْدَيْنَاكُمْ ، فَلَا يُفِيدُ إِلَّا التَّخْصِصَ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُكَ يَزِيدُ

(ولا ما زيدا حربت ولكن اكرمت) لأن مبنى الكلام ليس على أن الخطأ واقع في الفعل بأنه الحروب فرده إلى الصواب بأنه الإكرام وإنما هو على أن الخطأ في المضروب حين اعتقد أنه زيد فرده إلى الصواب أن تقول ولكن عمراً (إن لم يدر القسر قبل المضروب) فكان الأصل عرفت زيدا عرفته (وإلا) أي وإن لم يقدر القسر قبل المنصوب بل يقدر بعده فكان الأصل زيدا عرفت عرفته (فتخصيص) لأن المقدر كالمذكور فكان أن تقدم المفعول على الفعل المذكور بفيد الاختصاص كذلك تقديمه على المقدر . وبعد . فقد علمت أن نحو زيدا عرفته يحتمل التخصيص وبجهد التأكيذ والقرينة هي المفعول عليها في إفادة أحدهما ، وإذا دلت على التخصيص كان في هذا التركيب ألغ منه في نحو : زيدا عرفت . لما فيه من التكرير المفيد للتأكيد . ومعلوم أن ليس التخصيص إلا تأكيداً على تأكيد ، فيتقوى بازدياد التأكيذ لاجتماع . ومن هنا قال صاحب الكشف في قوله حل شأنه : وإياي قارهبون ، أنه من باب زيدا وجبه وهو يؤكد في إفادة الاختصاص من إياك نبيد (فلا يفيد إلا التخصيص) لامتناع تقدير ، أما فهدينا نمود لالتزامهم وجود فاصل بين أنا وإعلاء . وبعد . فالظاهر أن مثل هذا التقديم ليس لتخصيص لأنه ليس الغرض إنا هــينا نمود دون غيرهم رداً على من زعم الاشتراك أو انفراد الغير بالهداية ، وإنما الغرض إثبات أصل الهداية لهم ثم الإخبار عن سوء صنيعهم (وكذلك قولك زيد مروت) فإنه بعد أن سامعك كان يعتقد مروتك

بمرت. والتخصيص لا يتم بالتقديم غالباً ولهذا يقال في : إياك نمد وإياك
نستعين ، معناه نخضعك بالميادة والاستعانة ، وفي : لا إله إلا الله نخشرون ،
معناه إليه نخشرون لا إلى غيره : ويفيد في الجميع وراء التخصيص اهتماماً

بغير زيد فأزلت عنه الخطأ مخصصاً مرورك بزيد دون غيره (غالباً) يريد أن
التقديم قد لا يكون للاختصاص بأن يكون لمراعاة نظم الكلام مثلاً وذلك أن
يكون نظمه لا يحسن إلا بالتقديم مثل قوله جل وعلا : خذوه فقلوه ثم الحميم
صلوه ثم في سلسلة ذرعهما سبعون ذراعاً فأسلكوه ، وقوله جل شأنه : وإن
عليكم لحافظين . إلى ربه ناظرة . أما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تهر وأما
بنعمة ربك لحدث . إلى غير ذلك من المواضع التي لا يحسن فيها اعتبار التخصيص
لنحو المقام عنه ، كما نبه على ذلك صاحب المثل السائر (ويفيد في الجميع
وراء التخصيص اهتماماً بالمقدم) قال صاحب الكتاب وهو يذكر الفاعل
والمفعول : — كأنهم يقدمون الذي شأنهم أم وهم ببيانه أغنى . وبعد ، فقد
قال الشيخ الإمام في دلائل الإجماع : اعلم أنا لم نجد اعتماداً في التقديم شيئاً
يجرى مجرى الأصل غير العناية والاحتمال ، لكن ينبغي أن يصر وجه العناية
بشئ يعرف له معنى ، وقد وقع في ظنون الناس أنه يمكن أن يقال إنه قدم
العناية ، ولأن ذكره أم من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية ولم كان
أم ، ومن الخطأ أيضاً أن يجعل التقديم مفيداً في كلام فائدة وغير مفيد في
آخر ، وأن يغلط عادة بالعناية ، وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب ،
حتى تطرد لهذا قوافيه ، ولذلك جسه ، ذلك لأن من البعيد أن يكون في جملة

بِالْمُقَدِّمِ ، وَلِهَذَا يُقَدَّرُ فِي بَسْمِ اللَّهِ مُؤَخَّرًا ، وَأُورِدَ : اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ
وَأُجِيبَ بَأَنَّ الْأَهَمَّ فِيهِ الْقِرَاءَةُ ، وَبِأَنَّهُ مُتَمَلِّقٌ يَقْرَأُ الثَّانِي ، وَمَتْنُ الْأَوَّلِ
أَوْجِدَ الْقِرَاءَةَ . وَتَقْدِيمُ بَعْضٍ مَعْمُولَاتِهِ عَلَى بَعْضٍ لِأَنَّ أَصْلَهُ التَّقْدِيمُ
وَلَا مُتَقَعِي لِلْمَعْدُولِ عَنْهُ ، كَالْفَاعِلِ فِي نَحْوِ : ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا ، وَالْمَفْعُولِ
الْأَوَّلِ فِي نَحْوِ : أَعْطَيْتُ زَيْدًا دِرْهَمًا ، أَوْ لِأَنَّ ذِكْرَهُ أَهَمُّ كَقَوْلِكَ :

النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى (ولهذا يقدر في بسم الله مؤخرًا) ليفيد
مع الاختصاص الاهتمام ، لأن المشركين كانوا يبدون بأسماء آلهتهم قصد
الموحد تخصيص اسم الله بالابتداء للاهتمام والرد عليهم (وأورد اقرا باسم)
فإن الفعل فيه مقدم (وأجيب بأن الأهم فيه القراءة) لأنها أول سورة
نزلت ، فكان الأمر بالقراءة أهم من الأمر باختصاص القراءة باسم الله ، إذ
لا يناسب المقام وأصل هذا لصاحب الكشف . (وبأنه إلى آخره) هذا
ما أجاب به السكاكي وإليك عبارته . الوجه عندي أن يعمل اقرا على معنى
افعل القراءة وأوجدها ، على نحو ما تقدم في قولهم فلا يعطى ويمنع في أحد
الوجهين غير ممدى إلى مقروء به ، وأن يكون باسم ربك مفعول إقرأ الذي
بعده . ولا يذهب عليك أن ملأناه الزحشرى هو بالبلاغة الصق وبنظم القرآن
أليق (أو لأن ذكره أم) قال في الإيضاح : فيقدم المفعول على الفاعل
إذا كان الفرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه من وقع
منه كما إذا خرج رجل على السلطان وعات في البلاد وكثر منه الأذى والقتل ،
وأردت أن تخبر بقتله فتقول قتل الخارجي فلان بتقديم الخارجي ، إذ ليس الناس
قائمة أن يعرفوا قاتله ، وإنما الذي يريدون علمه هو وقوع القتل به ليخلصوا
من شره . ويقدم الفاعل على المفعول إذا كان الفرض معرفة وقوع الفعل من

قَتَلَ الْغُلَامَ فُلَانٌ ، أَوْ لِأَنَّ فِي الْآخِرِ إِخْلَافًا بَيْنَ اللَّحْنِ ، نَحْوُ :
وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ، فَلَهُ لَوْ أُخْرِيَ مِنْ آلِ
فِرْعَوْنَ عَنْ قَوْلِهِ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ لَوُغَمَ أَنَّهُ مِنْ صِلَةِ يَكْتُمُ ، فَلَمْ يُمْهِمُ
أَنَّهُ مِنْهُمْ ، أَوْ بِالتَّنَاسُبِ كَرِيعَةِ الْفَاصِلَةِ نَحْوُ : فَلَوْ جَسَّ فِي نَفْسِهِ
خِيفَةُ مُوسَى .

وقع منه لا وقوعه بمن وقع عليه ، كما إذا كان رجل ليس له بأس ولا بضر
فيه أن يقتل أو يقتل رجلاً وأردت أن تخبر بذلك فتقول قتل فلان رجلاً بتقديم
القاتل ، لأن الذي يعنى الناس من شأن هذا القتل ندوره وبعده من الظن ،
ومعلوم أنه لم يكن نادراً ولا بعيداً من حيث كان واقعاً على من وقع عليه ، بل
من حيث كان واقعاً بمن وقع منه ، وعليه قوله تعالى : ولا تقتلوا أولادكم من
إملاق نحن نرزقكم وإياهم ، وقوله جل شأنه : ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق
نحن نرزقهم وإياكم . قسم المخاطبين في الأولى دون الثانية لأن الخطاب في الأولى
للفقراء بدليل قوله تعالى : من . إملاق ، فكان رزقهم أم عديم من رزق
أولادهم ، فقسم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم ، والخطاب في الثانية
للأغنياء بدليل قوله خشية إملاق ، فإن الخشية إنما تكون بما لم يقع فكان
رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم ، لأنه حاصل فكان أم ، فقدم الوعد
برزق أولادهم على الوعد برزقهم (أو بالتناسب) أى أو لأن في الأخير
إخلاقاً بالتناسب (نحو فأوجس) الآية ، فقدم خيفة على موسى مع أنه فاعل
لرعاية ما بعده وما قبله من الفواصل المختومة بالألف إذ لو أخر خيفة لكان ذلك

﴿ التَقْصُر ﴾

التَقْصُرُ حَقِيقٌ ، وَغَيْرُ حَقِيقٍ ، وَكُلُّ مِثْمَا تَوْعَانِ : قَصْرُ الْمَوْصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ ، وَتَقْصُرُ الصِّفَةُ عَلَى الْمَوْصُوفِ ؛ وَلِأَرَادُ الْمَعْنَوِيَّةُ لَا النَّمْتُ ؛ وَالْأَوَّلُ مِنَ الْحَقِيقِيَّ نَحْوُ : مَا زَيْدٌ إِلَّا كَاتِبٌ إِذَا أُرِيدَ أَنَّهُ لَا تَتَّصِفُ بِغَيْرِهَا وَهُوَ لَا يَكْذِبُ يَوْجَدُ لَتَقْصُرَ الْإِحَاطَةُ بِصِفَاتِ الشَّيْءِ ، وَالثَّانِي كَثِيرٌ نَحْوُ : مَا فِي الدَّارِ إِلَّا زَيْدٌ ، وَقَدْ يَقْصِدُ بِهِ الْمُبَالَغَةُ ، لَعَدَمِ الْإِعْتِدَاءِ بِغَيْرِ لُذْ كَوْرٍ ، وَالْأَوَّلُ مِنْ غَيْرِ الْحَقِيقِيَّ تَخْصِيسُ أَمْرٍ بِصِفَةٍ دُونَ أُخْرَى أَوْ مَكَلَّفَهَا ، وَالثَّانِي تَخْصِيسُ صِفَةٍ بِأَمْرٍ دُونَ أُخْرٍ أَوْ مَكَلَّفَهَا ؛ وَكُلُّ مِثْمَا

(التقصير) في اصطلاح البيانين تخصيص شيء بشيء بطريق معهود (حقيقى) بأن يكون تخصيص الشيء بالشيء بحسب الحقيقة وفي نفس الأمر بأن لا يتجاوزه أصلاً (وغير حقيقى) وهو الإضافى بأن يكون بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر (والمراد المعنوية) يقول : إن الصفة هنا إرابة المعنى القائم بالذات لا النعت النحوى وهو التامع الذى يدل على معنى فى متبوعه غير التامع (بغيرها) أى بغير الكتابة (لتعذر الإحاطة بصفات الشيء) وإذن فلا يمكن إثبات شيء منها ونفى ما عداها (وقد يقصد به المبالغة) كما يقصد قولنا ما فى الدار إلا زيد ، أن جميع من فى الدار من عدا زيدا فى حكم المدوم (فكل منها) أى كل قسم من قسمى الإضافى وهما قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة

ضَرْبَانِ ، وَلِلْمُخَاطَبِ الْأَوَّلِ مِنْ ضَرْبَيْنِ كُلٌّ مِنْ يَعْتَقِدُ الشَّرَكَةَ وَيُسَمِّي قَصْرَ قَصْرٍ إِفْرَادٍ لِقَطْعِ الشَّرَكَةِ ، وَبِالْثَّانِي مَنْ يَعْتَقِدُ النِّكَاسَ وَيُسَمِّي قَصْرَ قَلْبٍ ، لِقَلْبِ حُكْمِ الْمُخَاطَبِ ، أَوْ تَسَاوِيَا عِنْدَهُ وَيُسَمِّي قَصْرَ تَعْيِينِ

على الموصوف (ضربان) الأول تخصيص أمر بصفة دون أخرى وتخصيص صفة بأمر دون آخر والثاني تخصيص أمر بصفة مكان أخرى وتخصيص صفة بأمر مكان آخر (من يعتقد الشركة) أي اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة وغيرها جميعاً في الأول واتصاف ذلك الأمر وغيره جميعاً بتلك الصفة في الثاني فالمخاطب بقولنا ما زيد إلا كاتب من يعتقد أن زيدا كاتب وشاعر وبقولنا ما شاعر إلا زيد بن يعتقد أن زيدا شاعر لكن يدعى أن عمرأ أيضاً شاعر (من يعتقد العكس) أي عكس الحكم الذي أثبتته المتكلم فالمخاطب بقولنا ما زيد إلا قائم من اعتقد اتصافه بالقعود دون القيام . وبقولنا ما شاعر إلا زيد من اعتقد أن الشاعر عمرو لازيد (أو تساويا عنده) هو مملوف علم بوله يعتقد العكس يقول : إن المخاطب بالثاني إما من يعتقد العكس أو من تساوى عنده الأمران أي اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة ، واتصافه بغيرها في الأمر واتصافه بها واتصاف غيره بها في الثاني ، فالمخاطب بقولنا ما زيد إلا قائم من يعتقد اتصافه بالقيام أو القعود من غير علم بالتعيين . وبقولنا ما شاعر إلا زيد من يعتقد أن الشاعر زيد أو عمرو من غير أن يعلم على التعيين . . والحاصل . أن تخصيص شيء بشيء دون آخر قصر أفراد وتخصيص شيء بشيء مكان آخر إن اعتقد المخاطب فيه العكس قصر قاب ، وإن تساويا عنده قصر تعيين ، والذي شعر به عبارة النكاسي أن القسمة ثنائية وأر ما جعله المصنف قسماً ثالثاً وسماه قصر تعيين منظوم في سلك قصر الإفراد ، ونوع منه وهاك عبارته : حاصل معنى

وَشَرَطَ قَصْرَ الْمُوصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ إِفْرَادًا عَدَمُ تَنَاقُيِ الْوَصْفَيْنِ ، وَقَلْبًا
تَحَقُّقُ تَنَاقُيِهِمَا ، وَقَصْرُ التَّعْيِينِ أَعْمُ ؛ وَلِلْقَصْرِ طَرِيقٌ : مِنْهَا الْمَطْلُفُ ، كَقَوْلِكَ
فِي قَصْرِهِ إِفْرَادًا : زَيْدٌ شَاعِرٌ لَا كَاتِبٌ ، أَوْ مَا زَيْدٌ كَاتِبًا بَلْ شَاعِرٌ ،
وَقَلْبًا : زَيْدٌ قَائِمٌ لَا قَاعِدٌ ، وَمَا زَيْدٌ قَاعِدًا بَلْ قَائِمٌ ، وَفِي قَصْرِهَا : زَيْدٌ شَاعِرٌ
لَا عَمْرُو ، أَوْ مَا عَمْرُو شَاعِرًا بَلْ زَيْدٌ . وَمِنْهَا التَّنْقِي وَالِاسْتِثْنَاءُ ، كَقَوْلِكَ

القصر راجع إلى تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان كقولك
زيد شاعر لانهم لمن يعتقد شاعراً ومنجماً ، أو قولك زيد قائم لاقاعد لمن
يتوهم زيدا على أحد الوصفين من غير ترجيح ويهيم هذا قصر لإفراد أبو وصف
مكان آخر كقولك لمن يعتقد زيدا منجماً لاشاعراً ما زيد منجم بل شاعر ،
أو زيد شاعر لانهم ويسمى هذا قصر قلب ، أو إلى تخصيص الوصف بوصف
قصر أفراد أو قصر قلب والمثل ظاهره وهو كلام متين وقسيم قريب (عدم
تنافي الوصفين) ليتصور اعتقاد المخاطب اجتماعهما ، فتكون المنفية في قولنا
ما زيد شاعر كونه كاتباً أو منجماً أو نحو ذلك لا كونه مفحماً لا يقول الشعر
(وقلبا تحقق تنافيهما) ليكون إثبات الصفة مشعراً بانتفاء غير ما فتكون المنفية
في قولنا : ما زيد إلا قائم كونه قاعداً أو جالسا أو نحو ذلك لا كونه أسود
أو أبيض (وقصر التعيين أعم) وإذن فكل ما يصلح أن يكون مثالا لقصر
الإفراد أو قصر القلب يصلح أن يكون مثالا لقصر التعيين من غير عكس .
وبعد ، فقد أهل السكاكي القصر الحقيقي وأدخل قصر التعيين في قصر
الأفراد كما علت ، فلم يشترط في قصر الموصوف إفراداً عدم تنافي الصفتين ،
ولان في قصره قلباً تحقق تنافيهما وحذا صفيه ، وكان أس بالوصف أن يحذف
حدوه في ذلك كما لا يخفى على طبع الذكي وقلب النطق (كقولك في قصره

في قصيره : مَا زَيْدٌ إِلَّا شَاعِرٌ ، وَمَا زَيْدٌ إِلَّا قَائِمٌ ، وَفِي قَصْرِهَا : مَا شَاعِرٌ إِلَّا زَيْدٌ ، وَمِنْهَا إِنَّمَا كَقَوْلِكَ فِي قَصْرِهِ : إِنَّمَا زَيْدٌ كَاتِبٌ وَإِنَّمَا زَيْدٌ قَائِمٌ ، وَفِي قَصْرِهَا : إِنَّمَا قَائِمٌ زَيْدٌ ، يَخْتَصِنُهَا مَعْنَى مَا وَإِلَّا ، يَقُولُ الْمُفَسِّرِينَ : إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ، بِالنَّصِّ ، مَعْنَاهُ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ إِلَّا الْمَيْتَةَ وَهُوَ الْمُطَابِقُ

حازيد إلا شاعر إلى آخره) قال الساكمي : وتحقيق وجه القصر في الأول أنه متى قيل ما زيد توجه النفي إلى صفة لاذاته . لأن أنفس الذوات يتمتع بنفسها وإنما تنفي صفاتها كما بين ذلك في غير هذا العلم وحيث لا نزاع في طوله وقصره وما شاكل ذلك وإنما النزاع في كونه شاعراً أو كاتباً تناولها النفي . فإذا قيل إلا شاعر جاء القصر ، وفي الثاني أنه متى قيل ما شاعر فأدخل النفي على الوصف المسلم بوجهه ، أعني الشعر تغير من الكلام فهما كزيد وعمرو مثلاً توجه النفي إليهما ، فإذا قيل إلا زيد جاء القصر (لنضمها معنى ما وإلا) يقول : إن السبب في إفاضة إنما معنى القصر هو تضمها معنى ما وإلا . والدليل على ذلك ثلاثة أوجه : أولها قول المفسرين في قوله تعالى : إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ . نصب الميته إن المعنى ما حرم عليكم إلا الميته . وهذا المعنى هو المطابق لقراءة رفع الميته المقتضية لانحصار التحريم على الميته ، بسبب أن ما في قراءة الرفع يكون موصولاً صلتها حرم عليكم واقعاً اسماً لأن ويكون المعنى إن المحرم عليكم الميته وقد سبق أن المطلق زيد وزيد المطلق ، كلاهما يقتضي انحصار الانطلاق على زيد ؛ الثاني أنك ترى أئمة النحو يقولون إنما تأتي إنيائاً لما يذكر بعدها ومعياً للمساواة ، الثالث صحة انفصال الضمير معها كقولك إنما يضرب أمثله في ما يضرب إلا أنا . قال الفرزدق : أنا الزائد . . . البيت ، كما قال عمرو بن معد يكرب

لِقِرَاءَةِ الرَّفْعِ ، لِأَمْرٍ ، وَلِقَوْلِ النَّحَاةِ : إِنَّمَا لِإِبْثَاتِ مَا يُذَكَّرُ بِمَدِّهَا ،
وَنُفْيِ مَا سِوَاهُ ، وَلِصِحَّةِ انْفِصَالِ الضَّمِيرِ مَعَهَا ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ :

أَنَا الذَّائِدُ الْحَامِي الدَّمَارَ وَإِنَّمَا * يَدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي
وَمِنْهَا التَّقْدِيمُ ، كَقَوْلِكَ فِي قَصْرِهِ : تَجِيئِي أَنَا ، وَفِي قَصْرِهَا : أَنَا كَفَيْتُ

قَدْ بَلَغَتْ سَلَى وَجَارَاتِهَا مَا قَطَرَ الْفَارِسَ إِلَّا أَنَا

قال الشيخ عبد الفاهر : اعلم أن الذي صنعه الفرزدق شيء لو لم يصنعه لم
يصح له المعنى ، ذاك لأن غرضه أن يخلص المدافع لا المدفع عنه ، وأنه يزعم
أن المدافعة منه تكون عن أحسابهم لا عن أحساب غيرهم كما يكون إذا قال
وما أَدافع إلا عن أحسابهم ، وليس ذلك معناه ، إنما معناه أن يزعم أن المدافع
هو لا غيره ، قال : ولا يجوز أن يُنسب فيه إلى الضرورة فيجعل مثلاً لغير
قول الآخر :

* كَأَنَّا يَوْمَ قُرَيْشٍ إِنَّمَا نَقْتُلُ إِيَّانَا *

لأنه ليس به ضرورة إلى ذلك من حيث أن أَدافع ويدافع واحد في
الوزن وهذا ، وقد نقل في تضمنها معنى ما وإلا مناسبة عن علي بن عيسى
الربيعي وهي أنه لما كانت كلمة إن لتأكيد إثبات المسند للسند إليه ثم اتصلت
بها ما المؤكدة لا النافية كما يظنه من لا وقوف له على علم النحو . ناسب أن
تضمن معنى القصر ، لأن القصر ليس إلا تأكيداً على تأكيد ، فإن قولك زيد
جاء لا عمرو لمن يردد الجملة الواقعة بينهما بعيد إثباته لزيد في الابتداء صريحاً
وفي الآخر ضمناً (أنا كفيت مهمك) بمعنى وحدي إذا كنت تخاطب به من
يعتقد أنك وغيرك كفيماً مهمه ، وبمعنى لا غيري إذا كان المخاطب يعتقد

نُهِمَكَ وَهَذِهِ الطَّرِيقُ تَخْتَلِفُ مِنْ وُجُوهِ فِدَالَةِ الرَّابِعِ بِالْقَحْوَى ، وَالْبَاقِيَةُ
بِالْوَضْعِ وَالْأَصْلِ فِي الْأَوَّلِ النَّصُّ عَلَى الْمُثَبَّتِ وَالْمُنْفَى كَمَا مَرَّ ، فَلَا يُتْرَكُ
إِلَّا كَرَاهَةً الْإِطْلَابِ ، كَمَا إِذَا قِيلَ : زَيْدٌ يَعْلَمُ النَّحْوَ وَالتَّصْرِيفَ وَالْعَرُوضَ ،
أَوْ زَيْدٌ يَعْلَمُ النَّحْوَ وَنَحْوَهُ وَبَكْرٌ ، فَتَقُولُ فِيهِمَا زَيْدٌ يَعْلَمُ النَّحْوَ لِأَخِيرِ
أَوْ نَحْوَهُ ، وَفِي الثَّلَاثَةِ الْبَاقِيَةِ النَّصُّ عَلَى الْمُثَبَّتِ فَقَطْ ، وَالتَّنْفِي لَآ يَجْمَعُ

أَنْ غَيْرَكَ كُنِيَ بِهِ دُونَكَ (الرابع) وهو التقديم (بالقوى) أى بمفهوم
الكلام ، بمعنى أنه إذا تأمل من له النوق السليم في مفهوم الكلام الذى فيه
التقديم فهم منه القصر وإن لم يعرف أنه في اصطلاح البلغاء كذلك (والأصل
إلى آخره) هذا هو الوجه الثانى من وجوه الاختلاف (فى الأول) وهو
طريق المطف (كما مر) من الأمثلة ، فإن المعطوف عليه فى لا هو المثبت
والمعطوف هو المنفى وفى بل بالعكس (زيد يعلم النحو لا غير) أما فى الأول
فمعناه لا غير النحو وهو قائم مقام لا التصريف ولا العروض ، وأما فى
الثانى فمعناه لا غير زيد وهو قائم مقام لا عمرو ولا بكر (أو نحوه) أى
أو نحوه لا غير مثل ليس إلا (والتنفى إلى آخره) يقول الوجه الثالث من
وجوه الاختلاف أن التنفى بلا العاطفة لا يجمع التنفى والاستثناء ، فلا يصح
ما زيد إلا قائم لا قاعد ، لأن شرط جواز التنفى بلا ، أن لا يكون ما قبلها
منفياً بغيرها من أدوات التنفى ، لأنها موضوعة لأن ينفى بها ما أوجبه التسبوع ،
لا لأن تنفى بها شيئاً قد تنفى أولاً أو تنفى بها نفياً فنعود إيجاباً ، وإذا كان
ذلك كذلك قلنا أن ينفى بها بعد التنفى والاستثناء . لأنك إذا قلت ما زيد
إلا قائم ، فالعرض تنفى كل صفة وقع فيها التنازع والصفة التى تنفىها بلا بعد
هذا يجب أن تكرر ما وقع فيها النزاع ، وإلا خرجت عما يرامى فى خطاب

الثاني ، لِأَنَّ شَرْطَ النَّفْيِ بِلَا أَنْ لَا يَكُونَ مُنْفِيًّا قَبْلَهَا بِفَيْرِهَا ، وَيُجَامِعُ
الْأَخِيرَيْنِ ، فَيَقَالُ : إِنَّمَا أَنَا عَمِيٌّ لَا قَيْسِيٌّ ، وَهُوَ يَأْتِي لَّا عَمْرُو ، لِأَنَّ
النَّفْيَ فِيهِمَا غَيْرُ مُصَرَّحٍ بِهِ ، كَمَا يَقَالُ امْتَنَعَ زَيْدٌ عَنِ الْمَجَى لَّا عَمْرُو .
السَّكَاكِيُّ : شَرْطُ نَجَازِيَّتِهِ لِلثَّالِثِ أَنْ لَا يَكُونَ الْوَصْفُ نَحْصًا .

المطف بها من إرادة الحصر أو تأكيد ، فإذا قلت مثلا لا قاعد لقد نصبت بها شيئا
هو منفي قبلها بما النافية فلا يصح الإتيان بها بعد النفي والاستثناء . وبصح الإتيان
بها مع إنما والتقديم ، فنقول (إنما زيد كاتب لاشاعر وهو يأتي لاعمرو لأن النفي
فيهما غير مصرح به) وإنما صرح فيهما بالإثبات فلم يوجب تأكيد ما تضمناه والنفي
بلا بخلاف ما ، ولا نقدر صرح فيهما بالنفي وحيث نقدر فالنفي الصريح ليس كالضمي
يدل على ذلك أنه يقال امتنع زيد عن المجيء لاعمرو فيمطف على فاعل امتنع بلا ،
فيفيد الكلام حصر الامتناع في زيد بواسطة المطف بلا ، وصح ذلك لأن
صرح امتنع زيد إثبات الامتناع ، فلفظ لا يفيد نفي ذلك الإثبات ، وأما نفي
المجيء فهو ضمني لجواز المطف بلا لكون النفي في امتنع ضميا ولو صرح به
وقيل لم يجيء زيد لم يصح أن يقال لاعمرو لأنه نفي النفي فيكون إنشائا ووضع
لا للنفي لا للإثبات (السكاكي إلى آخره) وإليك عبارته : إذا جامع
لا الماطفة (إنما جامعها بشرط وهو أن لا يكون الوصف بعد إنما يستجيب الذين
يسمعون ، فإن كل عاقل يعلم أنه لا تكفر استجابة إلا من يسمع ويعقل وقوله :
إنما أنت منذر من مخاضها ، فلا يخفى على أحد من به مسكة أن الإظهار إنما
يكون إدارا ويكون له تأثير إذا كان مع من يؤمن بالله وبالبعث والقيامة
وأموالها ويخشي عقابها ، وقوله : إنما يعمل من يخشى القوت ، فركوز في القول

بالموصوف ، نحو : إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْتَمُونَ . عَبْدُ الْقَاهِرِ . لَا تَحْسُنُ
فِي الْمُحْتَمَسِ كَمَا تَحْسُنُ فِي غَيْرِهِ وَهَذَا أَقْرَبُ . وَأَصْلُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ
مَا اسْتُفِئِلَ بِمَا يَجْهَلُهُ الْمُخَاطَبُ وَيُنْكِرُهُ ، بخلافِ الثَّالِثِ ، كَقَوْلِكَ
لِصَاحِبِكَ وَقَدْ رَأَيْتَ شَيْعًا مِنْ بَعِيدٍ : مَا هُوَ إِلَّا زَيْدٌ ، إِذَا اعْتَقَدَهُ غَيْرُهُ

أَنْ مَنْ لَمْ يَحْسُ القوت لم يجعل ، وإذا كان له اختصاص لم يصح فيه استعمال
لا العاطفة ، فلا تَقُلْ إِنَّمَا يَجْعَلُ مَنْ يَحْسُ القوت لا من يأمنه (وهذا أقرب)
يقول إن كلام عبد القاهر أقرب إلى الصواب من عبارة السكاكي . . وبعد ،
فإن من الظاهر أن السكاكي إنما جعل ذلك شرطاً في الحسن فهو في الواقع لم
يقُلْ شيئاً غير ما قاله عبد القاهر وغريب ذهول المصنف رحمه الله عن مثل هذا
(وأصل الثاني إلى آخره) يقول الوجه الرابع من وجوه الاختلاف أن
أصل النفي والاستثناء أن يكون الحكم الذي استعمل هو فيه من الأحكام التي
يجعلها المخاطب وينكرها ، بخلاف إنما ، فإن أصله أن يكون الحكم المستعمل هو
فيه مما يعلمه المخاطب ولا ينكره . وأصل هذا الكلام للشيخ عبد القاهر رحمه
الله . وإليك عبارته مع شيء من التصرف : إن موضوع ما وإلا على أن يكون
للأمر ينكره المخاطب وينكره فيه ، أو ما ينزل هذه المنزلة فلا يصح استعمالها
في الأمر الظاهر ، فلا تقول للرجل ترققه على أخيه وتنبه للذي يجب عليه من
صلة الرحم : ما هو إلا أخوك مثال الأول قولك لصاحبك وقد رأيت شياً
من بعيد : ما هو إلا زيد إذا وجدته يعتقده غير زيد وبصر على الإنكار ، ومنه
قوله تعالى : وما من إله إلا الله . ومثال الثاني قوله عز وجل : وما محمد إلا
رسول ، أي إنه صلى الله عليه وسلم لا يتعدى الرسالة إلى التبري من الهلاك ، نزل
استعظامهم هلاكه منزلة إنكارهم إياه ، ومثله : وما أنت بمسمع من في القبور إن

مُعِيراً ، وَقَدْ يُنْزَلُ الْقَوْلُ مَنْزِلَةً الْجَهُولِ ، لِاعْتِبَارِ مُنَاسِبٍ ، فَيُسْتَقْبَلُ لَهُ
الْثَّانِي الْفَرَادَى ، نَحْوُ : وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ : أَيْ مَقْصُورٌ عَلَى الرِّسَالَةِ لَا يَتَعَدَّاهَا
إِلَى التَّبَرُّي مِنَ الْهَلَاكِ ، نُزِّلَ اسْتِغْفَالُكُمْ هَلَاكُهُ مَنْزِلَةً إِنْكَارِمْ
إِيَّاهُ ، أَوْ قَلْبًا ، نَحْوُ : إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ، لِإِعْتِقَادِ الْقَائِلِينَ أَنَّ
الرَّسُولَ لَا يَكُونُ نَحْرًا ، مَعَ إِمْرَارِ الْمُخَاطَبِينَ عَلَى دَعْوَى الرِّسَالَةِ

أنت إلا نذير ، فَإِنَّهُ ﷺ كَانَ لَشِدَّةِ حَرَمِهِ عَلَى هِدَايَةِ النَّاسِ يَكْرُرُ دَعْوَةَ
الْمُسْتَعِينِينَ عَنِ الْإِيمَانِ وَلَا يَرْجِعُ عَنْهَا ، فَكَانَ فِي مَعْرِضٍ مِنْ ظَنِّ أَنَّهُ يَمْلِكُ
مَعَ صِفَةِ الْإِذَارِ إِجْمَادَ الشَّيْءِ فِيمَا يَمْتَنِعُ قَبُولُهُ إِيَّاهُ ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : إِنْ
أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ، لِأَنَّ الْكُفَّارَ جَعَلُوا الرِّسَالَ كَأَنَّهُمْ بِإِدْعَائِهِمُ النَّبُوَّةَ قَدْ أَخْرَجُوا
أَنْفُسَهُمْ عَنْ أَنْ يَكُونُوا بَشَرًا مِثْلَهُمْ ، وَلَمَّا كَانَ كَذَلِكَ أَخْرَجَ الْقَلْبُ مَخْرَجَهُ
حَيْثُ يَرَادُ إِبْثَاتُ أَمْرٍ يَدْفَعُهُ الْمُخَاطَبُ وَيَدْعَى خِلَافَهُ ، ثُمَّ جَاءَ الْجَوَابُ مِنْ
الرَّسْلِ لَمَّا هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ، بِكَذَلِكَ إِنْ وَإِلَّا
لِأَنَّ مَنْ حَكَمَ مِنْ ادِّعَى عَلَيْهِ حَصْمَهُ الْخِلَافَ فِي أَمْرٍ هُوَ لَا يَخَالِفُ فِيهِ أَنْ
يَعِيدَ كَلَامَ الْخَصْمِ عَلَى وَجْهِهِ وَيَجْعَلُهُ بِهِ عَلَى مِثْلِهِ وَيَحْكِيهِ كَمَا هُوَ ، فَإِذَا قُلْتَ لِرَجُلٍ
أَنْتَ مِنْ شَأْنِكَ كَيْتٌ وَكَيْتٌ ، قَالَ نَعَمْ أَنَا مِنْ شَأْنِي كَيْتٌ وَكَيْتٌ ، وَلَكِنْ
لَا ضَيْرَ عَلَى وَلَا يُلْزَمُنِي مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَا ظَنَنْتُ أَنَّهُ يُلْزَمُ ، فَارْسَلْ كَأَنَّهُمْ قَالُوا
إِنْ مَا ظَنَنْتُمْ مِنْ أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ كَمَا قُلْتُمْ لَنَا تَنْكُرُ ذَلِكَ وَلَا نَجْهَلُهُ ، وَلَكِنْ ذَلِكَ
لَا مَعْنَى مِنْ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ مَنَّ عَلَيْنَا رُكْرُمًا بِالرِّسَالَةِ ... وَأَمَّا إِنَّمَا
نُوضِعُهَا عَلَى أَنْ نَجْعَلَ لِحُجْرٍ لَا يَجْهَلُ الْمُخَاطَبُ وَلَا يَدْفَعُ حَصْمَهُ . أَوْ لَمَّا يُنْزَلُ

وَقَوْلُهُمْ : إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ، مِنْ بَابِ تَجَلَّاهُ انْقَضَى لِيَسْتَرْ
حَيْثُ يُرَادُ تَبْكِيئُهُ ، لَا لِيَسْلِمَ انْتِفَاءُ الرِّسَالَةِ ، وَكَقَوْلِكَ إِنَّمَا
هُوَ أَخُوكَ ، لِيَنْ يَفْهَمْ ذَلِكَ وَيُقِرَّ بِهِ ، وَأَنْتَ تَمُرُّ بِأَنْ تُرَفِّقَهُ
عَلَيْهِ وَقَدْ يُعْزَلُ الْمَجْهُونُ مَنَزَلَةً لِلْقُلُوبِ ، لِإِدْعَاءِ ظُهُورِهِ ، فَيُسْتَفْتَلُ
لَهُ الثَّالِثُ ، نَحْوُ : إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ، وَلِذَلِكَ جَاءَ : أَلَا إِنَّهُمْ نَفْسٌ
الْمُفْسِدُونَ ، لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ مُوَكَكِّفًا مَا تَرَى ، وَمَرِيَّةً إِنَّمَا عَلَى الْقَطْرِ

هذه المنزلة ، مثال الأول قولك للرجل : إنما هو أخوك ، وإنما هو صاحب
القديم ، لاقوله لمن يحمل ذلك ويدفع صحته ، ولكن لمن يبله ويقر به إلا أنك
فيه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة صاحب ، ومثله قول المتنبي :

إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالْأَبُ الْقَاتِلُ طَعِ أَخَقَ مِنْ وَاصِلِ الْأَوْلَادِ
لم يرد أن يعلم كافراً أنه والد ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه إلى الإعلام ،
ولكنه أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم ليفنى عليه استدعاء ما بوجه كونه
بمنزلة الوالد . ومثاله من النزول قوله تعالى : إِنَّمَا تَنْذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ
الرَّحْمَنَ الْغَلْبَ ، وقوله عز وجل : إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا ، كل ذلك مذكور
بأمر ثابت معلوم ، ومثال الثاني قول قيس الرقيات :

إِنَّمَا مَعْزَبٌ شِبْهَابٌ مِنَ اللَّهِ تَجَلَّكَ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلَامَةُ
ادعى في كون الممدوح بهذه الصفة أنه أمر معلوم للجميع على عادة الشعراء
إذا مدحوا أن يدعوا في الأوصاف التي يذكرون بها الممدوحين أنها ثابتة لهم ،
وأنهم قد شهروا بها ، وأنهم لم يصغوا إلا بالمعلوم الظاهر الذي لا يدفعه أحد
كما كان الخطبة :

أَنَّهُ يُقْلَلُ مِنْهَا الْمُحْكَمَانِ مَعًا ، وَأَحْسَنُ مَوَاقِعِهَا التَّعْرِيضُ ، نَحْوُ :

وَتَعَذَّلْتُ أَفْنَاءَ سَعْدٍ عَنْهُمْ . وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتُ سَعْدًا^(١)
وكما قال البحري :

لَا أَدْعِي لِأَبِي الْقَلَاءَ فَضِيلَةً . حَتَّى يُسَلِّمَهَا إِلَيَّ عِدَاهُ
ومثل البيت قوله تعالى حكاية عن اليهود : وإذا قيل لهم لا تفسدوا في
الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، المعنى أنهم يدعون أن كونهم مصلحين أمر
ظاهر معلوم ، ولذلك أكد الأمر في تكذيبهم والرد عليهم لمجمع بين إلا التي
للتنبيه وإن التي هي للتأكيد ، فقال ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون
(المحكمات) أى الإثبات للذكور والنق عما سواه (وأحسن مواقفها التعريض)
قال الشيخ عبد القاهر : اعلم أنك إذا استقرت وجدتها أقوى ما تكون وأعلى
ما ترى بالقلب إذا كان لا يراه بالكلام بعدها نفس معناه ، ولكن التعريض
بأمر هو مقتضاه نحو إنا نعلم أن ليس الفرض من قوله تعالى : إنما يتذكر
أولوا الألباب ، أن يعلم السامعون ظاهر معناه ولكن أن يذم الكفار ، وأن
يقال إنهم من فرط العناد ومن غلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذى عقل .
: أنكم إذا طمعتم منهم في أن ينظروا ويتذكروا كنتم كن طمع في ذلك من
غير أولى الألباب ، ومثال ذلك من الشعر قوله :

أَمَا لَمْ أَرِزْقُ تَحْتَهَا إِبْرًا لِلْعَبْدِ مَا زِدَ

الفرض أن يفهمك من طريق التعريض أنه قد صار ينصح نفسه ، ويعلم
أنه ينبغي له أن يقطع الطمع من وصلها ، ويأس من أن يكون منها إسعاف ،
ومن ذلك قوله :

(١) الإفناء : الفزغاء والسقاط من الناس .

إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ، فَإِنَّهُ تَقْرِيبٌ بِأَنَّ الْكُفَّارَ مِنْ قَرِيبٍ جَهَنَّمِ
كَالْبَنَاتِمْ ، فَطَلَعَ الْبَنْطَرُ مِنْهُمْ كَطَلْعِهِ مِنْهَا . ثُمَّ الْقَصْرُ كَمَا يَقَعُ بَيْنَ اللَّبْتَدِ
وَالْعَلْبَرِ عَلَى مَا مَرَّ ، يَقَعُ بَيْنَ الْفَعْلِ وَالْفَاعِلِ وَغَيْرِهِمَا . فَبَيْنَ الْإِسْتِثْنَاءِ يُؤْخَرُ
الْمَقْصُورُ عَلَيْهِ مَعَ أَدَاةِ الْإِسْتِثْنَاءِ وَقَدْ تَقَدَّمَ بِمَا مَحَلُّهَا ، نَحْوُ : مَا صَرَبَ إِلَّا

* وَإِنَّمَا يَتَذَكَّرُ الْمُشَاقُّ مَنْ عَشِقًا *

يقول إنه ليس يذنب للعاشق أن يلوم من يلومه في عشقه ، وأنه ينبغي أن
لا ينكر ذلك منه ، فإنه لا يعلم كنه البلوى في العشق ولو كان ابتلى به لعرف ما هو
فيه فمذره (وغيرهما) كالفاعل والمفعول والمفعولين وحكى الحال
والحال تقول في قصر الفاعل على المفعول إفراداً أو قلباً بحسب المقام : ما
ضرب زيد إلا عمراً ، ومن الوارد على قصر القاب قوله تعالى حكاية عن السيد
المسيح عليه السلام : ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله لأنه قاله في
مقام اشتمل على معنى أنك يا عيسى لم تقل للناس ما أمرتك لأنى أمرتك أن
تدعوا الناس إلى أن يعبدوني ، ثم إنك دعوتهم إلى أن يعبدوا من هو دوني
ألا ترى إلى ما قبله : وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني
وأمي إلهين من دون الله وفي قصر المفعول على الفاعل ما ضرب عمراً إلا
زيد وفي قصر المفعول الأول على الثاني في نحو كسوت وظفت ما كسوت زيدا
إلا جبة وما ظننت زيدا إلا منطلقاً وفي قصر الثاني على الأول ما كسوت جبة
إلا زيدا وما ظننت منطلقاً إلا زيدا ، وفي قصر ذي الحال على الحال ما جاء
زيد إلا راكباً ، وفي قصر الحال على ذي الحال ما جاء راكباً إلا زيد (وقل
تقديمهما محالهما) أى جاز على قلة تقديم المقصور عليه وأداة الاستثناء بمحالهما
على المقصور ؛ ومن ذلك قول الشاعر :

عَمْرًا زَيْدًا ، وَمَضْرَبَ إِلَّا زَيْدًا عَمْرًا ، لِاسْتِثْنَاءِهِ قَصْرَ الصِّفَةِ قَبْلَ تَمَامِهَا ؛
وَوَجْهَ الْجَمْعِ أَنَّ الثَّنَى فِي الْإِسْتِثْنَاءِ لِلْفَرَعِ يَتَوَجَّهُ إِلَى مُقَدَّرِ هُوَ
مُسْتَقَى مِنْهُ عَامٌ مُنَاسِبٌ لِلْمُسْتَقَى فِي جَنْبِهِ وَصِفَتِهِ ، فَإِذَا أُوجِبَ

لَا أَشْتَبِي يَا قَوْمُ إِلَّا كَارِهَا بَابُ الْأَمِيرِ وَالْإِدْفَاعِ الْحَاجِبِ
وقول الآخر :

كَأَنَّ لَمْ يَنْتَحِ سِوَاكَ وَلَمْ يَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَيْنِكَ التَّوَانِجِ
: وفند سيويه :

النَّاسُ أَلْبَعَيْنِيَا فَيْكَ لَيْسَ لَنَا إِلَّا السِّيُوفُ وَأَطْرَافُ الْقَنَائِرِ وَرُذْ

وقوله بجملها ، احتراز من إزالة حروف الاستثناء عن مكانه تأخيره عن
المقصود عليه ، كقولك في ما ضرب زيد إلا عمراً ما ضرب عمراً إلا زيد ، فإنه
يختل المعنى (لاستثناءه قصر الصفة قبل تمامها) كالضرب الصادر من زيد
في ما ضرب زيد إلا عمراً والضرب الواقع على عمرو في ما ضرب عمراً إلا زيد
(ووجه الجميع) أى وجه إعادة النفي والاستثناء المحصر في جميع ما ذكر مما بين
المبتدأ والخبر والفاعل والمفعول والحال وصاحبها والمفعول الأول والثاني
وغير ذلك (يتوجه إن مقدر إلى آخره) أما توجهه إلى مقدر هو مستثنى منه
فليكون إلا للإخراج واستدعاء الإخراج محرراً منه ، وأما عومه فليتحقق
الإخراج ولثلاث يلزم التخصيص من غير محصر . قال صاحب المفتاح ولذلك
ترانا في علم النحو نقول نأيت الضمير في كانت في قراءة أبي جهمر : إن كانت
إلا صيغة ، بالرفع وفي ترى المبني للفعول في قراءة الحسن : فأصبحوا لا ترى
إلا مساكنهم ، نرفع مساكنهم ، وفي بقيت في بيت ذى الرمة :

مِنْهُ شَيْءٌ ، بِإِلَّا جَاءَ الْقَصْرُ ، وَفِي إِنَّمَا يُؤَخَّرُ الْقَصْرُ عَلَيْهِ ، تَقُولُ :
إِنَّمَا ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا ، وَلَا يَجُوزُ تَقْدِيمُهُ عَلَى غَيْرِهِ لِلْإِبْلَاسِ . وَغَيْرُهُ

* وَمَا بَقِيََتْ إِلَّا الصُّلُوعُ الْمَجْرَاشِعُ *

لننظر إلى ظاهر اللفظ ، والأصل التذكير لاقتضاء المقام معنى شيء من
الاشياء ، وأما مناسبتها في جفنه وصفته فظاهرة ، لأن المراد بجمسه أن يكون
في نحو : ما ضرب زيد إلا عمراً واحداً ، وفي نحو قولك : ما كسوت زيدا إلا جبة
لباساً ، وفي نحو : ما جاء زيد إلا راكباً ، كائناً على حال من الأحوال . وفي
نحو : ما اخترت رفيقاً إلا منكم من جماعة من الجماعات . ومنه قول السيد الحميري :

لَوْ خُيِّرَ الْمُنْبِرُ فُرْسَانَهُ مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِسًا

لأن أصله ما اختار فارساً إلا منكم . والمراد بصفته كونه فاعلاً أو مفعولاً
أو ذا حال أو حالا وعلى هذا التماس (وفي إنما) هو معطوف على قوله
ففي الاستثناء (وفي إنما يؤخر المقصود عليه) حيث يستمدد القصر منها فقط ،
فخرج مثل قول أبي الطيب :

أَسَامِيًّا لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً وَإِنَّمَا لَذَّةٌ ذَكَرْنَاهَا

إذ المفيد للقصر فيه هو التقديم ، ولا يجوز تقديمه على غيره (بخلاف
إلا لعدم إقصائه إلى الإبلأس ، وهنا مفض إلى الإبلأس كما قال ، لأنك لو
قلت إنما ضرب زيد عمراً لكان في المعنى عكس قولك إنما ضرب عمراً زيد .
قال السكاكي : وما ذكر قصر على الفرق بين : إنما يخشى الله من عباده
العلماء ، وبين إنما يخشى العلماء من عباده الله ، بتقديم المرفوع على المنصوب ،
فالأول يقتضى انحصار خشية الله على العلماء ، والثاني يقتضى انحصار خشية

كَيْلًا فِي إِفَادَةِ الْقَصْرَيْنِ ، وَامْتِنَاعِ جُمَاعَةِ لَا .

﴿ الْإِنشَاء ﴾

• الْإِنشَاءُ إِنْ كَانَ طَلَبًا اسْتَدْعَى مَطْلُوبًا غَيْرَ حَاصِلٍ وَقَدْ طَلَبَ ؛
وَأَنْوَاعُهُ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا : الْتَمَنَى ، وَاللَّفْظُ لِلْوَضْعِ لَهُ لَيْتَ ، وَلَا يَشْتَرِطُ
إِمْكَانُ التَّمَنَّى تَقْوِيلُ : لَيْتَ الشَّبَابَ يَمُودُ ، وَقَدْ يَتَمَنَّى هَلْ نَحْوُ : هَلْ لِي

العلاء على الله (في إفادة القصرين) قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة
على الموصوف ، فنقول في قصره : ما زيد غير شاعر . أفراداً . وما زيد غير
قائم . قلباً . وفي قصرها : ما شاعر غير زيد ، بالاعتبارين بحسب المقام
(وامتناع جماعه لا) فلا نقول : ما زيد غير شاعر لا كاتب ، ولا ما شاعر
غير زيد لا عمرو (الإنشاء) هو كما يطلق على الكلام الذي ليس لنفسه خارج
قطاؤه أو لا ، كذلك يطلق على فعل المتكلم أعني إلقاء الكلام الإنشائي
كالإخبار ، والبراد هنا هو الثاني ، ثم هو فوعان طلب وغيره ، والمنصف لم
يتعرض لغير الطلب لقلة الباحث البيانية المتعلقة به ، وذلك كبعض أفعال
المقاربة ، وأفعال المدح والذم . وصيغ العقود ، والقسم ، ولعل . على أن كثيراً
منها نقل من الخبر إلى الإنشاء فيستغنى بأبحاثه الخبرية عن الإنشائية (استدعى
مطلوباً غير حاصل) لامتناع تحصيل الحاصل . قال التفازاني : فإذا وردت
صفة الطلب في الحاصل حلت على ما يناسب المقام كما في قول الله جل شأنه :
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ، الْمُتَّقِينَ (التقي) هو طلب حصول الشيء
بشرط المحبة ونفي الطاعة (ولا يشترط إمكان التمني) لأن الإنسان
كثيراً ما يحب المحال ويطلبه . لكن إذا كان التمني ممكناً يجب ألا يكون

من شفيح ، حيث يعلم أن لا شفيح ، ولو نحو : لو تأتيتني فتحدثني ،
بالنصب ، السكاكي : كأن حروف التنديم والتخصيص - وهي هلا وألا
يقلب الهاء همزة ، ولولا ولوما - مأخوذة منهما مرگبتين مع لا وما
الزائدتين لتضمينهما معنى التمني ليتولد منه في الماضي التنديم ، نحو : هلا
أكرمت زيداً ، وفي المضارع التخصيص ، نحو : هلا تقوم : وقد ينفي

لك توقع وطامحة في وقوعه ، وإلا لصار ترجياً يستعمل فيه لعل أو عسى ،
(حيث يعلم أن لا شفيح) لأنه إذ ذاك يتمتع حله على حقيقة الاستفهام لحصول
الجزم بانتفاء هذا الحكم ، واستدعاء الاستفهام الجمل بثبوته وانتفائه هذا .
والمر في المدلول عن ليت والتمنى هل ، هو إبراز التمني لكمال العناية به
في صورة الممكن الذي لا جزم بانتفائه (ولو) ولعل الرى ذلك هو
الإشعار بعزة تمناء حيث أبرزه في صورة مالا يوجد ، لأن لو بحسب أصلها
حرف امتناع لا امتناع (منها) أى من هل ولو المنقولتين للتمنى (لتضمينهما
إلى آخره) يقول إن الفرض من هذا التركيب والتزامه جعل هل ولو
متضمنتين معنى التمنى ، وذلك ليتولد منه مع الماضي التنديم ومع المستقبل
التخصيص ، فنقول : هلا أكرمت زيداً ، ولولا أكرمت زيداً ، ولوما
أكرمت . على معنى ليتك أكرمت قصداً إلى جعله نادماً على ترك الإكرام ،
ونقول : هلا تقوم ، ولوما تقوم . على معنى ليتك تقوم قصداً إلى حث
على القيام . ومع هذا فلا يخلو من ضرب من التوبيخ : الموم عى ما كان

يَلْمَنَ ، فَتَطْعَى حُكْمَ لَيْتَ ، نَحْوُ : اَتَلَى أَحْمَجُ فَأَزْوَرَكِ ، بِالنَّصْبِ ، لِيَعْدِ
الْمَرْجُو عَنِ الْخُصُولِ . وَمِنْهَا الْإِسْتِفْهَامُ ، وَالْفَاعِلُ لِلْمَوْضُوعَةِ لَهُ الْهَمْزَةُ ،
وَهَلْ ، وَمَا ، وَمَنْ ، وَأَيُّ ، وَكَيْفَ ، وَأَيْنَ ، وَأَنْ ، وَمَتَى ، وَأَيَّانَ ، فَالْهَمْزَةُ

يجب أن يفعله المخاطب قبل أن يطلب منه (فتطعى حكم ليت) فينصب المضارع
بعدها على تقدير أن (لبعد المرجو عن الحصول) فصار يشبه المحالات التي
لا طمع فيها ، فاستعملت فيه لعل كاستعمال ليت لمشابهة هذا المعنى لمعانها
(ومنها الاستفهام) وحيث طلب الفهم بألفاظ معروفة . والمطلوب فهمه
إن كان حكما بنى على شيء إثباتاً أو نفياً فهو التصديق إلا فهو التصور (وإياناً)
قال السكاكي بفتح الهمزة ويكرها ، وهذه اللفظة أعني كسر همزتها تقوى
أباه أن يكون أصلاً أي وإن (فالهمزة لطلب التصديق إلى آخره) اعلم أن
هذه الكلمات ثلاثة أنواع : أحدها يختص طلب التصديق وهو هل ، وثانيها
يختص طلب التصور وهو سائر الأسماء الاستهامية ، وثالثها مشترك بينهما
وهو الهمزة فإنها تسمى لطلب التصور والتصديق لمراقبتها في الاستفهام ، ولهذا
يجوز أن يقع بعد أم سائر كلمات الاستفهام سوى الهمزة ، قال الله جل شأنه :
أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الطُّلُوتُ وَالنُّورُ ، وقال : أَمْ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدُ لَكُمْ .
وقال : أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . وقال التغلبي :

أَيُّ جَزَؤَا عَايِرَا شَوْا يَفْعَلِيح

أَمْ كَيْفَ يَفْرُو حَى السَّوَاىِ مِنَ الْحَسَنِ

أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تَطْعَى انصوف بِهِ رِثَانًا أَنَبْ إِذَا مَا ضُنْ بِالْبَيْنِ (١)

(١) العلوي يفتح العين المهمة : الناقصة تعطف على غير ولدها ولا تراه
وإنما قسمه بأفها وتمنعه لبها . والبيت ينشد لمن يعد بالجبل ولا يخطه لافطواء
قلبه على ضده .

يُطْلَبُ التَّصْدِيقُ كَقَوْلِكَ : أَقَامَ زَيْدٌ ، وَ : أَرِيدَ قَائِمٌ ، أَوِ التَّصَوُّرُ كَقَوْلِكَ :
أَدْبَسَ فِي الْإِنَاءِ أَمَ عَسَلٌ ، وَ : أُنِيَ الْخَلَايِئَةُ دِبْسُكَ أَمْ فِي الزَّقِّ ، وَلِهَذَا لَمْ

وَأَمَ هُنَا بِمَعْنَى بَلْ لَقِيَ تَكُونُ لِلاتِّبَاقِ . مِنْ كَلَامٍ إِلَى آخَرٍ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارِ
اسْتِفْهَامٍ هَذَا . وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْاسْتِفْهَامِ عَنِ التَّصْدِيقِ وَالْاسْتِفْهَامِ عَنِ التَّصَوُّرِ
يَكَادُ يَكُونُ ظَاهِرًا ، ذَاكَ لِأَنَّ الْاسْتِفْهَامَ عَنِ التَّصْدِيقِ يَكُونُ عَنْ نِسْبَةِ تَرَدُّدِ
الذَّهْنِ فِيهَا بَيْنَ ثُبُوتِهَا وَنُفْيِهَا . وَالْاسْتِفْهَامُ عَنِ التَّصَوُّرِ يَكُونُ عِنْدَ التَّرَدُّدِ فِي تَعْيِينِ
الشَّيْءِ (كَقَوْلِكَ أَقَامَ زَيْدٌ) فِي طَلَبِ التَّصْدِيقِ بِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ (وَأَرِيدَ
قَائِمٌ) فِي طَلَبِ التَّصْدِيقِ بِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ ، فَقَدْ تَصَوَّرْتَ الْقِيَامَ وَزَيْدًا
وَالنِّسْبَةَ بَيْنَهُمَا ، وَسَأَلْتَ عَنْ وَقُوعِ تِلْكَ النِّسْبَةِ هَلْ هُوَ حَقٌّ خَارِجًا أَوْ لَا ، فَإِذَا
قِيلَ قَامَ أَوْ هُوَ قَائِمٌ حَصَلَ التَّصْدِيقُ . وَالْحَاصِلُ أَنَّ السَّائِلَ عَالِمٌ أَنَّ بَيْنَهُمَا نِسْبَةً
مُتَلَبَّسَةً بِالْوُقُوعِ أَوِ الْإِلَاقَةِ وَيُطْلَبُ تَعْيِينُ ذَلِكَ (كَقَوْلِكَ) فِي طَلَبِ تَصَوُّرِ
الْمُسَدِّ إِلَيْهِ (أَدْبَسَ فِي الْإِنَاءِ أَمْ عَسَلٌ) فَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ فِي الْإِنَاءِ شَيْئًا وَالْمَطْلُوبُ
هُوَ تَعْيِينُهُ (وَأُنِيَ الْخَلَايِئَةُ إِلَى آخَرِهِ) أَيْ وَكَقَوْلِكَ فِي طَلَبِ تَصَوُّرِ الْمُسَدِّ
أُنِيَ الْخَلَايِئَةَ دِبْسُكَ أَمْ فِي الزَّقِّ ، فَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الدِّبْسَ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ فِي أَحَدِهِمَا
وَالْمَطْلُوبُ هُوَ التَّعْيِينُ . . . هَذَا . وَإِنَّا إِذَا أُنْفِضْنَا النَّظَرَ وَأَلْفَضْنَا التَّكْرَرَ
وَجَدْنَا الْهِمَزَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لَطْلَبُ التَّصْدِيقِ فِي سَائِرِ أَحْوَالِهَا لِأَنَّهُ إِذَا قُصِدَ
تَعْيِينُ الْمُسَدِّ إِلَيْهِ ، فَالْمَطْلُوبُ هُوَ الْعِلْمُ بِتَعْيِينِ النِّسْبَةِ ، فَإِذَا قُلْتَ أَرِيدَ قَامَ أَمْ عَمِرُو
فَإِنَّمَا تَسْأَلُ عَنْ تَعْيِينِ النِّسْبَةِ فِي أَحَدِهِمَا ، أَمَا زَيْدٌ وَعَمِرُو فَكُلَاهُمَا مَعْلُومٌ وَكَذَلِكَ
اسْتِنَادُ الْقِيَامِ لِأَحَدِهِمَا فَاعْرِفْ هَذَا وَلَا تَكُنْ رَهِيْنُ التَّقْلِيدِ (وَلِهَذَا إِلَى آخَرِهِ)
يَقُولُ لِمَا كَانَتْ الْهِمَزَةُ تَكُونُ لَطْلَبُ التَّصَوُّرِ وَهَلْ مَحْتَصَةٌ بِالتَّصْدِيقِ لَا تَتَجَاوَزُهُ
كَأَنَّ قَوْلَكَ : أَرِيدَ قَامَ وَأَعْمَرُ عَرَفْتُ حَسَنًا بَلِيغًا ، وَقَوْلَكَ : هَلْ زَيْدٌ قَامَ وَهَلْ

يَقْبَحُ أَزِيدُ قَامَ ، وَأَعْمَرُ عَرَفَتْ ، وَلِلْمَسْئُولِ عَنْهُ بِهَا هُوَ مَا يَدْلِيهَا كَالْفِعْلِ
فِي أَضْرَبْتَ زَيْدًا ، وَالْفَاعِلِ فِي : أَأَنْتَ ضَرَبْتَ ، وَالْمَقُولِ فِي : أَزَيْدًا صَرَبْتَ
وَهَلْ لِيَطْلُبَ التَّصْدِيقَ فَحَسْبُ نَحْوُ : هَلْ قَامَ زَيْدٌ ، وَهَلْ عَمَرُو قَاعِدٌ ، وَلِهَذَا
امْتَنَعَ هَلْ زَيْدٌ قَامَ أَمْ عَمَرُوا ، وَقَبَحَ هَلْ زَيْدًا صَرَبْتَ ، لِأَنَّ التَّقْدِيمَ

عمرًا عرفت قبيحا مرذولا ، ذاك لأن التقديم كما علمت يستدعي حصول
التصديق بنفس الفعل فتكون هل لطلب حصول الحاصل وهو محال ، بخلاف
المهزمة فإنها تكون لطلب التصور وتعيين الفاعل أو المفعول (والمسؤل عنه
ها إلى آخره) يقول إن المسؤل عنه بالمهزمة هو ما يليها فنقول : أضربت زيدا ،
إذا كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده
وتقول : أنت ضربت إذا كان الشك في الفاعل من هو مع العلم بوقوع الفعل
وتقول : أزيداً ضربت إذا كان الشك في المفعول من هو مع الحزم بوقوع
ضرب من المخاطب . قال الشيخ عبد القاهر : وما يؤيد ذلك أنك تقول : أعلت
شعرا قط ، أرايت اليوم إنساناً ، فيكون كلاماً مستقيماً ، ولو قلت . أنت قلت شعراً
قط ، أنت رأيت إنساناً أخط ، وذلك أنه لا معنى للسؤال عن الفاعل من
هو في مثل هذا ، لأن ذلك إنما يتصور إذا كانت الإشارة إلى فعل مخصوص
نحو أن تقول : من قال هذا الشعر ، ومن بنى هذه الدار : وما أشبه ذلك بما يمكن
أن ينص فيه على معين . فأما قيل شعر على الجملة وروية إنسان على الإطلاق
فحال ذلك فيه ، لأنه ليس مما يختص بهذا دون ذاك حتى يسأل عن عين فاعله
(ولهذا امتنع هل زيد قام أم عمرو) لأن وقوع الفرد بعد أم دليل على
أنها متصلة وأم المتصلة لطلب تعيين الأمرين مع العلم بثبوت أصل الحكم فهي
لا تكون إلا لطلب التصور بعد حصول التصديق بنفس الحكم وهو ليس

يَسْتَدْعِي حُصُولَ التَّصْدِيقِ بِنَفْسِ الْفِعْلِ ، دُونَ : هَلْ زَيْدًا صَرَبْتَهُ ، لِيَجَوَّازَ
تَقْدِيرَ الْقَسْرِ قَبْلَ زَيْدًا ، وَجَلَّ الشَّكَاكِيُّ قُبْحٌ : هَلْ رَجُلٌ عَرَفَ لِفَلَكٍ ،
وَيَلْزَمُهُ أَنْ لَا يَقْبَحَ هَلْ زَيْدٌ عَرَفَ ، وَعَلَّاهُ غَيْرُهُ فَبِحَبْثِهَا بَأَنَّ هَلْ بِمَقَى
قَدَفَى الْأَصْلِ ، وَتَرَكَ الْمَرْقُوهَ قَبْلَهَا لِكَثْرَةِ وَقُوعِهَا فِي الْإِسْتِفْهَامِ ،

إِلَّا لَطَبِ التَّصْدِيقِ فِيهِمَا تَدَافِعٌ فَيَمْتَنِعُ ، بِخِلَافِ مَا إِذَا لَمْ يَذْكُرْ أَمْ عَمْرُو ،
وَقِيلَ هَلْ زَيْدٌ قَامَ فَإِنَّهُ يَقْبَحُ وَلَا يَمْتَنِعُ لِمَا سَجِيءٌ . وبيد . فإذا علت هذا
علت أنه لا يجوز استهال أَمْ بعد هَلْ إِلَّا أَنْ تَرِيدَ الْمُنْقَطِعَةَ كَقَوْلِهِ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَنَبَّهْتَ الرَّحَى * رَحَى الْحَرْبِ أَمْ أُنْعَمْتُ بِفَلَجٍ كَاهِنِ
ولذلك قال سيوطي هو على كلامين (لجواز تقدير المفسر قبل زيدا) بل هذا
أرجح لأن الأصل تقدم المائل على الممحل وحيث فلا يستدعي حصول التصديق
بنفس الفعل فتكون هَلْ لطلب التصديق فيحسن (لذلك) أى لما قبح له هَلْ زيدا
ضربت وهو أن التقديم يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل ، وإنه وجه لذلك
لأن مذهبه كما تقدم أن الأصل عرف رجل على أن رجل بدل من الضمير
في عرف قدم التخصيص . وإنما لم يجهل بمنزلة لاحتال أن يكون رجل فاعل
فعل محذوف (ويلزمه أن لا يقبح هَلْ زيدا عرف) لأن تقديم المظهر
المعروف ليس للتخصيص حتى يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل على
ما سبق . مع أن هذا التركيب قبيح بالإجماع ، وما ذكره الرعي في الفصل
من أن نحو : هَلْ زَيْدٌ خَرَجَ ، على تقدير الفعل فتصحیح الوجه القبيح لا أنه
شائع حسن (غيره) أى غير السكاكي (قبحها) أى قبح هَلْ رجل عرف
وهل زيدا عرف (بأن هَلْ بمعنى قدفى الأصل) بمعنى وقد من لوازم الأفعال

وَمِنْ تَخَصُّصِ الْمَضَارِعِ بِالِاسْتِقْبَالِ ، فَلَا يَصِحُّ : هَلْ تَقْرِبُ زَيْدًا

فكذا ما هي بمعناها . وأصل كلام المصنف هذا ما زعمه العنبري أن هل بمعنى قد أبداً ، وأن الاستفهام إنما هو استفاد من حمزة مقدرة معها . قال في الفصل : وعند سيبويه أن هل بمعنى قد إلا أنهم تركوا الألف قبلها لأنها لا تقع إلا في استفهام ، وقد جاء دخولها عليها في قول زيد الحيل :

سَائِلٌ فَوَارِسَ بَرَبُوعٍ يَشْدَتِنَا أَهْلُ رَأُوْنَا يَسْفَحُ الْقَاعَ ذِي الْأَكْمَرِ^(١)
وقال الراجز :

* أَهْلُ عَرَفَتِ الدَّارَ بِالْفَرِيَيْنِ^(٢) *

قال التنازلي : فإن قلت هذا يقتضى أن لا يصح أو يصح دخولها على الجملة الاسمية التي طرفاها لسان نحو هل عمرو قاعد ، وإلا فما الفرق بينه وبين ما إذا كان الخبر فعلا ، قلت : الفرق أنها إذا رأيت الفعل في حيزها تذكرت عهداً بالحرى وحتت إلى الإلف المألوف وعافته ، ولم ترض بافراق الاسم بينهما ، بخلاف ما لو إنما تراه في حيزها فإنها تسكت عنه ذاملة (. هي تخصص المضارع بالاستقبال) لما كانت هل ليست أصلا في الاستفهام تقاصرت عن الحمزة فاختص المضارع بمدىها بالاستقبال فلا يصح استعمالها في التوبيخ على الفعل الواقع في الحال كما يصح استعمال الحمزة فيه ، فلا تقول هل تقرب

(١) بربوع : أبو حى من تميم ، والأكم جمع أكمة : وهي الموضع يكون أشد ارتفاعاً عما حوله .

(٢) الفرعان : هما بنا آن طويلان ، يقال هما قبرا مالك وعقيل نديمي الأبرش ، وسما غريبن لأن الثمان بن المنذر كان يفريهما بدم من يثقه إذا خرج في يوم يؤسه .

وَهُوَ أَخْوَكُ ، وَلَا اخْتِصَاصَ التَّصَدِيقِ بِهَا وَتَخْفِصُهَا لِلْفَارِعِ بِالِاسْتِقْبَالِ
كَانَ لَهَا مَزِيدُ اخْتِصَاصٍ بِمَا كَوْنُهُ زَمَانِيًّا أَظْهَرَ كَالْفِعْلِ ، وَلِهَذَا كَانَ :
فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ، أَدَلٌّ عَلَى طَلَبِ الشُّكْرِ مِنْ : فَهَلْ تَشْكُرُونَ ،
وَ : فَهَلْ أَنْتُمْ تَشْكُرُونَ ، لِأَنَّ إِثْرَ مَا يَتَجَدَّدُ فِي مَعْرِضِ النَّاسِ أَدَلٌّ
عَلَى كَالِ الْعِنَايَةِ بِمَحْضُولِهِ ، وَمِنْ : أَفَأَنْتُمْ شَاكِرُونَ ، وَإِنْ كَانَ لِلشُّبُوتِ ،
لِأَنَّ هَلْ أَدْعَى لِلْفِعْلِ مِنَ الْمَزْرَعَةِ ، فَتَرْكُهُ مَعَهَا أَدَلٌّ عَلَى ذَلِكَ وَلِهَذَا

زيداً وهو أخوك ، على نحو أنضرب زيدا وهو أخوك في أن يكون الضرب
واقفاً في الحال (ولاختصاص التصديق بها الخ) إليك قول السكاكي في ذلك
قوله أوضح وأتم قال : ولكون هل لطلب الحكم بالثبوت أو الانتفاء
وقد نهت على أن الإثبات والنفي لا يتوجمان إلى الذوات وإنما يتوجمان
إلى الصفات ولاستدعائه التخصيص بالاستقبال لما يحتمل ذلك ، وأنت تعلم
أن احتمال الاستقبال إنما يكون لصفات الذوات لا لأنفس الذوات ، لأن
الذوات من حيث هي هي ذوات فيما مضى وفي الحال وفي الاستقبال استلزم
ذلك مزيد اختصاص هل دون المهمة بما يكون كونه زمانياً أظهر كالأفعال
(أدل على كمال العناية بمحصوله) من إجماله على أصله في هل تشكرون
لأنها داخلة على الفعل حقيقة ، وفي هل أنت تشكرون لأنها داخلة على الفعل
بتقديرها ، لأن أنت فاعل فعل محذوف يضره الظاهر (على ذلك) أي على
كمال العناية بمحصول ما يستعده (ولهذا) أي ليكون هل أدعى للفعل من

لَا يَحْسُنُ : زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ إِلَّا مِنَ الْبَيْتِ ، وَهِيَ قَيْنَانِ ، بَسِيطَةٌ وَهِيَ
الَّتِي يُطْلَبُ بِهَا وَجُودُ الشَّيْءِ ، كَقَوْلِنَا : هَلِ الْحَرَكَةُ مَوْجُودَةٌ وَمَرْكَبَةٌ
وَهِيَ الَّتِي يُطْلَبُ بِهَا وَجُودُ شَيْءٍ لَشَيْءٍ ، كَقَوْلِنَا : هَلِ الْحَرَكَةُ دَائِمَةٌ .
وَالْبَاقِيَةُ لَطَلَبُ التَّصَوُّرِ فَقَطْ ، قِيلَ : فَيُطْلَبُ بِمَا شَرَحَ الْأِسْمَ كَقَوْلِنَا :
مَا الْعَتَقَاءُ ، أَوْ مَا هِيَ السَّمْيُ . كَقَوْلِنَا : مَا الْحَرَكَةُ ، وَتَقَعُ هَلِ

الهمزة (لا يحسن هل زيد منطلق إلا من البيت) لأنه الذي يقصد به الدلالة
على الثبوت وإبراز ما يستجدد في معرض الموجود . قال السكاكي كما لا يحسن
نظيره قوله :

* لَيْسَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ *

من كل أحد (بسيطة الخ) والبساطة والتركيب كما لا يخفى بالنظر لما ندخل
عليه ، فمطلوب هل البسيطة هو التصديق بوجود الشيء لحسب ، ومطلوب المركبة
هو التصديق بوجود الشيء ووجود شيء له . وبعد ، فلا يذهب عليك أن مثل
هذا التقسيم قليل الجناء إلا لب البلاغة (والباقية) أى من ألفاظ الاستفهام
(شرح الاسم) أى بيان مدلول الاسم لفظة ، فنقول ما العتقاء ، وأنت تطلب
مدلوله ، والمعنى الذى وضع له فى اللغة (أو ماهية المسمى) قال التفازانى :
والفرق بين المعلوم من القبط بالجملة ، وبين الماهية التى مهمم من الحد بالتفصيل
غير قليل . فإن كل من خوطب باسم فهم فهماً ما ، ووقف على الشيء الذى يدل
عليه الاسم إذا كان عالماً باللغة ، وأما الحد فلا يخف عليه إلا المرتاض بصناعة
المنطق . فالوجودات لما كان لها مفهومات وحقائق كان لها حدود بحسب الاسم

الْبَسِيطَةُ فِي التَّرْتِيبِ بَيْنَهُمَا . وَبَيْنَ الْمَارِضِ لِلشَّخْصِ لِذِي الْعِلْمِ
كَقَوْلِنَا : مَنْ فِي الدَّارِ ؛ وَقَالَ السَّكَكِيُّ : يُسْتَأْذَنُ بِمَا عَنِ الْجَنَسِ قَوْلُ :
مَا عِنْدَكَ ، أَيْ أَيْ أَجْزَأَ الْأَشْيَاءِ ، وَجَوَابُهُ : كِتَابٌ وَنَحْوُهُ ، أَوْ عَنِ

وبحسب الحقيقة ، وأما المدومات فلما لم يكن لها إلا المفومات لم يكن لها حدود
إلا بحسب الاسم لأن الحد بحسب الذات لا يكون إلا بعد أن يعرف أن الذات
موجودة ، حتى أن ما يوضع في أول التعليل من حدود الأشياء التي يبرهن على
وجودها في أثناء العلم إنما هي حدود بحسب شرح الاسم . ثم لما أثبت وجودها
وبرهن عليه صارت تلك الحدود بعينها حدوداً بحسب الذات والحقيقة ، ثم قال :
فلم أن الجواب الواحد جاز أن يكون حدّاً بحسب الاسم وبحسب الذات بالقياس
إلى شخصين . وبالقياس إلى شخص واحد في وقتين (وتقع هل البسيطة في الترتيب
بينهما) يعني أن مقتضى الترتيب الطبيعي أن يطلب أولاً شرح الاسم ثم وجود
المفهوم في نفسه ثم ماهيته وحقيقته ، لأن من لا يعرف مفهوم اللفظ استحالة
منه طلب وجود ذلك المفهوم ، ومن لا يعرف أنه موجود استحالة منه
طلب ماهيته وحقيقته ، إذ لا حقيقة للعدم ولا ماهية له (وبمن الخ)
أي يطلب من الأمر الذي يمرض لذي العلم فيفيد تشخيصه وتعيينه ، فإذا قلت
من في الدار قيل لك زيد ونحوه مما يفيد تشخيصه . قال التفارقي : وأما الجواب
بنحو رجل فاضل من قبيلة كذا ، ونحو : ابن فلان وأخو فلان ، وما أشبه
ذلك ، فإنما يصح من جهة أن المخاطب يفهم منه الشخص بحسب انحصار
الأوصاف في الخارج في شخص ، وإن كانت تلك الأوصاف نظراً إلى مفوماتها
كليات (تقول ماعندك) قال السكاكي . وكذلك تقول ما الكلمة وما الكلام

الْوَصْفِ قَوْلُ: مَا زَيْدٌ؟ وَجَوَابُهُ: الْكَرِيمُ، وَمَحْوُهُ: وَيَبْنَ عَنِ الْجِنْسِ

وفي التذييل: لما خطبكم أى أجناس الخطوب خطبكم، وفيه: ما تعبّدون
من بعدى، أى أى من في الوجود تترّونه في العبادة. قال: وأما سؤال فرعون:
وما رب العالمين، فهو إما عن الجنس لاعتقاده لجهله بالله تعالى أن لا موجود
مستقلاً بنفسه سوى الأجسام اعتقاد كل جاهل لا نظره، كأنه قال: أى أجناس
الأجسام هو، وعلى هذا جواب موسى عليه السلام بالوصف تنبيهاً على
النظر المؤدى إلى معرفته، لكن لما لم يطابق السؤال عند فرعون عجب من حوله
عن جماعة الجهة فقال لهم: الاستمعون، ثم لما وجد مصرأ على الجواب بالوصف
إذ قال في المرة الثانية: ربكم ورب آبائكم الأولين، استهزأ به وجنته بقوله:
إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون، وحين رآهم موسى عليه السلام لم يفتنوا
لذلك في المرتين غلظ عليهم في الثالثة فقال: إن كنتم تعلمون. وإما عن الوصف
طعماً في أن يسلك موسى عليه السلام في الجواب معه مسلك المخاضرين لو
كانوا هم المسؤولين مكانه لشهرته بينهم رب العالمين إلى درجة دعت السحرة إذ
عرفوا الحق أن عقبا قولهم: آمنا برب العالمين، بقولهم: رب موسى وهرون،
نقياً لاتهمهم أنهم عنوه وجهه بحال موسى وعلوّ شأنه إذ لم يكن جميعاً قبل
ذلك مجلس بديل ماجرى في ذلك الوقت من قوله: أو لو جشك بشى. مبين
قال فأت به إن كنت من الصادقين، حين سمع الجواب تعده عجب واستهزأ
وجعق وتضيق بما تضيق من قوله. اثن اتخفت إلهاً غيرى لأجعلك من المسجونين.
قال الزمخشري: والذى يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام أن يكون سؤاله

مِنْ ذَوِي الْعِلْمِ ، قَوْلُ : مَنْ جِبْرِيلُ ؟ أَيُّ ابْتَشَرَهُ هُوَ أَمْ مَلَكَ أَمْ جِنِّي . وَفِيهِ
نَظَرٌ ؛ وَيُسْتَلُّ بِأَيِّ عَمَّا يُمَيِّزُ أَحَدَ الْمُتَشَارِكِينَ فِي أَمْرٍ بَعَثَهُمَا ، نَعْوَى : أَيُّ
الْقَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا ؟ أَيُّ أَنْحُنْ أَمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ . وَبِكُمْ عَنِ الْعَدَدِ :

هذا إنكاراً لأن يكون العالمين رب سواه لادعائه الإلهية (تقول من جبريل
إلى آخره) قال السكاكي : ومن هذا الباب قوله تعالى حكاية عن فرعون : فمَنْ
رَبُّكَ يَا مُوسَى . أى أملك هو أم بشر أم جن . منكراً لأن يكون لها رب سواه
لادعائه الربوبية لنفسه ذاهباً في سواه هذا إلى معنى ألما رب سواى ، فأجاب
موسى عليه السلام بقوله : ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ، كأنه قال
نعم لتارب سواك هو الصانع الذى إذا سلكك الطريق الذى بين يديه
لما أوجده ، وتقديره إياه على ما قدر ، وانبعت فيه الخريت الماهر ، وهو العقل
المهذى من الضلال لزمك الاعتراف بكونه رباً وأن لا رب سواه ، وأن العبادة
له حق ومنك ومن الخلق أجمع حق لا مدفع له (وفيه نظر) قال فى الإيضاح :
لأنه إذا قيل من فلان يجاب بزيد ونحوه ، عما يفيد التخصيص ، ولا يصح الجواب
بنحو بشر أو جن . وبعد ، فمن الظاهر أن مثل هذا يرجع فيه إلى السماع وربما
يزيد رأى السكاكى بيت الكتاب وهو :

أَتَوْا نَارِي قُلْتُ مَنْ تَنْوَنَ أَتُمْ قَالُوا الْجِنُّ قُلْتُ عِمُوا ظَلَامًا

فقد سئلوا بن وأجابوا بالجنس (ويسئل بأى الخ) قال السكاكى وأما
أى فليسؤال عما يميز أحد المتشاركين فى أمر يميمهما ، بقول القائل عندى ثياب ،
فتقول أى الثياب هى ، فتطلب منه وصفاً يميزها عندك عما يشاركها فى الثوبية
قال تعالى حكاية عن سليمان : أَيْمُكُ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ أَمْ الْإِنْسُ أَمْ الْجِنُّ ، وقال
حكاية عن الكفار : أَيُّ الْقَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا ، أى أنحن أم أصحاب محمد (عن العدد)

نَحْوُ : سَلَّ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ . وَيَكَيْفَ عَنِ الْحَالِ ،
وَبِأَيِّ عَنِ الْمَكَانِ . وَتَمَتَّى عَنِ الزَّمَانِ ، وَبِأَيَّانَ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ . قِيلَ :
وَتُسْتَعْمَلُ فِي مَوَاضِعِ التَّفْخِيمِ ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
وَأَيْ تَسْتَعْمَلُ نَارَةً يَمَعْنِي كَيْفَ ، نَحْوُ : فَأَتُوا حَرَمَكُمْ أَيْ شِئْتُمْ ، وَأُخْرَى

قَالَ فِي الْمِفْتَاحِ : فَإِذَا قُلْتَ كَمْ دَرْهَمًا لَكَ وَكَمْ رَجُلًا رَأَيْتَ فَكَأَنَّكَ قُلْتَ أَهْمُونَ
أَمْ ثَلَاثُونَ أَمْ كَذَا أَمْ كَذَا ، وَقُولَ كَمْ دَرْهَمًا لَكَ أَيْ كَمْ دَانِقًا وَكَمْ دِينَارًا
وَكَمْ ثَوْبًا أَيْ كَمْ شَيْئًا وَكَمْ ذِرَاعًا وَكَمْ زَيْدٌ مَاكَتْ أَيْ كَمْ يَوْمًا أَوْ كَمْ شَهْرًا وَكَمْ
رَأَيْتَكَ أَيْ كَمْ مَرَّةً وَكَمْ سَرَتْ أَيْ كَمْ فَرَسًا أَوْ كَمْ يَوْمًا ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ :

كَمْ عَمَّةٌ لَكَ بِأَجْرِ رُوحَانَةٍ قَدْ حَلَبَتْ عَلَى عِشَارِي

فِيهِ (١) رَوَى نَصَبُ الْمُبِيزِ (عَنِ الْحَالِ) فَإِذَا قِيلَ كَيْفَ زَيْدٌ الْجَوَابُ
صَحِيحٌ أَوْ سَقِيمٌ أَوْ شَجٌّ أَوْ جَزْلَانٌ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ (عَنِ الْمَكَانِ) فَإِذَا قِيلَ
أَيْنَ زَيْدٌ ، فَالْجَوَابُ فِي الدَّارِ أَوْ السُّوقِ مِثْلًا (عَنِ الزَّمَانِ) مَا صِيَاحُ كَانُ أَوْ
مُسْتَقْبَلًا ، فَتَقُولُ مَتَى حَسْبُ ، وَالْجَوَابُ سَحَرًا مِثْلًا ، وَقُولُ مَتَى تَأْتِي . وَالْجَوَابُ
بَعْدَ شَهْرٍ (عَنِ الْمُسْتَعْمَلِ) فَتَقُولُ أَيَّانَ يَشْرِي هَذَا الْفَرَسُ ، وَالْجَوَابُ بَعْدَ سَنَةٍ
مِثْلًا (قِيلَ) الْقَائِلُ هُوَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرَّبْعِيُّ إِمَامُ أَهْلِ بَغْدَادِ فِي عِلْمِ النُّحُو
(نَحْوُ فَأَتُوا حَرَمَكُمْ أَيْ شِئْتُمْ) أَيْ مِنْ أَيْ شِئْتَ أَرَدْتُمْ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ الْمُسَائِقُ

(١) وَيَكُونُ الِاسْتِفْهَامُ عَلَى هَذَا لِقَوْلِهِمْ ، أَيْ أَخْبِرْنِي بَعْدَ عَمَلِكَ وَعِلَالَتِكَ
الَّتِي كُنْ بِخَدْمَتِي فَقَدْ نَسِيتُ . وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ الْحَبْرِيَّةَ ، وَهِيَ قَدْ
كَتَبَهَا الْمُبِيزُ .

يَمَعَى مِنْ أَيْنَ، نَحْوُ: أُنِيَ لَكَ هَذَا. ثُمَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ كَثِيرًا مَا تُسْتَعْمَلُ
فِي غَيْرِ الْإِسْتِفْهَامِ، كَالِاسْتِغْثَاءِ نَحْوُ: كَمْ دَعَوْتُكَ، وَالتَّعْجِبِ نَحْوُ: مَا لِي
لَا أَرَى الْهُدَى، وَالتَّنْصِيهِ عَلَى الضَّلَالِ، نَحْوُ: فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ، وَالْوَعِيدِ
كَقَوْلِكَ لِمَنْ يُسِي: الْأَدَبُ: أَلَمْ أَذَبْ فَلَانَا، إِذَا عَلِمَ ذَلِكَ، وَالتَّقْرِيرِ

موضع الحرث، قال التفاراني: ولم يحى أنى زيد بمعنى كيف هو (كثيراً
ما تستعمل في غير الاستفهام) على سبيل المجاز. قال التفاراني وتحقيق كيفية
هذا المجاز ويان أنه من أى نوع من أنواعه مما لم يحمْ حوله أحد (نحوكم
دعوتك) ومنه بيت السقط:

إِلَى مَ وَفِيمَ تَمَقَّنَا رِكَابَ وَمَا نَزَلْنَا أَنْ يَسْكُونَ لَنَا أَوَّلُ
(والتقرير) أى حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه وإحاطته إليه (في بلا
إلى آخره) أى يشترط أن يكون المقرر به تالياً للهمزة (١) كما مر أن المستفهم
عنه هو ما يلي الهمزة فتقول: أفعلت، إذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان منه.
وتقول: أنت فعلت، إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل، وتقول: أزيداً ففعلت
إذا أردت أن تقرره بأن مضروبه زيد وما جعلت الهمزة فيه للتقرير بالفاعل
قوله تعالى حكاية عن قول نمرود: أنت، فقلت هذا بآهتنا إبراهيم، قال
الشيخ في دلائل الإعجاز: لاشبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له عليه السلام

(١) أى إذا كان التقرير بالهمزة فإنها هي التي تحيى التقرير بالفعل والفاعل
والمفعول بخلاف البواق فإن هل تكون للتقرير بنفس الحكم نحو: هل ثوب
سكتار ما كانوا يفعلون، والأسماء الاستفهامية للتقرير بما يسأل بها عنه نحو: كم
آتيناهم من آة بيته، ومن الذي صرته وهكذا.

بِإِيلَاءِ الْفَرْقِ بِهِ الْمُعْزَةِ ، كَأَمَرٌ ؛ وَالْإِنْكَارِ كَذَلِكَ ، نَحْوُ : أَعْيَزَ اللَّهُ

وَمُ يَرِينُونَ أَنْ يَرُوهُمْ بِأَنْ كَسَرَ الْأَصْنَافَ قَدْ كَانَ ، وَلَكِنْ أَنْ يَرُوهُمْ مِنْهُ
كَانَ كَيْفَ ، وَقَدْ أَشَارُوا إِلَى الْفِعْلِ فِي قَوْلِهِمْ : أَنْتَ أَمَلْتَ هَذَا ، وَقَالَ هُوَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ فِي جَوَابِهِمْ بِلَفْظِهِ كَبِيرٌ هَذَا ، وَلَوْ كَانَ التَّحْقِيرُ بِالْفِعْلِ لَكَانَ الْجَوَابُ :
فَعَلْتَ أَوْ لَمْ أَفْعَلْ (وَالْإِنْكَارُ كَذَلِكَ) فَيَشْتَرِطُ أَنْ يَلِيَ الْمُنْكَرَ الْمُعْزَةَ (١)
قَالَ أَمْرٌ الْقَيْسُ :

* أَيْقَنْتُنِي وَالْمُشْرِفُ مُضَاجِعِي *

فَهَذَا الْإِنْكَارُ الْفِعْلُ ، لِأَنَّهُ قَالَ وَالْمُشْرِفُ مُضَاجِعِي ، فَذَكَرَ مَا يَكُونُ مَانِعاً
مِنَ الْفِعْلِ ، وَالْمَانِعُ إِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَعَ مَنْ يَتَصَوَّرُ صُدُورَ الْفِعْلِ مِنْهُ دُونَ مَنْ
يَكُونُ فِي نَفْسِهِ عَاجِزاً عَنْهُ ، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ : أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ، فَهَذَا
لِلْإِنْكَارِ الْفَاعِلُ ، أَيْ لَيْسُوا هُمُ الْمُتَخَيِّرِينَ لِلنَّبِوةِ مَنْ يَصْلُحُ لَهَا الْمُتَوَلِّينَ لِقِسْمِ
رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي لَا يَتَوَلَّاهَا إِلَّا هُوَ بِبَاهِرِ قُدْرَتِهِ وَبِالْفَحْكَتَةِ ، وَعَدَ الْوَحْشِيُّ
قَوْلَهُ : فَأَنْتَ تَكْفِرُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ، وَقَوْلُهُ : فَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّعْمَ أَوْ
تَهْدِي الصَّمَى ، مِنْ هَذَا تَضَرَّبَ ، عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى فَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى إِكْرَامِهِمْ عَلَى
الْإِيمَانِ ، وَأَفَافَتَ تَقْدِرُ عَلَى هِدَايَتِهِمْ عَلَى سَبِيلِ الْقَرَرِ وَالْإِلْجَاءِ ، أَيْ إِنَّمَا يَقْدِرُ
عَلَى ذَلِكَ اللَّهُ لَا أَنْتَ ، وَحَمَلُ السَّكَاتِي تَقْدِيمُ الْأَسْمِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ عَلَى الْبِنَاءِ

(١) يَعْنِي إِذَا كَانَ الْإِنْكَارُ بِالْمُعْزَةِ ، وَأَمَّا غَيْرُهَا وَإِنْ صَحَّ مَجِيئُهُ لِلْإِنْكَارِ
لَكِنْ لَا يَجْرِي فِيهِ هَذَا التَّفْضِيلُ ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِكَ : فَأَإِذَا يَصْرُكَ لَوْ فَعَلْتَ كَذَا ،
وَكَيْفَ تَوَدَّى أَبَاكَ وَقَوْلُهُ :

* مِنْ أَيْنَ تَذَرِي مَا الْعَرَارُ مِنَ الرَّندِ *

الْعَرَارُ : نَبَتْ طَيِّبَ الرَّائِحَةِ ، وَالرَّندُ : شَجَرٌ كَذَلِكَ .

تَدْعُونَ ، وَمِنْهُ : أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ، أَيُّ اللَّهُ كَافٍ عَبْدَهُ ، لِأَنِّ إِنْكَارَ
النَّفْيِ نَفْيٌ لَهُ ، وَنَفْيُ النَّفْيِ إِثْبَاتٌ ؛ وَهَذَا مُرَادُ مَنْ قَالَ : إِنَّ الْهَمْزَةَ فِيهِ لِلتَّقْرِيرِ ،
أَيُّ بِمَا دَخَلَهُ النَّفْيُ لَا بِالنَّفْيِ ، وَلِإِنْكَارِ الْإِيمَانِ صُورَةَ أُخْرَى ، وَهِيَ نَحْوُ :
أَزِيدًا ضَرَبْتَ أَمْ عَمْرَأَ ، لِمَنْ يُرَدُّ الضَّرْبُ بَيْنَهُمَا . وَالْإِنْكَارُ إِمَّا لِلتَّوْبِيخِ

على الابتداء دون تقدير التقديم والتأخير كما مر في نحو : أنا ضربت ، فلا يفيد
إلا تقوى الإنكار . وقال تعالى : أغير الله اتخذ ولياً ، فهذا لإنكار المفعول ،
فإن المنكر هو اتخذ غير الله ولياً ، وأما قوله عز وجل : اتخذ أصناماً آلِهَةً ،
فالمُنْكَرُ هو نفس اتخذ الآلهة فلماذا ولي الفعل (ومنه) أى من بجى الهمة
للإنكار (أليس الله بكاف عبده) ومثله قوله تعالى : ألم نشرح لك صدرك ،
وَألم يمدك بنينا قَاوِي ، وقول حرير في عبد الملك :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَأْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحٍ

ولهذا كان مدحاً بل قيل إنه أمدح بيت قاله العرب (من قال) هو
الوعشى (أى بما دخله النفي) وحيث يمحسن أن يقال إن الهمة للتقرير
كما يحسن أنه يقال إنها للإنكار (لمن يرد الضرب بينهما) أى لمن يدعى أنه
ضرب إما زبداً وإما عمراً دون غيرها ، لأنه إذا لم يتعلق العمل بأحدهما
والتقدير أنه لم يتعلق بغيرهما فقد انتفى من أصله لا محالة . ومن هذا الباب
قوله تعالى : قل أذكرب حرم أم الأئتين أما اشتملت عليه أرحام الأئتين ،
أخرج اللفظ مخرجه إذا كان قد ثبت تحريم في أحد الأشياء ، ثم أريد
معرفة عين المحرم ، مع أن المراد لإنكار التحريم من أصله ، وكذا قوله :
أله أذن لكم ، إذ معنوم أن المعنى على إنكار أن يكون قد كان من الله تعالى

أَيُّ مَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نَحْوُ : أَعْصَيْتَ رَبَّكَ ، أَوْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
نَحْوُ : أَتَمَعَيْتَ رَبَّكَ ؛ أَوْ لَيْتَكَ ذَيْبٍ ، أَيُّ لَمْ يَكُنْ ، نَحْوُ : أَفَأَضَاكُمْ
رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ ، أَوْ لَا يَكُونَ نَحْوُ : أَنْزَلُمُكُوهَا ، وَالتَّهْكُمُ نَحْوُ :
أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا بَيْنَهُ آبَاؤُا ، وَالتَّحْقِيرُ نَحْوُ : مَنْ هَذَا ، وَالتَّبْوِيلُ
كَقِرَاءَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ : وَقَدْ جِئْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْقَذَابِ الْمُسِينِ

إِذْنٌ فَمَا قَالَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هَذَا إِذْنٌ قَدْ كَانَ مِنْ غَيْرِ اقَّة ، فَأَضَافَهُ إِلَى
اقَّة ، إِلَّا أَنْ الْفِعْلَ أَخْرَجَ عَرَجَهُ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لِيَكُونَ أَشَدُّ لِنَقْيِ ذَلِكَ
وإِبْطَالِهِ ، فَإِنَّهُ إِذَا نَقِيَ الْفِعْلَ عَمَّا جَعَلَ فَاعِلًا لَهُ فِي الْكَلَامِ وَلَا فَاعِلَ لَهُ غَيْرُهُ
لَمْ يَفِيهِ مِنْ أَسْله (نَحْوُ أَعْصَيْتَ رَبَّكَ) أَيْ لَمْ يَكُنِ الْمَصِيانَ وَمَا كَانَ يَنْبَغِي
أَنْ يَفِي (نَحْوُ أَتَمَعَيْتَ رَبَّكَ) مِثْلُهُ قَوْلُكَ لِلرَّجُلِ يَضِيعُ الْحَقُّ : أَتَمَعَيْتَ قَدِيمِ
إِحْسَانِ قَلَانِ ، أَتَمَرَكُ مَحَبَّتِهِ وَتَغْيِيرِ عَنْ حَالِكَ مَعَهُ ، لِأَنَّ تَغْيِيرَ الزَّمَانِ : وَقَوْلُكَ
لِلرَّجُلِ يَرْكَبُ الْخَطَرَ : أَتَخْرُجُ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، أَتَذْهَبُ فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ ، أَتَذَرُ
بِنَفْسِكَ (نَحْوُ أَنْزَلُمُكُوهَا) أَيْ أَنْكُرْهُمْ عَلَى قَبُولِ الْبَيْنَةِ وَتَقْصُرْهُمْ عَلَى الْإِهْتِدَامِ
بِهَا وَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَهَا لَا يَكُونَ ذَلِكَ . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

أَتُورُّكَ أَنْ قُلْتُ دَرَاهِمُ خَالِدٍ زِيَارَتُهُ إِنِّي إِذَا لَلَّيْتُ
هَذَا ، وَقَدْ يَكُونُ اسْتِفْهَامُ الْإِنْكَارِ الَّذِي يَمْنَى النَّقْيُ لِلتَّبْوِيخِ أَيْضًا مِثْلُ
قَوْلِهِ تَعَالَى : وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاقَّة ، الْمَعْنَى أَيْ تَبْعَةً عَلَيْهِمْ فِي الْإِيمَانِ
وَتَرْكِ التَّفَاقِ ، وَهَذَا الْكَلَامُ وَالتَّبْوِيخُ وَإِلَّا فَلِكُلِّ مَصْلَحَةٍ فِيهِ (وَالتَّهْكُمُ)
مَعْطُوفٌ عَلَى الْاسْتِفْهَامِ (كَقِرَاءَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ) فَإِنَّ الْمَعْنَى عَلَيْهَا أَنَّهُ لَمْ يَصِفْ
اللَّهُ تَعَالَى الْعَذَابَ بِأَنَّهُ مَبِينٌ لِحُدُودِهِ وَفُضَاعَةِ شَأْنِهِ ، أَرَادَ أَنْ يَصُورَ كُنْهَهُ قَالَهُ :

مَنْ فِرْعَوْنُ ، يَلْفِظُ الْإِسْتِفْهَامَ وَرَفَعَ فِرْعَوْنُ ، وَلِهَذَا قَالَ : إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا
مِنَ الْمُسْرِفِينَ ، وَالْإِسْتِفْهَامُ نَحْوُ : أَيْ لَهُمُ الَّذِي كَرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ
مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ . وَمِنْهَا الْأَمْرُ ، وَالْأَعْلَى أَنْ صِيغَتُهُ مِنَ الْمُقَرَّنَةِ
بِاللَّامِ ، نَحْوُ : لِيَحْفَظَ زَيْدٌ ، وَغَيْرَهَا ، نَحْوُ : أَكْرِمَ عُمَرَا ، وَزَوِّدَ بَكْرًا

من فرعون ، أتعرفون من هو في فرط عتوه وتكبره وتجبده ، ما ظنكم بمذاب
يكون هو المذهب به ، ثم عرف حاله بقوله : إنه كان عالياً من المسرفين ، تكله ،
قد يراد بالاستفهام التوبيخ والتعجيب جميعاً مثل قوله تعالى : كيف تكفرون
بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم الآية ، أى كيف تكفرون والحال أنكم عالمون
بهذه القصة . أما التوبيخ فلأن الكفر مع هذه الحال ينبغي عن الانهماك في
الغفلة أو الجهل ، وأما التعجيب فلأن هذه الحال تأتي أن لا يكون العاقل علم
بالصانع وعلمه به يأتى أن يكفر وصدور القتل مع الصارف القوى مظنة تعجب ،
ونظيره : أقامرون الناس بالبر وتفسون أنفسهم وأنتم تتلون الكتاب .
والحاصل أن كلمة الاستفهام إذا امتنع حملها على حقيقة قوله منه بموتة
القرائن ما يناسب المقام ، ولا تنحصر المتولدات فيما ذكره المصنف ، ولا
ينحصر أيضاً شئ منها في أداة دون أداة بل الحاكم في ذلك هو سلامة الذوق
وتتبع التراكيب . فلا ينبغي أن تقتصر في ذلك على معنى سمعته أو مثال وجدته
من غير أن تتخطاه : بل عليك بالتصرف واستعمال الروية واثقه الهادى (ومنها
الأمـر) وهو في اللغة استعمال صيغة دالة على طلب من المخاطب على طريق
الاستعلاء (من المقترنة باللام إلى آخره) في هذا إشارة إلى أن أقسام صيغة
الأمـر ثلاثة : الأول : المقترنة باللام الجازمة ويختص بما ليس للعامل المخاطب ،

مَوْضُوعَةً لِّطَلَبِ الْفِعْلِ اسْتِعْلَاءً، لِتَبَادُرِ الْفَهْمِ عِنْدَ سَمَاعِهَا إِلَى ذَلِكَ لَقِيَ ،
وَقَدْ تَسْتَعْمَلُ لَعْنِهِ كَالْإِمَامَةِ نَحْوُ : جَالِسِ الْحَسَنِ أَوْ ابْنِ سِيرِينَ ، وَالتَّهْدِيدُ
نَحْوُ : اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ، وَالتَّمْجِيزُ نَحْوُ : فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وَالتَّخْذِيرُ
نَحْوُ : تَكُونُوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ ، وَالْإِهَانَةُ نَحْوُ : كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ،
وَالتَّسْوِيةُ نَحْوُ : اصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا ، وَالتَّعْنِي نَحْوُ : أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ

والثاني : ما يصلح أن يطلب بها الفعل من الماعل المخاطب بمحذوف حرف
المضارعة ، والثالث : اسم دال على طلب الفعل ، وهو عند النحاة من أسماء
الأفعال ، والأولان لغاية استعمالهما في حقيقة الأمر ، أعنى طلب الفعل على
سبيل الاستعلاء ، سماعا التحريز أو أمراً ، سواء استعملنا في حقيقة الأمر
أو في غيرها ، حتى إن لفظ اغفر في قولنا : اللهم اغفر لنا ، أمر عندهم .
وأما الثالث : فلما كان اسماً لم يسموه أمراً تميزاً بين البابين (رويد بكرة) رويد
اسم فعل بمعنى امهل (وقد تستعمل لعنره) مما يناسب المقام بحسب القرآن
نحو : (جالس الحسن أو ابن سيرين) قال السكاكي : ومن أحسن ما جاء
فيه قول كثير :

أَيْسَى بِنَا أَوْ أَحْسَنِي لَا مَلُوءَةَ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتْ (١)

أي لا أنت ملومة ولا مقليّة ، ووجه بسن إظهار الرضا بوقوع الداخل
تحت لفظ الأمر حتى كأنه مطلوب . أي مهما اخترت في حق من الإساءة
والإحسان ، فأنا راض به غاية الرضا فيما لم يثنى بهما ، وانظري هل تفاوتت حال
مهلك في الحالين (نحو ألا أيها الليل) وتأمّنه :

أَلَا أَنْجَلِي * وَالْمَعْنَى نَحْوُ : رَبِّ أَغْفِرْ لِي ، وَالْإِيمَانِ كَقَوْلِكَ لِمَنْ يُسَاوِيكَ
رُبَّةً : أَفْضَلُ ، يَدُونِ الْإِسْتِمْلَاءِ ، ثُمَّ الْأَمْرُ : قَالَ السَّكَاكِيُّ : حَقُّهُ الْقَوْرُ ،
لِأَنَّهُ الظَّاهِرُ مِنَ الطَّلَبِ ، وَاتِّبَادِرِ الْقَبْمِ عِنْدَ الْأَمْرِ يَشَى : بَعْدَ الْأَمْرِ
يَخْلَفُهُ إِلَى تَفْصِيلِ الْأَمْرِ الْأَوَّلِ دُونَ الْجَمْعِ وَإِرَادَةِ التَّرَاخِي ، وَفِيهِ نَظَرٌ .
وَمِنْهَا النَّعْيُ ، وَلَمْ يَحْرَفْ وَاحِدٌ ، وَهُوَ لَا الْجَارِمَةُ فِي نَحْوِ قَوْلِكَ : لَا تَفْعَلْ ،
وَهُوَ كَالْأَمْرِ فِي الْإِسْتِمْلَاءِ ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ طَلَبِ الْكَفِّ أَوِ التَّرَكِّ
كَالتَّهْدِيدِ ، كَقَوْلِكَ لِمَعِيْدٍ لَا يَمْتَنِلُ أَمْرًا : لَا تَمْتَنِلْ أَمْرِي : وَهَذِهِ

« يَصْنَحُ وَمَا الْأَصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْنًا »

وهو لا مرمى القيس . الانجلاء : الانكشاف ، والامتل : الأفضل . يقول
ليزل ظلامك بضياء من المسح ثم قال : وليس الصبح بأفضل منك عندي لأنني
أظلم المعلوم نهاراً كما أعانها ليلاً . أو لأن نهارى أظلم في عيني لأزدحام
المعلوم على حتى حكي الليل . فلما كان الليل لا يصح أن يطلب منه الانجلاء
كانت هذه الصيغة لتمنى ولم تجعل للرجى ، لأن التمنى لما بعد ، ومن شأن
المحب أن يستبعد انجلاء الليل (إلى تفسير الأمر الأول الخ) قال السكاكبي :
فإن المولى إذا قال لعبد قم ، ثم قال له قبل أن يقوم اضطجع حتى المساء ،
يتبادر الفهم إلى أنه غير الأمر بالقيام إلى الأمر بالاضطجاع ، لأنه أراد
اجمع بين القيام والاضطجاع مع تراخي أحدهما (وفيه نظر) لأن ذلك غير
مسل عند خلو المقام عن التفران . فليس مفهوم الأمر إلا الطلب استملاء ،
والقور والتراخي مفوض إلى القرينة (ومنها التهي) وهو طلب الكف
عن الفعل استملاء (طلب الكف أو الترك) يشير بذلك إلى الخلاف الذي

الأربعة يجوز تقدير الشرط بعدها ، كقولك : لَيْتَ لِي مَالاً أَفْقَهُ ، أَيْ
 إِنِ أَرْزَقَهُ أَفْقَهُ ، وَأَيْنَ بَيْتِكَ أَرْزُوكَ ، أَيْ إِنِ نَفَرْتَنِيهِ أَرْزُوكَ ، وَأَكْرَمَنِي
 أَكْرَمَكَ ، أَيْ إِنِ تَكْرَمْنِي أَكْرَمَكَ ، وَلَا تَشْتَنِي بَيْتِي خَيْرًا لَكَ ،
 أَيْ إِنِ لَا تَشْتَنِي بَيْتِي خَيْرًا لَكَ . وَأَمَّا الدَّرْضُ كَقَوْلِكَ : أَلَا تَنْزِلُ تُصَبِّ
 خَيْرًا ، فَمَوْلَدٌ مِنَ الْإِسْتِفْهَامِ ، وَيجوز تقدير الشرط في غيرها بقرينة نحو :

قام بين الأشاعرة والمعتزلة ، فإن الأشاعرة يزعمون أن مقتضى النهي كلف
 النفس عن الفعل بالاشتغال بأحد أصداده ، والآخرين ذهبوا إلى أنه ترك
 الفعل . وتحقيق هذا البحث مما تكفل به علم الأصول (الأربعة) يعني
 التخي والاستفهام والأمر والنهي (يجوز تقدير الشرط بعدها) قال التفنيزاني :
 ووجه ذلك أن كل كلام لابد فيه من حامل المتكلم عليه ، والحامل على
 الكلام الخبري إمادة المخاطب بمضمونه ، وعلى الطلبي كون المطلوب مقصود
 المتكلم إما لذاته أو لغيره يعني يتوقف ذلك المير على حصوله وتوابع غيره
 على حصوله هو معنى الشرط فإذا ذكرت الطلب ولم تذكر بعده ما يصلح
 توقفه على المطلوب ، جوز المخاطب كون ذلك المطلوب مقصوداً لنفسه ولغيره
 وإن ذكرت بعد ذلك غلب على ظنه كون المطلوب مقصوداً لذلك المذكور
 لا لنفسه ، فيكون إذن معنى الشرط في الطلب مع ذكر ذلك الشيء ظاهراً
 (قوله من الاستفهام) وليس به ، لأن التقدير أنه لا ينزل بالاستفهام عن
 عدم النزول طلب الحاصل وهو محال (النداء) هو طلب لإقبال المدعو على
 المعاني بأحد حروف مخصوصة كأي وأصله لنداء البعيد وقد ينزل غير البعيد
 منزلة البعيد لكونه نائماً أو ساهياً حقيقة ، أو بالنسبة إلى الأمر الذي تناديه

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ أُولَئِكَ فَلَقَدْ هُمُ الْغَوِيُّ ، أَمْ يَأْتِرِازُوا أَوْلِيَاءَ يَخْتَفُونَ .
وَمِنْهَا الْمَدَاهُ ، وَقَدْ نَسْتَعْمَلُ صِيغَتَهُ فِي غَيْرِ مَعْنَاهُ ، كَالْإِغْرَاءِ فِي قَوْلِكَ لَيْتَ

له يعني أنه بلغ من علو الشأن إلى حيث أن المخاطب لا يبق بما هو حقه من
السمي فيه وإن بذل وسعه واستفرغ جهده ، فكأنه غافل عنه بعيد منه ، وأى
والهمزة ، وأصلها للقريب ، وقد يستعملان في البعيد تنبيهاً على أنه حاضر في
القلب لا يغيب عنه أصلاً كقول الشاعر :

أُسْكَاكَ نَعْمَانِ الْأَرَاكِ تَتَقَمَّوْا بِأَنْكُمُ فِي رَنْجٍ قَائِي سَكَاكَ

وأما ما يقال ابن الحاجب إنها حقيقة في القريب والبعيد ، لأنها اطلب
الإقبال مطلقاً ، وقال الزحشرى إنها لا بعيد ، واستعمالها في القريب إما لاستبعاد
الداعي نفسه عن مرتبة المدعو نحو يا الله ، وإما للتنبيه على معظم الأمر وعلو
شأنه وأن المخاطب مع شدة حرصه على الامتثال كأنه غافل عنه نحو : يا أيها
الرسول بلغ ما أنزل إليك ، وإما للحرص على إقباله كأنه أمر بعيد نحو :
يا موسى أقبل ، وإما لغير ذلك من الأغراض والمقاصد (كالإغراء) والاستغاثة
كقولك : يا الله من ألم العراق ، والتعجب نحو : يا ليلاء والعشب والتدله والتحيز
والتعجب كما في نداء الأطلال والمنازل والمطايا كقوله :

« يَا صَادِرَ سَلَمَى أَيْنَ سَلَمَى »

قوله :

مَا لَمْ يَجِدْ فَقَدْ أَفْسَتْ أَمَانَتُكَ فِي صَبْرِي وَغَيْرِي وَأَحْلَاسِي وَأَسَاسِي (١)

(١) الأناة : الثاني والاحلاس جميع حلس : وهو كساء يطرح على ظهر
البعير ، والأنساع جمع نسع : وهو ما يفسح للتصدير أي الحزام في صدر البعير .

أَقْبَلَ يَنْظَلُّ : يَا مَقْلُومٌ ، وَالِاخْتِصَاصِ فِي قَوْلِهِ : أَنَا أَفْضَلُ كَذَا أَيُّهَا

والتوجه والتحرر كقوله :

فَيَا قَبِيرَ مَعْنَى كَيْفَ وَارْتَبَتْ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مُتَرَعًا
وأمثال هذه المعاني كثيرة في الكلام (والاختصاص) وهو إما في معرض
التفاخر نحو : أنا أكرم الضيف أيها الرجل ، أو التواضع نحو : أنا
المسكين أيها الرجل ، أو مجرد بيان المقصود بذلك الضمير ، فكل هذا صورته
صورة النداء وليس به ، لأن أيا وما جعل وصفاً له لم يرد به المخاطب بل هو
عبارة عما دل عليه ضمير المتكلم السابق ولا يجوز فيه إظهار حرف النداء لأنه
لم يبق فيه معنى النداء أصلاً فكره التصريح بأداته ، فقوله أيها الرجل : فأى
مضموم والرجل مرفوع كما في النداء لكن مجموعه في عمل نصب على الحال ،
ولذلك قال المصنف أى مختصاً من بين الرجال . وقد يقوم مقام أى اسم
منصوب إما معرف باللام نحو : نحن العرب أقرى الناس للضيف ، أو مضاف
نحو إنما معاشر الأبياء لا نورث ، وربما يكون علماً كقولك :

• بِنَا نَمِيحًا يُكْشَفُ الضِّيَابُ •

قال ابن الحارث المرفوع ليس منقولاً عن النداء ، ونحو : أيها الرجل
منقول عنه قطعاً ، والمضاف يحتمل الأمرين النقل فيكون منصوباً بياء مقدرة ،
وكونه مثل المرفوع فيكون منصوباً بتقدير أعنى أو أخص ، قال الإمام
المرزوقي في قول الحماسي :

• إِنَّا بَنَى نَهْشَلٍ لَا نُدْعَى لِأَبٍ •

لنفرق بين أن ينصب بنى نهشل على الاختصاص ، وبين أن يرفع على

الرجل ، أي متعصنا من بين الرجال . ثم اكْثِرَ قد يقع موقع الإنشاء
إنما التناؤل ، أو لإظهار الحرص في وقوعه ، كما مر ، والدعاء بصيغة للأمر
من البليغ . محتملها ، أو للاحتراز عن صورة الأمر ، أو لحمل المخاطب
على المطلوب ، بأن يكون ممن لا يجب أن يكذب الطالب .
• تنبيه • الإنشاء كالكثير في كثير مما ذكر في الأبواب الخمسة
السابقة ، فليتبره الناظر .

الخبرة هو أنه لو جملة خبراً لكان قصده إلى تعريف نفسه عند المخاطب وكان
فعله لذلك لا يخلو عن غمول فهم وجل من المخاطب بشأنهم ، وإذا نصب
من من ذلك (قد يقع موقع الإنشاء) مجازاً (التناؤل) كما إذا قيل لك في
مقام الدعاء : أعاذك الله من الشبهة ، وعصمك من الخيرة ، وحبب إليك التثبت
وزين في عنك الإصاف ، وأذاقك حلاوة التقوى ، وأودع صدرك برد اليقين
ليتبادل بلفظ المضى سى عدما من الأمور الخاصة التي حقها الإخبار عنها
بأفعال ماحية (أو لإظهار الحرص في وقوعه) لما تقدم من أن الطالب إذا
عظمت رغبته في شيء كثرت تصوره إياه ، فربما تخيل إليه حاصل ما فيورد بلفظ
الماضي (محتملها) أي التناؤل وإظهار الحرص (أو للاحتراز عن صورة الأمر)
كقول العبد للولى إذا حول عنه الوجه ينظر الولى إلى ساعة (أو لحمل
المخاطب الخ) فتقول لصاحبك الذى لا يجب أن تنسب إلى الكذب : تأمني
غداً ، تحمله أبلغ من بالطف وجهه على الإيمان

في الفصل والوصل

الوصل عطف بعض الجمل على بعضي ، والفصل تركه ، فإذا أتت جملة بعد جملة ، فالأولى إما أن يكون لها عمل من الأعراب ، أولاً ، وعلى الأول ، إن قصد تشريك الثانية لها في حكمه جئنا عليها كالمفرد ، فشرط كونه مقبولا بالواو ونحوه (١) أن يكون بينهما جهة جامعة ،

(الفصل والوصل) قال الشيخ الإمام في دلائل الإجماع : اعلم أن العلم بما يفنى أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجىء بها متشعبة تساقط واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ، وما لا يأتي بنام الصواب فيه إلا الأعراب الخاص ، والأقوام طبعوا على البلاغة وأوتوا فتاً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراء ، وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حداً للبلاغة ، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال : معرفة الفصل من الوصل ، ذاك لغموضه ودقة مسلكه ، وأنه لا يكفل لإحراز القضية فيه أحد إلا كل لماثر مغاير البلاغة .

وأما بعد : فإن من سنننا في هذا الشرح أننا عد الكلام على البحث الذي يتضم أجراؤه وتشبك كلماته ، نمدد إلى نظم شرحه في سط واحد ، حتى يكون على ظهر العيس وطرف القام فنقول :

عما يكاد يكون مروقاً أن قائدة العطف هو التشريك بين المطوف والمطوف عليه ، وإن من الحروف العاطفة ما يزيد هذا القدر لحسب وهو

(١) قول المصنف ، ونحوه : أي نحو الواو ، نحو فاسد ، لأن هذا الحكم يختص بالواو كما استوف عليه .

نحو : زَيْدٌ يَكْتَسِبُ وَيَنْتَعِزُ ، أَوْ يُعْطَى وَيَمْتَنِعُ ، وَلِهَذَا عَيَّبَ عَلَى
أَبِي تَمَّامٍ قَوْلَهُ :

الواو ومنها ما يفيد مع ذلك معاني مثل إن الفاء توجب الترتيب من غير تراخ
وتم توجبه مع تراخ ، وأو تردد الفعل بين شيئين وتجعله لأحدهما لا بعيته .
ثم المطف إما في المفردات وإما في الجمل . فالذي في المفردات يقتضي تشريك
الثاني في إعراب الأول وأنه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك .
الإعراب ، نحو إن المطفوف على المرفوع بأنه فاعل مثله ، والمطفوف على
المنصوب أنه مفعول به أو فيه أوله شريك له في ذلك . والذي في الجمل ،
فالجمل على ضربين : أحدهما أن يكون للمطفوف عليها موضع من الإعراب
وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم الممرد ، إذ لا يكون الجملة موضع من
الإعراب حتى تكون واقعة موقع الممرد ، وإذا كانت الجملة الأولى واقعة موقع
المفرد كان عطف الثانية عليها حارياً بجرى عطف المفرد ، فإذا قلت : مررت
برجل خلفه حسن وحلقه قبيح ، كنت قد أشركت الثانية في حكم الأولى وذلك
الحكم كونها في موضع جر بأنها صفة للشكرة . قال الشيخ الإمام : ونظائر ذلك
تكثر ، والأمر فيها يسهل . الثاني : أن تكون الجملة المطفوف عليها عارية
الموضع من الإعراب نحو : زيد قائم وعمرو قاعد ، وهذا الضرب هو الذي
يدق مذهبه وينقض أمره ، وإنما تكون الدقة في الواو دون غيرها من حروف
العطف لأن تلك قيد مع الإشراف معاني كما علت ، فإذا عطف بواحد منها
طهرت العائدة ، وإذا قلت : أعطاني فشكرته ، ظهر بالقاء أن الشكر كان معقياً
على العطاء ومنبأ عنه ، وإذا قلت أخرجت ثم خرج زيد ، أفادت ثم إن خروجه
كان بعد خروجه وأن مهلة وقعت بينهما ، وإذا قلت : يدهيك أو يكسرك

لَا وَالَّذِي هُوَ عَلِيمٌ أَنَّ النَّوَى نَجَسٌ وَأَنَّ أَنَا الْخَمِينَ كَرِيمٌ (١)
وَالْأَفْصَلَتْ عَنْهَا ، تَحَوُّ : وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ
إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ، لَمْ يَنْقُطْ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِ
عَلَى إِنَّا مَعَكُمْ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ مَقُولِهِمْ ، وَعَلَى الثَّانِي إِنْ قَصِدَ رَبُّهَا بِهَا

ذلك أو على أنه يفعل واحداً منهما لا بعينه . أما الواو فليس لها معنى سوى
الإشراك ، فإذا قلت : جاءني زيد وعمرو ، لم تعد الواو شيئاً أكثر من اشتراك
عمرو في الجملة الذي أتبعته لزيد ولا بتصور اشتراك بين شيئين حتى يكون هناك
معنى يقع ذلك الاشتراك فيه . وإذا كان ذلك كذلك ولم يكن معنى في قولنا
زيد قائم وعمرو قاعد معنى تزعم أن الواو أشركت بين هاتين الجملتين فيه كانت
الهدية وثبت أن النصوص . فنقول :

هذا الضرب - وهو ما تكون الجملة الأولى فيه عارية الموضع من الإعراب -
لا يخلو إما أن تكون الثانية متصلة من ذات نفسها بالأولى ومشتقة بربط
معناها لها عن حرف عطف يربطها بأن كانت مؤكدة لها ومبينة ، وكانت إذا
حصلت لم تكن شيئاً سواها ، وهذا لا يجوز إدخال الماطف عليه . وإما أن
لا تكون كذلك ، فإما أن يكون بين الثانية وبين الأولى مناسبة . وهنا يجب

(١) قبله :

رَزَعْتُمْ هَؤُلَاءِ عَنَّا الْفِدَاءَ كَمَا عَفَا عَنَّا طِلَآلٌ بِاللَّوَى وَرُشُومُ
وبعد : .

مَا حَاطَتْ عَنْ سَنَنِ الْوِدَادِ وَلَا غَدَتْ قَسِي عَلَى الْغَيْبِ سِوَاكَ تَحْمُومُ

عَلَى مَتْنٍ عَاطِفٍ يَسُوِي التَّوَاتُرَ عَطِفَتْ بِهِ نَحْوُ : دَخَلَ زَيْدٌ فَخَرَجَ عَمْرُو ،
أَوْ : ثُمَّ خَرَجَ عَمْرُو ، إِذَا قَصِدَ التَّنْقِيبُ أَوِ اللَّهْفُ ، وَإِلَّا فَإِنْ كَانَ لِلأَوَّلِ
حُكْمٌ لَمْ يَقْصَدْ إعْطَاؤُهُ لِلثَانِيَةِ فَالْفَصْلُ ، نَحْوُ : وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ،
الآيَةُ ، لَمْ يُعْطَفْ اللَّهُ بِسَبْزِي بِهِ بِهِمْ عَلَى مَا قَالُوا لِقَوْلِهِ (١) يُشَارِكُهُ
فِ الْإِخْتِصَاصِ بِالظَّرْفِ ، لِمَا (٢) مَرَّ ، وَإِلَّا (٣) فَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا كَمَالُ
الِانْقِطَاعِ بِلَا إِبْهَامٍ ، أَوْ كَمَالُ الْإِتِّصَالِ أَوْ شَيْءٌ أَحَدُهُمَا ، فَكَذَلِكَ

ذكر العاطف ، أولاً يكون بينهما مناسبة راساً ، وهنا لا يجوز ذكر العاطف .
تقرير لهذا المعنى بعبارة أخرى : إن كان بين الجملتين كمال الاتصال أو كمال
الانقطاع أو كانت الثانية بمنزلة المنصلة بالأول أو بمنزلة المنقطعة عنها تمين
الفصل ، وإن كان بينهما توسط بين الاتصال والانقطاع تمين الوصل . . أما
كمال الانقطاع فيكون لاسم يرجع إلى الإسناد أو إلى طريقه الأول أن تختلف
الجملتان خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى كقولهم : لادن من الأسد يأكلك بالرفع
وقول الأخطل .

(١) فيلزم أن يكون استهزاء الله بهم وهو أن خذلهم وغلّهم ومأسولت
لهم أنفسهم مستدرجاً لإمام من حيث لا يشعرون عتصماً بحال غلوم إلى شياطينهم
وليس كذلك بل هو متصل لا انقطاع له بحال (٢) من كون تقديم الظرف
يفيد الاختصاص (٣) أي إن لم يكن للأول حكم لم يقصد إعطائه لثانية
وذلك بأن لا يكون لها حكم زائد على مفهوم الجملة أو يكون ذلك ولكن
قصد إعطائه لثانية أيضاً .

وَالْأَفْلَاحُ مُتَمِّينَ . أَمَّا كُلُّ الْإِقْطَاعِ فَلِاخْتِلَافٍ خَبْرًا وَإِنْشَاءً .
لَفْظًا وَتَمَقُّقًا ، نَحْوُ :

وَقَالَ رَأَيْدُهُمْ أَرْسُو نَزَاوِلَهَا * فَكُلُّ حَتْفٍ أَمْرِي يَجْرِي بِمَقْدَارِ

وقال رائدكم ارسو نزاولها فكل حتف امرى بجرى بمقدار (١)
لما كان ارسو إنشاء لفظاً ومعنى ، ونزاولها خبراً لفظاً ومعنى ، لم يطف
عليه ، ولم يجعل أيضاً مجزوماً جواباً للأمر ، لأن الفرض لتليل الأمر بالإرساء
بالمزاولة والحال في الجزم بالعكس . أثنى بصير الإرساء علة للمزاولة . أو
معنى فقط ، كقولك مات فلان رحمه الله . وقد جعل السكاكي مما نحن فيه
قول الزبيدي :

مَدَّكَتُهُ حَبْلِي وَلَكِنَّهُ أَتَمَّاهُ مِنْ زُهْدٍ عَلَى غَارِي

وَقَالَ إِنِّي فِي الْهَوَى كَاذِبٌ انْتَقَمَ اللَّهُ مِنَ الْكَاذِبِ

رحله الإمام عبد القاهر على الاستئناف ، قال لأنه جعل نفسه كأنه يجب
سألاً قال له : لما تقول فيها انهمك به من أنك كاذب ، فقال أقول : انتقم الله
من الكاذب ، وهو ظاهر . « وأعلم » أن الفصل إنما يجب في مثل هذا ما لم
يكن موهماً خلاف المقصود ، وإلا رغب الوصل لتعارض المانع ، والمقتضى

(١) الرائد : الذي يتقدم القوم لطلب الماء والكلأ ، وأرسو : من رست
السفينة إذا وقفت على المرساة ، أو من رست أقدامهم في الحرب : أثنى ثبتت ،
ونزاولها من المزاولة : وهي المحاولة والمعالجة في تحصيل الشيء ، والضمير للعرب
وقيل السفينة . أما جملة النحر فلا يناسب قوله بعد :

إِنَّمَا تَمَوْتُ كِرَامًا أَوْ تَفَوَّزْتُ بِهَا فَوَاحِدُ الدَّهْرِ مِنْ كَدِّهِ وَأَسْفَارِ

أَوْ مَتْنَى قَطُّ ؛ نَحْوُ : مَاتَ فُلَانٌ رَحِمَهُ اللهُ ، أَوْ لِأَنَّهُ لَا جَامِعَ بَيْنَهُمَا
كَاسَتَيْنِي . وَأَمَّا كَمَالُ الْإِتِّصَالِ فَلْيَكُونِ الثَّانِيَّةُ مُؤَكِّدَةً لِلْأُولَى لِدَفْعِ
تَوْحَمِ تَجَوُّزِ أَوْ غَلَطٍ ، نَحْوُ : لَا رَيْبَ فِيهِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا بُوْلِعَ فِي وَصْفِهِ
يُبْلُغُهُ الدَّرَجَةُ الْقُصْوَى فِي الْكَمَالِ بِمَعْمَلِ الْبُتْدَا ذَلِكَ وَتَرْيِيفِ

إِذْنٍ وَلَيْسَ وَرَاءَ الْفَصْلِ إِلَّا الْوَصْلُ . يَحْكِي أَنَّ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
بِأَعْرَابِيٍّ فِيهِ ثَوْبٌ ، فَقَالَ لَهُ الصِّدِّيقُ : أَتَبِيعُ هَذَا . فَقَالَ لَا يَرْحَمُكَ اللهُ . فَقَالَ
لَهُ الصِّدِّيقُ : قَدْ قُومْتَ أَلَسْتُمْ لَوْ تَسْتَقِيمُونَ ، لَا تَقُلْ هَكَذَا ، قُلْ لَا يَرْحَمُكَ
اللهُ . وَيَحْكِي أَنَّ الصَّاحِبَ بْنَ عَبَّادٍ قَالَ حِينَ سَمِعَ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ : لَا وَايَدِكَ
اللهُ ، هَذِهِ الْوَاوُ أَحْسَنُ مِنْ وَاوَاتِ الْأَصْدَاغِ عَلَى خُدُودِ الْمَلَاةِ . الثَّانِي أَنَّ
لَا يَكُونُ بَيْنَ الْجَمْعَيْنِ جَامِعٌ ، وَمِنْ هُنَا عَابُوا أَبَا تَمَامٍ فِي قَوْلِهِ (١) :

بِإِلَهِ الْوَالِدِيِّ هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى صَبْرًا وَأَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمًا

وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا مَنَاسِبَةَ بَيْنَ كَرَمِ أَبِي الْحُسَيْنِ وَمَرَارَةِ النَّوَى وَلَا تَطْلُقُ لِأَحَدِهِمَا
بِالْآخَرِ ، وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى الْجَامِعِ . وَأَمَّا كَمَالُ الْإِتِّصَالِ فَيَكُونُ لِأَحَدِ أُمُورِ
ثَلَاثَةً : الْأَوَّلُ : أَنَّ تَكُونَ الثَّانِيَّةُ مُؤَكِّدَةً لِلْأُولَى وَالْمَقْتَضَى التَّأْكِيدَ دَفْعَ تَوْحَمِ
التَّجَوُّزِ أَوْ الْغَلَطِ ، وَهُوَ قَدِيمَانِ : أَحَدُهُمَا أَنَّ تَنْزِلَ الثَّانِيَّةِ مِنَ الْأُولَى مَنُوزَةٌ التَّأْكِيدَ

(١) وَقَدْ تَحَمَّلَ النَّاسُ لِتَصْحِيحِ الْوَصْلِ فِي الْبَيْتِ بِأُمُورٍ : مِنْهَا أَنَّ مَرَارَةَ
النَّوَى سَبَبٌ يَقْتَضِي انْتِجَاعَ أَبِي الْحُسَيْنِ لِمَكَارِمِهِ الَّتِي تَزِيلُ شُغْلَ النَّوَى . وَقَدْ
بَالَغَ الطَّبِيعِيُّ فِي اسْتِحْسَانِهِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ جَمْعٌ بَيْنَ مُتَضَادَّيْنِ ، هُمَا مَرَارَةُ النَّوَى
وَحِلَاوَةُ كَرَمِ أَبِي الْحُسَيْنِ ، فَأَبْرَزَهُمَا فِي مَعْرِضِ التَّوَحُّنِ .

الْحَبَرِ بِاللَّامِ ، جَازَ أَنْ يَتَوَهَّم السَّامِعُ قَبْلَ التَّأَمُّلِ أَنَّهُ يَمَّا يُرْمَى بِهِ

المعنوى من متبوعه في إفاضة التقرير مع الاختلاف في المعنى مثل قوله تعالى (١) :
لَمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ ، فإنه لا يورث في وصف الكتاب بأنه بلغ
الدرجة القصوى من الكمال حيث (٢) جعل المبتدأ لفظة ذلك وأدخل على الخبر
حرف التعريف كان عند السامع قبل أن يتأمل مظهره أن ينظمه في سلك ما قد
يرى به على سبيل الجزاف من غير تحقق وإيقان ، فأنبه لا ريب فيه تقياً
لذلك ، وقد أصيب به المحو ، فوزاه وزان نفسه في قوله : جاء في زيد نفسه ،
وحيث هذا قوله جل شأنه : كأن لم يسمها كأن في أذنيه وقرأ : الثاني : مقرر لما أتاه
الأول ومن اللطيف في ذلك قوله تعالى : ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ، فصل

(١) ذلك على تقدير أن يكون ألم جملة مستقلة ، وذلك الكتاب جملة ثانية ،
ولأرب فيه جملة ثالثة ، وهناك وجوه أخر ذكرها المفسرون . هذا والذي ذكره
الشيخ في دلائل الإيجاز أن قوله لا ريب فيه بيان وتوكيد وتحقيق لقوله ذلك
الكتاب وزيادة تثبيت له وبجمله أن تقول هو ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب
فنعينه مرة ثانية تثبته ، وإذن يكون التوكيد لفظياً .

(٢) وأنت تدعي أن تعريف المسند إليه بالإشارة يدل على كمال العناية
بتمييزه وأنه ربما يحمل ذريعة إلى تعظيمه وبعده درجة ، وأن تعريف المسند إليه
باللام يفيد المحصر حقيقة أو مبالغة ؛ فمضى ذلك الكتاب : أنه الكتاب الكامل
كأن ما عده من الكتب في مقابلته ناقص ، وأنه يستحق أن يسمى كتاباً كما تقول
هذا هو الرجل أى الكامل في الرجولية ، الجامع لما يكون في الرجال من مميزات
الحصول ، وكما قال : هم القوم كل القوم بأمر جلاله .

جَزَاقًا فَأَتَمَّتْهُ^(١) نَفِيًا لِذَلِكَ التَّوَنُّمِ ، فَوَزَانُهُ وَزَانُ مَعْنَاهُ فِي : جَاءَ فِي رَيْذِ
نَفْسِهِ ، وَنَحْوُ : هَدَى لِلْمُتَّقِينَ ، فَإِنْ مَعْنَاهُ أَنَّهُ فِي الْهِدَايَةِ بِالْعِزِّ دَرَجَةٌ لَا يَدْرُكُ
كُنْهَهَا حَتَّى كَأَنَّهُ هِدَايَةٌ مُحَضَّةٌ ، وَهَذَا مَعْنَى ذَلِكَ الْكِتَابِ ، لِأَن مَعْنَاهُ -
كَامَرٌ - الْكِتَابُ الْكَامِلُ ، وَالرَّادُّ بِكَلَامِهِ كَأَنَّهُ فِي الْهِدَايَةِ ، لِأَن
الْكِتَابَ السَّامِيَّةَ يَحْتَسِبُهَا تَتَفَاوَتْ فِي دَرَجَاتِ الْكَمَالِ : فَوَزَانُهُ وَرَآنُ

إِنْ هَذَا لِكُونِهِ مُؤَكَّدًا لِلأَوَّلِ نَفِيًّ أَنْ يَكُونَ بَشَرًا ، وَلَكِ^(١) أَنْ يَقُولَ الَّذِي
عَلَيْهِ الْعَرَفُ مَنَى قِيلَ فِي حَقِّ إِنْسَانٍ مَا هَذَا بَشَرًا ، مَا هُوَ بَادِي فِي حَالِ التَّعْظِيمِ
لَهُ وَالتَّعَجُّبِ بِمَا يَشَاعَدُ مِنْهُ مِنْ حَسَنِ الْخَلْقِ ، وَالْخَلْقُ هُوَ أَنْ يَفْهَمَ مِنْهُ أَنَّهُ مُلْكٌ
فَوْقَ قَوْلِهِ إِنْ هَذَا إِلَّا مُلْكٌ تَأْكِيدًا لِلْمُلْكِيَّةِ فَفَصَّلَ ، وَثَانِيًا أَنْ تَنْزِلَ الثَّانِيَّةُ
مِنَ الْأَوَّلَى مُزَلَّةً التَّأْكِيدَ الْعَقْلِيَّ مِنْ مَتَّبِعِهِ فِي اتِّحَادِ الْمَعْنَى ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى :
هَدَى لِلْمُتَّقِينَ ، فَإِنْ مَعْنَاهُ فِي الْهِدَايَةِ بِالْعِزِّ دَرَجَةٌ لَا يَدْرُكُ كُنْهَهَا حَتَّى كَأَنَّهُ
هِدَايَةٌ مُحَضَّةٌ ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ : ذَلِكَ الْكِتَابُ ، لِأَن مَعْنَاهُ كَمَا تَقْدُمُ الْكِتَابُ
السَّامِيَّةَ ، وَالْمُرَادُّ بِكَلَامِهِ كَأَنَّهُ فِي الْهِدَايَةِ ، لِأَن الْكِتَابَ السَّامِيَّةَ يَحْتَسِبُهَا تَتَفَاوَتْ
شَأْنُهَا فِي دَرَجَاتِ الْكَمَالِ . الثَّانِي أَنْ تَكُونَ الثَّانِيَّةُ بَدَلًا مِنَ الْأَوَّلَى ، وَالْمَقْتَضَى
لِلْإِبْدَالِ أَنْ تَكُونَ الْأَوَّلَى غَيْرَ وَاقِعَةٍ بِتَهَامِ الْمُرَادِّ وَإِبْرَادِهِ ، أَوْ كَعَمْرِ الْوَاقِعَةِ

(١) وَلَكِ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ التَّأْكِيدِ وَتَحْمِلُهُ مِنْ بَابِ الْيَمِينِ قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ
لأنه إذا نفي أن يكون بشرًا فقد أثبت له جنس سواه ، إذ من المحال أن يخرج
من جنس البشر ثم لا يدخل في جنس آخر ، وإذا كان كذلك كان إثباته ملكًا
تبيينًا لذلك الجنس وتعيينًا له

(٢) قول المصنف فأتمته : أى أتبع لأرب فيه ذلك الكتاب ، أى جعل
لأرب فيه تابعًا لذلك الكتاب .

زَيْدَ الثَّانِي فِي جَانِبِ زَيْدِ زَيْدٍ ، أَوْ بَدَلًا مِنْهَا ، لِأَنَّهَا غَيْرُ وَافِيَةٍ بِمَا
الْمُرَادِ أَوْ كَغَيْرِ الْوَافِيَةِ ، بِخِلَافِ الثَّانِيَةِ وَالْقَامُ يَقْتَضِي اعْتِنَاءَ بِشَأْنِهِ
لِبُكْتَةِ ، كَكُونِهِ مَطْلُوبًا فِي فَسْهِ أَوْ قَطْلِهِ أَوْ عَجْبِهِ أَوْ لَطِيمًا ، نَحْوُ :
أَمَدَ كُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ أَمَدَ كُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، فَإِنَّ الْمُرَادَ
التَّنْبِيْهِ عَلَى نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالثَّانِي أَوْفَى بِتَأْدِيَتِهِ لِذِلَالَتِهِ عَلَيْهَا بِالتَّفْصِيلِ
مِنْ غَيْرِ إِحَالَةٍ عَلَى عِلْمِ الْمُخَاطَبِينَ لِلْمَائِدِينَ ، فَوَزَانُهُ وَزَانُ وَجْهِهِ فِي :
أَعْجَبَنِي زَيْدٌ وَجْهَهُ لِدُخُولِ الثَّانِي فِي الْأَوَّلِ ، وَنَحْوُ قَوْلِهِ :

والمقام مقام اعتناء بشأنه ، إما لكونه مطلوباً في نفسه ، أو لكونه فظيماً أو
عجيباً أو لطيفاً أو غير ذلك مما له وجهة استدعاء للاعتناء بشأنه ، فيعيد
المتكلم بنظم أوفى منه على نية استئناف القصد إلى المراد ، ليظهر بمجموع
القصدتين إليه في الأول ، والثاني أغنى المبدل منه والبديل مزيد الاعتناء بالشأن
وهذا ضربان أحدهما أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل البعض من متبوعه
مثل قوله تعالى : أمدكم بما تعملون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون ، فإنه مسوق
للتنبية على نعم الله تعالى عند مخاطبين ، وقوله أمدكم بأنعام وبنين ، أوفى بتأديته
مما قبله لدلالته عليها بالتفصيل من غير إحالة على علمهم مع كونهم معاندين ،
والأمداد بما ذكر من الأنعام وغيرها بعض الأمداد بما يعملون فوزانه وزان
وجهه في قولك أعجبني زيد وجهه . قال السكاكي : ويحتمل الاستئناف . وثانيها :
أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل الاشتغال من متبوعه ، مثل قوله تعالى :
اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أحراً وهم مهتدون ، فإن المراد به حمل
المخاطبين على اتباع الرسل وقوله تعالى : اتبعوا من لا يسألكم أحراً وهم مهتدون ،

أَقُولُ لَهُ اِرْحَلْ لَا تَقِيمَنَّ عِنْدَنَا ۖ وَإِلَّا فَكُنْ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ مُسْتَبَا
فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهِ كَلَالُ إِظْهَارِ الْكَرَاهَةِ لِإِقَامَتِهِ ، وَقَوْلُهُ لَا تَقِيمَنَّ عِنْدَنَا
أَوْفَى بِتَأْدِيتِهِ لِذَلِكَ عَلَيْهِ بِالْمُطَابَقَةِ مَعَ التَّأْكِيدِ ، فَوَزَانُهُ وَزَانُ
حُسْنِهَا فِي : أَعْجَبَنِي الدَّارُ حُسْنُهَا ، لِأَنَّ عَدَمَ الْإِقَامَةِ مُعَاوٍ لِلِازْتِمَالِ

أَوْفَى بِتَأْدِيتِهِ ذَلِكَ ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ اتَّبَعُوا مَنْ لَا تَخْشَوْنَ مَعَهُ شَيْئاً مِنْ دُنْيَاكُمْ
وَتَرْجِعُونَ صَحَّةَ دِينِكُمْ ، فَيَنْتَظِمُ لَكُمْ حَيْرُ الدُّنْيَا وَخَيْرُ الْآخِرَةِ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ
الْقَائِلِ :

أَقُولُ لَهُ اِرْحَلْ لَا تَقِيمَنَّ عِنْدَنَا وَإِلَّا فَكُنْ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ مُسْتَبَا
فَإِنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ كَلَامِهِ هَذَا إِظْهَارُ الْكَرَاهَةِ لِإِقَامَتِهِ بِسَبَبِ خِلَافِ سَرْدِ
الْعِلْمِ ؛ وَقَوْلُهُ لَا تَقِيمَنَّ عِنْدَنَا أَوْفَى بِتَأْدِيتِهِ هَذَا الْمَقْصُودُ مِنْ قَوْلِهِ اِرْحَلْ لِذَلِكَ
ذَلِكَ عَلَيْهِ بِالتَّضَمُّنِ مَعَ التَّجَرُّدِ عَنِ التَّأْكِيدِ ، وَدَلَالَةُ هَذَا عَلَيْهِ بِالْمُطَابَقَةِ مَعَ
التَّأْكِيدِ . وَوَزَانُ الثَّانِيَةِ فِي الْآيَةِ وَالسُّورَةِ وَرَأَى حُسْنُهَا فِي قَوْلِكَ : أَعْجَبَنِي الدَّارُ
حُسْنُهَا ، لِأَنَّ مَعْنَاهَا مُغَايِرَ لِمَعْنَى مَاقِبِلِهَا وَغَيْرِ دَاخِلٍ فِيهِ مَعَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُلَامَسَةِ .
الثَّلَاثُ : أَنَّ تَكُونَ الثَّانِيَةَ ^(١) بَيَاناً لِلأُولَى ، وَذَلِكَ بِأَنَّهُ تَوَلَّى مِنْهَا مَنْزِلَةً عَطَفَ

(١) وَقد تَعَطَّفَ الْجُمْلَةُ الَّتِي تَصْلُحُ بَيَاناً لِلأُولَى عَلَيْهَا تَنْبِيهاً عَلَى اسْتِفْهَامِهَا
وَمُغَايِرَتِهَا لَهَا ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ : يَسْأَلُونَكَ عَنْ عَذَابِ
وَيَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ، مَعَ الْوَارِثِ ، وَقد قَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ يَذْبَحُونَ مِنْ غَيْرِ وُلَدِهِمْ
طَرَحَ الْوَارِثَ جَعَلَ التَّنْذِيحَ تَفْسِيراً لِلْعَذَابِ وَبَيَاناً لَهُ ، حَيْثُ أَثْبَتَ حَمْلَ التَّنْذِيحِ
لِأَنَّهُ أَوْفَى عَلَى جَنْسِ الْعَذَابِ ، وَزَادَ عَلَيْهِ زِيَادَةً ظَاهِرَةً كَأَنَّهُ جَنْسُ آخَرٍ .

وَعَبَّرَ دَاخِلٍ فِيهِ مَعَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ اللَّابِئَةِ ، أَوْ بَيَانًا لَهَا ، لِيُخَفِّئَهَا ، نَحْوُ :
فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمَنْ لَكَ
لَا يَبُولُ ، فَإِنَّ وِزَانَهُ وَزَانُ عُمَرُ فِي قَوْلِهِ :

* أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَوْ خَفَضَ عُمَرُ *

وَأَمَّا كَوْنُهَا كَالْمَنْقُطَةِ عَنْهَا فَلِكَوْنِ عَطْفِهَا عَلَيْهَا مُوَهِّبًا لِعَطْفِهَا
عَلَى غَيْرِهَا ، وَيُسَمَّى الْفَصْلُ لِلذِّكِّ قَطْعًا ، مِثْلَهُ :

وَتَقَنُّ سَلَى أَنْتَى أَبْنَى بِهَا * بَدَلًا أَرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَهِيمُ

البيان من متبوعه في إعادة الإيضاح ، والمقتضى للتبيين أن يكون في الأولى
نوع خفاء مع اقتضاء المقام لإزالته مثل قوله تعالى : فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ
يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمَنْ لَكَ لَا يَبُولُ ، فصل جملة قال عما قبلها لكونها
تفسيراً له وتبييناً ، فوزاه وزان عمر في قول الأعرابي : أقسم بالله أبو خضص
عمر ، أما كون الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى ، فلكون عطفها عليه موهماً
لعطفها على غيرها ، ويسمى الفصل لذلك قطعاً ، مثاله قول الشاعر :

وَتَقَنُّ سَلَى أَنْتَى أَبْنَى بِهَا بدلا أراها في الضلال تهيم

لم يعطف أراها كي لا يحجب السامع العطف على أبني ، ويعد أراها
في الضلال تهيم من مفعولات سلى في حق الشاعر ، وليس هو مجرد ،
بل المراد أنه حكم للشاعر عليها بذلك ، وليس بمستبعد أن يكون قد
قطع أراها ليقع جواباً لسؤال مقدر على سبيل الاستئناف ، وإياك أن
ترى الفصل لأجل الوزن فإما هو هناك . . وأما كونها بمنزلة المنصبة بها
فلكونها جواباً عن سؤال اقتضته الأولى ، فتزل منزلة ، فتصل الثانية

وَيَحْتَمِلُ الْإِسْتِثْنَاءَ . وَأَمَّا كَوْنُهَا كَالْمُتَّصِلَةِ بِهَا فَلَيْسَ كَوْنُهَا جَوَابًا
لِسُؤَالٍ اقْتَضَتْهُ الْأَوَّلَى ، فَتَنْزِلُ مَنْزِلَتَهُ ، فَتَفْصُلُ عَنْهَا ، كَمَا يُفْصَلُ الْجَوَابُ
عَنِ السُّؤَالِ . السَّكَائِيُّ : فَيَنْزِلُ ذَلِكَ مَنْزِلَةَ الْوَاقِعِ ، لِنُكْتَةِ كَافٍ .
السَّامِعُ عَنْ أَنْ يَسْأَلَ أَوْ أَنْ لَا يَسْمَعَ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَيُسَمَّى الْفَصْلُ لِذَلِكَ
اِسْتِثْنَاءً ، وَكَذَا الثَّانِيَةُ ، وَهُوَ ثَلَاثَةٌ أَضْرِبُ ، لِأَنَّ السُّؤَالَ إِنَّمَا عَنْ سَبَبِ
الْحُكْمِ مُطْلَقًا ، نَحْوُ :

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتَ عَلِيلٌ هـ سَهْرٌ دَائِمٌ وَحَزْنٌ طَوِيلٌ

عنها كما يفصل الجواب عن السؤال . قال السكاكي : النوع الثاني من الحالة المفتضية
للقطع أن يكون الكلام السابق ضحواه كالمورد للسؤال ، فينزل ذلك منزلة
الواقع ، ويطلب بهذا الثاني وقوعه جواباً له فيقطع عن الجواب السابق لذلك
وتنزل السؤال بالضحوى منزلة الواقع لا يصار إليه إلا للجهات لطيفة ، إما لتنبيه
السامع على موقعه ، أو لإغناؤه أن يسأل : أو لتلاسمع منه شيء ، أو لتلاينقطع
كلامك بكلامه ، أو لتقصده إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال
وترك الماطف ، أو لتغير ذلك عما ينخرط في هذا السلك ، ويسمى الفصل لذلك
استثناءً ، وكذا الجملة الثانية أيضاً تسمى استثناءً ، والاستثناء ثلثة أضرب
لأن السؤال الذي تضمنته الجملة الأولى إما عن سبب الحكم فيها مطلقاً كقوله :

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتَ عَلِيلٌ سَهْرٌ دَائِمٌ وَحَزْنٌ طَوِيلٌ

لما كان في العادة إذا قيل فلان عليل ، أن يسأل عن سبب علته وهو موجب
مرضه ، فيقال ما به وما علته قدر كانه قيل له ذلك فأتى بقوله سهر دائم جواباً
عن هذا السؤال المفهوم من غوى الحال ، وكذلك قول المعري :

أَيُّ مَا بَالُكَ عَالِيًا أَوْ مَا سَبَبُ عِلَّتِكَ ، وَإِمَّا عَنْ سَبَبٍ خَاصٍّ ، نَحْوُ :
وَمَا أُرِيهِ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ، كَأَنَّهُ قِيلَ هَلِ النَّفْسُ أَمَّارَةٌ
بِالسُّوءِ ؟ قِيلَ إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ؛ وَهَذَا الضَّرْبُ يَقْتَضِي تَأْكِيدَ
الْحُكْمِ كَأَمْرًا ، وَإِمَّا عَنْ غَيْرِهِمَا ، نَحْوُ : قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ، أَيْ فَمَاذَا
قَالَ ، وَقَوْلُهُ :

زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنِّي فِي غَمْرَةٍ * صَدَقُوا وَلَكِنْ غَمَرَنِي لَا تَنْجِلُ

وَقَدْ غَرَضْتُ مِنَ الدُّنْيَا فَهَلْ رَمَيْ مُنْطَلِحًا حَيَاتِي لِنَرٍّ بَعْدُ مَا غَرَضًا^(١)
جَرَبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكْتُ لِي التَّجَارِبُ فِي وَدِّ امْرِئٍ غَرَضًا
لَمْ يَصِلْ جَرِبْتُ بِالْعَطْفِ عَلَى غَرَضْتُ بِنَاءً عَلَى سَوَالٍ يَسْأَلُ إِلَيْهِ مَعْنَى الْبَيْتِ
الْأَوَّلِ وَهُوَ : لَمْ تَقُولِ وَيَحْكُ هَذَا ، وَمَا الَّذِي اقْتَضَاكَ أَنْ تَطْوِي كَشْحَكَ عَنْ
الْحَيَاةِ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ ، وَإِمَّا عَنْ سَبَبٍ خَاصٍّ لَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَمَا أَرَى نَفْسِي
إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ، كَأَنَّهُ قِيلَ هَلِ النَّفْسُ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ، قِيلَ نَعَمْ
إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ، وَهَذَا الضَّرْبُ يَقْتَضِي تَأْكِيدَ الْحُكْمِ كَأَمْرًا فِي بَابِ
أَحْوَالِ الْإِنْسَانِ أَنْ يَخَاطَبَ إِنْ كَانَ مُتَرَدِّدًا فِي الْحُكْمِ طَالِبًا لَهُ حَسَنَ تَقْوِيهِ
مَوْكِدًا . . . وَإِمَّا عَنْ غَيْرِهِمَا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنِّي فِي غَمْرَةٍ * صَدَقُوا وَلَكِنْ غَمَرَنِي لَا تَنْجِلُ
فَإِنَّهُ لَمَّا أَبْدَى النُّكَايَةَ مِنْ جَمَاعَاتِ الْعَذَالِ ، كَانَ ذَلِكَ بِمَا يَحْرِكُ السَّامِعَ
لِيَسْأَلَ أَصْدَقُوا فِي ذَلِكَ أَمْ كَذَبُوا ، فَأَخْرَجَ الْكَلَامَ مُخْرَجَهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ مُدْقِيقًا

وَأَيْضًا مِنْهُ مَا يَأْتِي بِإِعَادَةِ اسْمِهِ مَا اسْتَوْفَتْ عَنْهُ ، نَحْوُ : أَحْسَنْتَ إِلَى

له فصل وطبق بذلك الفصل ، ومنه قول جندب بن عمار :

زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنَّ نَاقَةَ جُنْدَبٍ بِحَبُوبٍ حَسْبٍ عُرِيَتْ وَأَجَمَتْ
كَذَبَ الْعَوَازِلُ لَوْ رَأَيْنَا مَنَاحِنَا بِالْقَادِسِيَّةِ قُلْنَ لَيْجٌ وَذَلَّتْ
وقد زاد هنا أمر الاستئناف وتقدير الجواب تأكيداً بأن وضع الظاهر
موضع المضمر ، فقال كذب العوازل ولم يقل كذب ، وذلك أنه لما أعاد ذكر
العوازل ظاهراً كان ذلك أبين وأقوى لكونه كلاماً مستأنفاً من حيث وضعه
وضمناً لا يحتاج فيه إلى ما قبله ، . أتى به . أتى ما ليس قبله كلام ، ومن الحسن البين
في هذا الباب قول الوليد بن يزيد :

عَرَفْتُ الْمَرْزَلِ الْخَلَالِي عَفَا مِنْ بَعْدِ أَحْوَالِ
عَفَاهُ كُلَّ حَنَانٍ عَسُوفِ الْوَبَالِ هَطَالِ

لما قال عفا من بعد أحوال ، قدر كأنه قيل له فاعفاه ، فقال عفاه كل
حنان ، ومثله قول المتنبي :

وَمَا عَفَّتِ الرِّيحُ لَهُ نَحْلًا عَمَاهُ مَنْ حَدَا بِهِمْ وَسَاقًا

فإنه لما نفى أن يكون الذي يرى به من السروس والعماء من الرياح ، وأن
تكون التي فعلت ذلك ، كان مظنة أن يسأل عن الفاعل . قال الشيخ الإمام :
واعلم أن الذي تراه في التنزيل من لفظ قال مفصلاً غير معطوف ، هذا هو
التقدير هو والله أعلم ، أعني مثل قوله تعالى : هل أتاك حديث ضيف إبراهيم
المكرمين ، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً ، قال سلام قوم منكرون ، فراغ إلى
أمره لجاء بمجمل سمين ، فقربه إليهم قال ألا تأكلون ، فأوجس منهم خيفة قالوا

زَيْدٌ زَيْدٌ حَقِيقٌ بِالْإِحْسَانِ؛ وَمِنْهُ مَا يَبْنِي عَلَى صِفَتِهِ، نَحْوُ: أَحْسَنْتُ
إِلَى زَيْدٍ صَدِيقَكَ الْقَدِيمَ أَهْلَ لَدَيْكَ، وَهَذَا أَبْلَغُ، وَقَدْ يُحذفُ صَدْرُ
الِاسْتِثْنَاءِ، نَحْوُ: يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْقُدُّو وَالْأَصَالِ رِجَالٌ، فَيَمْنُ قَرَأَهَا
مَفْتُوحَةَ الْبَاءِ، وَعَلَيْهِ: نَعَمْ الرَّجُلُ زَيْدٌ، عَلَى قَوْلٍ، وَقَدْ يُحذفُ كُلُّهُ،
إِثْمًا مَعَ قِيَامِ شَيْءٍ مَقَامَهُ، نَحْوُ قَوْلِ الْحَمَاقِيِّ:
زَعَمْتُ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قَرِيشٌ * لَهُمْ أَلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا أَلْفٌ

لاتخف، لما كان في العرف والعادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم دخل قوم على
فلان فقالوا كذا أن يقولوا فما قال هو، ويقول الجيب قال كذا أخرج الكلام
ذلك المخرج لأن الناس خوطبوا بما يتعارفونه وسلك باللفظ معهم المسلك الذي
يسلكونه، وكذلك قوله: قال ألا تأكلون، وقوله: قالوا لا تخف، تنقسم آخر
للاستئناف، الاستئناف منه ما يأتي بإعادة اسم ما استأنف عنه كقولك: أحسنت
إلى زيد زيد حقيق بالإحسان، ومنه ما يبنى على صفة كقولك: أحسنت إلى
زيد صديقك القديم أهل لذلك. وهذا أبان لانطوائه على بيان السبب
والتقسيم ثالث، الاستئناف قد يحذف صدره لقيام قرينة كقوله تعالى: يسبح له
فيها بالقدو والآصال رجال، فيمن قرأ يسبح مبنياً للفعول ومنه قولهم: نعم
الرجل أو رجلا زيد، وبئس الرجل أو رجلا عمرو على القول بأن المخصوص خبر
مبتدأ محذوف أي هو زيد كأنه لما قيل ذلك فابهم الفاعل بجملة مبهوداً ذهنياً
مظهراً أو مضمراً، مثل عن تفسيره: قليل هو زيد ثم حذف المبتدأ. وقد
يحذف كله ويقام ما يدل عليه مقامه كقول مساور بن هند يهجو بني أسد:
زعمت أن إخوانكم قريش لهم ألف وليس لكم إلا ألف

أَوْ يَذُونِ ذَلِكَ، نَحْوُ: فَمِنْ لِلْمَاهِدُونَ، أَمْي نَحْنُ، عَلَى قَوْلِهِ. وَأَمَّا
الرُّوسْلُ لَدَفْعِ الْإِبْهَامِ فَكَمْوَالِهِمْ: لَا وَأَيْدِكَ اللَّهُ. وَأَمَّا لَتَوْسُطِ فَإِذَا
اتَّفَقْتَا خَبَرًا أَوْ إِشَاءَ لَفْظًا وَمَعْنَى أَوْ مَعْنَى فَقَطْ بِجَامِعٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:
يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ
الْفَاحِشِينَ لَفِي جَحِيمٍ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا، وَقَوْلِهِ تَعَالَى:
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

أُولَئِكَ أَوْمِنُوا جُوعًا وَخَوْفًا ۖ وَقَدْ جَاءَتْ بَنُو أُسْدٍ وَخَافُوا
التَّعْدِيهِ أَسَدُ قَنَا أَمْ كَذَبْنَا، فَقَالَ تَقْدِيرًا كَذَبْتُمْ والدليل على ذلك قوله
لَهُمْ إِنْ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا، وَيَحْزَنُ أَنْ يَقْدِرَ لَهُمْ إِنْ جَوَابُ سَوَالِ اقْتِضَاءِ
الجَوَابِ الْمَحْذُوفِ كَانَ الْمُتَكَلِّمُ قَالِ كَذَبْتُمْ، فَقَالُوا لَمْ كَذَبْنَا، فَقَالَ لَهُمْ إِنْ،
وَقَدْ يَحْزَنُ وَلَا يَقَامُ شَيْءٌ مَقَامَهُ (١) كَقَوْلِهِ تَعَالَى: نَسِمْ الْمَاهِدُونَ، أَمْي نَحْنُ
عَلَى قَوْلٍ مِنْ يَجْعَلُ الْمُخْصُوصَ حَبْرَ الْمُبْتَدَأِ أَمْي نَحْنُ، وَأَمَّا، الرُّوسْلُ لَتَوْسُطِ
بَيْنَ حَالَتَيْنِ كَالِ الْإِتِّطَاعِ وَكَالِ الْإِتِّصَالِ، فَإِذَا اتَّفَقَ الْجَمْعَانِ خَبَرًا أَوْ طَلَبًا لَفْظًا
وَمَعْنَى أَوْ مَعْنَى فَقَطْ مَعَ جَامِعٍ بَيْنَهُمَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ
الْفَاحِشِينَ لَفِي جَحِيمٍ، وَقَوْلِهِ: يَخْرُجُ الْحَيُّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيَخْرُجُ الْمَيِّتُ مِنَ الْحَيِّ، وَقَوْلِهِ:
يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ، هَذَا فِي الْمُتَّفَقَتَيْنِ حَبْرًا لَفْظًا وَمَعْنَى، وَقَوْلِهِ: كُلُوا
وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا، وَهَذَا فِي الْمُتَّفَقَتَيْنِ إِشَاءَ لَفْظًا وَمَعْنَى وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَإِذْ

(١) لك أن تقول العمل لا يعقل إلا بين كلامين منطوق بهما، فإذا كانت
الحملة المستأنفة محذوفة فكيف يسمى ذلك فصلاً، إلا أن يقال إن المصنف
استطرد إلى أنواع الحملة المستأنفة ولم يسمه فصلاً فليس من هذا الباب.

وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْبَائِسِينَ قُولُوا لِنَاسٍ حُسْنًا ، أَيْ لَا تَسْبُدُوا
وَتَحْسِنُونَ ؛ بِمَعْنَى أَحْسِنُوا أَوْ وَأَحْسِنُوا . وَالْجَامِعُ بَيْنَهُمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ
بِاعْتِبَارِ الْمُسَدِّدِ إِلَيْهِمَا وَالْمُسَدِّدِينَ جَمِيعًا ، نَحْوُ : بِشَرِّ زَيْدٍ وَيَكْتُبُ وَيُعْطِي
وَيَمْنَعُ ، وَزَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو كَاتِبٌ ، وَزَيْدٌ طَوِيلٌ وَعَمْرٌو قَصِيرٌ لِمُنَاسَبَةِ
بَيْنَهُمَا ، بِخِلَافِ زَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو كَاتِبٌ ، يَدُونَهَا ، وَزَيْدٌ شَاعِرٌ

أَخَذْنَا مِثْلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا عَلَىٰ قَوْلِهِ لَا تَعْبُدُونَ ، لِأَنَّهُ
بِمَعْنَى لَا تَعْبُدُوا ، وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا فَتَقْدِيرُهُ إِمَّا ، وَتَحْسِنُونَ بِمَعْنَى
وَأَحْسِنُوا ، وَإِمَّا وَأَحْسِنُوا ، وَهَذَا أَبْلَغُ مِنْ صَرِيحِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ لِأَنَّهُ كَانَ
سُورِعَ إِلَى الْأَمْتَالِ وَالْإِتْنَاءِ فَهُوَ يَجْعَلُهُ « وَالْجَامِعُ ، بَيْنَ الْجَمْعَيْنِ يَجِبُ
أَنْ يَكُونَ بِاعْتِبَارِ الْمُسَدِّدِ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ وَالْمُسَدِّدِ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ وَبِاعْتِبَارِ الْمُسَدِّدِ فِي
هَذِهِ وَالْمُسَدِّدِ فِي هَذِهِ جَمِيعًا كَقَوْلِنَا : بِشَرِّ زَيْدٍ وَيَكْتُبُ وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ ، وَقَوْلُنَا :
زَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو كَاتِبٌ وَزَيْدٌ طَوِيلٌ وَعَمْرٌو قَصِيرٌ ، إِذَا كَانَ عَمْرٌو سَبَبَ
مِنْ زَيْدٍ وَكَانَا كَالنَّظِيرَيْنِ وَالشَّرِيكَيْنِ ، وَبِحَيْثُ إِذَا عُرِفَ السَّامِعُ حَالُ الْأَوَّلِ
عِنَاهُ أَنْ يَعْرِفَ حَالُ الثَّانِي ، بِخِلَافِ قَوْلِنَا : زَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو كَاتِبٌ إِذَا لَمْ
يَكُونَا كَذَلِكَ ، بِخِلَافِ قَوْلِنَا زَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو طَوِيلٌ ، كَانَ كَذَلِكَ أَوْ لَا . قَالَ
الشيخُ فِي دَلَالَةِ الْإِعْجَازِ : اعْلَمْ أَنَّهُ كَأَجَبٍ أَنْ يَكُونَ الْمُحَدَّثُ عَنْهُ فِي إِحْدَى
الْجَمْعَتَيْنِ سَبَبٌ مِنَ الْمُحَدَّثِ عَنْهُ فِي الْأُخْرَى ، كَذَلِكَ مَبْنًى أَنْ يَكُونَ الْخَبَرُ عَنِ
الثَّانِي مِمَّا يَجْرِي بِجَرَى الثَّانِيهِ وَالنَّظِيرُ أَوْ النَّقِيضُ الْخَبَرُ عَنِ الْأَوَّلِ ، فَهَذَا قُلْتُ

وَعَمَرُو طَوِيلٌ مُطْلَقًا . « السَّكَائِيُّ » الْجَامِعُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ : إِنَّمَا عَقِلْتُ
بِأَن يَكُونَ بَيْنَهُمَا اتِّحَادٌ فِي التَّصَوُّرِ أَوْ تَمَازُلٌ ، فَإِنَّ الْعَقْلَ يَتَخَرَّجُ مِنَ الْمُثَلِّينِ
عَنِ الشَّخْصِ فِي الْخَارِجِ يَرْفَعُ التَّمَدُّدَ ، أَوْ تَضَايُفُ كَمَا بَيْنَ الْعِلَّةِ وَالْمَعْلُولِ
أَوْ الْأَقْلِّ وَالْأَكْثَرِ ، أَوْ وَحْدِيٌّ بِأَن يَكُونَ بَيْنَ تَصَوُّرَيْهِمَا شِبْهُ تَمَازُلٍ
كَتَوْنِ بَيَاضٍ وَصُفْرَةٍ ، فَإِنَّ الْوَحْدَ يُبْرِزُهُمَا فِي مَعْرُضِ الْمُثَلِّينِ ، وَلِهَذَا
حَسَنَ الْجَمْعُ بَيْنَ الثَّلَاثَةِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ :

زيد طويل القامة وعمره شاعر كان خلفا . هذا ، وقد قال السكاكي الجامع
بين الجملتين : إما عقل أو وهمي أو خيالي . فالعقل أن يكون بينهما اتحاد في
تصور مثل الاتحاد في الخبر عنه أولى الخبر أو في قيد من قيودهما ، أو تماثل ،
فإن العقل يتخرجه المثلين عن الشخص في الخارج يرفع التمدد عن البين ،
أو تضاييف كالذي بين العلة والمعول ، والسبب والمسبب ، أو السفلى والعلو ،
والأقل والأكثر ، فالعقل يأتي أن لا يجتمعا في الذهن وأن العقل سلطان
مطالع . والوهمي هو أن يكون بين تصوريهما شبه تماثل ، نحو أن يكون الخبر
عنه في أحدهما لون بياض . وفي الثانية لون صفرة ، فإن الوهمي يحتمل في أن
يبرزهما في معرض المثلين ، وكل الوهم من حيل وإلا فعليك بقوله :

(١) ربما تقول إن هذا يشترط بأنه يمكن للوصل أن يكون الجامع بين
الخبر عنها فقط أو الخبر بها فقط . وأنت قد قلت آنفاً خلاف ذلك ، فإنه
نقول كلام السكاكي هنا ليس إلا في بيان الجامع بين الجملتين ، وأما إن أي
قد من الجامع يجب لصحة الوصل فنفض إلى مكان آخر .

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِهَجَّتِهَا * تَشْمُسُ الصُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
أَوْ تَصَادُّ ، كَالْأَسْوَدِ وَالْبَيَاضِ وَالْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ ، وَمَا يَتَصِفُ بِهَا ،
كَالْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ وَالْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ ، أَوْ شَيْءٍ تَصَادُّ ، كَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَالْأَوَّلِ وَالْثَانِي ، فَإِنَّهُ يُنَزِّلُهُمَا مَنَزَلَةَ التَّضَايُفِ ، وَلِذَلِكَ تَجِدُ الضَّدَّ
أَقْرَبَ خَطُورًا بِالْبَالِ مَعَ الضَّدِّ ، أَوْ خَيَالِيٍّ ، بَأَن يَكُونَ بَيْنَ تَصَوُّرَيْهِمَا
تَقَارُنٌ فِي الْخَيَالِ سَابِقٍ ، وَأَسْبَابُهُ مُخْتَلِفَةٌ ، وَلِذَلِكَ اخْتَلَفَتِ الْمُسَوْرُ

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِهَجَّتِهَا شمس الصُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
وقل لي : ما الذي حسن الجمع بين الشمس وأبي إسحق والقمر هذا التحسين
سواء أو بقوله :

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِدَرْءٍ فِي الْخَلْقِ مَقَامِعٌ فَذُو النَّجَّاحِ وَالسَّقَّاهِ وَالذَّرُّ وَاحِدٌ
أَوْ تَضَادُّ كَالْأَسْوَدِ وَالْبَيَاضِ وَالْهَمْسِ وَالْجَهَارَةِ وَالطَّيْبِ وَالنَّثَنِ ، وَكَاتَحْرُكِ
وَالسَّكُونِ ، وَالْقِيَامِ وَالْقُعُودِ ، وَالْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ ، وَكَاتَنْصَافَاتِ بَذَلِكِ فِي نَحْوِ :
الْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ ، وَالْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ ، أَوْ شَبْهُ تَضَادِّ كَالَّذِي بَيْنَ نَحْوِ : السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ ، وَالسَّهْلِ وَالْجَبَلِ ، وَالْأَوَّلِ وَالْثَانِي ، فَإِنَّ الْوَحْدَ يَزُولُ الْمُتَضَادِّينَ
وَالشَّيْئَيْنِ بِهَمَا مَنَزَلَةَ الْمُتَضَادِّينِ فَيُجْتَمِعُ فِي الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا فِي الذَّهْنِ ، وَلِذَلِكَ تَجِدُ
الضَّدَّ أَقْرَبَ خَطُورًا بِالْبَالِ مَعَ الضَّدِّ ، وَالْخَيَالِ هُوَ أَن يَكُونَ بَيْنَ تَصَوُّرَيْهِمَا
تَقَارُنٌ فِي الْخَيَالِ سَابِقٍ لِأَسْبَابٍ مُؤَدِيَةٍ إِلَى ذَلِكَ ، فَإِنَّ جَمِيعَ مَا يَثْبُتُ فِي الْخَيَالِ
يَعْرِضُ إِلَيْهِ مِنَ الْخَارِجِ يَثْبُتُ فِيهِ عَلَى نَحْوِ مَا يَتَأَدَّى إِلَيْهِ وَيَتَكَرَّرُ لَدَيْهِ ،
وَلِذَلِكَ لَمْ تَكُنِ الْأَسْبَابُ عَلَى وَتِيزَةٍ وَاحِدَةٍ بَيْنَ الْبَشَرِ ، اخْتَلَفَتِ الْحَالَ

الثَّابِتَةُ فِي انْتِيَالِ تَرْكِبًا وَوُضُوحًا ، وَلِصَاحِبِ عِلْمِ الْمَعَانِي فَضْلُ احْتِجَاجِ
إِلَى مَبْرِقَةِ الْجَمَاعَةِ ، لَا سِيَّمَا انْتِيَالِي ، فَإِنَّ جَمْعَهُ عَلَى تَجَرُّي الْإِنْفِ وَالْعَادَةِ

فِي ثُبُوتِ الصُّورِ فِي الْخَيَالَاتِ تَرْبِيًا وَوُضُوحًا فَكَمْ مِنْ صُورٍ تَتَمَاتِقُ فِي الْخَيَالِ
وَهِيَ فِي آخِرِ لَيْسَتْ تَرَامِي ، وَكَمْ مِنْ صُورٍ لَا تَكَادُ تُلُوحُ فِي الْخَيَالِ وَهِيَ فِي
غَيْرِهِ نَارٌ عَلَى عِلْمٍ . يَحْكِي أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ ذَوِي الْحُرُوفِ الْمُخْتَلَفَةِ وَصَفُوا الْكَلَامَ .
فَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ : أَحْسَنَ الْكَلَامِ مَا تَقَبَّتْهُ الْفِكْرَةُ وَنَظَّمَتْهُ الْفُطْنَةُ ، وَفَصَّلَ جَوْهَرُ
مَعَانِيهِ فِي سِطِّ أَلْفَاظِهِ لِحَمَلَتِهِ نَحْوُ الرِّوَاةِ . وَقَالَ الصِّيرِيُّ : خَيْرَ الْكَلَامِ مَا
تَقَدَّمَتْ يَدُ الْبَصِيرَةِ ، وَجَلَّتْ عَيْنُ الرُّوْيَةِ ، وَوَزَنَتْهُ مِيزَانُ الْقَصَاحَةِ ، فَلَا يَنْطَلِقُ فِيهِ
بِرَاقَةٍ ، وَلَا يَسْمَعُ فِيهِ بِهَرَجٍ . وَقَالَ الصَّائِغُ : خَيْرَ الْكَلَامِ مَا أَحْيَتْهُ بَكِيرُ الْفِكْرِ
وَسَبَكَتْهُ بِشَاعِلُ النَّظَرِ وَخَلَصَتْهُ مِنْ خَبَثِ الْإِطْلَابِ ، فَبَرَزَ بَرُوزُ الْإِبْرَارِ مُرَكَّبًا
فِي مَعْنَى وَجِيزٍ . وَقَالَ الْهَدَادُ : أَحْسَنَ الْكَلَامِ مَا نَصَبَتْ عَلَيْهِ مَنَافِخُ الرُّوْيَةِ
وَأَشْعَلَتْ فِيهِ نَارَ الْبَصِيرَةِ ، ثُمَّ أَخْرَجَتْهُ مِنْ لُجَمِ الْإِلْهَامِ ، وَرَفَقَتْهُ بِنُطْقِ الْأَفْهَامِ .
وَقَالَ الْخِثَارُ : أَحْسَنَ الْكَلَامِ مَا طَبِخَتْهُ مَرَاجِلُ الْعِلْمِ ، وَضَمَّتْهُ دَنَانُ الْحِكْمَةِ
وَصَفَّاهُ رَاوُوقُ الْقَهْمِ ، فَتَمَشَّتْ فِي الْمَفَاصِلِ عَذُوبَتُهُ وَفِي الْأَفْكَارِ رَفَقَتُهُ . وَسَرَتْ
فِي نَجَاوِيفِ الْعَقْلِ سَوْرَتُهُ وَحَدَّتْهُ . وَقَالَ الْبَزَازُ : أَحْسَنَ الْكَلَامِ مَا صَدَقَ رَقْمُ
أَلْفَاظِهِ وَحَسُنَ رِسْمُ مَعَانِيهِ ، فَلَمْ يَسْتَعْجِمْ عِنْدَ نُشْرِهِ ، وَلَمْ يَسْتَبْهَمْ عِنْدَ طَلْقِهِ . وَقَالَ
الْكُحَالُ : أَحْسَنَ الْكَلَامِ مَا سَحَقَتْهُ فِي مَنَاجَارِ الذِّكَاةِ ، وَنَخَلَتْهُ بِجَرِيرِ التَّيْزِ ، وَكَأَنَّ
أَنْ الرَّمْدَ قَذَى الْعَيْنِ . كَذَا الشَّبْهَةُ قَذَى الْبَصَارِ ، فَكُلُّ عَيْنٍ الْكَلْبَةُ يَمِيلُ
الْبَلَاغَةَ ، وَأَجَلُ رَمْدِ الْتَفَلَّةِ بِرُودِ الْيَقْلَةِ . وَلِصَاحِبِ عِلْمِ الْمَعَانِي فَضْلُ احْتِجَاجِ
فِي هَذَا الْفَرْقِ إِلَى التَّنْبِيهِ لَأَنْوَاعِ هَذَا الْجَمَاعَةِ وَالتَّنِيقِ لَهَا ، لَا سِيَّمَا أَنْوَاعِ الْخَيَالِ .
فَإِنَّ جَمْعَهُ عَلَى تَجَرُّي الْإِنْفِ وَالْعَادَةِ ، بِحَسَبِ مَا تَتَعَدَّى الْأَسْبَابُ فِي اسْتِقْدَاعِ

وَمِنْ مَحْسَنَاتِ الْوَصْلِ تَنَاسُبُ الْجُمْلَتَيْنِ فِي الْإِسْمِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ ، وَالْفِعْلِيَّتَيْنِ

الصَّوَرِ خِرَافَةِ الْخَيَالِ ، قُلْتُ لِي إِذْ لَمْ يَوْفِهِ حَقُّهُ مِنَ التَّنِيقِظِ وَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدْرِ ،
أَنِّي يَسْتَحِلُّ كَلَامَ رَبِّ الْعِزَّةِ مَعَ أَهْلِ الْوَبْرِ ، حَيْثُ يَبْصُرُ الدَّلَائِلَ نَاسِقًا كَذَلِكَ
النَّفْسُ : أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ، وَإِلَى
الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ، لِبَعْدِ الْبَعِيرِ عَنْ خِيَالِهِ فِي
مَقَامِ النَّظَرِ ثُمَّ لِبَعْدِهِ فِي خِيَالِهِ عَنِ السَّمَاءِ وَبَعْدَ خُلُقِهِ عَنْ رُفْعِهَا ، وَكَذَا الْبُيُوتِ
لَكِنْ إِذَا وَقَّاهُ حَقُّهُ بِتَنَقُّظِهِ لِمَا عَلَيْهِ تَقَابَهُمْ فِي حَاجَتِهِمْ جَاءَ الْاسْتِعْلَاءُ ، وَكَذَا
إِذَا نَظَرَ أَنَّ أَهْلَ الْوَبْرِ إِذَا كَانَ مَطْمَعُهُمْ وَشَرِبُهُمْ وَبَلْبِسُهُمْ مِنَ الْمَوَاشِيِّ كَانَتْ
عَنَائِتُهُمْ مَصْرُوفَةً لِمَحَالَّةٍ إِلَى أَكْثَرِهَا نَفْعًا وَهِيَ الْإِبِلُ ، ثُمَّ إِذَا كَانَ اتِّصَافُهُمْ
بِهَا لَا يَتَحَصَّلُ إِلَّا بِأَنْ تَرَعَى وَتَشْرَبَ كَانَ جُلُوسُهُمْ غَرَضُهُمْ نَزُولُ الْمَطَرِ ، وَأَمَّا
مَسَارِحُ النَّظَرِ عِنْدَهُ السَّمَاءُ ثُمَّ إِذَا كَانُوا مُضْطَرِّينَ إِلَى مَاوِي يَأْوِيهِمْ وَإِلَى حَصْنٍ
يَتَحَصَّنُونَ فِيهِ ، وَلَا مَاوِي وَلَا حَصْنٌ إِلَّا الْجِبَالُ .

لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نَجِيرُهُ مَنِيْعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلٌ

فَمَا ظَنَّاكَ بِالنَّمَاتِ خَاطِرِهِمْ إِلَيْهَا ، ثُمَّ إِذَا تَعَذَّرَ طَوْلُ مَكْنَهُمْ فِي مَنْزِلٍ — وَمِنْ
لِأَصْحَابِ مَوَاشٍ بِذَلِكَ — كَانَ عِنْدَ الْحَمَةِ عِنْدَهُمُ بِالتَّنَقُّلِ مِنْ أَرْضٍ إِلَى سَوَاحِهَا
مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ، فَعِنْدَ نَظَرِهِ هَذَا أَرَى الْبَدْوِيَّ إِذَا أَخَذَ يَفْتَشُ عَمَّا فِي خِرَافَةِ
الصَّوَرِ لَهُ لَا يَجِدُ صُورَةَ الْإِبِلِ حَاضِرَةً هُنَاكَ ، أَوْ لَا يَجِدُ صُورَةَ السَّمَاءِ لَهَا مَقَارِنَةٌ
أَوْ تَعْمُوزُهُ صُورَةَ الْجِبَالِ بَعْدَهَا أَوْ لَا تَتَصَاعِقُ إِلَيْهِ صُورَةُ الْأَرْضِ بَعْدَهُمْ ؟ لَا —
وَأَمَّا الْخَطَرِيُّ حَيْثُ لَمْ تَتَأَخَذْ عِنْدَهُ تِلْكَ الْأُمُورِ ، وَمَا جَمَعَ خِيَالَهُ تِلْكَ الصَّوَرِ
عَلَى ذَلِكَ الرُّوحِ إِذَا تَلَّى آيَةَ الْقُرْآنِ أَنْ يَقِفَ عَلَى مَا ذَكَرْتَ ظَنُّ النَّفْسِ بِجَهْلِهِ
هَيمًا . . هَذَا أَذَاقَكَ اللَّهُ حُلَاوَةَ الْعِلْمِ وَأَشْرَعَ قَلْبَكَ بِرَدِّ الْيَقِينِ مَوْلَابَابِ مَا بَالُوهُ

فِي الْمَفْعِيِّ وَالْمُضَارَعَةِ ، إِلَّا لِمَانِعٍ .

﴿ تَذْنِيبٌ ﴾

أَصْلُ الْحَالِ الْمُتَقَفِّلَةِ أَنْ تَكُونَ بِغَيْرِ وَائٍ ، لِأَنَّهَا فِي الْمَفْعِيِّ حُكْمٌ

فِي بَابِ الْفَصْلِ وَالْوَصْلِ ، اسْتَخْرَجْنَاهُ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لِبَنَاءٍ خَالِصاً سَاقِئاً
لِلشَّارِبِينَ (إِمَّا لِمَانِعٍ) كَمَا إِذَا أُريدَ بِإِحْدَاهُمَا التَّجَدُّدُ ، وَبِالْأُخْرَى الثَّبُوتُ كَمَا
إِذَا كَانَ زَيْدٌ وَعَمْرُو قَاعِدَيْنِ ، ثُمَّ قَامَ زَيْدٌ دُونَ عَمْرُو ، فَأَيْكَ تَقُولُ قَامَ زَيْدٌ
وَعَمْرُو قَاعِدٌ . قَالَ السَّكَّاكِيُّ : وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ
أَنْتُمْ صَامِتُونَ ، الْمَعْنَى سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَحَدْتُمْ الدَّعْوَةَ لَهُمْ أَمْ اسْتَمَرَّ عَلَيْكُمْ صَحْتُكُمْ
عَنْ دَعَائِهِمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا حَزَبَهُمْ أَمْرٌ دَعَا إِلَهُهُ دُونَ أَصْنَانِهِمْ ، قَالَ تَعَالَى :
وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضَرَرُ الْآيَةِ ، فَكَانَتْ حَالُهُمُ الْمُسْتَمِرَّةُ أَنْ يَكُونُوا عَنْ دَعْوَتِهِمْ
صَامِتِينَ (تَذْنِيبٌ) لِمَا كَانَتْ الْحَالُ الْوَاقِعَةُ جَمْعَ تَارَةٍ تَدْخُلُهَا الْوَاوُ ، وَأُخْرَى
لَا تَدْخُلُ ، صَارَ لَهَا فِي الصُّورَةِ حَالَتَانِ فَفَصَلَ وَوَصَلَ ، فَجَانِبُ أَنْ يَذْكَرَ ذَلِكَ
عَقِبَ الْكَلَامِ عَلَى الْفَصْلِ وَالْوَصْلِ ، وَبَعْدَهُ فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مِنْ سَنَقْنَا
فِي شَرْحِ هَذَا الْكِتَابِ أَنَّنَا عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى الْمُبْحَثِ الَّذِي تَلْتَحِمُ أَجْزَاؤُهُ
وَتَتَقَبَّلُ كَلِمَاتُهُ ، نَمُدُّ إِلَى نَظْمٍ شَرَحَهُ فِي سَمَطٍ وَاحِدٍ حَتَّى يَكُونَ مِنْهُ الْمُنَاوِلُ
سَهْلَ الْمَأْخُذِ ، فَقَوْلُ : الْفَرَضُ الْآنَ هُوَ بَيَانُ أَنَّ الْحَالَ إِذَا وَقَعَتْ جَمْعٌ نَحْمِي .
تَارَةً مَعَ الْوَاوِ وَأُخْرَى بِغَيْرِ وَائٍ ، وَالْكَلَامُ فِي ذَلِكَ مُسْتَدَعٌ تَمْيِيدُ قَاعِدَةٍ ،
وَهِيَ أَنَّ الْحَالَ نَوْعَانِ : حَالٌ بِالْإِطْلَاقِ ^(١) وَحَالٌ تَقْسَمُ مُؤَكَّدَةٌ ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ
مِنَ التَّوَعَيْنِ أَصْلٌ فِي الْكَلَامِ ، وَلَهُمَا مَعْنًى نَهَجَ فِي الْاسْتِمْعَالِ وَاحِدٌ ، فَأَصْلُ
الثَّانِي أَنْ يَكُونَ وَصْفًا ثَابِتًا نَحْوُ : هُوَ الْحَقُّ بَيْنًا ، وَزَيْدٌ أَبُوكَ شَفِيعًا ، وَفِي التَّخْزِيلِ :

(١) وَهِيَ الَّتِي تَقْسَمُ الْمُنْفَعَةُ

عَلَى صَاحِبِهَا كَالْخَبْرِ ، وَوَصَفَ لَهُ كَالْمَنْتِ ، لَكِنْ خُوفَ هَذَا إِذَا

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قِرَاءَةً عَرَبِيًّا ، وَأَصْلُ الْأَوَّلِ أَنْ يَكُونَ وَصْفًا غَيْرَ ثَابِتٍ مِنَ الصِّفَاتِ
الْجَارِيَةِ كَأَسْمِ الْفَاعِلِ وَأَسْمِ الْمَفْعُولِ نَحْوُ جَاءَ زَيْدٌ رَاكِبًا ، وَضُرِبَ الْفَسُّ مَكْشُوفًا ،
وَيَمْتَنِعُ أَنْ يُقَالَ : جَاءَ زَيْدٌ طَوِيلًا أَوْ قَصِيرًا ، أَوْ أَسْوَدًا أَوْ أَيْضًا ، اللَّهُمَّ إِلَّا
بِتَأْوِيلٍ ، وَنَهَجُهُمَا فِي الْأَسْتِعْمَالِ أَنْ يَأْتِيَا عَرَبِيَّيْنِ عَنْ حَرْفِ التَّنْقِيسِ كَمَا يُقَالُ
هُوَ الْحَقُّ بَيْنَا دُونَ لَا خَفِيَا ، وَجَاءَ زَيْدٌ رَاكِبًا دُونَ لَا مَاشِيًا . وَالْأَصْلُ (١)
فِي التَّوَعُّينِ أَنْ يَكُونَا بِغَيْرِ الْوَاوِ لَوْجُوهَ . الْأَوَّلُ : أَنْ يُعْرَبَ الْحَالُ أَصْلًا
لَيْسَ يَتَّبَعُ وَلَا جَمَالَ لِلْوَاوِ فِي الْمَرْبِ بِالإِصَالَةِ لِأَنَّ الْإِعْرَابَ دَالٌّ عَلَى تَعْلُقِ
مَعْنَى هُنَاكَ ، فَذَلِكَ التَّعْلُقُ يَكُونُ مَقْنِيًّا عَنْ تَكْلُفٍ تَعْلُقُ آخَرَ . الثَّانِي : إِنْ
حُكِمَ الْحَالُ مَعَ ذِي الْحَالِ أَبَدًا فَظَهَرَ حُكْمُ الْخَبَرِ مَعَ الْخَبَرِ عَنْهُ ، الْأَتْرَاكُ إِذَا
أَلْفِيتُ هُوَ ، فِي قَوْلِكَ هُوَ الْحَقُّ بَيْنَا ، بَقِيَ الْحَقُّ ، وَجَاءَ فِي قَوْلِكَ : جَاءَ زَيْدٌ
رَاكِبًا ، بَقِيَ زَيْدٌ رَاكِبًا ، وَضُرِبَ فِي قَوْلِكَ : ضُرِبَ الْفَسُّ مَكْشُوفًا ، الْفَسُّ
مَكْشُوفٌ ، فَضَبَدَ الْحَالُ وَذَا الْحَالُ خَبْرًا وَخَبْرًا وَالْخَبَرُ لَيْسَ (٢) مَوْضِعًا لِدُخُولِ

- (١) يُؤْخَذُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا وَجْهَ لِلصَّنْفِ فِي أَنْ يَقْبِدَ الْحَالُ بِالْمُنْتَقِلَةِ لِأَنَّ
أَصْلَ الْحَالِ مُطْلَقًا ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ وَجِبَ هَذَا الْأَصْلُ فِي الْمُؤَكَّدَةِ ، لِأَنَّهَا تَقِي مَعْنَى
مَاقِبَلِهَا ، وَالْوَاوُ تَوْذُنٌ بِالْمَقَابِرَةِ .
(٢) قَدْ يَخْدُشُ فِي هَذَا أَنَّ الْأَخْشَ فِي طَائِفَةِ جُوزِ دُخُولِ الْوَاوِ فِي الْخَبَرِ
كَانَ وَأَخَوَاتِهَا وَأَنْشَدُوا :

لَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا وَفِيهِ إِذَا مَا قَابَلَهُ عَيْنُ الْبَصِيرِ اعْتِبَارًا
وَقَوْلُ الْحَاسِي :

فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ فَأَمْتَى وَهُوَ غُرْيَانُ
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

دَخَلْتُ عَلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ وَكُنْتُ وَقَعْدِي نِسْتُ مِنَ الدُّخُولِ

كَانَتْ جُمْلَةً ، فَإِنَّهَا مِنْ حَيْثُ هِيَ جُمْلَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ بِالْإِفَادَةِ ، فَتَحْتَاجُ إِلَى مَا يَرْبُطُهَا بِصَاحِبِهَا ، وَكُلُّ مِّنَ الضَّمِيرِ وَالْوَاوِ صَالِحٌ لِلرِّبْطِ ، وَالْأَصْلُ هُوَ الضَّمِيرُ ، بِدَلِيلِ الْمَفْرَدَةِ وَالْخَبَرِ وَالنَّعْتِ . فَأَلْجَأَتْهُ إِنْ خَلَّتْ عَنْ ضَمِيرِ صَاحِبِهَا وَجَبَ فِيهَا الْوَاوُ ، وَكُلُّ جُمْلَةٍ خَالِيَةٍ مِنْ ضَمِيرٍ مَا يَجُوزُ أَنْ يَنْتَضِبَ عَنْهُ حَالٌ يَصِحُّ أَنْ تَقَعَ حَالًا عَنْهُ بِالْوَاوِ إِلَّا الْمُسَدَّرَةُ بِالْمُضَارِعِ

وقد يجاب بأن أمثال ذلك مما ورد في على خلاف الأصل تشبيهاً بالحال .
الثالث : أنها في الحقيقة وصف لذي الحال فلا يدخلها الواو كالنعت ، فظهر لك أن الأصل في الجملة إذا وقعت موقع الحال أن لا يدخلها الواو ، ولكن النظر إليها من حيث كونها جملة مفيدة مستقلة بفائدة غير متحدة بالاولى وغير منقطعة عنها لجهات جامعة بينهما يسهل العذر في أن يدخلهما ما يربطها بالاولى وكل واحد من الضمير والواو صالح للربط والأصل الضمير بدليل الاختصار عليه في الحال المفردة والخبر والنعت . وإذا تمهد هذا فاعلم أن الجملة التي تقع حالا ضربان : خالية عن ضمير ما تقع حالا عنه ، وغير خالية . أما الأولى فيجب أن تكون بالواو لتلا ضمير منقطعة عنه غير مرتبطة به ، وكل جملة خالية عن ضمير ما يجوز (١) أن ينتصب عنه حال يصح أن تقع حالا عنه إذا كانت مع الواو إلا المسدرة بالمضارع المثبت كقولك : جاء زيد ويتكلم عمرو ، على أن يكون ويتكلم عمرو حالا عن زيد . لما سيأتي أن ارتباط مثلها بحب أن يكون بالضمير وحده . وأما الثانية : فتارة يجب أن تكون بالواو وتارة

(١) بأن تكون فاعلاً أو مفعولاً ، مرفعاً أو منكراً مخصصاً . لا مستداً
وغيراً ، ولا نكرة محنة .

الْتَبَتِ نَحْوُ : حَاءٌ زَيْدٌ وَيَتَبَكَّمُ عَمْرُوٌ لِمَا سَيَأْتِي ، وَإِلَّا فَإِنْ كَانَتْ قِصْلِيَّةً
وَالْقِصْلُ مُضَارِعٌ مُثَبَّتٌ اُتْمَتَعَ دُخُولُهَا ، نَحْوُ : وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ ، لِأَنَّ
الْأَصْلَ الْمَفْرُودَةَ ، وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى حُصُولِ صِفَةٍ غَيْرِ ثَابِتَةٍ مُقَارِنٍ لِمَا

يَمْتَنِعُ ذَلِكَ ، وَتَارَةً يَرْجِعُ أَحَدُهُمَا ، وَتَارَةً يَسْتَوِي الْأَمْرَانِ وَالرَّوَاوُ غَيْرُ مُنَافٍ
لِلضَّمِيرِ فِي إِفَادَةِ الرِّبْطِ ، فَتَمْنُنُ التَّنْبِيهُ عَلَى سَبَابِ الْإِخْتِلَافِ ، فَقَوْلُ الْجُمْلَةِ
إِمَّا أَنْ تَكُونَ مُدْلِيَةً وَالْفِعْلُ مُضَارِعٌ مُثَبَّتٌ غَيْرُ مُنْفِي ، وَحِينَئِذٍ تَمْتَنِعُ الرَّوَاوُ بَلْ
تَرَى الْكَلَامَ عَلَى مَجِيئِهَا عَارِيَةً مِنَ الرَّوَاوُ كَقَوْلِهِ :
وقوله :

وَقَدْ عَزَلَتْ قَتُودَ الرَّحْلِ يَسْتَمْنِي يَوْمَ تَحْيِي بِهِ الْجُوزَ الْمَسْمُومَ ^(١)
وقوله :

وَلَقَدْ أَغْتَدَى بِدَافِعٍ رُكْنِي أَحْوَذِي ذُو مَيْمَةٍ إِسْرِيحِ ^(٢)
وَفِي النَّزِيلِ : وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ — وَسَيَجْنِبُهَا الْإِتْنَقُ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ
يَتَزَكَّى — وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . قَالَ الْمُصَنِّفُ : وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ هُوَ أَنَّ
أَصْلَ الْحَالِ الْمَفْرُودَةَ أَنْ تَدُلَّ عَلَى حُصُولِ صِفَةٍ غَيْرِ ثَابِتَةٍ مُقَارِنٍ ذَلِكَ الْحُصُولِ
لَمَا جَعَلَتْ قِيدَآهُ وَهُوَ الْعَامِلُ فِيهَا وَالْمُضَارِعُ الْمُثَبَّتُ كَذَلِكَ ، أَمَّا دَلَالَتُهُ عَلَى
حُصُولِ صِفَةٍ غَيْرِ ثَابِتَةٍ فَلِأَنَّهُ فِعْلٌ مُثَبَّتٌ وَالْفِعْلُ الْمُثَبَّتُ يَدُلُّ عَلَى التَّجَدُّدِ وَعَدَمِ

(١) اُتْمَتَعَ جَمْعُ قَتَدٍ : وَهُوَ خَشَبُ الرَّحْلِ الْمَعْبُودِ ، وَيُسْفَعُهُ الْيَوْمُ : يُلْحَقُهُ
بِحَرِّهِ فَيَغْيِرُ لَوْنَهُ ، وَأَصْلُهُ تَأْثِيرُ النَّارِ وَتَلْعِيقُهَا مَا تَصْبِيهِ ، وَالْجُوزَاءُ : بَرَجٌ تَنْزِلُهُ
الشَّمْسُ فِي آخِرِ الرَّبِيعِ ، وَحِينَئِذٍ تَهْبِ الرِّيحُ الْحَارَّةُ وَالْيَوْمُ مَسْمُومٌ بِرِيحِهِ حَارَّةٌ .
(٢) الْأَحْوَذِي : الْحَادِثُ ، وَمَيْمَةُ الْفَرَسِ : أَوَّلُ جَرِيهِ وَأَنْفَطَهُ ،
وَالْإِسْرِيحُ : الْفَرَسُ الشَّدِيدُ الْعَدْوِ .

جِئْتُ قَيْدَالَهُ ، وَهُوَ كَذَلِكَ ، أَمَّا الْحُصُولُ فَلِكُونِهِ فِعْلاً مُتَّبِعًا ،
وَأَمَّا الْقَارَنَةُ فَلِكُونِهِ مُضَارِعًا ، وَأَمَّا مَا جَاءَ مِنْ نَحْوِ : قُتُّ وَأَصْكُ
وَجِبَةُ ، وَقَوْلُهُ :

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظْلَافَهُمْ نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالِيكَ .
فَقِيلَ عَلَى حَذْفِ الْمَبْتَدَأِ ، أَيْ وَأَنَا أَصْكُ وَأَنَا أَرْهَنْتُهُمْ ، وَقِيلَ
الْأَوَّلُ شَاذٌ وَالثَانِي ضَرُورَةٌ ، وَقَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : هِيَ فِيهَا لِلْمَقْطَفِ وَالْأَصْلِ

النبوت ، وأما دلالة على المقارنة فلكونه مضارعاً وهو يصلح للحال . وأما
قول ابن همام السلولي :

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظْلَافَهُمْ نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالِيكَ
في رواية من رواه وأرهنهم ، وما شبهوه به من قولهم . قُتُّ وَأَصْكُ
وجهه ، فقيل على حذف المبتدأ ، أَيْ وَأَنَا أَرْهَنْتُهُمْ وَأَنَا أَصْكُ ، فنكون الجملة
اسمية ، وقيل الأول ضرورة والثاني شاذ . وقال الشيخ الإمام : ليست الواو
فيهما للحال بل هي المقطف ، وأرهن وأصك بمعنى رهنن وصككت ، وعدل
إلى صيغة المضارع لحكاية الحال كما في قوله :

وَلَقَدْ أُمِرْتُ عَلَى اللَّيْسِ بِسَبْئِي فَقَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لَا يَمْنِي
يبين ذلك أنك ترى الفاء تحجب مكان الواو في مثل هذا ، وذلك كبحر ما في
البحر في حديث عبد الله بن عتيك حين دخل على أبي رافع اليهودي حصنه قال :
فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم لا أدرى أَيْ هو من البيت ، قُتُّ
أَبَا رَافِعٍ ، فَقَالَ مِنْ هَذَا ، فَأُجِيبَتْ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَخْرَجَهُ بِالسِّيفِ . وَأَنَا دَعَشُ ،
فَكَأَنَّ أَضْرِبَهُ مُضَارِعٌ قَدْ عَطَاهُ بِالْهَاءِ عَلَى مَاضٍ لِأَنَّهُ فِي الْمَضِيِّ مَاضٍ .

وَصَكَّكَتْ وَرَهَنْتُ ، عَدِلَ عَنْ لَفْظِ الْمَاضِي إِلَى الْمَضَارِعِ لِجَوَابَةِ الْحَالِ
وَإِنْ كَانَ مَدْنِيًّا فَلَا مَرَانٍ ، كَقِرَاءَةِ ابْنِ ذَكْوَانَ : فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ
بِالتَّخْفِيفِ وَنَحْوِ : وَمَالَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ لِدَلَالَتِهِ عَلَى الْمُقَارَنَةِ لِيَكُونَ مَضَارِعًا

كذلك يكون أرهنتهم معطوفاً على الماضي قبله ، وكلا لا يشك في أن المعنى في
الخبر فأموت فضررت ، كذلك يكون المعنى في البيت نجومت ورهنت . قلنا
إن الجملة إن كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع الواو ، أما إن دخل
حرف نفي على المضارع فإنه يجوز فيه الأمران ، وذلك مثل قراءة ابن ذكوان :
فاستقيما ولا تتبعان ، بتخفيف النون ^(١) ، وقولهم : كنت ولا أحنى بالذنب ،
وقول مسكين الدارمي :

أَكْسَبَتَهُ الْوَرِقُ الْبَيْضُ أَبَا وَلَقَدْ كَانَ وَلَا يُدْعَى لِأَبٍ

وقول مالك بن ربيع وكان جني جناية فطلبه مصعب بن الزبير :

أَنَا نِي مُصَّصٌ وَبَنُو أَبِيهِ فَأَيُّنَ أَحِيدُ عَنْهُمْ لَا أَحِيدُ

أَفَادُوا مِنْ دَمِي وَتَوَعَّدُونِي وَكُنْتُ وَمَا يَنْهَنِي الْوَعِيدُ

كان في غذاكله نامة ، والجملة الداخلة عليها الواو في موضع الحال ولا معنى
لجمعها ناقصة ، وجعل الواو مزيدة وليس بجي . المضارع حالا على هذا الوجه
مميز في الكلام ألا تراك تقول : جعلت أمشي ولا أدرى أين أضاع رجلي ،
وجعل يقول ولا يدري ، وقال أبو الأسود :

يُعِيبُ مَا يَدْرِي وَيُخْفِي وَمَا يَدْرِي وَكَيْفَ يَكُونُ النَّوْكَ إِلَّا كَذَلِكَ

(١) فإنها تكون حقة نون رفع وتكون لا لتنفذ دون التي والواو للحال .

ذَوْنَ الْحُسُولِ لِيَكُونَهُ مَنفِيًّا . وَكَذَا إِنْ كَانَ مَاضِيًا أَفْطًا أَوْ مَقِيًّا
كَقَوْلِهِ تَعَالَى: أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ ، وَقَوْلِهِ : أَوْجَاؤُكُمْ

وهو شائع كثير . ومثال مجيء المضارع منفياً حالاً من غير واو قوله :
مَضَوْا لَا يُعِيدُونَ الرَّمَاحَ وَعَلَاهُمْ مِنْ الدَّهْرِ أَشْبَابُ جَرِيْنٍ عَلَى قَدَرٍ
وقول أوطاة بن سية وهو لطيف جداً :

إِنْ تَلَقَّى لَا تَرَى غَيْرِي بِنَافِثَةٍ تَنْسُ السِّلَاحَ وَتَنْوِرُ جَبْهَةَ الْأَسَدِ
قوله لا ترى في موضع حال ، ومثله في اللفظ قول أعشى مدنان وصحب
عباد بن ورقاء إلى أسهبان فلم يحمدوه فقال :

أَتَيْنَا إِصْبَابَانَ فَهَرَّائِنَا وَكُنَّا قَبْلَ ذَلِكَ فِي نَعِيمٍ
وَكَانَ سَفَاةً مِنِّي وَجْهَلًا مَيِّرِي الْأَسِيرَ إِلَى جَيْمٍ

وقال خالد بن يزيد بن معاوية :

لَوْ أَنِّي قَوْمًا لَا ارْتِفَاعَ قَبِيْلَةٍ دَخَلُوا السَّمَاءَ وَخَلَّتْهَا لَا أَحْجَبُ

وهو كثير إلا أنه لا يمتد إلى وضعه بالموضع المرضي إلا من كان
صحيح الطبع ، قال المصنف : والسبب في جواز الأمرين هو دلالة المضارع على
المقارنة لكونه مضارعاً دون الحصول لكونه منفياً ، أي والمقارنة يناسبها
ترك الواو وعدم الحصول بناسبه وجودها ، وأما ، إن كان الفعل ماضياً لفظاً
أو معنى ، فكذلك مجيء بالواو وبني الواو ، أما بجيشه بالواو فكثير البناء
كقولك : أَفَانِي وَقَدْ حَبَدَ السَّيْرُ ، وقال تعالى : أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ
الْكِبَرُ ، وقال امرؤ القيس :

أَتَحْتَلِفِي وَقَدْ شَفَعْتُ فَوَادِعَهَا كَمَا شَفَعْتُ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلِ الطَّالِي

حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ، وَقَوْلِهِ : أُنَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ، وَقَوْلِهِ :
فَاتَّخَذُوا نِعْمَةً مِنْ أَلهِ وَقَضَلِي أَمْ يَمَسُّهُمْ سُوءٌ ، وَقَوْلِهِ : أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ

وقال :

فَعِثْتُ وَقَدْ نَضْتُ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا لَدَى السُّتْرِ إِلَّا لِنِسَةِ الْمُتَفَضِّلِ
هذا في الماضي لفظاً ، وأما الماضي (١) معنى فتأله قوله تعالى : أو قال أوحى
إلى ولم يوح إليه شيء ، وقوله : أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ، وقول كعب :
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ أَذْنِبْ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ
وقوله تعالى : أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ
قَبْلِكُمْ وقول الشاعر :

بَانَتْ قَطَامٌ وَأَمَّا يَحْظُ ذُو مِقَةٍ مِنْهَا يَوْصَلُ وَلَا إِنْجَازٍ مِمَّاعِدِ
وأما بنير الواو فكقوله تعالى : أوجاؤكم حصرت صدورهم وقول الشاعر :
يَتَشَوَّنُ قَدْ كَثُرُوا الْجَفُونَ إِلَى الْوَعَى مُتَبَسِّمِينَ وَفِيهِمْ اسْتِثْشَارُ
وقوله :

فَأَبَوْا بِالرَّاحِ مُكْشَّرَاتٍ وَأَبْنَا بِالسُّيُوفِ قَدْ احْتَنَيْنَا
وقول الآخر :

مَتَى أَرَى الصَّبِيحَ قَدْ لَاحَتْ مَحَابِلُهُ وَاللَّيْلَ قَدْ مَزَقَتْ عَنْهُ السَّرَابِيلُ
وكقوله تعالى : فاتخذوا نعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، وقوله : ورد
الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً له وقول امرئ القيس :

(١) المراد به المضارع المتفق بلم ولما .

تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ؛ أَمَّا الْمُنْتَبِتُ
فَلَدَلَاتِهِ عَلَى الْحُصُولِ ، لِيَكُونَهُ فِعْلًا مُثَبَّتًا ، دُونَ الْمَقَارَنَةِ ، لِيَكُونَهُ مَاضِيًا
وَلِهَذَا اشْتَرَطَ أَنْ يَكُونَ مَعَ قَدْ ظَاهِرَةً أَوْ مُقَدَّرَةً ، وَأَمَّا الْمُنْتَبِتُ فَلَدَلَاتِهِ
عَلَى الْمَقَارَنَةِ دُونَ الْحُصُولِ ، أَمَّا الْأَوَّلُ فَلِأَنَّ لَمَّا لِلِاسْتِغْرَاقِ ، وَغَيْرُهَا
لِإِتِّفَاعٍ مُتَقَدِّمٍ مَعَ أَنَّ الْأَصْلَ اسْتِمْرَارُهُ ، فَتَحْصُلُ بِهِ الدَّلَالَةُ عَلَيْهَا

• فَأَذْرَكَ لَمْ يَجْعَدْ وَلَمْ يَنْشِ شَأْوُهُ •

وقول زهير :

كَأَنَّ فِتَاةَ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ تَزَلْنَ بِه حَبِّ النَّفَا نَمْ يُحْطَمُ

وقول الآخر :

قَالَتْ لَهُ الْعَيْنَانِ سَمْعًا وَطَاعَةً وَحَدَرْنَا كَالدَّرِّ لَمَّا يُنْقَبُ

قال المصنف : والسبب في أن جاز الأمران فيه إذا كان مثبتًا دلالة على
حصول صفة غير ثابتة لكونه فعلًا ، وعدم دلالة على المقارنة لكونه ماضيًا ،
ولهذا اشترط أن يكون مع قد ظاهرة أو مقدره حتى يقربه إلى الحال فيصح
وقوعه حالا ، وظاهر هذا يقتضي وجوب الواو في المنق لا انتفاء المعنيين ،
لكنه لم يجب فيه بل كان مثله ، أما المنق بلّا فلأنها للاستغراق ، وأما المنق
بغيرها فلأنه لما دل على انتفاء متقدم وكان الأصل استمرار ذلك حصلت

(١) يقول كأن قطع الصوف المصروغ الذي زفت به الموادج في كل
منزل نزلت هؤلاء السورة حب عجب الثعلب في حال كونه غير محطم لأنه إذا
حطم زالجه لونه .

عند الإطلاق ، بخلاف الثبوت ، فإن وضع الفعل على إفادة التجدد وتحقيقه أن استمرار العدم لا يقتضي إلى سبب ؛ بخلاف استمرار الوجود ، وأما الثاني فليكونه متفياً . وإن كانت اسمية فالشهور جواز تركها لتركها ماعرف في الماضي الثبوت ، نحو : كلمته فوه إلى ق

الدلالة على المقارنة عند إطلاقه بخلاف الثبوت ، فإن وضع الفعل على إفادة التجدد ، وتحقيق هذا أن استمرار العدم لا يقتضي إلى سبب ، بخلاف استمرار الوجود كما بين في غير هذا العلم ، وأما ، إن كانت الجملة اسمية فالشهور جواز الأمرين ، وأن يحى الوار أول ، مثال وجود الوار قوله تعالى : فلا تجعلوا لله أنداداً ، وأنتم عما تكون في المساجد ، وقول الشاعر :

لَيْلِي تَذْغُونِي الْهَوَى وَأَجِينِي وَأَعِينُ مَنْ أَهْوَى إِلَى رَوَانِ

ومثال تركها ما رواه سيويه كلمته فوه إل في ورجع عوده على بده ، في قول من رفع ويت الإصلاح :

فَصَنَتِ النَّهَارَ لِلنَّاءِ غَامِرَةً وَرَفِيقَهُ بِالْقَيْسِ لَا يَدْرِي^(١)

وما أنشده أبو علي في الإغفال :

وَلَوْلَا حُلُلُ اللَّيْلِ مَا آبَ غَامِرٌ إِلَى جَفَرٍ سِرْبَالُهُ لَمْ يَمِزْزِ

وقول الآخر :

• مَا بَلَ غَفِيكَ دَمْنَهَا لَا يَرْقَا •

(١) يصف غامراً على الهر ؛ يقول إنه بنى غامراً تحت الماء من الصباح

إلى الظهر ورقيقه المسك الجبل على الهر لا يدري .

وَأَنَّ دُخُولَهَا أَوَّلَى ، لِعَدَمِ دَلَالَتِهَا عَلَى عَدَمِ الثَّبُوتِ ، مَعَ ظَهْرِ الاسْتِنَافِ فِيهَا ، فَحَسُنَ زِيَادَةُ رَابِطِ ، نَحْوُ : فَلَا تَحْمِلُوا اللَّهَ أَثَدَا وَأَنْتُمْ تَقْلُونَ : وَقَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : إِنْ كَانَ الْمُبْتَدَأُ خَمِيرَ ذِي الْحَالِ وَجَبَتْ ، نَحْوُ : جَاءَ زَيْدٌ وَهُوَ

قال المصنف : أما جواز الأمرين فلنعكس ما مر في الماحي المثبت يعني دلالة الاسمية على المقارنة لكونها مستمرة لا على حصول صفة غير ثابتة لدلالاتها على الدوام والثبوت ، وأما أن يجيء الواو أول فلعدم دلالة الاسمية على عدم الثبوت مع ظهور الاستئناف فيها لاستقلالها بالقاعدة فتحسن زيادة رابطة ليتأكد الربط ، وقال ، الشيخ الإمام : إِنْ كَانَ الْمُبْتَدَأُ خَمِيرَ ذِي الْحَالِ وَجِبَ الْوَائِدُ . كقولك جاء زيد وهو يسرع أو وهو مسرع ، وسبب ذلك أن الجملة لا تترك فيها الواو حتى تدخل في صلة الهامل وتنضم إليه في الإنبات ، وتقدر تقدير المفرد في أن لا يستأنف لها الإنبات وهذا مما يتمتع في نحو جاء زيد وهو يسرع أو وهو مسرع ، لأنك إذا أعدت ذكر زيد وجئت بضميمه المنفصل المرفوع كان جملة إعادة اسمه صريحاً في أنك لا تجد سبيلاً إلى أن تدخل يسرع في صلة الجمي ، وتضمه إليه في الإنبات لأن إعادة ذكره لا تكون حتى تقصد استئناف الخبر عنه بأنه يسرع وإلا لكنت تركت المبتدأ بمضيعة وجعلته لغواً في البين ، وجرى مجرى أن تقول : جاء في زيد وعمرو يسرع أمامه ، ثم تزعم أنك لم تستأنف كلاماً ولم تبدئ بالسرعة إنباتاً ، وعلى هذا فالأصل والقياس أن لا يجيء الجملة الاسمية إلا مع الواو وما جاء بدونه فسيطه سيل الشيء الخارج عن قياسه وأصله بضرب من التأويل ووع من التشبيه بقولهم : فوه إلى في ، معناه مشافهاً ، وقولهم : عوده على يده ، معناه ذاهباً في طريقه الذي جاء منه ، وأما قوله :

يسرع أو وهو مشرع ، وإن قيل نحو : على كفيه سيفٌ حالاً كثر

إذا أثبت الواو تساه ~~وجنته حاضراً الجود والكرم~~
 فلامه بسبب تقديم الخبر قرب في المعنى من قولك وجنته حاضراً عنده
 الجود والكرم ، ونزيل الشيء ميزة غيره ليس يعزى في كلامهم ، ويجوز أن
 يكون جمع ذلك على إرادة الواو كما جاء الماضي على إرادة قد . (وبعد) قد
 وجب علينا الآن أن نتعكك أيها القارئ بما قاله ذلك الإمام في بيان العمل
 والأسباب التي اقتضت أن يختلف الأمر بالجل الواقعة حالاً هذا الاختلاف
 وأن يكون منها جملة لا تصلح إلا مع الواو ، وأخرى لا تصلح فيها الواو ،
 وثالثة تصلح أن يحمى فيها بالواو وأن ندعى (قال) ما لحواه إن كل جملة
 وقعت حالاً ثم استتمت من الواو فذاك لأجل أنك عمدت إلى الفعل الواقع
 في صدرها فضممت إلى الفعل الأول في إثبات واحد ، وكل جملة جاءت حالاً
 ثم اقتضت الواو فذاك لأمك مستأنفها خبراً ، فإذا قلت جادني زيد يسرع ،
 كان بمنزلة جادني مسرعاً في أنك تثبت له بحيثاً فيه إسرار وتصل أحد المعنيين
 بالآخر ، ويجعل الكلام خبراً واحداً . كأنك قلت جادني بهذه الهيئة ، وإذا
 قلت جادني زيد وهو مسرع أو وعلامه يسمى بين يديه أو وسيفه على كفه
 كان المعنى على أنك بدأت فأثبت المحي . ثم استأنفت خبراً وابتدأت إثباتاً
 ثانياً لما هو مضمون الحال ولهذا احتجج إلى ما يربط الجملة الثانية بالأولى المحي
 بالواو كما جرى بهما في قولك العلم حسن والجهل مبيح ، وتسميتنا لها واو حال
 لا نخرجها عن كونها بمنزلة ضم جملة إلى جملة كالفاء في جواب الشرط ،
 فإنها بمنزلة العاطفة في أنها جاءت لربط جملة ليس من شأنها أن ترتبط بنفسها ،
 فاجمعة في نحو : جادني زيد يسرع ، بمنزلة الجزلة المستغنى عن القاء ، لأن
 من شأنه أن يرتبط بنفسه ، والجملة في نحو جادني زيد وهو مسرع أو وعلامه

فِيهَا تَرَكْنَاهَا ، نَحْوُ * خَرَجْتُ مَعَ الْبَازِي عَلَى سَوَادِهِ وَيَحْسُنُ التَّرْكُ تَارَةً
لِدُخُولِ حَرْفٍ عَلَى الْمُبْتَدَأِ كَقَوْلِهِ :

فَقُلْتُ عَسَى أَنْ تُبَصِّرَنِي كَأَنَّمَا بَنِي حَوَالِي الْأَسْوَدُ الْخَوَارِذُ

يسمى بين يديه أو سيفه على كفه بمنزلة الجواز الذي ليس من شأنه أن يرتبط
بنفسه (ثم) قال الشيخ : وإن جمل نحو على كفه سيف بتقديم الظرف حالا عن
شيء كان قولنا جازي زيد على كفه سيف كثر فيها أن يحىء بغيره واو كقول بشر :
إِذَا أُنْكَرْتَنِي طَلَّةً أَوْ نَكْرَتْنَاهَا خَرَجْتُ مَعَ الْبَازِي عَلَى سَوَادِ
بني على بقية من الليل ، وقول أمية :

فَأَشْرَبَ هَيْدَتَانِ عَيْنِكَ التَّاجَ مُرْتَفِقًا فِي رَأْسِ عُذَّانِ دَارِأٍ مِنْكَ غِلَظًا
وقول الآخر :

لَقَدْ صَبِرْتَ لِلْفِي أَحْوَاذٍ مِنْبَرٍ تَقُومُ عَلَيْهَا فِي يَدَيْكَ قَضِيبُ

ثم قال : والوجه أن يقدر الاسم في الأمانة مرتفعاً بالظرف فإنه جازي
باتفاق من صاحب الكتاب ، وأبي الحسن لا يعتمد على ما قبله . ثم ينبني أن
يقدّر منها خصوصاً أن الظرف في تقدير اسم الفاعل دون العمل . المهم إلا
أن يقدر فعلاً ماضياً مع قد (ومن) كلام الشيخ قوله : وما ينبني أن يراعى
في هذا الباب أنك ترى الجملة قد جاءت حالا بغير واو فيحسن ذلك ، ثم تنظر
فترى أنك إنما حسن من أجل حرف دخل عليها مثاله قول الفهرزدق :

فَقُلْتُ عَسَى أَنْ تُبَصِّرَنِي كَأَنَّمَا بَنِي حَوَالِي الْأَسْوَدُ الْخَوَارِذُ (١)

فإنه لو لا دخول كان عليه ، لم يحسن الكلام إلا بالواو ، كقولك عو

(١) الخوارذ : جمع حورذ ، وهو المجتمع الخاق المربب المنظر يري لمزته .
كالنضبان .

وَأُخْرَى لِنُفُوجِ الْجَنَّةِ الْإِسْمِيَّةِ بِعَقِبِ مُفْرَدٍ ، كَقَوْلِهِ :

وَاللَّهُ يُبْقِيكَ لَنَا سَالِمًا * بَرْدًا تَبْجِيلٌ وَتَعْظِيمٌ

﴿ الْإِيحَارُ وَالْإِطْنَابُ وَالْمَسَاوِدُ ﴾

السَّاكِنُ : أَمَا الْإِيحَارُ وَالْإِطْنَابُ فَلِكَوْنِهِمَا نِسْبَتَيْنِ لَا يَتَنَسَّرُ
الْكَلَامُ فِيهِمَا إِلَّا بِتَرْكِ التَّحْقِيقِ وَالتَّعْيِينِ ، وَالْبِنَاءِ عَلَى أَمْرِ عُرْفٍ ،
وَهُوَ مُتَعَارَفُ الْأَوْسَاطِ ، أَيْ كَلَامُهُمْ فِي تَجْرَى عُرْفِهِمْ فِي تَأْدِيقِ
الْعَاقِبِي ، وَهُوَ لَا يَحْمَدُ فِي بَابِ الْبَلَاغَةِ وَلَا يَذْمُ : فَالْإِيحَارُ أَدَاةُ الْقَبْضِ

أَنْ بَصِيرَتِي وَبَنَى حَوَالِي الْأَسْوَدِ . وَشِبْهِ هَذَا أَنْ تَقَعَ حَالًا بِعَقِبِ مُفْرَدٍ حَالٍ
فِي لُغَتِ مَكَانٍ ، بِخِلَافِ مَا رَأَوْا أَفْرَدَتْ ، كَقَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ :

وَاللَّهُ يُبْقِيكَ لَنَا سَالِمًا * بَرْدًا تَبْجِيلٌ وَتَعْظِيمٌ

فَإِنَّهُ لَوْ قَالَ : وَاللَّهُ يُبْقِيكَ لَنَا بَرْدًا تَبْجِيلٌ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا (الْإِيحَارُ وَالْإِطْنَابُ)
هُوَ بَابُ رَفِيعِ الْمَزَلَةِ شَامِخٍ فِي الشَّرَفِ بَلْ هُوَ أَفْعَالُ الْبَلَاغَةِ الَّتِي تَعْلَسُ مِنْهُ وَنَابِهَا
الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهُ وَقَدْ يَأْتِي تَكْلُمُ الْعُلَمَاءِ فِيهِ وَأَفْرَدُوهُ بِالْقَوْلِ وَالْإِيضَاحِ وَقَدْ أَقْبَى الْمَصْنُفُ
رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ جُمْلَةِ صَالِحَةِ سَنَعِهِمْ إِلَيْهَا مَا تَكُنْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَيُتْلَجُ مِنَ الصَّدْرِ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ (نِسْبَتَيْنِ) لِأَنَّ الْمَوْجِزَ إِنَّمَا يَكُونُ مَوْجِزًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَلَامٍ أَزِيدُ مِنْهُ ،
وَكُنَّا الْمَطْلَبَ إِنَّمَا يَكُونُ مَطْلَبًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا هُوَ أَفْعَالُ مِنْهُ (الْأَوْسَاطِ) أَيْ
الَّذِينَ لَمْ يَرْتَحُوا إِلَى ذُرُومِ الْبَلَاغَةِ وَلَمْ يَتَدَلُّوا إِلَى حَنِيضِ السِّبْغِ وَالْقَهْقَرَةِ (وَهُوَ)

بِأَقْلٍ مِنْ عِبَارَةِ الْمُتَعَارِفِ ، وَالْإِطْنَابُ أَدَاؤُهُ بِأَكْثَرِ مِنْهَا ، ثُمَّ قَالَ :
 الْإِخْتِصَارُ لِيَكُونَ نِسْبِيًا يُرْجِعُ فِيهِ ذَرَّةٌ إِلَى مَا سَبَقَ ، وَأُخْرَى إِلَى كَوْنِ
 الْقَامِ خَلِيقًا بِأَبْسَطِ مَا ذَكَرَ ؛ وَفِيهِ ظَرْفٌ ، لِأَنَّ كَوْنَ الشَّيْءِ نِسْبِيًا
 لَا يَقْتَضِي تَمَثُّرَ تَحْقِيقِ مَعْنَاهُ ، ثُمَّ الْبِنَاءُ عَلَى الْمُتَعَارِفِ وَالْبَسْطُ لِلْمَوْصُوفِ
 رَدًّا إِلَى الْجَهْلَةِ ، وَالْأَقْرَبُ أَنْ يُقَالَ : لِلْقَبُولِ مِنْ طَرِيقِ التَّعْيِيرِ عَنِ الْوَرَادِ
 تَأْيِيدُهُ أَصْلُهُ يَلْفِظُ مُسَاوِلَهُ أَوْ نَقِصَ عَنْهُ وَافٍ ، أَوْ زَائِدَ عَلَيْهِ لِتَأْيِيدِهِ ؛
 وَاسْتَحْزَرَ يَوَافٍ عَنِ الْإِخْلَالِ ، كَقَوْلِهِ :

وَالْمَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلَالِ لِي النُّوْكِ بِمَنْ عَاشَ كَذَا

أى هذا الكلام الذى هو متعارف الأوساط (إلى ماسبق) أى إلى اعتبار
 متعارف الأوساط (بما ذكر) أى بما ذكر فى المقام (ثم البناء على المتعارف
 والبسط الموصوف) بأن يقال الإيجاز قد يكون لكونه أقل من المتعارف ؛
 وقد يكون لكونه لقام خليقاً بكلام أبسط من الكلام المذكور . هذا ،
 وقد نصر القوم صاحب المتناح على المصنف بما لا يسه شرحنا وليس بطالب
 البلاغة حاجة وحذا صبيح المصنف لو كان كفى نفسه مؤنة الاعتراض بمد
 وله عن كلام السكاكى ، وقصده لأول وهلة إلى ما هو بالملاحة أسس وبمصنفه
 ألقى (عن الإخلال) وهو أن يكون اللفظ قاصراً عن أداء المعنى ، كقول
 الحرث بن حذوة البشكري :

والميش خير في ظلال لى النوك عن عاش كذا

أراد والميش الناعم خير في ظلال النوك — بضم النون وقتحها الحق —

أَيِّ النَّاعِمِ وَفِي ظِلَالِ الثَّقَلِ ، وَبِقَائِدَةِ عَنِ التَّطْوِيلِ ، نَعُو :
 * وَالَّتِي قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيِّنًا * وَعَنِ الْخُشُوِ الْمُفِيدِ كَالنَّدَى فِي قَوْلِهِ :
 وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِشَجَاعَةِ وَالنَّدَى * وَصَبْرِ الْعَقَى لَوْلَا لِقَاءُ شُعُوبِ

من الميث الساق في خلال الثقل - وليس يدل لحن كلامه على هذا ، فهو من الإيجاز المقتصر ، ومن ذلك قول الآخر :

أَعَاذِلُ عَاجِلُ مَا أَشْتَهِي أَحَبُّ مِنِّ الْأُسْرَةِ الرَّائِيَةِ
 يريد عاجل ما أشتهى مع العلة ، أحب إليه من راتته مع الكثرة ، ومثله قول عروة بن الورد

عَجِبْتُ لَمْ إِذْ يَقْتُلُونَ نَفْسَهُمْ وَمَقْتَلُهُمْ عِنْدَ الْوَعَى كَانَ أَعْدَرًا
 يعني إذ يقتلون نفوسهم في السلم (عن التطويل) وهو أن لا يتعين الزائد في الكلام كقول عدي بن زيد العبادي من قصيدته التي أولها :

أَبْدَلْتُ الْمَنَازِلُ أُمَّ عَيْيَا بِقَادِمِ عَهْدِهِنَّ فَقَدْ بَلَّيْنَا
 وهو يذكر غدر الزباء بمجذبة الأبرش :

وَقَدَّذَتِ الْأَدِيمَ رَاغِبِيهِ وَالَّتِي قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيِّنًا

فإن الكذب والمين واحد ، ولا يتعين أحدهما الزيادة ، والتقدير : التقطيع ، والأديم : الجلد ، والرهشان : الرقان في باطن الذراع (في قوله) أي قول أبي الطيب المتنبي (ولا فضل فيها) يقول : لا فضل في الدنيا للشجاعة والصبر والندي لولا الموت . وهذا الحكم صحيح في الشجاعة والصبر دون الندي ، لأن الشجاع إذا علم علماً ليس بالظن أنه يخلد في الدنيا ، فإن عليه احتمال الحروب والمنازك لآمنه من الهلاك إذ ذاك فلم يكن هنا فضل ، وكذا الصابر

وَعَبَّرَ الْفَيْدِ ، كَقَوْلِهِ : « وَأَعْلَىٰ عِلْمِ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ »

إِذَا بَيَّنَّ بَرُولَ الْمَكْرُوهِ وَبَقَاءَ الْعَمْرِ مَا نَ عَلَيْهِ صَبْرُهُ لَوُثُوتهِ بِالْخِلَاصِ . وَأَمَّا
النَّدَى فَعَلِيَ الْعَكْسَ مِنْ ذَلِكَ ، لِأَنَّ الْبَازِلَ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يَمُوتُ مَا نَ عَلَيْهِ بَذْلُهُ .
وَلِهَذَا يَقُولُ إِذَا عَوَّبَ فِيهِ كَيْفَ لَا أَبْذُلُ مَا لَا أَبْقِي لَهُ أُنَى بِالْفَتْحِ هَذَا
الْمَالُ . وَعَلَيْهِ قَوْلُ طَرِيقَةِ بْنِ الْعَبْدِ :

فَإِنْ كُنْتُ لَا تَسْتَعِيجُ دَفْعَ مَنِيَّتِي فَدَعْنِي أَبَادِيَهَا بِمَا مَسَكَتْ يَدِي
وقول ميار الهيلي :

فَكُلُّنَا إِنَّمَا بَعَثْنَا وَأَحْمِيحُ أَخَانَكْ فَلَا تَزَادُ يَنْتَقِي وَلَا الْآبِلُ

فلو علم أنه يهلك ثم جاء بما له كان جوده أفضل وعلى كرم الطبع أدل ، وقد
تعمل بعضهم بأن المراد بالندي في البيت ، بذل النفس لا بذل المال ، كما قال
سلم بن الوليد :

يَتَجَوَّدُ بِالنَّفْسِ إِنْ ضَنَّ الْجَوَادُ عَلَيْهَا وَالتَّجَوَّدُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجَوَادِ

ورداً بأن لفظ الندي لا يكاد يستعمل في بذل النفس ، وإن استعمل فعل
وجه الإضافة ، فأما مطلقاً فلا يفيد إلا بذل المال ، نعم قال ابن جني إن في
الخلود وتنقل الأحوال فيه من عمر إلى يسر ، ومن شدة إلى رخاء ، ما يسكر
النفوس ويسهل البؤس فلا يظهر لبذل المال كثير فائدة ، وهو قريب (كقوله)
القاتل هو زهير بن أبي سلى (وأعلم) وتامه :

• وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدِي عَمِي •

فأنت ترى أن قوله قبله مستثنى عنه إلا أنه غير مفيد ، فإن قلت قد يقال
أبصرته بيني وسمعت بأذني وضربت بيدي . ولا يحمل مثل هذا من الجحوى

﴿الْمِثْلُ بِالنَّظِيرِ﴾ : وَلَا يَخِيقُ لِلْكَرِّ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ، وَقَوْلُهُ :

لوقوعه في النزول مثل : فويل لهم عما كسبت أيديهم ، قلنا أمثال ذلك إنما يقال في مقام ينتقل إلى التوكيد ، كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا لقد كتبت يمينك هذه ، وأما قوله تعالى : ذلك قولهم بأفواههم . فمننا أنه قول لا يعنده برهان لما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحت كالاتفاظ المهمة التي هي أجراس ونغم لا تدل على معان ، وذلك أن القول السال على معنى لفظه مفعول بالهم ومعناه مؤثر في القلب ، وما لا معنى له مقول بالهم لا غير (نحو : ولا يمين) ومن المساواة هذه الآيات المشهورة :

وَلَمَّا قَعَيْنَا مِنْ مِثْقَلٍ حَاجِيَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأُزْكَانِ مَنْ هُوَ مَسَّحٌ
وَشَدَّتْ عَلَى ذَهَبٍ مَطْلَبًا رَحَائِنًا وَلَمْ يَنْظُرِ الْفَادَى الَّذِي هُوَ رَاشِحٌ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَغْنَانِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحِ

ومنها تلك الآيات التي قال فيها الجاحظ ، لا أعرف شعراً يفضل هذه الآيات التي لأبي نواس :

وَدَارِ مَدَامِي عَطَّلُوهَا وَأَدْلَجُوا بِهَا أَتَرٌ مِنْهُمْ جَهِيدٌ وَدَارِسٌ
مَسَاحِبٌ مِنْ جَرِّ الرِّقَاقِ عَلَى التَّرَى وَأَضْحَاثُ رِيحَانٍ جَفِيٍّ وَيَابِسُ
حَبَسَتْ بِهَا تَحْفِي فَجَدَّدَتْ عَهْدَهُمْ وَإِنِّي قَرَأْتُ أَمْثَالِ تِلْكَ لَعَابِسُ
نَذَارَ عَمَامَا الرِّيحِ فِي عَسَجِدِيَّةٍ حَبَبَهَا بِتَوَاجِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ
قَرَارَتِهَا كِسْرَى وَفِي جَنَابَتِهَا مِمَّا تَدْرِيسُهَا بِالتَّيْسِ النُّوَارِسُ

فَبَاكَ كَالْبَيْتِ الَّذِي هُوَ مُدْبِرُكَ ۖ وَإِنْ خِلْتَ أَنَّ أَلْمَتَانِ عَنْكَ وَاسِعَ
وَالْإِيمَارُ مَرْنَانِ : إِمَارَةُ الْقَعْرِ وَهُوَ مَا لَيْسَ بِعَذْفٍ ، نَحْوُ :
وَلَكُمْ فِي الْقِعَاصِ حَيَاةٌ ، فَلَنْ مَمْنَاهُ كَثِيرٌ وَلَقِظَةُ بَيِّزٍ ، وَلَا حَذَفَ فِيهِ

فَلَرَّاحٍ مَا زُرْتُ عَلَيْهِ جُنُونًا . وَاللَّهُ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَابِسُ

(فَإِنَّكَ كَالْبَيْتِ) أَيْتِ النَّابِغَةِ الذِّيَانِي مِنْ قَصِيدَةِ يَمْدَحُهَا أَبُو قَابُوسَ وَهُوَ
النَّهْجَانُ بْنُ الْمَنْذَرِ مَلِكُ الْحَمِيرَةِ . يَقُولُ : إِنَّهُ لَا يَفُوتُ الْمَدْمُوحَ وَإِنْ أَبَدَ فِي الْمَرْبِ
وَسَارَ إِلَى أَصْحَى الْأَرْضِ لَسَعَةً مَلِكُهُ وَطُولُ يَدِهِ ، وَلَئِنْ لَمْ فِي جَمِيعِ الْآفَاقِ
مَطِيعًا لَأَمْرِهِ يَرُدُّ الْمَارِبَ إِلَيْهِ . وَقَدْ انْتَقَدَ الْأَصْحَمِيُّ النَّابِغَةَ ، فَقَالَ : أَمَا تَشْبِيهِ
الْإِدْرَاكَ بِالْبَيْتِ فَقَدْ نَسَاوَى الْبَيْتَ وَالْمَارِبَ فِيمَا يَدْرِكُهُ ، وَإِنَّمَا كَانَ سَبِيلُهُ أَنْ يَأْتِيَ
بِمَا لَا قِسْمَ لَهُ حَتَّى يَأْتِيَ بِمَعْنَى مُنْفَرِدٍ ، فَلَوْ قَالَ قَاتِلُ إِنْ قَوْلُ الْغُبَرِيِّ فِي ذَلِكَ
أَحْسَنَ مِنْهُ ، لَوَجَدَ مَسَاعًا إِلَى ذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ :

فَلَوْ كُنْتُ كَالْقَعْرِ أَوْ كَمَنْوَتَهَا لَخِطْتُ إِلَّا أَنْ تَخُذَ تَرَانِي

(نَحْوُ وَلَكُمْ فِي الْقِعَاصِ حَيَاةٌ) مِثْلُهُ قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ فِيمَا يَخَاطَبُ
بِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ .
لِجَمْعِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ بِأَسْرَافِهَا ، لِأَنَّ قَوْلَهُ خُذِ الْعَفْوَ قَالِعُفُو مِنْدُ الْجَهْدِ ،
أَيُّ خُذْ مَا عَمَّا لَكَ مِنْ أَفْعَالِ النَّاسِ وَأَخْلَاقِهِمْ وَمَا أَتَى مِنْهُمْ ، وَتَهْلُ مِنْ غَيْرِ
كَلَمَةٍ ، وَلَا تَدَاقِبِهِ ، وَلَا تَطْلُبْ مِنْهُمْ الْجَهْدَ وَمَا يَشَقُّ عَلَيْهِمْ حَتَّى لَا يَتَعَرَّفُوا .
وَالْعُرْفُ : الْمَعْرِيفَةُ وَالْجِيلُ مِنَ الْأَفْعَالِ . وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ : لَا تَسْكَفُ
لِلضَّعْفَاءِ مِثْلَ سَفَهِهِمْ وَلَا تَتَمَارَحْ وَاحِلِمَ عَنْهُمْ وَأَغْضُ عَلَى مَا يَسُوءُكَ مِنْهُمْ . وَهَذِهِ

وَفَضْلُهُ عَلَى مَا كَانَتْ عِنْدَهُمْ أَوْجَزَ كَلَامٍ فِي هَذَا الْبَقِيَّةِ ، وَهُوَ : الْقَتْلُ
أَنْتَى لِلْقَتْلِ ، بِقِلَّةِ حُرُوفٍ مَا يَنْتَظَرُهُ مِنْهُ ، وَالنَّصُّ عَلَى الْمَطْلُوبِ وَمَا يُبَيِّدُهُ
تَنْكِيرُ حَيَاةٍ مِنَ التَّعْظِيمِ ، لِمَسْمُوعِهِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِ جَمَاعَةٍ بِوَاحِدٍ .

هذا الضرب من الإيجاز قوله تعالى : فلما استأثروا منه خلصوا نجيا^(١) ، الآية ،
حار في فصاحتها جميع البلاء . ومثل هذا في القرآن كثير . ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم : لِيَأْكُمَ وَخَضَاءُ السِّنِّ^(٢) ، وقول الشريف الرضي :

مَالُوا إِلَى شُعْبِ الرِّجَالِ وَأَسْتَدُوا أَيْدِيَ الطُّغَمَانِ إِلَى قُلُوبٍ تَحْقُقُ
فِيهِ لَمْ أَرَادَ أَنْ يَصِفَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ بِالشَّجَاعَةِ فِي أَمْنِهِ وَصْنِهِمُ بِالْفَرَامِ ،
عَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : أَيْدِيَ الطُّغَمَانِ (فَمِنْ مَعْنَاهُ كَثِيرٌ) لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَنَّ
الْإِنْسَانَ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ مَتَى قَتَلَ كَانَ ذَلِكَ مُعَايَا لَهُ قُرْبًا إِلَى أَنْ لَا يَقْدُمَ عَلَى
الْقَتْلِ فَارْتَفَعَ بِالْقَتْلِ الَّذِي هُوَ الْقِتَاصُ كَثِيرٌ مِنْ قَتْلِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ،
فَمَا كَانَ ارْتِفَاعُ الْقَتْلِ حَيَاةً لَهُمْ (وَفَضْلُهُ الْخ) يَقُولُ إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : وَلَكُمْ
فِي الْقِتَاصِ حَيَاةٌ ، يُفْضَلُ مَا كَانَ عِنْدَ الْعَرَبِ أَوْجَزَ كَلَامٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ
قَوْلُهُمُ الْقَتْلُ أَنْتَى لِلْقَتْلِ مِنْ وَجْهِ ، أَحَدُهَا : أَنَّ عِدَّةَ حُرُوفٍ مَا يَنْتَظَرُهُ مِنْهُ وَهُوَ
فِي الْقِتَاصِ حَيَاةٌ عَشْرَةٌ فِي التَّلَظُّظِ وَعِدَّةُ جُرُوفِهِ أَرْبَعَةٌ عَشْرٌ ، وَثَانِيهَا : مَا فِيهَا
مِنْ التَّمَرُّجِ بِالْمَطْلُوبِ الَّذِي هُوَ الْحَيَاةُ بِالنَّصِّ عَلَيْهَا ، فَيَكُونُ أَزْجَرُ مِنَ الْقَتْلِ
بِنَهْرِ حَقٍّ ، لِكَوْنِهِ أَدْعَى إِلَى الْاِقْتِصَاصِ ، وَثَالِثُهَا : مَا يُبَيِّدُهُ تَنْكِيرُ حَيَاةٍ
مِنَ التَّعْظِيمِ . وَذَلِكَ لِتَعْمِيمِهِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِ جَمَاعَةٍ بِوَاحِدٍ أَوْ التَّوَعُّيَةِ وَهِيَ

- (١) الْمَعْنَى لَا يَدُسُّوهُ مِنْ يَوْسَفَ وَإِجَابَتُهُ لِإِيمَانِهِمْ ، اعْتَزَلُوا النَّاسَ خَالِصِينَ
لَا يَخَالِفُهُمْ أَحَدٌ يَتَّجِبُونَ فِي تَدْبِيرِ أَمْرِهِمْ وَمَاذَا يَقُولُونَ لِإِيْمِهِمْ فِي شَأْنِ أَهْلِهِمْ .
(٢) تَمَامُ الْحَدِيثِ : قِيلَ وَمَاذَا ، ٤٤ ، الْمَرْأَةُ الْحَسَنَاءُ فِي الْمُنْبِتِ السَّوَدِ .

أَوْ التَّوَعِيَةِ الْخَاصَّةِ لِلْقَتُولِ وَالْقَتْلِ بِالْإِزْدَاءِ ، وَأَطْرَادِهِ وَخَلْوِهِ عَنْ
التَّكْرَارِ وَاسْتِثْنَائِهِ عَنْ تَقْدِيرِ مَحْذُوفٍ ، وَالطَّابِقَةِ ؛ وَإِيجَازِ الْمَحْذُوفِ ،
وَالْمَحْذُوفِ إِذَا جُزءُ جُمْلَةٍ مَضَافٌ نَحْوُ : وَأَسْأَلَ الْقَرْيَةَ ، أَوْ مَوْصُوفٌ نَحْوُ :
أَنَا ابْنُ جَلَا ، أَيْ رَجُلٍ جَلَا ، أَوْ صِفَةٌ نَحْوُ كَانَ وَرَأَاهُمْ مَلِكٌ تَأْخُذُ

الحياة الخاصة للقاتل بانكفائه ، والمقتول بالكف عنه ، ورأبها : أطراده
بخلاف قولهم فَإِنِ الْقَتْلُ الَّذِي يَنْتَقِى الْقَتْلُ هُوَ مَا كَانَ عَلَى وَجْهِ الْقَصَاصِ لَا
غَيْرِهِ ، وعامها : سلامته من التكرار الذي هو من عيوب الكلام بخلاف
قولهم ، وسادها : استغناؤه عن تقدير محذوف بخلاف قولهم ، فَإِنِ تَقْدِيرُهُ
الْقَتْلُ أَنَّى لِقَتْلِهِ مِنْ تَرْكِهِ ، وسأبها : أَنَّ الْقَصَاصَ ضِدَّ الْحَيَاةِ فَاجْلِبْ بَيْنَهُمَا
أَطْبَاقٌ ، وزاد في الإيضاح وجهاً آخر وهو جعل القصاص كالمنبع والمعدن
للحياة بإدخال في عليه وهناك وجوه أخرى قد تبحر بها الناس (وإيجاز المحذوف)
عطف على إيجاز النقص (نحو وأسأل القرية) مثله قوله تعالى : وَأَشْرَبُوا فِي
قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ . أَيْ جَبَ ، وقوله عز وجل : الْحَجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ . أَيْ وَقْتُ
الْحَجِّ ، وقول الخاسي :

إِذَا لَاقَيْتَ قَوْمِي فَاسْأَلِيهِمْ كَفَى قَوْمًا بِصَاحِبِهِمْ حَبِيرًا
هَلْ اغْتَفَوْا عَنْ أَصُولِ الْحَقِّ فِيهِمْ إِذَا عَصَرْتَ وَاقْتَطِعِ الصُّدُورَا

أراد أنه يقتطع ما في الصدور من الضمائر والإحز ، أَيْ يَزِيلُ ذَلِكَ
بِحَسَنِهِ وَكَرِيمِ خَصَالِهِ . وهذا باب شائع في كلام العرب وإن كان أبو الحسن
الأنخس لا يرى القياس عليه (نحو أنا ابن جلا) هو بعض بيت للمرجي ولفظه :
أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الشَّامَا مَتَى أَصَحَّ الْعِمَامَةُ تَعْرِفُونِي .
فالمحذوف جزء جملة موصوف (أَيْ رَجُلٍ جَلَا) قَالَ بَعْضُهُمْ فِيهِ نَظَرٌ

كَلَّ سَمِينَةَ غَضَبًا ، أَيْ صَحِيحَةً وَنَحْوَهَا ، بِدَلِيلٍ مَاقَبَلَهُ أَوْ شَرَطَ ، كَمَا مَرَّ ،
أَوْ جَوَابَ شَرَطٍ ، إِنَّمَا لِحُجْرَةِ الْإِخْتِصَارِ نَحْوُ : وَإِذَا قِيلَ لَمْ أَتَوْا مَا بَيْنَ

لأن رجل ليس جزء جملة بل فضلة ، على أنه قيل إن جلا اسم علم فلا حذف
حينئذ ، وهو مستند عيسى بن عمر في أن فعل عنده وزن يمنع من الصرف فلذا
لم ينون جلا ، وقال سيوبه : كأنه قال أنا ابن الذي جلا ، فعل هذا الوجه
يكون حذف الموصول . ومن حذف الموصوف قول البحري من أبيات
يصف بها إيوان كسرى :

وَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَا كَيْفَ ارْتَمَتْ بَيْنَ رُومٍ وَفُرْسٍ
وَالنَّسَاءِ وَمَوَائِلٍ وَأَنْثَى شِرْ وَأَنْ بُرْجِي الصُّوفَ تَمَّتِ الدَّرْقِي
فِي اخْتِصَارٍ مِنَ اللَّبَاسِ عَلَى أَصْفَرٍ يَخْتَالُ فِي صَبِيغَةِ وَرْسٍ

فقوله على أصفر : أى على قرص أصفر ، وهذا مفهوم من قرينة الحال
(ونحوها) كسليمة أو سالحة (بدليل ما قبله) وهو قوله تعالى : فَأَرَدْتُ
أَنْ أَعْيَهَا ، فإنه يدل على أن الملك كان إنما يأخذ الصحيحة . ومن حذف
الصفة قول الخاسي :

كَلَّ أَمْرِي بِنَذِيمٍ مِنْهُ أَمْرِي أَوْ مِنْهَا يَكِيمُ (١)

أواد كل امرئ متزوج ، إذ المعنى لا يصح إلا بهذا . وبعد ، فهذا
الضرب من الحذف وهو حذف الصفة قليل الوجود ، ولا يكاد يقع في
الكلام إلا نادراً لمكان استقامته (كما مر) عند قوله في باب الإنشاء

(١) أى إما أن يموت الرجل فتبقى امرأته أيماء ، وتموت امرأته فيبقى
الرجل أيماء ، وفي المثل : كل ذات بعل سقيم .

أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلَقَكُمْ لَكُمْ تُرْمَحُونَ ، أَيْ أَعْرَضُوا بِدَلِيلٍ مَا بَعْدَهُ .
 أَوْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ شَيْءٌ لَا يَحِيطُ بِهِ الْوَصْفُ ، أَوْ لِتَذَهَبَ نَفْسُ السَّامِعِ
 كُلِّ تَذَهَبُ مُمَكِّنٌ ، مِثْلَهُمَا : وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقِفُوا عَلَى النَّارِ ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ
 نَحْوُ : لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلْ ، أَيْ وَمَنْ أَنْفَقَ
 مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلْ بِدَلِيلٍ مَا بَعْدَهُ . وَإِنَّمَا جَعَلَ مُسَبِّبَةً عَنْ مَذْكُورٍ ،

وهذه الأربعة يجوز تقدير الشرط بعدها . ومن حذف الشرط قولهم الناس
 مجزون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر (بدليل ما بعده) وهو
 قوله تعالى : وما تأتيم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ، ومن
 هذا الباب قوله تعالى : ولو أن قرآننا سيرت به الجبال أو قطعنا به الأرض
 أو كلم به الموتى ، أى لكان هذا القرآن وقوله تعالى : قل أرايتم إن كان من
 عند الله وكفرتم به ونهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم
 أى ألسن ظالمين بدليل قوله تعالى بعد : إن الله لا يهدي القوم الظالمين .
 (أو لتذهب نفس السامع كل مذهب) فلا يتصور معالوماً أو مكرهاً
 إلا وهو يجوز أن يكون الأمر أعظم منه ، بخلاف ما لو ذكر فإنه يتعين
 وربما يسهل أمره عنده ، ألا ترى أن المولى إذا قال لعبده واقه لئن قتلت إليك
 وسكت تراحت عليه من الظنون المترضة للوعيد مالا يتراحم لو نص من
 مؤاخذه على ضرب من العذاب ، وكذلك إذا قال المتبجح لو رأيتني شاباً
 وسكت جانت الأفكار لعظم تجمل به لو أتى بالجواب (أو غير ذلك)
 كالسند إليه والسند والمعمول كما مر وكالمضاف إليه كقوله تعالى : وكل في فلك
 سبحون ، وكذلك كل ما قطع عن الإضافة معنى لا لفظاً . وكالصلة مثل
 قولهم : جاء بعد التيا والى ، وكواب القسم مثل قوله تعالى : والفجر وليال عشر

نحو: **يُحِقُّ الْحَقَّ وَيُبْطِلُ الْبَاطِلَ** ، أَيْ **فَعَلَ مَا فَضَّلَ** ، أَوْ **سَبَبَ لِمَذْكُورِ**
مَحْوٍ : **فَانْفَجَرَتْ** ، **إِنْ قَدَّرَ قَعْرَبَهُ بِهَا** ، **وَيَجُوزُ أَنْ يَقْدَرَ** فَإِنْ **صَرَبَتْ** بِهَا

الآية ، **التقدير** **ليُذِنَ** أو **مَحْوٍ** ، **ويدل على ذلك قوله بعد** : **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ**
بَعْدَ - إِلَى قَوْلِهِ - سَوَّطِ عَذَابٍ ، **وجواب لما كقولُه تعالى** : **فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ**
لِلْجِبِينَ الآية ، **التقدير** **كان ما كان بما تنطق به الحال** ولا يحيط به الوصف من
استبشارهما واعتباطهما وحذماهما وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع
البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعفه شوطين النفس عليه من الثواب ،
ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب ، وبما يتصل بهذا ما يجيء بعد **أَفْعَلَ**
كقولنا : **الله أكبر** ، **أى من كل شيء** وعليه قول البحري :

الله أعطاك المحبة في الزرى وحباك بالفضل الذي لا نسكر
ولأنك أملاً في القيون لديهم وأجل قدراً في الصدور وأكبر
(نحو **يُحِقُّ الْحَقَّ**) ومنه قول أبي الطيب المتني :

أَيُّ الرُّمَانِ سَوَّاهُ فِي شَيْبَتِهِ فَتَرَنَّمْ وَأَتَيْدَاهُ عَلَى الْهَرَمِ
أى فساد ما (نحو فانفجرت) الآية **فقلنا** **اضرب بعصاك الحجر فانفجرت** ،
ومثله : **كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين** ، **أى فاختلفوا** ، **بديل قوله** :
لجحد بين الناس فيما اختلفوا فيه (ويجوز أن يقدر الخ) فيكون المصدوف
جود حمله **هى شرط كقولُه تعالى** : **فأفقه هو الولي** ، **أى إن أرادوا ولياً بحق** ،
بإلقاء في مثل قوله فانفجرت **تسمى** **فاه فصيحة** . **وظاهر كلام الزمخشري أن**
سميتها فصيحة **إلما هى على التقدير الثاني** ، **وظاهر كلام السكاكي على العكس** ،
وقيل إنها فصيحة على التقديرين ، **والمشهور في تمثيلها قوله** :

فألو آخراسان أفعتر ماير ادبنا نعم التفتول فقد جئنا خواسنا

فَقَدْ انْجَبَرَتْ ، أَوْ غَيَّرَهَا نَحْوُ : فِيمَ لِلْمَاهِدُونَ عَلَى مَامَرٍ ، وَإِنَّا أَكْثَرُ
 مِنْ بُحْلَةِ نَحْوُ : أَلَا أَنْبَيْتُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ قَارِئُونَ يُوسُفَ ، أَيْ إِلَى يُوسُفَ
 لِاسْتَمِيرَةِ الرُّؤْيَا فَفَعَلُوا قَاتَاهُ وَقَالَ لَهُ يَا يُوسُفَ : وَالْحَذَفُ عَلَى وَجْهَيْنِ ،
 أَنْ لَا يَبْقَى شَيْءٌ مَقَامَ الْمَحْذُوفِ كَامَرٌ وَأَنْ يَبْقَى ، نَحْوُ : وَإِنْ يُكْذَّبُكَ
 فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ، أَيْ فَلَا تَحْزَنْ وَاصْبِرْ ؛ وَأَدِلَّتْهُ كَثِيرَةٌ ،
 مِنْهَا أَنْ يَذَلَّ الثَّقَلُ عَلَيْهِ وَالْمَقْصُودُ الْأَخْلَافُ عَلَى تَعْيِينِ الْمَحْذُوفِ نَحْوُ :
 حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ اللَّيْتَةُ ؛ وَهِيَ أَنْ يَذَلَّ الثَّقَلُ عَلَيْهِمَا نَحْوُ : وَجَاءَ رَيْكَ ،
 أَيْ أَمْرُهُ أَوْ عَذَابُهُ ؛ وَهِيَ أَنْ يَذَلَّ الثَّقَلُ وَالْعَادَةُ عَلَى التَّعْيِينِ نَحْوُ :

(على مامر) في مبحث الاستئناف من أنه على حذف المبتدأ والخبر ،
 في قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف (نَحْوُ : أَلَا أَنْبَيْتُكُمْ) الخ) مثله
 قَتَلْنَا اضْرِبُوهُ بعضها كذلك يحكي الله الموتى المعنى فضرِبوه بها الخ .
 لحذف ذلك دلالة قوله : كذلك يحكي الله الموتى ، وقوله : اذهب بكناني هذا
 فألقه إليهم ثم قول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملا ، التقدير
 ففعل ذلك فأخذت الكتاب فقرأته ، ثم كأن سائلا سأل فإذا قالت فقيل :
 قالت يا أيها الملا . ومثال هذا النوع من الإيجاز لا يكاد يوجد إلا في كلام
 الله الذي تقطعت على بلاغته أعناق العناق السبق ، وونت عنها خطي الجياد
 القرح (نَحْوُ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ) فَإِنَّ الثَّقَلَ يَذَلُّ عَلَى الْحَذَفِ إِذَا الْأَحْكَامُ إِنَّمَا
 تَتَمَلَّقُ بِالْأَفْعَالِ دُونَ الْأَعْيَانِ ، وَالْمَقْصُودُ الْأَخْلَافُ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمَذْكُورَةِ
 فِي الْآيَةِ تَتَاوَلَهَا التَّمَامُ لِلْأَكْلِ وَشَرْبِ الْأَلْبَانِ ، فَدَلَّ عَلَى تَعْيِينِ الْمَحْذُوفِ
 (عَلَيْهِمَا) أَيْ عَلَى الْحَذَفِ وَالتَّعْيِينِ (نَحْوُ وَجَاءَ رَيْكَ) مَا أَحْسَنَ مَا

فَذَلِكُمُ الَّذِي اُتْمِنِي فِيهِ ، فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ فِي حُثِّهِ ، لِقَوْلِهِ : قَدْ شَغَفَهَا حُنَا ،
وَوِي مَرَاوَدِهِ لِقَوْلِهِ : تَرْلُوذَ فَمَاعَا عَن نَفْسِهِ ، وَفِي شَأْنِهِ حَتَّى يَشْمَلَهُمَا ،
وَالْعَادَةُ دَلَّتْ عَلَى الثَّانِي لِأَنَّ الْحَبَّ الْمَفْرُطَ لَا يَلَامُ صَاحِبَهُ عَلَيْهِ فِي الْمَادَةِ ،
لِقَهْرِهِ إِيَّاهُ ، وَمِنْهُ الشَّرُوعُ فِي الْعَمَلِ بِحَوْ : بِسْمِ اللَّهِ ، فَيَقْدَرُ مَا جُعِلَتْ
التَّسْمِيَةُ مَدَدًا لَهُ ، وَمِنْهَا الْإِفْتِرَانُ كَقَوْلِهِمْ لِلْمُعْرَسِ : بِالرَّقَاءِ وَالْبَيْنِينَ ،
أَيُّ أُعْرِسَتْ . وَالْإِنْشَابُ إِمَّا بِالْإِبْضَاحِ بَعْدَ الْإِنْهَامِ ، لِيَرَى الْمَعْنَى
فِي صَوْرَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ ، أَوْ لِيَتِمَّ كُنَّ فِي النَّفْسِ فَضْلًا تَحْكُنُ ،

ارتأه صاحب الكشف في هذه الآية الكريمة ، وما أليقه بالأسلوب البليغ
قال إن هذا تمثيل لظهور آيات افتدائه وتبين آثار قهره وسلطانه مثلث حاله
في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة
ما لا يظهر بحضور عساكره كآثاره ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم (لا يلام
صاحبه عليه) وإنما يلام على المراودة الداخلة تحت كسبه التي يقدر أن يدفعها
عن نفسه (ومنها) أي من أدلة تعيين المحذوف (الافتران) أي افتران الكلام
بالفعل (بالرقاء والبينين) فافتران هذا الكلام لإعراس المخاطب دل على أن
التقدير بالرقاء والبينين أعريت . والرقاء : الالتئام والاتساق ، تقول رقات
الثوب أرقؤه : إذا أصلحت ما ومنه (ليرى المعنى في صورتين مختلفتين)
فيكون كعرص المساء في لباسين (أو ليرى المعنى في النفس) فإن المعنى
إذا ألقى مهبها تأقت نفس السامع إلى معرفته مبيناً ، فتوجه إلى ما يرد
بعد ذلك ، فإذا ألقى كما تشتهي تمكن فيها فضل تمكن ، وكان شعورها به أنهم

أَوْ اكْتَمَلَ لَذَّةُ الْعِلْمِ بِهِ ، نَحْوُ : رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ، فَإِنَّ اشْرَحَ لِي
يُفِيدُ طَلَبَ شَرْحِ شَيْءٍ مَالَةٍ ، وَصَدْرِي يُفِيدُ تَفْسِيرَهُ ، وَمِنْهُ بَابُ نِعَمَ
عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ ، إِذْ لَوْ أُريدَ الْإِخْتِصَارُ لَكُنِيَ نِعَمَ رَيْدَ ، وَوَجْهٌ
حُسْنِهِ سِوَى مَا ذَكَرَ إِتْرَازُ الْكَلَامِ فِي مَعْرُضِ الْإِعْتِدَالِ وَإِنْهَامِ الْجَمْعِ
بَيْنَ الْمُتَنَافِيَيْنِ : وَمِنْهُ التَّوَشُّيْعُ : وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى فِي عَجْزِ الْكَلَامِ

(أَوْ اكْتَمَلَ لَذَّةُ الْعِلْمِ بِهِ) فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا حَصَلَ كَالْعِلْمِ بِهِ دَفْعَةً لَمْ يَتَقَدَّمْ
حَصُولُ اللَّذَّةِ بِهِ أَلَمْ ، وَإِذَا حَصَلَ الشُّعُورُ بِهِ مِنْ وَجْهِ دُونَ وَجْهِ تَشَوُّقِ النَّفْسِ
إِلَى الْعِلْمِ بِالْمَجْهُولِ فَيَحْصُلُ لَهَا سَبَبُ الْمَعْلُومِ لَذَّةً ، وَيُسَبِّبُ حَرَمَانَهَا عَنِ الْبَاقِ
أَلَمْ ، ثُمَّ إِذَا حَصَلَ لَهَا الْعِلْمُ بِهِ حَصَلَتْ لَهَا لَذَّةٌ أُخْرَى ، وَاللَّذَّةُ عَقِيبُ الْأَلَمِ أَقْوَى
مِنَ اللَّذَّةِ الَّتِي لَمْ يَتَقَدَّمْهَا أَلَمْ . وَمَا يُوَاسِئُ ذَلِكَ مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : هَلْ يَنْظُرُونَ
إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ . قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ : السَّبَبُ فِي أَنْ
الْعَذَابَ يَأْتِيَهُمْ مِنَ الْغَمَامِ ، أَنْ الْغَمَامُ مَطْنَةُ الرَّحْمَةِ فَإِذَا نَزَلَ مِنْهُ الْعَذَابُ كَانَ الْأَمْرُ
أَفْظَعَ وَأَهْوَلَ ، لِأَنَّ النَّارَ إِذَا جَاءَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ كَانَ أَعْمَ ، كَمَا
أَنْ الْخَيْرَ إِذَا جَاءَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ كَانَ أَسْرَ ، فَكَيْفَ إِذَا جَاءَ النَّارُ مِنْ
حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ الْخَيْرَ . وَلِذَلِكَ كَانَتِ الصَّاعِقَةُ مِنَ الْعَذَابِ الْمُسْتَظْلَعِ لِمَجِيئِهَا مِنْ
حَيْثُ يَتَوَقَّعُ الْغَيْثُ ، وَمِنْ نِعْمَةِ اشْتَدَّ عَلَى الْمُتَصَكِّرِينَ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَوْلُهُ : وَبَدَأَ
لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (وَمِنْهُ) أَيْ مِنَ الْإِبْرَاضِ بَعْدَ الْإِبْهَامِ
(حَسَنُهُ) أَيْ حَسَنُ بَابِ نِعَمَ (فِي مَعْرُضِ الْإِعْتِدَالِ) فَظَرَأَ إِلَى الْإِطْنَابِ
مِنْ وَجْهِ حَيْثُ لَمْ يَحْذَرِ نِعَمَ زَيْدَ ، وَلِأَنَّ الْإِبْهَامَ مِنْ وَجْهِ حَيْثُ حَذَفَ الْمَبْتَدَأُ
الَّذِي هُوَ صَدْرُ الْاسْتِنَافِ (وَالْإِبْهَامُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْمُتَنَافِيَيْنِ) الْإِبْهَامُ وَالْإِطْنَابُ
وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْمُتَنَافِيَيْنِ مِنَ الْأُمُورِ الْغَرِيبَةِ الْمُسْتَطَرَّةِ الَّتِي يَظْهَرُ فِي النَّفْسِ عِنْدَ

يَمُتُّنِي مَفْسِرٍ بِاتِّمَنِ ، ثَانِسِيَّ مَعْفُونٍ عَلَى الْأَوَّلِ نَعُو : يَشِبُّ
ابْنُ آدَمَ وَيَشِبُّ مَعَهُ خَصَلَتَانِ : الْحُرْمُ وَطُولُ الْأَمَلِ . وَإِنَّا بِدِكْرِ
الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِّ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِهِ حَتَّى سَكَاةٍ لَيْسَ مِنْ جَنْبِهِ ،
تَنْزِيلاً لِلتَّغَايُرِ فِي الْوَعْدِ مَنَزِلَةَ التَّغَايُرِ فِي الذَّاتِ نَعُو : حَافِظُوا
عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى . وَإِنَّا بِالتَّكْرِيرِ لِنُسَكِّتَهُ

وجدانها تأثر عجيب (ويشب معه خصلتان) فلو أريد الاختصار لقليل ويشب
معه الحرص وطول الأمل لكنه أهم أولاً ثم أوضح لما سبق ويسمى هذا
توشيحاً . لأن التوشيع في اللغة لف التظن المتدوف ، فكأنه جعل التعبير
عن المعنى الواحد بالثنى المفسر باحسين ، بمنزلة لف التظن بعد التدف . ومن هذا
قول الشاعر :

سَقَتْنِي فِي أَيْلٍ شَبِيهِ بِشَعْرِهَا شَبِيهَةً خَدَّيْهَا بِفَيْفِرٍ رَجِيْبٍ

فَازَلْتُ فِي لَيَالَيْنِ شَعْرَ وَظَلَّةٍ وَكَمَحَيْنِ مِنْ سَحْرِ وَوَجْهٍ حَبِيْبٍ

وقول البحتري :

لَمَّا مَتَّيْنِ بِذِي الْأَرَالَةِ تَشَابَهَتْ أَعْطَافُ قُضْبَابٍ بِهِ وَقُدُودُ

فِي خُلَّتِي حَبْرَ وَرَوْضٍ فَالْتَقَى وَشَيَانٍ وَشَى رَبِّي وَوَشَى بُرُودِ

وَسَفَرَنْ فَانْتَلَأَتْ عُيُونٌ رَاقِبَا وَرَدَانِ وَرْدُ جَنَى وَوَرْدُ خُدُودِ

نحو (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى) (١) ، ومن هذا الباب

(١) أذكر أن شيخنا الإمام رحمه الله قرر عند تفسير هذه الآية الكريمة

كُنَّا كَيْدَ الْإِدَارِ فِي : كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ

قوله تعالى : من كان عدواً لله وملائكته ورسله وحبريل وميكال ، أفرد جبريل وميكال بالذكر لفضلهما كأههما من جنس آخر (كُنَّا كَيْدَ الْإِدَارِ) وكريادة التنبيه على ما بنى النعمة ليكمل تاق الكلام بالقبول كما في قوله تعالى : وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدم سبيل الرشاد ، يا قوم إنما هذه الدنيا متاع . وزيادة التوجع والتحسر كما في قوله :

فَيَا قَبْرِ مَعْنِي أَنْتَ أَوَّلُ خُبْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلْسَّاحَةِ مَضْجَعًا
وَيَا قَبْرِ مَعْنِي كَيْفَ وَارَيْتَ جِرْدَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مَقَرًّا
وقد يكرر ما قد بعد بسبب طول في الكلام كما في قوله تعالى : ثم إن ربك
للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعد ما لغفور
رحيم ، وقوله : لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يمحذوا بما لم يفعلوا
فلا تحسبنهم بمغفرة من العذاب ، وقول الشاعر :

ألم المني ليس كما يقول المصريون من أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر أو غيرها ، وإنما المني أن الله جل شأنه لما أمر بحفظ الصلوات والمثابرة عليها كان الناس أن يتوهموا أن تأدية الصلاة على أي وجه وأية حال كافية عند الله . فبين لما سبحانه أن الصلاة لا تكفي إلا إذا كانت وسطى — فضلى — وذلك بأن يكون مستحبة بالفراغ من شواغل الدنيا ، والتوجه لله والخشوع له ، واستحضار عظمته ، واستشعار هيئته . وعلى ذلك لا تكون مما نحن فيه كما هو ظاهر .

وَفِي ثَمِّ دَلَالَةٍ عَلَى أَنَّ الْإِنذَارَ الثَّانِي أَتْبَعُ . وَإِنَّمَا بِالْإِضْطِحَالِ ، قِيلَ هُوَ خَتَمٌ

تَقْدُّ عَلَى الْخِيَامَةِ الْيَمَانُونَ أَتَيْتِ إِذَا قُلْتَ أَمَّا بَعْدُ أَتَى خَطِيبُهَا
وقول الحماسي :

أَسَجَنَّا وَقِيدًا وَاشْتِدَّ وَغُرَّةً وَنَأَى حَبِيبٍ إِنَّ ذَا لَمَظْمٍ
وَإِنْ أَمْرًا دَامَتْ مَوَاتِيْقُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ هَذَا إِنَّهُ لَكَرِيمٌ

وقد يكرر اللفظ لتعدد المتعلق كالذي نجاه في سورة الرحمن من قول الله سبحانه : فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ ، لانه تعالى ذكر نعمة بعد نعمة وعقب كل نعمة بهذا القول ، ومعلوم أن الغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى (وفي ثَمِّ دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ) كما تقول للنصوح أقول لك ثم أقول لك ، والسر في ذلك أن أصل ثَمِّ الدلالة على تراخي الزمان ، اكتمالها وتجهيزها لمجرد التدرج في درج الارتقاء من غير اعتبار التراخي والبعد بين تلك التدرج ، وإن الثاني بعد الأول في الزمان وذلك إذا تكرر الأول بلفظه نحو : والله ثم والله (وإما بالإيهال) وأصله من قولهم أوغل في الأمر : إذا أبعد الذهاب فيه سئل الأصمعي من أشر الناس : فقال : يعنى كلامه قبل انقضاء القافية ، فإذا احتاج إليها أفاد بها من قبل نحو من : قال ذو الرمة حيث يقول

فَبِأَيِّ مِسِّ فِي أَمَلَالٍ مَيَّةٍ فَاسْتَلِ رُسُومًا كَأَخْلَاقِ الرِّدَاءِ أُنْثَلِ
فتم كلامه بالرداء ، ثم قال المسائل فزاد به شيئاً ثم قال :

أَطَى أَيْدِي بَعْدِي عَنكَ نَوَاهِي . دَمُوعًا كَمَشْدِيرِ الْجَمَانِ الْفَصْلِ
فتم كلامه بالجمان . ثم قال الفصل فزاد شيئاً . قيل ونحو من قول الأعشى :
(١٥ - م)

الْبَيْتِ بِمَا يُفِيدُ نُسْكَةً يَسْتَمِ اللَّتْنِ يَدُونَهَا ، كَرِيَادَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي قَوْلِهَا :
وَأَنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهَدَاةَ بِهِ . كَأَنَّهُ عَلَا فِي رَأْسِهِ نَارٌ
وَتَحْقِيقُ التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ :

كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِيَانَتِنَا وَأَرْحُحُكَ الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يَنْقَبِ

كَتَابَطِيعِ صَخْرَةٍ . يَوْمًا لِيَفْزِقَهَا فَلَا يَغْيِرُهَا وَأَوْقَى قَرْنَتَا الْوَعْلِ
فَمِ كَلَامِهِ يَبْضُرُهَا ، فَلَا احتاج إل التافيه قال : وأوحى قرن الوعل ، فواد
معنى ، قال السائل وكيف صار الوعل مفصلاً على كل ما ينطح ، قال لأنه ينطح
من قلة الجبل على قرنيه فلا يضره (في قولها) أى قول الحفصاء في سرية
أخيها صخر . فلم ترض أن نفسه بالعلم الذى هو الجبل المرتفع المعروف
بالهداية حتى جعلت في رأسه ناراً (في قوله) أى قول امرئ القيس . فإنه لما
أتى على التشبيه قبل ذكر التافيه واحتاج إليها جاء بزيادة حسنة في قوله لم ينقب
لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون (كأن عيون الخ) الجزع
الحرز انحنى الذى فيه سواد وبياض يشبه به عيون الوحش قال الأصمعي : الطي
والبصرة إذا كانا حين فعيونهما كلها سود فإذا ما نادى بياضها وإنما شبهها بالجزع
وفيه سواد وبياض بعد ما موت ، والمراد كثرة الصيد يعنى مما أكلنا كثر
العيون عندنا ومن هذا النوع قول زهير :

كَأَنَّ فِتَاةَ الْبَيْتِ فِي كُلِّ مَنَازِلٍ نَزَلْنَ بِحُبِّ الْعَنَاءِ لَمْ يَنْقَطِرْ
فَلَنْ حُبِّ الْعَنَاءِ أَحْمَرُ الظَّاهِرِ أبيض الباطن ، فهو لا تشبه الصوف الأحمر
إلا ما لم يحطم ، وقول امرئ القيس :

إِذَا مَا جَرَى شَاوِيْنِي وَأَبْتَلُ حِفْظُهُ نَعْلُ قَزِيرُ الرِّيحِ مَرَّ بِأَنْفَابِ
التشبيه تم عند قوله هزير الريح ، وزاد بوجه من أنفاب . لانه أخبر به

وَقِيلَ لَا يَخْتَصِمُ بِالْشَّرِّ وَمِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى : اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَأْتُكُمُ
أُجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ . وَإِنَّمَا بِالتَّذْلِيلِ ، وَهُوَ تَقْيِيبُ الْجُمْلَةِ بِجُمْلَةٍ أُخْرَى
تَبْتَدِلُ عَلَى مَوَاقِفٍ لَتَأْكِيدٍ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ : ضَرْبٌ لَمْ يُخْرَجْ مُخْرَجَ
تَثْنِيٍّ نَحْوُ : ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَافِرُ ، عَلَى وَجْهِ

عن شدة خفيف الفرس والريح في أغصان الاناب خفيف شديد ، والاناب :
شجر . وكان الرشيد يعجب بقول مسلم بن الوليد :

إِذَا مَا عَاتَى مِنَّا ذُوَابَةٌ شَارِبٌ تَمَشَّتْ بِهِ نَشَى الْقَبْدِ فِي الْوَحْلِ

وكان يقول قائله الله أما كراه أن يحمله مقيداً حتى جمعه في وحل (ومثل
بقوله تعالى الخ) فإن قوله : وهم مهتدون ، مما يتم المعنى بدونه لأن الرسول مهتد
لا محالة ، لكن فيه زيادة حث على الانباع وترغيب في الرسل . وكتب بعض
الكتاب : نبو الطرف من الوزير دليل على تغيير الحال عنده ، ولا صرح على
الجفاء عن عود الله منه البر ، وقد استدلت بإزالة الوزير إلباس عن المحل الذي
كان يحل عليه بتعوله على ما سؤت له ظناً بنفسه ، وما أعاف عتياً لأن لم أجن
ذنباً ، فإن رأى الوزير أن يقومى بنفسه ويدلنى على ما يراى منى فما يتم
كلامه بقوله يقومى وزاد بالمقطع وهو قوله لنفسى معنى (وأما بالتذليل)
والتذليل في الكلام موقع جليل ومبكان شريف خطير لأن المعنى يرداد به
لتشراحاً والمقصود اقتضاحاً ، وبغنى أن يستعمل في المواطن الجامعة والمواقف
الحاطة . لأن تلك المواطن تجمع البطله القهم والبعيد الذهن والثاقب الصريحة
والحميد الحاطر ، فإذا تكررت الالفاظ على المعنى الواحد تأكد عند الذهن
اللقن وصح للكليل التئيد (لم يخرج مخرج المثل) لعدم استغلاله بإفادة
المراد وتوقه على ما قبله (على وجه) وهو أن يراى وهل يجازى ذلك

وَصَرَبَ أَخْرَجَ مَخْرَجَ الْمَثَلِ ، نَحْوُ : وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ
الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا . وَهُوَ أَيْضًا إِنَّمَا إِنَّمَا كَيْدٌ مَنطُوقٍ كَهَذِهِ الْآيَةِ ، وَإِنَّمَا
لِنَّمَا كَيْدٌ مَقْبُومٌ ، كَقَوْلِهِ :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْدُهُ عَلَى شَيْءٍ أَيْ الرَّجَالِ لِلْهَدْبِ

الجزء ، قال الزمخشري وفيه وجه آخر وهو أن الجزيء عام لكل مكافأة يستعمل
تارة في معنى المماثلة ، وأخرى في معنى الإثابة ، فلا يستعمل في معنى المعاقبة في
قوله : جزيء بنام ما كانوا ، بمعنى عاقبتهم بكرم . قيل : وهل يجازى إلا الكفور
بمعنى وهل يعاقب فعل هذا يكون من الضرب الثاني ومن الأول قول الحماسي :

فَدَعُوا زَلَّالِي فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَتَزَلِ

وقول أبي الطيب :

وَمَا حَاجَةُ الْأَعْمَانِ حَوْلَكَ فِي الدَّجَى إِلَى قَمَرٍ مَا وَاجِدٌ لَكَ عَادِمٌ

وقوله أيضاً :

تَمْسِي الْأُمَانِي مَرَعَى دُونَ مَبْلَغِهِ فَمَا يَقُولُ إِشْيَى لَيْتَ ذَلِكَ لِي

وقول ابن نباتة السعدي :

لَمْ يَبْقِ خُودُنِي لِي شَيْئًا أَوْثَمُهُ تَرَكْتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا لَا أَتَزَلِ

قيل نظر فيه إلى قول أبي الطيب وقد أرى عليه في المدح والادب مع
الممدوح حيث لم يعمل في خير من نقي شئنا (نحو قول جده الحق الآية) ومن
هذا قول الخطيب .

فَرُودٌ قَتَى يَمَعْنُ عَلَى الْخَمْدِ مَالَهُ . وَمَنْ نَطَقَ اثْنَانِ الْمَكَارِمِ يُحْمَدُ

وَلَمَّا بِالتَّكْوِيلِ ، وَيُسَمَّى الْإِحْتِرَاسَ أَيْضًا ، وَهُوَ أَنْ يُقَاتَى فِي كَلَامِهِ
بِهِمْ خِلَافَ الْمُقْصُودِ بِمَا يَدْفَعُهُ ، كَقَوْلِهِ :

(كقوله) أَيْ قول النابغة الذبياني من قصيدة يخاطب بها الملك النعمان
ابن المنذر . فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ صَدْرَ الْبَيْتِ دَلٌّ بِمُضْمَرِهِ عَلَى نَقْيِ الْكَامِلِ مِنَ الرِّجَالِ
لِحَقِّقِ ذَلِكَ وَفَرِّهِ بِمَجْرَاهُ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ ظَاهِرٌ ، وَمَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ أَخَاكَ وَزَلَّةً أَرَادَ لَهَا أَوْشَكُنَا أَنْ تَفْرَقَا

وهو معنى طرقة الشعراء كثيرا (بما يدفعه) وهذا النافع قد يكون في وسط
الكلام ، وقد يكون في آخره فالأول كقول طرفة بن العبد من قصيدة يمدح بها
قتادة بن مسلمة الحنظلي وكان قد أصاب قومه سنة فأتوه فبذل لهم :

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرِّبِيعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي (١)

لَمَّا كَانَ الْمَطَرُ قَدْ يَفْضِي بِالْدِّيارِ إِلَى الصَّادِ تَحَرَّزَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ غَيْرَ مُفْسِدِهَا
وَلَمْ يَقْعُ لَهَا وَقَعٌ فِيهِ ذُو الرِّمَةِ فِي قَوْلِهِ :

أَلَا يَا أَسْلَمِي يَا دَارَ مَيِّ عَلَى الْبَلَاءِ وَلَا زَالَ مُنْهَلًا يَجْرَعَا نِكَ الْقَطْرِ

فهذا بالدعاء عليها أشبه منه بالداء لها . ومن هذا الضرب قول الرماذي
في وصف فرس :

قَامَتْ قَوَاتُهُ لَنَا طِمَامِينَا غَضًا وَقَامَ الْعُرْفُ بِالْمِنْدِيلِ

فقوله غَضًا احتِراسٌ عَجِيبٌ ، إِذْ لَوْلَمْ يَذْكُرْ لَنَوْمِ أَنَّهُمْ يَنْقُطُونَ عَلَيْهِ
أَزْوَادُهُمْ ، وَقَوْلُ نَافِعِ بْنِ خَلِيفَةَ الْغَنَوِيِّ :

رِجَالٌ إِذَا لَمْ تَقْبَلِ الْحَقَّ مِنْهُمْ وَيُطْعَمُونَ عَادُوا بِالْأَسْيُوفِ الْقَوَاضِي

(١) الديمة : المطر يدوم ، وتهمي : تسيل .

فَتَقَى دِيرُكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا * صَوَّبُ الرَّيِّعِ وَدِمَّةَ نَهْيِ
وَنَحْوُ : أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ . وَإِنَّمَا بِالْإِثْمِ .

وقول الآخر :

لَوْ أَنَّ عَزَّةً حَاطَّتْ كَحَمْسِ الضُّعَى فِي الْحُسْنِ عِنْدَ مُوَفَّقٍ لَقَفَى لَهَا
فقوله عند موفق : تكميل لطيف ، والثاني كقولته تعالى : فسوف يأتي الله
بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين . فإنه لو اقتصر على
وصفهم بالأذلة على المؤمنين لثوم أن ذلهم لضعفهم ، فلما قيل أعزة على الكافرين
علم أنها منهم تواضع لهم ، ولهذا عدى الذل بعل لتضمنه معنى العطف كأنه قيل
عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع ويجوز أن تكون التعدية بعل ، لأن
المعنى أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين عاضون لهم أجنحتهم .
ومنه قول ابن الرومي فيما كتب به إلى صديق له : إني وليك الذي لا يزال تنقاد
إليك مودته عن غير طمع ولا جوع ، وإن كنت لدى الرغبة مطلباً ولدى الرغبة
مهرباً ، ومثله خامس :

رَهَنْتُ يَدَيَّ بِالْعَجَزِ عَنْ شُكْرِ يَوْمٍ وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِشُكُورِ مَزِيدٍ
وكذا قول كعب بن سعد الغنوي :

حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحِلْمُ زَيْنَ أَهْلِهِ مَعَ الْحِلْمِ فِي عَيْنِ الْمَدْوِّ مَهْيَبٌ
فإنه لو اقتصر على وصفه بالحلم لأوم أن ذلك عن ضعف وخور . فأزال ذلك
بجوه إذا ما الحلم زين أهله ، ومعلوم أن الحلم لا يزين أهله إلا عند القدرة عليه .
ولما كان كونه حليماً في حال يحسن فيها الحلم يوم أنه في تلك الحال ليس مهيباً لما به
من البشر وطلاقة الوجه وعدم آثار الغضب والوقار نفي ذلك قوله : مع الحلم
في عين العدو مهيب فهو تكميل آخر . ومن هذا أيضاً قول السمواني .

وَهُوَ : أَنْ يُؤْتَى فِي كَلَامٍ لَأَيُّومٍ خِلَافَ الْقَصُودِ بِفَضْلَةٍ ، لِنُكْتَةِ كَلْبَالَتِهِ ،
نَحْوُ : وَيَطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ، فِي وَجْهِهِ ، أَيْ مَعَ حُبِّهِ . وَإِنَّمَا
بِالْإِعْتِرَاضِ ، وَهُوَ : أَنْ يُؤْتَى فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ أَوْ بَيْنَ كَلَامَتَيْنِ مُتَعَبَتَيْنِ
مَتَعَفًى بِجُمْلَةٍ أَوْ أَكْثَرَ لَا تَحُلُّ لَمَّا بَيْنَ الْإِعْرَابِ لِنُكْتَةِ سَوَى دَفْعِ
الْإِبْهَامِ ، كَالْتَنْزِيهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَيَحْمِلُونَ فِيهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ فِي فِرَاشِهِ وَلَا حُلٌّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ
فَإِنَّهُ لَوْ اقْتَصَرَ عَلَى وَصْفِ قَوْمِهِ بِشِعْوِ الْقَتْلِ لِإِبْهَامٍ ، لِأَوْحَادِ أَنَّ ذَلِكَ
لِنُضْفِهِمْ وَقَتْلِهِمْ ، فَأَزَالَ هَذَا الْوَحْدَ بِوَصْفِهِمْ بِالنُّصْرَةِ مِنْ قَاتِلِهِمْ (كَلْبَالَتُهُ)
وَكَالِدَلَالَةٍ عَلَى تَقْلِيلِ الْمُدَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعِيسَى لَيْلًا ، ذَكَرَ
لَيْلًا وَالْإِسْرَاءَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللَّيْلِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَقْلِيلِ مَدَّةِ الْإِسْرَاءِ ، وَأَنَّهُ أَسْرَى
بِهِ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ ، لِأَنَّ التَّنْكِيرَ فِيهِ قَدْ دَلَّ عَلَى مَعْنَى الْبَعْضِ (فِي وَجْهِهِ أَيْ مَعَ
حُبِّهِ) أَيْ مَعَ اسْتِهَادِ الطَّعَامِ وَالْحَاجَةِ إِلَيْهِ . أَمَّا إِذَا جَعَلَ الضَّمِيرَ لَهُ أَوْ عَلَى حُبِّهِ
أَقْرَبَ كَمَا قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ ، فَلَا يَكُونُ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ ، لِأَنَّهُ لِنَادِيَةِ أَصْلِ الْمُرَادِ
وَهَذَا الْوَجْهِ بَعِيدٌ كَمَا لَا يَخْفَى . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

مَنْ يَأْتِي يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ قَرِيبًا يَلْقَى السَّاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلِقًا
فَقَوْلُهُ عَلَى عِلَاتِهِ : تَتِمُّ جَمِيلٌ . وَقَوْلُ الْآخَرِ :

إِنِّي عَلَى مَا تَرَيْتَ مِنْ كِبَرِي أَغْرِفُ مِنْ أَيْمَنِ نَوْكَائِ الْكَافِي
قَوْلُهُ عَلَى مَا تَرَيْتَ مِنْ كِبَرِي : تَتِمُّ أَصْحَابُ الْحَرْ (سَوَى دَفْعِ الْإِبْهَامِ) أَيْ الَّذِي
ذَكَرَ فِي التَّكْمِيلِ (كَالْتَنْزِيهِ) وَكَتَنَ صِصَ أَحَدِ الْمَذْكُورِينَ بِرِوَاةِ التَّوَكِيدِ فِي
أَمْرٍ هَاتِي هُجَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ
وَصَافَهُ فِي عَامِنٍ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ ، قَوْلُهُ أَنْ اشْكُرْ لِي : تَتِمُّ

مَا يَشْتَهُونَ ، وَالْأَعَابِ فِي قَوْلِهِ :

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبَلَقْتَهُ * قَدْ أَحْوَجَتْ تَعْنِي إِلَى تَرْجُمَانٍ

والتَّنْبِيهِ فِي قَوْلِهِ :

وَأَعْلَمَ فَعِلْمُ اللَّزْءِ يَنْقُذُ . إِنَّ سَوْفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قَدِرَا

لوصينا ، وقوله جئت اعراض بينهما إيجاباً للتوصية بالوالدة خصوصاً وتذكيراً
لحقها العظيم مفرداً ، وكالمطابقة مع الاستعطاف في قول أبي الطيب :

وَحُفُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتَ لَهَيْبَتَهُ يَا جَنَّتِي لَرَأَيْتَ فِيهِ جَهَنَّمَ

فقوله يا جنتي : اعراض للطاقة مع جهنم والاستعطاف . وبيان السبب
لأمر فيه غرابة كما في قوله بن ميادة :

فَلَا هَجَرُهُ يَبْدُو فِي الْيَأْسِ رَاحَةً وَلَا وَصْلُهُ يَبْدُو لَنَا فَتْكَارِمَةً

فإن قوله فلا هجر يبدو يشعر بأن هجر الحبيب أحد مطلوبيه وغريب أن
يكون هجر الحبيب مطلوباً للحب فقال وفي اليأس راحة ليبن سبه (ويجعلون
فه البنات الخ) فقوله سبحانه جملة لكونه بتقدير الفعل وقعت في أثناء الكلام
لأن قوله ولهم ما يشتهون مطوف على قوله فه البنات . والنكتة فيه تزيه الله سبحانه
وتقديسه عما يفسبون إليه (في قوله) أي قول عوف بن علم الثيباني يشكو كبره
ومضه . فقوله وبلغتها : جملة معترضة بين اسم إن وخبرها قصد الدعاء والواو
في مثله اعراضية ليست عاطفة ولا حالية ، ومثل هذا قول أبي الطيب :

وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجَرَّبٍ يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ قَانِيَا

فقوله وحاشاك دعاء حسن في موضعه (وأعلم الخ) فقوله فلم المره بنفسه
اعراض بين اعلم ومفعوله ، والمعنى أن المقدور آت لا عاة وإن وقع فيه
تأخير ، وفي هذا تسلية وتسهيل الأمر ، وهذا البيت أنشده أبو علي الفارسي

وَمَا جَاءَ بَيْنَ كَلَامَيْنِ وَهُوَ أَكْثَرُ مِنْ جُمْلَةٍ أَيْضًا قَوْلُهُ فَكُلَا :
فَأَتَوْهُمُ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكَ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ
نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ، فَإِنَّ قَوْلَهُ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ يَكُنْ قَوْلُهُ
فَأَتَوْهُمُ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكَ اللَّهُ ، وَقَالَ قَوْمٌ : قَدْ تَكُونُ الشُّكَّةُ فِيهِ غَيْرَ
مَا ذَكَرَ ، ثُمَّ جَوَزَ بَعْضُهُمْ وَقَوْلُهُ آخِرَ جُمْلَةٍ لَا تَلْبِسَا جُمْلَةً مُنْفَصِلَةً بِهَا
فَيَشْمَلُ التَّذْيِيلَ ، وَبَعْضُ صَوَرِ التَّكْمِيلِ ، وَبَعْضُهُمْ كَوْنُهُ غَيْرَ جُمْلَةٍ

ولم يمره على أحد (وهو) أى والاعراض نفسه الواقع بين الكلامين
أكثر من جملة (أيضاً) كما أن الكلام الذى رفع الاعراض فى أثناءه
أكثر من جملة (بيان لقوله فَأَتَوْهُمُ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكَ اللَّهُ) لأن الفرض
الأصل من الإيمان هو طلب الفل لأتضاء الشهوة ، فلا تأتوهم إلا من
حيث بأتى فيه هذا الفرض . فالتسكة فى هذا الاعراض الترفع ليا أمروا
به والتنفير عما نهوا عنه (وقال قوم الخ) يقول غفر الله له : إن قوماً ذهبوا
إلى أن الاعراض لا تفيد فائدة بما ذكر ، بل يجوز أن تكون دفع قوم
ما يخالف المقصود وهؤلاء افرقوا فرقتين فرقة لا تشترط فيه أن يكون واقعاً
فى أثناء كلام أو بين كلامين متصلين معنى ، بل يجوز أن يقع فى آخر كلام
لا يليه كلام أو يليه كلام غير متصل به معنى وهذا يشتمل كلام الزمخشري فى
مواضع من الكتاب ، فالاعراض عند هؤلاء يشمل التذييل ويشمل من
التكميل ما لا عمل له من الإعراب جملة كان أو أكثر من جملة . وفرقة تشترط
فيه ذلك لكن لا تشترط أن يكون جملة أو أكثر من جملة ، فالاعراض
عند هؤلاء يشمل من التسميم ما كان واقعاً فى أحد الموقعين ، ومن التكميل
ما كان واقعاً فى أحدهما ولا عمل له من الإعراب جملة كان أو أقل أو

فَيَشْتَلُ بَعْدَ صَوْرِ التَّعْتِيمِ وَالْكَفِيلِ . وَإِنَّمَا يَنْقَرِ ذَلِكَ ، كَقَوْلِهِ نَعَالِ :
الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ،
فَإِنَّهُ لَوْ اجْتَضِرَ لَمْ يَذْكُرْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، لِأَنَّ إِيْمَانَهُمْ لَا يُنْكِرُهُ مَنْ
يُكَلِّمُهُمْ ، وَحَسَنَ ذِكْرُهُ إِظْهَارُ شَرَفِ الْإِيْمَانِ تَرْغِيْبًا فِيهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ
يُوصَفُ الْكَلَامُ بِالْإِيْمَاكِزِ وَالْإِطْنَابِ بِاعْتِبَارِ كَثَرَةِ حُرُوفِهِ وَقِلَّتِهَا بِالنَّسْبَةِ
إِلَى كَلَامٍ آخَرَ مُسَاوِلَةً فِي أَصْلِ الْمَعْنَى كَقَوْلِهِ :

« يَصُدُّ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا عَنَّ سَوْدَدٌ » وقوله :

وَلَسْتُ يَنْظُرُ إِلَى جَانِبِ الْفَقْرِ إِذَا كَانَتْ السَّيَّاهُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ

أَكْثَرُ (وَإِنَّمَا يَنْقَرِ ذَلِكَ) مَطْوُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ إِذَا بِالْإِيصَاحِ بَعْدَ الْإِيْهَامِ
(كَقَوْلِهِ) أَيْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ مِنْ آيَاتِ يَرْوِي أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْهَيْثَمِ .
وَتَمَامُ الْبَيْتِ :

« وَلَوْ بَرَزْتَ فِي زِيٍّ عَدْرَاءَ نَاهِدٍ »

فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ هَذَا الْمَصْرَاعَ إِجْمَازٌ بِالنَّسْبَةِ إِلَى بَيْتِ الْمَعْدُولِ بْنِ غِلَانَ :
وَلَسْتُ يَنْظُرُ إِلَى جَانِبِ الْفَقْرِ إِذَا كَانَتْ السَّيَّاهُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ
لِمَاوَاتِهِ هُ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى وَقِلَّةِ حُرُوفِهِ ، وَالْبَيْتُ إِطْنَابٌ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِ .
وَكُنَّا بَيْتَ الشَّاعِرِ :

إِذَا مَا رَأَيْتُ رُفِعَتْ لِحْدِي تَنَقَّاهُ عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

فَإِنَّهُ إِجْمَازٌ بِالنَّسْبَةِ لِقَوْلِ بَشَرَ بْنِ أَبِي عَازِمٍ :

إِذَا مَا لَكُرُمَاتُ رُفِعْنَ يَوْمًا وَقَعَّرَ مُبْتَنُوهُهَا عَنْ مَدَاهَا

وَيَقْرُبُ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : لَا يُسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ،
وَقَوْلُ الْحَاشِيَةِ :

وَنُتَكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ * وَلَا يُنْكَرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

﴿الْفَنُّ الثَّانِي عِلْمُ الْبَيَانِ﴾

وَهُوَ عِلْمٌ يَعْرِفُ بِهِ إِِرَادُ الْمَعْنَى الْوَاحِدِ بِأَرْوَاقٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي وَضُوحِ

وَضَاقَتْ أَذْرُعُ الْكَثِيرِينَ عَنْهَا تَمَّا أَوْسَى إِلَيْهَا فَاحْتَوَاهَا

وشرح بشر إطناب بالنسبة إليه ، قال ، ويغرب من هذا الباب قوله تعالى :
لا يستل عما يفعل وهم يستلون وقول السموال :

وتنكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

(وهو علم الخ) قد مهد السكاكي لهذا النوع من علوم البلاغة بمقدمات
هي بالعلوم النظرية أليق والبلّيج بغيرها غنية ولكن لا يحصى أبها الفارسي
عن شرحها بما ينظر للأسلوب العربي فنقول : لبيان علم يعرف به إبراز المعنى
الواحد في صور مختلفة وتراكيب متفاوتة بالزيادة والنقصان في وضوح الدلالة
عليه ليحتدز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام تمام المراد منه
ثم بما يكاد يكون معروفاً أن إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة غير ممكن
بالدلالة القنوية . وهي التي يسودها الدلالة الوضعية . لأن من المحال أن يطرّق
الكلام والنقصان إليها ، فإن السامع لفظ إما أن يكون عالماً بكونه موضوعاً
لمساءه أولاً يكون ، فإن كان عالماً به عرف مفهومه بجامه وإن لم يكن عالماً
به لم يعرف منه شيئاً أبه . فالألفاظ في دلالتها القنوية إما أن تنيد سمياتها
بالكمال أولاً بحد شيئاً منها ، فأما أن تنيد إفادة ناقصة فذلك غير معقول ، مثاله

الدَّالَّةُ عَلَيْهِ ، وَدَلَالَةُ الْفِعْلِ إِنَّمَا عَلَى تَكْمُلِ مَا وَضِعَ لَهُ ، أَوْ عَلَى جُزْئِهِ ،
أَوْ عَلَى خَارِجِ هُنَا ، يَنْسَى الْأَوَّلَى وَضِعَتُهُ ، وَكُلٌّ مِنَ الْأَخِيرَتَيْنِ عَقْلِيَّةٌ

إذا أردت تدبيره زيد بالأسد في الشجاعة ، فإن أدعت هنا بالدلالة الفئوية وقلت
زيد يشبه الأسد في الشجاعة ، فقد أدعت مقصودك بالمعاطفة عليه دلالته
لفئوية ، وهذه الإعادة تمتنع من تطرق الزيادة والتقصان إليها ، لأنك إذا نقصت
في هذه الألفاظ شيئاً فقد نقصت من المعنى لا عالة . وإن زدت فيها فقد
زدت في المعنى لا عالة ، وإن ألفت مقام كل لفظ منها ما يرادفه امتنع أن
تزداد تلك الإفادة قوة بسبب ذلك ، لأن السامع إذا عرف كونها موضوعة
بإزاء مفهومات الألفاظ الأولى كان فهمه منها كفهمة من تلك الألفاظ لا لآل
وإن لم يعرف ذلك لم يعرف منها ذلك المعنى . وأما الدلالة العقلية فلا لعل أن
ساحلها عائد إلى انتقال الذهن من مفهوم اللفظ إلى ما يلازمه من الوازم ، ثم
الوازم كثيرة . وهي تارة تكون قريبة وأخرى تكون بعيدة . لا جرم صح
إبراز المعنى الواحد في صور كبيرة ، وصح في تلك الصور أن يكون بعضها
أكمل من بعض في إفادة ذلك المعنى وتأديته وبعضها أقص وأضف ...
إذا عرفت هذا فنقول : دلالة اللفظ على المعنى إما أن تكون وضعية أو عقلية .
فالوضعية كدلالة الألفاظ على المعاني التي هي موضوعة بإزائها وذلك كدلالة
السماء والأرض والجدار والمخاط على معانيها ، ولا شك في كونها وضعية ،
وإلا لامتنع اختلاف دلالتها باختلاف الأرواح وأما العقلية فإما على ما يكون
داخلاً في مفهوم اللفظ كدلالة لفظ البيت على السقف الذي هو جزء مفهوم
البيت ولا شك في كونها عقلية لامتناع وضع اللفظ بإزاء حقيقة مركبة ولا
يكون متناولاً لأجزائها ، وإما على ما يكون خارجاً عنه كدلالة لفظ السقف
على المخاط ، فإنه لا امتنع انفكاك السقف عن المخاط عادة كان اللفظ العقيد

وَتَحْتَصِرُ الْأُولَى بِالْمُطَابَقَةِ ، وَالثَّانِيَةُ بِالتَّضَمُّنِ ، وَالثَّلَاثَةُ بِالِالْتِزَامِ وَشَرْطُهُ
الزُّرْمُ الدَّهْنِيُّ ، وَلَوْ لَا عَيْتَادُ الْخَاطِبِ بِمُرْفٍ أَوْ غَيْرِهِ ، وَالْإِرَادُ لِلذِّكْرِ
لَا يَتَأَنَّى بِالْوَضْعِيَّةِ ، لِأَنَّ السَّامِعَ إِذَا كَانَ عَالِمًا بِوَضْعِ الْأَلْفَافِ
لَمْ يَكُنْ بِمَعْنَاهَا أَوْضَحَ ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ دَالًّا عَلَيْهِ وَيَتَأَنَّى
بِالْعَقْلِيَّةِ ، لِجَوَارِ أَنْ تَحْتَفِ مَرَاتِبُ الزُّرْمِ فِي الْوَضُوحِ ، ثُمَّ الْفُظُّ
الْمُرَادُ بِهِ لِأَزْمَ مَا وَضِعَ لَهُ إِنْ قَامَتْ قَرِينَةٌ عَلَى عَدَمِ إِزَادَتِهِ فَمَجَازٌ ،

الحقيقة السقف مفيداً للحائط بواسطة دلالة الأول ، فتكون هذه الدلالة عقلية ،
والقوم قد اصطالحوا على تسمية الأول بدلالة المطابقة والثانية بدلالة التضمن
والثالثة بدلالة الالتزام ، قال المصنف : وشرط الالتزام الزرْم الدهني بين
الموضوع له والخارج عنه يعني أن يكون حصول ما وضع اللفظ له في ذهن
ملزوماً لحصول الخارج فيه لتلا يلزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر لكون
نسبة الخارج إليه حقيقتاً كنسبة سائر الدقائق الخارجية ، ولا يشترط في هذا
الزرم أن يكون مما يثبت العقل بل يكفي أن يكون مما يثبت اعتقاد المخاطب ، إما
لعرف عام أو لغيره ، لإمكان الانتقال حينئذ من المفهوم الأصل إلى الآخر .
قال : ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له إن قامت قرينة على عدم إرادة
ما وضع له فهو مجاز وإلا فكناية . . . وهذا مبنى على ما سيحده أول باب
الكناية من أن الانتقال في المجاز والكناية كليهما إنما هو من الزرْم إلى
اللازم ، وأن ما ذكره السكاكي من أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم
إلى الزرْم ليس بصحيح ، إذ لا دلالة لللازم من حيث أنه لازم على الزرْم

وَالْأَفْكَانِيَّةُ ، وَقَدْ تَمَّ عَلَيْنَا لِأَنَّ مَعْنَاهُ كَجُزءٍ مَعْنَاهَا ، ثُمَّ مِنْهُ مَا يُبَيِّنُ
عَلَى التَّشْبِيهِ ، فَتَمَيَّنَ التَّعَرُّضُ لَهُ ، فَانْحَصَرَ فِي الثَّلَاثَةِ .

﴿ التَّشْبِيهُ ﴾

التَّشْبِيهُ الدَّلَالَةُ عَلَى مُشَارَكَةِ أَمْرٍ لِأَمْرٍ فِي مَقْى ، وَالْمُرَادُ هَهُنَا

وَالْإِتِّزَامُ إِنَّمَا هُوَ الدَّلَالَةُ عَلَى لَازِمِ الْمُسَمَى لَا عَلَى مَلُومِهِ . قَالَ : وَقَدْ تَمَّ الْجَازِ
عَلَى الْكِنَايَةِ لِأَنَّ مَعْنَاهُ كَجُزءٍ مَعْنَاهَا ، أَيْ لِأَنَّ الْمُرَادَ فِي الْجَازِ هُوَ الْإِلَازِمُ فَقَطْ
لِقِيَامِ الْقَرِينَةِ عَلَى عَدَمِ إِرَادَةِ الْمَلُومِ وَفِي الْكِنَايَةِ يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ الْإِلَازِمُ وَالْمَلُومُ
جَمِيعاً . قَالَ : ثُمَّ مِنَ الْجَازِ مَا يُبَيِّنُ عَلَى التَّشْبِيهِ . وَهُوَ الْإِسْتِمَارَةُ . فَتَمَيَّنَ التَّعَرُّضُ
لَهُ فَانْحَصَرَ الْمَقْصُودُ مِنْ عِلْمِ الْبَيَانِ فِي الثَّلَاثَةِ : التَّشْبِيهِ وَالْجَازِ وَالْكِنَايَةُ . هَذَا
مَا أَمَكُنَ أَنْ تَنْتَبِهَ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَهُوَ يَبْدُو مَوْضِعَ نَظَرٍ (١) .

(التَّشْبِيهِ) اعْلَمْ أَنَّ التَّشْبِيهِ عَمَّا اتَّفَقَ الْعُقَلَاءُ عَلَى شَرَفِ قَدْرِهِ وَإِنْ تَعْقِبُ
الْمَعَانِيهِ لِأَسْبَابِ قِسْمِ التَّحْيِيلِ مِنْهُ يَكْسِبُهَا أَهْلُهُ وَيَكْسِبُهَا مَنْقِبَةٌ وَيَرْفَعُ مِنْ أَقْدَارِهَا وَيُصِيبُ
مِنْ نَارِهَا وَيَضَاعِفُ قَوَاهِئَ تَحْرِيكِ النُّفُوسِ لَهَا وَيَدْعُو الْقُلُوبَ إِلَيْهَا وَيَسْتَكْبِرُ لَهَا
مِنْ أَقْصَى الْأَقْدَادِ صَبَابَةً وَكَلَفًا ، وَيَقْصُرُ الطَّبَاعُ عَلَى أَنْ تَعْطِيَهَا حُبَّةً وَشُخْفًا فَإِنْ
كَانَ مَدْحًا كَانَ أَهْبَى وَأَعْلَمُ وَأَنْبَلُ فِي النُّفُوسِ وَأَعْظَمُ ، وَأَهْمَزُ لَطْفًا وَأَسْرَعَ
لِلْأَنْفِ ، وَأَجْلَبُ قُرْخًا ، وَأَغْلَبُ عَلَى الْمَمْتَدَحِ وَأَوْجِبُ شِفَاعَةً لِلدَّاحِ ، وَأَقْنَعُ
لَهُ بِفَرِ الْمَوَاهِبِ وَالْمَنَافِعِ ، وَأَسِيرُ عَلَى الْأَلْسِنِ وَأَذْكَرُ ، وَأَوَّلُ بَأَنِ تَعْلَقَةِ الْقُلُوبِ

(١) وَذَلِكَ لِأُمُورٍ : مِنْهَا أَنَّهُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ قَوْلُهُمْ إِنْ اِلْتِمَازٍ بِالْوَضُوحِ
وَالْحَفَافِ غَيْرِ مُمَكَّنٍ فِي الدَّلَالَةِ الْوَضُوعِيَّةِ ، وَلَقَدْ شَنَعَ شَيْخُنَا الْإِمَامُ حَفَظَهُ اللَّهُ عَلَى
هَذَا الْقَوْلِ بِمَا يُؤَيِّدُهُ الْحَسُّ وَيَنْصُرُهُ الْعَقْلُ ، وَلَيْسَ فِي وَسْطِنَا إِثْبَاتُ ذَلِكَ الْآنَ
وَرَبَّمَا أَثْبَتَانِي مَكَانَ آخِرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَأُمُورٌ أُخْرَى نَبِّهَ عَلَيْهَا الْقَوْمَ فِيمَا كَتَبُوا
فَانْظُرْ مَا ثَمَّتْ إِنْ شِئْتَ .

وأجدر . وإن كان ذماً كان منه أوجع وميسر الدخ ووقه أشد وحده أحد ،
وإن كان حياءً كان برهانه أنور وسلطانه أوفر وبيانه أجبر . وإن كان اختصاراً
كان شأوه أبعد وشره أجد ولسانه ألد . وإن كان اعتذاراً كان إلى القبول
أقرب والقلب أطلب والسخام أسهل والفرب الغضب أفل ، وإن عقد العهود
أنفذ وعلى حسن الرجوع أبسط . وإن كان وعظاً كان أشنى للصدر وأدعى
إلى الفكر وأبلغ في التنبيه والجز وأجدر ، بأن يحمل الغاية ويصر الغاية ويعبر
الليل ويشق الليل . وهكذا الحكم إذا استقرت فنون القول وحذره ،
وتثبت أبوابه وشعوبه . وإن أردت أن تعرف ذلك فانظر إلى قول البحرى :

دَانِ عَلَى أَيْدِي الشَّفَاةِ وَتَسَاحِ عَنْ كُلِّ نِدَى فِي النَّدَى وَضَرِبِ
كَالْبَدْرِ أَفْرَطَ فِي الْمَلْؤِ وَضَوَّاهُ لِمُصْنَةِ السَّارِينَ جِدُّ قَرِيبِ
أو قول ابن لكك :

إِذَا أَخُو الْمُنَى أَضْحَى فَمِنْهُ تَجَا رَأَيْتَ صُورَتَهُ مِنْ أَفْجَحِ الصُّورِ
وَعَبَهُ كَالشَّمْسِ فِي حُسْنِ أَلَمِ تَرَنَّا نَعَرُ مِنْهَا إِذَا مَأَتْ إِلَى الضَّرَرِ
أو قول ابن الرومي :

بَذَلَ الزَّوْعَ لِلْأَخْلَاءِ تَمَحَا وَأَبَى بَعْدَ ذَلِكَ بَذَلَ الْمَطَا
خَفَدَا كَالْخِلَافِ يُوْرِقُ لِمَيْسَرِ وَيَأْبَى الْإِمَارَ كُلَّ الْإِبَاهِ
أو قول أبي تمام :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ قَضِيَةٍ طَوَيْتَ أُنَاحَ لَهَا لِيَانِ حَبُودِ
لَوْ لَا اِشْتِمَالُ النَّارِ فَمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُتَرَفُّ طَيْبُ عَرَفِ الْوُودِ
وقوله أيضاً :

مَوَلُودُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْخَلْقِ لِيَبَاجِيَهُ فَأَغْرَبَ تَتَجَدَّدِ

مَا تَمْ تَكُنْ عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِمَارَةِ التَّحْقِيقِيَّةِ وَالْإِسْتِمَارَةِ بِالْكِتَابَةِ

فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَيْدَتْ حَبَّةً إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ
وفكر في حاله وحال المعنى معك وأنت في البيت الأول لم تنه إلى الثاني
ثم قسها على الحال وقد وقعت عليه وتأملت طرفيه ، فإنك تعلم بعد ما بين
حالتك وشدة تفاوتهما ، في تمكن المعنى لديك وتحميه إليك وتبني في نفسك
وتوفيره لأنك ، وتحكم لي بالصدق فيما قلت والحق فيما ادعيت وكذلك فتنبه
الفرق بين أن تقول أرى قوما لهم بهاء ومنظر ، وليس هناك خبر ، وتقطع
الكلام ، وبين أن تبعه قول ابن خلكان :

فِي شَجَرِ السَّرْوِ مِنْهُمْ مَثَلٌ لَهُ رَوْاهُ وَمَا لَهُ ثَمَرٌ

وانظر إلى المعنى في الحالة الثانية كيف يورق شجرة ويشمر ويثمر ثمره
ويديم ، وكيف تفتار الأرى من مذاقه كما ترى الحسن في شأته . هذا ولذلك
أسباب وعلل فلما ما يحصل للنفس من الإنس إخراجها من غنى إلى جلى كالانتقال
ما يحصل لها بالفكرة إلى ما يعلم بالقطرة أو بإخراجها عما لم تألفه إلى ما ألفته
كما قيل : ما الحب إلا للحبيب الأول . أو عالم نقله إلى ما هو به أعلم كالانتقال
من المفعول إلى الموحس ، فإنك قد تعبر عن المعنى بعبارة تؤديه وتبالغ حتى
لا تدع في النفوس مزعاً ، نحو أن تقول وأنت نصف اليوم بالقصر يوم كأقصر
ما يتصور . فلا يجد السامع له من الأنس ما يجده لنحو قولهم أيام كأباهم^(١)
القطا وقول ابن المعتز :

نَدْتُ مِنْ يَوْمٍ كَقَلِّ حَصَاةٍ لَيْلًا كَقَلِّ الرَّمْجِ غَيْرَ مَوَاتٍ

وقول الآخر

فَلَمَّا عِنْدَ بَابِ أَبِي صَيْمٍ يَتَوَّمُ مِثْلَ سَالِفَةِ الدُّبَابِ^(٢)

(١) جمع إبهام . (٢) هي ناحية مقدم العنق من لدن معلق القراط إلى البرقعة .

وكذا تقول فلان إذا م بالشيء لم يزل ذلك عن ذكره وقلبه ، وقصر
خواطره على إضفاء عزمه فيه ، ولم يشغله عنه شيء ، ثم لا ترى في نفسك له مرق
ولا تصادف لما تسمعه أريحية حتى إذا قلت :

• إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزَمَهُ • (١)

امتثلت نفسك سروراً وأدركتك طربة لا تملك دفعها عنك . ومن الدليل
على أن التشبيه من التحريك ، ليس وتلك المعنى ما ليس لغيره ، أنه لو كان
الرجل مثلاً على طرف نهر في وقت يحتاجه صاحبه ، وإخباره بأنه لا يحصل
من سعيه على شيء ، فأدخل يده في الماء وقال انظر هل حصل في كفي من
الماء شيء ، فكذلك أنت في أمرك ، كان لذلك ضرب من التأخير زائد على
القول المجرد . ومن فضائل التشبيه أنه يأنبك من الشيء الواحد بأشياء عدة
نحو : أن يعطيك من الزند بمراته ، شبه الجواد والزكي والنجم في الأمور
، بإصلاحه شبه البخيل والبليد والحية في السعي ، ومن القمر الكمال عن النقصان .
كما قال أبو تمام (٢) :

لَعَفَى عَلَى تِلْكَ الشَّوَاهِدِ فِيهَا لَوْ أُنْهِلَتْ حَتَّى تَصِيرَ تَمَائِلًا
لَفَدَا سَكُونُهَا جِئِي وَصِيَانَا حِلًا وَتِلْكَ الْأَزْمِجَةُ نَائِلًا
إِنَّ الْمَلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نُمُوهُ أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَصِيرُ بَدْرًا كَامِلًا
والنقصان بعد الكمال كقول أبي العلاء الممرى :

(١) الشطر لسعد بن ناسب وتمامه :

• وَنَسَكَبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَائِبِ جَانِبًا •

(٢) يوفى ولدين لعبد الله بن طاهر مائة في يوم واحد .

والنجر يد ، فدخل فيه نحو قولنا زيد أسد ، وقوله تعالى : مُم بِكُمْ نَحْيُ

وَإِنْ كُنْتَ تَبْنِي الْمَيْشَ فَأَنْفِرْ تَوْشًا فَمِنْ التَّنْهِى يَقْصُرُ لِلتَّطَوُّلِ
تَوْقُ الْبَدْرُ النَّفَسَ وَفِي أَهْلٍ وَيَذَرُهَا التَّنْصَانُ وَفِي كَوَامِلٍ
وتضرع من حالي كاله وقصه فريخ لطيفة ، لمن ذلك قول ابن بابك :

وَأَعْرَزَ شَطْرَ الْمَلِكِ ثَوْبَ كَلْبٍ وَالْبَدْرُ فِي شَطْرِ الْمَسَافَةِ يَكْتَلُ
قاله في الاستاذ أبي علي وقد استورده غر العولة بعد وفاة صاحب وأما
العباس الضبي وخلع عليهما ، وقول أبو بكر الحارثي .

أَرَاكَ إِذَا أَبْسَرْتَ أَخْبَتَ عَيْنَا مُقِيًا وَإِنْ أَعْرَسْتَ زُرْتَ لِيَامًا
فَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَدْرُ إِنْ قَلَّ ضَوْؤُهُ أَغْبَّ وَإِنْ زَادَ ضِيَاؤُهُ أَفْجَا

المعنى لطيف وإن لم تساعده العبارة على الوجه الذي يجب ، فإن الإغجاب
أن يخلل وقت الحضور وقت يخلو منه ، وإنما يصلح لأن يراد أن القمر إذا
قص نوره لم يوال الطلوع كل ليلة بل يظهر في بعض الليالي دون بعض وليس
الامر كذلك لأنه على نقصانه يظهر كل ليلة حتى يكون السرار . وبعد ، فهذا
الضرب من البيان على حده كثر من كنوز البلاغة ومادة الشاعر المقلد والكاتب
البلغ في الإبداع والإحسان والاتساع في طرق البيان وأنت يصنع الكلام
بعيد المرام قريباً من الأفهام ، ولا يترك من أمره أنك ترى الرجل
يشبه الجراد بالبحر والشجاع بالأسد والحسن بالنفس ، وما مائل ذلك
بما اشتهر أمره وجرى لذلك مجرى الحقيقة وإنما هو يندق ويطلق حتى
يأتيك بما يغلب القلوب ويرقص الهام ، وحتى يخرج مثله عن طرق البشر
جميعاً (النجر يد) سيمر بك في البديع (فدخل فيه نحو قولنا زيد أسد)

وَالنَّظَرُ هُنَا فِي أَرْكَانِهِ ، وَهِيَ طَرَفَاهُ وَوَجْهُهُ وَأَدَاَتُهُ ، وَفِي الْفَرْضِ مِنْهُ .
وَفِي أَقْسَامِهِ : طَرَفَاهُ إِنَّمَا حِسِّيَانِ ، كَالْعَيْنِ وَالْوَرْدِ ، وَالصَّوْتِ الضَّعِيفِ
وَالْمَسِّ ، وَالنَّكَحَةِ وَالْمَنْعِيِّ ، وَالرَّيْقِ وَالْعَلَمِ ، وَالْجِلْدِ النَّاعِمِ وَالْحَرِيرِ .
أَوْ غَلِيَّانِ : كَالْعِلْمِ وَالْحَيَاةِ ، أَوْ مُخْتَلِفَانِ : كَالْمَنِيَّةِ وَالسَّبْعِ ، وَالْعَطَرِ وَخُلُقِي .
كَرِيمٍ ، وَالْمَرَادُ بِالْمَسِّ الْمَذْرُوكُ هُوَ أَوْ مَادَّتُهُ بِأَحَدَى الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ

وسياتي آخر التشبيه تحقيق ذلك إن شاء الله (كالعند والورد) والقائمة بالروح
والقد والنفس والقيل والجبل ، يعني حيث يشبه الأول بالثاني في جميع ذلك
وقس على هذا ما يأتي (والممس) وهو الصوت الذي أغنى حتى كأنه لا
يجرجع عن فضاء الفهم (والنكحة) هي ربح الفهم (كالمنية والسبع) فالشبه وهو
المنية عقل والشبه به وهو السبع حسي (والعطر وخلق كريم) فالشبه
هو العطر محسوس بالنفس ، والشبه به وهو الخلق عقل . قال الرازي اعلم أن
تشبيه المحسوس بالمقول غير جائز لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس
ومنتية إليها ، ولذلك قيل من قد حساً فقد قد علم ، وإذا كان المحسوس
أصلاً للمقول فتشبيهه به يكون جعلاً لفرع أصلاً وللأصل فرعاً وهو
غير جائز ولذلك لوحاول محاول المبالغة في وصف النفس بالظهور والمسك
بالغيب ، فقال الشمس كالخجلة في الظهور والمسك كخلق فلان في الغيب ، كان
سيفاً من القول ، أما ما جاء في الكلام البليغ من هذا الجنس ، فوجهه
أن يقدر المقول محسوساً ويجعل كالأصل لذلك المحسوس على المبالغة ، وذلك
مثل قول البحترى : -

وكان الهجوم بين دجاها سنن لاح بينن ابتداع

الظاهرة ، فدخل فيه الغيالي ، كما في قوله :

وَكَاَنَ مُخَمَّرَ الشَّقِيقِ إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ

أَعْلَامُ يَأْقُوتٍ نُشِرَ نَ عَلَى رِمَاحٍ مِنْ ذَرَجَدٍ

وَبِالْغَالِي مَا عَدَا ذَلِكَ ، فدخل فيه الوهمي ، أي ما هو غير مدرك بها

وَلَوْ أَذْرَكَ لَكَانَ مَدْرَكَهَا ، كما في قوله : « وَسَنَوْنَهُ زُرْقٍ كَأَنْيَابِ أَغْوَالٍ »

كما سيأتي قريباً (الخيال) هو المركب من أمور كل واحد موجود يدرك بالحوس لكن هيئته التركيبية لم توجد . والتشبيه متى كان كذلك كان مصوغاً بالحوس مكمياً روح الإحجاب (وكان الخ) عمر الشقيق ، يراد به شقائق النعمان وهو ورد أحمر في وسطه سواد ، وإنما أضيف إلى النعمان لأنه حتى أرضاً أكثر فيها ذلك ، وتصوب : مال إلى أسفل ، وتصعد : مال إلى أعلى ، ومثله قول بعضهم في النيلوفر (١) :

كَلْنَا بَاسِطُ الْيَدِ نَحْوَ نِيلُوفَرٍ نَدَى

كَدَّ بَابِيسٍ غَسَجَدٍ فَضُبًّا مِنْ ذَرَجَدٍ

وقول أبي القنائم الحمصي :

خَوْدٌ كَأَنَّ بِنَانَهَا فِي خُصْرَةِ النَّفْسِ لِلزُّرْدِ

تَمَكُّ مِنَ الْبَلُورِ فِي شَبَكِ تَكْوَنٍ مِنْ ذَرَجَدٍ

(كما في قوله وسنونه) وعليه قوله تعالى : طالعها كأنه رأس الشياطين وصدر البيت

« أَقْتَلَنِي وَالْمَشْرِقُ مُضَاجِعِي »

وَمَا يُدْرِكُ الْبُؤْسَانَ كَالْقَدَرِ وَالْأَلَمِ : وَوَجْهَهُ مَا يَشْتَرِكَانِ فِيهِ تَحْقِيقًا
أَوْ تَحْقِيلًا ، وَلِلرَّادِّ بِالتَّحْقِيلِ نَحْوُ مَا فِي قَوْلِهِ :
وَكَانَ الشُّجُومَ بَيْنَ دُجَاعَا سُنُّنٍ لَاحَ بَيْنَهُنَّ ابْتِدَاعُ

وهو لا يمرى التيس من القصيدة الى مطلعها :

« أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَتَيْهَا الطَّلَلُ الْبَالِي »

والمرشوق نسبة إل مشارف الشام : وهي فرى من أرض العرب تدنو من
الريف منها السيوف المشرقية والسنونة المحددة المصقولة يريد السهام (نحو ما في
قوله وكان) نحوه كل مالا يمكن وجوده في المشبه به إلا على تأويل ، ومن هنا
قول أبي طالب الرق :

وَقَدْ ذُكِّرْتِكَ وَالزَّمَانُ كَأَنَّهُ يَوْمُ النَّوَى وَفُؤَادُ مَنْ لَمْ يَمُتْ

لما كانت أيام المكاره توصف : بالسواد فيقال اسود البهار في عين وأظلمت
المنيا على ، جعل يوم النوى كأنه أعرف وأشهر بالسواد من الظلام نفسه به ،
ثم عطف عليه فؤاد من لم يموت نظراً وإتماماً للصفة ، وذلك أن الفؤاد يدعى
القصرة على من لم يعرف العشق والقلب القاسى يوصف ببسدة السواد ، فصار
هذا القلب عنده أصلاً في الكدرة والسواد فقاس عليه ومنه قول ابن بابك :

وَأَرْضِي كَأَخْلَاقِ الْكَرِيمِ قَطْمَتُهَا وَقَدْ كَعَلَ الْإِيلُ الشَّمَاكَ فَأَبْصَرَا
لما كانت الأخلاق توصف بالسعة والضييق وكثر ذلك تومعه حقيقة فقابل
بين سعة الأرض التي هي سعة حقيقة وأخلاق الكريم ، وكذا قول المتنوعى
في قطعة وهي قوله :

أَمَا تَرَى الْبَرْدَ قَدْ وَافَتْ عَسَا كِرُهُ وَعَسْكَرُ الْكُرْ كَيْفَ انْصَاعَ مُنْطَلِقَا

فَلَنْ وَجْهَ الشَّيْءِ فِيهِ هُوَ الْهَيْئَةُ الْخَامِلَةُ مِنْ حُصُولِ أَشْيَاءٍ مُشْرِقَةٍ
يَبْصُرُ فِي جَوَانِبِ قُوَّةٍ مُظْلِمَةٍ أَسْوَدَ ، فَعِنَى غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي الشَّيْءِ بِهِ
إِلَّا عَلَى طَرِيقِ التَّخْيِيلِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الْيَدُوعَةُ وَكُلُّ مَا مَوْجُودٍ جَهْلٌ
تَجَمُّلٌ صَاحِبَهَا كُنَّ يَمْشِي فِي الظُّلَّةِ فَلَا يَهْتَدِي لِلْعَرِيقِ وَلَا يَأْنِي أَنْ

فَالْأَرْضُ تَحْتَ قَرِيرِ الثَّلَجِ تَحْسَبُهَا قَدْ أَلْبَسَتْ حَبَكًا أَوْ غُشِبَتْ وَرَقًا
فَإَنْهَضَتْ يَنْتَابِرُ إِلَى فَحْمٍ كَانَتْهَا فِي النَّهْنِ ظُلْمٌ وَإِنْصَافٌ قَدْ انْتَفَقَا
جَاءَتْ وَتَحْنُ كَقَلْبِ الصَّبِّ حِينَ سَلَا بَرْدًا فَصِرْنَا كَقَلْبِ الصَّبِّ إِذْ عَشِقَا
الْقَصُودُ فَاتَهَضَّ بِنَارٍ إِلَى لَحْمٍ فَلَمَّا كَانَ يُقَالُ فِي الْحَقِّ لَهُ مَنِيْرٌ وَاضِحٌ لَانَحْ
قَسْتَعَارُ لَهُ أَوْصَافَ الْأَجْسَامِ الْمُنِيرَةِ ، وَفِي الظُّلْمِ خِلَافَ ذَلِكَ تَحْيِلُهُمَا شَيْئَيْنِ
لَهَا إِتَارَةٌ وَإِظْلَامٌ وَابْيَضَاضٌ وَأَسْوَدَادٌ فَهَبِ الْبَارِ وَالْقَصَمِ هِمَا ، وَبِمَا حَسَنَ مِنْ
هَذَا الْبَابِ مَا كَتَبَ بِهِ الصَّاحِبُ إِلَى الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ وَقَدْ أَهْدَى لَهُ الصَّاحِبُ
عَطَرَ الْعَطْرِ :

يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الَّذِي نَفْسِي لَهُ مَعَ قُرْبٍ عَهْدٍ لِقَائِهِ مُشَاقَّةٌ
أَهْدَيْتُ عِطْرًا يَمْثِلُ طِيبَ ثَنَائِهِ فَكَأَنَّكَ أَهْدَيْتَ لَهُ أَخْلَاقَهُ

فَالْعَادَةُ أَنْ يَنْسِبَ الثَّنَاءَ بِالْعَطْرِ وَقَدْ عَكَسَ كَمَا تَرَى وَذَلِكَ عَلَى ادِّعَاءِ أَنْ ثَنَاءَهُ
أَحَقُّ بِصِفَةِ الْعَطْرِ وَطِيبِهِ مِنَ الْعَطْرِ وَأَنَّهُ قَدْ صَارَ أَصْلًا ، حَتَّى إِذَا قِيسَ نَوْحُ مِنَ
الْعَطْرِ عَلَيْهِ قَدْ بَلَغَ فِي صِفَتِهِ بِالطِّيبِ وَجَعَلَ لَهُ فِي الشُّرُوفِ وَالْفَضْلِ عَلَى جَفَةِ
أَوْفَرِ نَصِيبٍ ، وَبِمَا حَقَّهُ أَنْ يَهْدَى فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الْقَائِلِ :

كَأَنَّ انْتِخَاءَ الْبَدْرِ مِنْ تَحْتِ غَيْبِهِ ، نَجَاءً مِنَ الْبُشَاءِ بَدْرٌ وَفُوجٌ

يَنَالُ مَسْكُورَهَا شَبَهَتِ الْبِدْعَةُ بِهَا ، وَلَزِمَ بِطَرِيقِ التَّكْسِيرِ أَنْ تَشْبَهَ
السُّنَّةُ وَكُلُّ مَا هُوَ عِلْمٌ بِالنُّورِ ، وَشَاعَ ذَلِكَ حَتَّى تُخَيَّلَ أَنَّ الثَّانِيَّ
يِمَالُهُ بَيَاضٌ وَإِسْرَاقٌ ، نَحْوُ : أَتَيْتُكُمْ بِالْخَنِيفَةِ الْبَيْضَاءِ ، وَأَنَّ الْأَوَّلَ
عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ ، كَقَوْلِكَ : شَهِدْتُ سَوَادَ الْكُفْرِ مِنْ جَبِينِ فُلَانٍ ،
فَصَارَ تَشْبِيهُ النُّجُومِ بَيْنَ الدُّجَى بِالسُّنَنِ بَيْنَ الْإِبْتِدَاعِ كَتَشْبِيهِهَا بِبَيَاضِ

وذلك أن العادة أن يشبه المتخلص من البأساء بالبدن الذي ينحبر عنه
الغمام ، والشبه بين البأساء والغمام والظلمة من طريق العقل لا من طريق الحس ،
ذكر هذا الإمام عبد القاهر ، هذا وإليك ما قبل البيت :

رُبُّ لَيْلٍ قَطَعَتْهُ بِصُدُودٍ وَفِرَاقٍ مَا كَانَ فِيهِ وَدَاعٌ
مُوحِشٌ كَالْتَقِيلِ تَقْدَى بِهِ الْقَسِينُ وَتَأْتِي حَدِيثَهُ الْأَتَمَلُّعُ
وبعد :

مُسْرِقَاتٌ كَأَنَّهُنَّ حِجَابُ تَقَطَّعَ الطَّغَمَ وَالظَّلَامَ انْطِطَاعُ
وَكَانَ السَّمَاءُ خِيَمَةً وَشِي وَكَانَ الْجُوزَاءُ فِيهَا قِرَاعُ
والآيات القاعية أبي القاسم النوعي شيخ له القندع الممل في الأدب أو من
جيد شعره - وهو ما وجد فيه التشبيه الحسن ولذلك أمثاله :

وَلَيْلَةٌ مُشْتَاكِ كَأَنَّ نُجُومَهَا قَدْ اغْتَضَبَتْ عَيْنَ الْكَرْمِيِّ نَوْمُ
كَأَنَّ عَيُونَ السَّاهِرِينَ لَطُولُهَا إِذَا شَقَعَتْ لِلْأَنْجَمِ الزُّهْرُ أَنْجَمُ
كَأَنَّ سَوَادَ الْبَلِّ وَالْقَجَرُ صَاحِكُ يَلُوحُ وَيَخْفَى أَسْوَدُ يَتَبَسَّمُ

الشَّيْبِ فِي سَوَادِ الشَّبَابِ أَوْ بِالْأَثْوَارِ مُؤْتَلِفَةً بَيْنَ الثَّبَاتِ الشَّدِيدِ الْخُضْرَةِ
فَسَيِّمٌ فَسَادُ جَنَلِهِ فِي قَوْلِ الْقَائِلِ : النَّحْوُ فِي الْكَلَامِ كَالْيَمْنِ فِي الطَّعَامِ ،
كَوْنُ الْقَلِيلِ مُضْلِحًا ، وَالْكَثِيرُ مُفْسِدًا ، لِأَنَّ النَّحْوَ لَا يَحْتَمِلُ الْقِلَّةَ .

(أو بالأثوار) جمع نور ففتح النون وهو الزهر (مؤتلفة) لامية . وبعد .
قد علمت من كلام المصنف أن التأويل في البيت هو تخفيف ما ليس بمنون
متنونا . وإن تأولت في البيت أنه أراد معنى قولهم إن سواد الظلام يزيد
التعمر حسنا وجهه كان له مذهب ، وذلك أنه لما كان وقوف العاقل على بطلان
الباطل وعوار البدعة يزيد الحق نبلا في نفسه وحسنا في مرآة عقله ، جعل
هذا الأصل من المعقول مثالا للشاهد المبرر هناك إلا أنه على ذلك لا يخرج
من أن يكون خارجا عن الظاهر أن يمثل المعقول في ذلك بالحدس كالفعل
البحراني في قوله :

وَقَدْ زَادَهَا إِفْرَاطًا حَسَنٌ جَوَارَهَا خَلَائِقَ أَصْقَارٍ مِنَ الْهَجْدِ خُيَّبٍ^(١)

وَحَسَنٌ فَزَارِي الثُّجُومِ بَأَن تَرَى طَوَالِعَ فِي دَاجٍ مِنَ الْكَلَامِ غَيْبٍ
(فم الخ) قد علمت أن وجه الشبه هو ما يشترك فيه الطرفان ، وحقق
يكون معنى قولهم النحو في الكلام كالمح في الطعام إن الكلام لا يستقيم
ولا ينفتح به إلا بمراعاة أحكام النحوي في الإعراب والترتيب الخاص كما
لا يحمى الطعام ، ولا تحصل المنفعة المطلوبة منه ما لم يصلح بالمح ، أما ما فيه
بعضهم من أن معناه : أن القليل من النحو مفسد والكثير مفيد كمرسد الملح
الطعام إذا كثر فيه فتخريف وقول مراء وذلك أنه لا يتصور الزيادة والنقصان

(١) الأصناف جمع صفر : بمعنى غال .

وَالْكَثْرَةُ ، بِحِلَافِ الْمَلْعِ . وَهُوَ إِنَّمَا غَيْرُ خَارِجٍ عَنْ حَقِيقَتِهَا ، كَمَا فِي

فِي جِرْمَانِ أَحْكَامِ النُّحُو فِي الْكَلَامِ ، فَقَوْلُنَا كَانَ زَيْدٌ ذَا مَبْأَدٍ لَا يَدْفِيهِ مِنْ رَفْعِ
الْإِسْمِ وَنَصْبِ الْخَبَرِ وَهَذَا إِنْ وَجَدَ فَقَدْ حَصَلَ النُّحُو وَتَمَتَّعَ الزَّيَادَةُ عَلَيْهِ وَإِنْ
لَمْ يَحْصُلْ كَانَ الْكَلَامُ فَاسِداً لَا يَغْنِي السَّمْعَ فَاعْتَدَ بَلْ يَضُرُّهُ لَوْ قَوَّعَ فِي عَمِيَاءٍ
وَجُحُومِ الْوَحْشَةِ عَلَيْهِ ، فَقَوْلُ أَبِي بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيِّ :

« وَالْبُغْفُورُ عِنْدِي كَثْرَةُ الْأَعْرَابِ »

كَلَامٌ لَا تَحْصُلُ مِنْهُ عَلَى طَائِلٍ لَمَّا عَلَتْ ، وَلِطَلْمٍ يَرِيدُونَ بِكَثْرَةِ النُّحُو
اسْتِمَالِ الْوُجُوهِ الْغَرِيبَةِ وَالْأَقْوَالِ الضَّعِيفَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مَا يَفْسِدُ الْكَلَامَ . هَذَا
وَعَمَّا هُوَ فَاسِدٌ لِعَدَمِ اشْتِرَاكِ الطَّرَفَيْنِ فِي وَجْهِ الشَّبَهِ قَوْلُ ابْنِ شَرَفٍ الْقَيَّرَوَانِيِّ :

غَيْرِي جَنَى وَأَنَا الْمُنَاقِبُ فِيكُمْ فَكَأَنِّي سَبَابَةُ الْمُتَقَدِّمِ

حَكَى أَنَّهُ لَا أَتُتَّهَمُ ابْنُ رَشِيقٍ وَقَالَ لَهُ هَلْ سَمِعْتَ هَذَا الْمَثَلَ ، قَالَ ابْنُ رَشِيقٍ
سَمِعْتُهُ وَأَخَذْتُهُ وَأَفْسَدْتُهُ ، أَمَا الْآخِذُ مِنَ النَّابِغَةِ الْفُضِيائِي حَيْثُ يَقُولُ :

خَلَقْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رَيْبَةً وَهَلْ يَأْتَمُنْ ذُو أَمَةٍ ^(١) وَهُوَ طَائِعُ
لِكَفَلْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكَتُهُ كَذِي الْمَرْءِ يُكْوِي غَيْرُهُ وَهُوَ رَاقِعٌ ^(٢)

وَأَمَّا الْإِسَادُ فَلَنْ سَبَابَةِ الْمُتَقَدِّمِ أَوَّلُ شَيْءٍ يَنَالُ مِنْهُ ، فَلَا يَكُونُ الْمَعْقِبُ
غَيْرَ الْجَانِي ، وَهَذَا بِخِلَافِ يَتِ النَّابِغَةِ فَإِنَّ الْمَكْوِي مِنَ الْإِبْلِ يَأْلَمُ وَمَا بِهِ أَعْرَ
الْبَيْتِ ، وَصَاحِبُ الْمَرْءِ لَا يَأْلَمُ لِحُلِهِ (وَهُوَ إِذَا غَرِبَ عَارِجُ الْخِ) هَذَا تَقْسِيمُ
آخِرُ لَوْجَةِ الشَّبهِ وَأَمَّا السَّكَاتِي ، فَهَذَا الْمَصْنُوعُ فِيهِ خُذُ الْفُتَّةِ بِالْفُتَّةِ ،
وَيَسْجُنِي قَوْلُ الشَّيْخِ الْفُتَّارَانِيِّ فِي تَرْجُمَةِ الطُّبُولِ إِنْ أَثَلَتْ هَذِهِ التَّقْسِيمَاتِ

تشبيه تونب ياتر في نوعهما أو جنسهما ، أو خارج صفة ، إما حقيقة
حيثية ، كالصفات الجنسية ، مما يدرك بالبصر من الألوان والأشكال
والتقدير والحركات وما يتصل بها ، أو بالشع من الأصوات القوية

التي لا تفرع على أقسامها أحكام متفاوتة قليلة الجدوى ، وكان هذا ابتهاج من
السكاكي باطلاعه على اصطلاحات المتكلمين فقه الإمام عبد القاهر وإحاطت
بأسرار كلام العرب وخواص تراكيب البلغاء ، فإنه لم يرد في هذا المقام على
التكثير من أمثلة أنواع التشبيهات وتحقيق الطائفت المودعة فيها . هذا والبلغاء
قاطبة برآء من التشبيه في مفهوم داخل في الحقيقة ، وليس وجه الشبه عندهم
إلا للمعاني القائمة بالطرفين ، وليس الجنس والنوع عندهم إلا الاختصاص
والأعم ، فأمثال هذا التقسيم من تقلد السكاكي والبهتان العظيم (حقيقة)
أى موجودة في الطرفين لا بالقياس إلى شيء (الألوان) كتشبيه الحد بالورد
والشعر بخافية الغراب والوجه بالنهار (والأشكال) نحو أن يصب الشيء إذا
استدار بالكرة في وجه وبالخلفة في وجه آخر (والتقدير) كتشبيه العظيم الجنة
بالجبل والليل ونشيد الناقة بالقصر (والحركات) كتشبيه الغمام على الاستقامة
بالسهم السديد ومن تأخذه الأريحية فيهنز بالنصن تحت البارح (وما يتصل بها)
كالحسن والقيح والضحك والبكاء وغير ذلك (الأصوات) كتشبيه صوت
الجهوري بالرعد ، وتشبيه أطيال الرجل بأصوات الفجارج ، وتشبيه صريف أياك
البحر بصياح البوازي كما قال :

كَأَنَّ عَلَى أُنْيَابِهَا كُلِّ سَحْرَةٍ صَيْحَ الْبَوَازِي مِنْ مَرِيدِ الْقَوَائِدِ (١)

(١) السحرة : السحر . والموائك جميع لائكة من الوك : وهو الضغ

وَالضَّعِيفَةَ ، وَالَّتِي بَيْنَ بَيْنَ ، أَوْ بِالذَّقِ مِنَ الطُّومِ ، أَوْ بِالشَّمِّ مِنَ الرُّوَانِ
أَوْ بِالْمُسِّ مِنَ الْحَرَارَةِ وَالْبُرُودَةِ وَالرُّطُوبَةِ وَالْيُبُوسَةِ وَالنَّشْوَةِ
وَاللَّاسَةِ وَالْبَيْنِ وَالصَّلَابَةِ وَالْخَفَةِ وَالثَقَلِ وَبِمَا يَتَّصِلُ بِهَا ، أَوْ مَخْلِيَةً
كَالْكَيْفِيَّاتِ النَّفْسَانِيَّةِ مِنَ الذِّكَاةِ وَالْعِلْمِ وَالنُّضْبِ وَالْحِلْمِ وَسَائِرِ الْفَرَائِزِ ،
وَأَيْضًا إِضَافِيَّةٌ : كإِزَالَةِ الْحِجَابِ فِي تَشْبِيهِ الْحُجَّةِ بِالشَّمْسِ ، وَأَيْضًا

(الطُّوم) كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالسل والسكر (الروانح)
كتشبيه رائحة بعض الرياحين برائحة الكافور (من الحرارة الخ) كتشبيه
القيظ بضح جهنم واللين بالناعم بالحز والحشن بالمسح والخفيف بالريش والبارد
بالتليج وهكذا (وما يتصل بها) كآلة والجفاف والروجة والحفاشة والطاقة
والكثافة وغير ذلك (أو عقلية) هو معطوف على حسي (النفسانية) أى
المختصة بذوات الأنفس الناطقة (من الذكاء) كتشبيه الذكي بإياس (والعلم)
كتشبيه العالم بالخاليل (والنضب) كتشبيه النضوب بالمغربي (والحلم)
كتشبيه الحلم بمعاوية أو الاحتف أو ممن بن زائدة (وسائر الفرائز)
كالكرم ، تقول فلان كأنه كعب بن مامة ، أو هرم بن سنان ، أو حاتم طيء
والنسجاعة نحو : فلان كأنه عترة ، والبخل تقول هذا كأنه صبي أو كلب من
كلاب بن زياد والجن نحو هذا كأنه صافر (إضافية) أى نسبية يتوقف
تعلمها على تعقل الغير (كإزالة الحجاب الخ) فإن الإزالة أمر إضافي يتعلل
فيما بين المرئى والمزال (وأيضاً) هذا تقسيم آخر ، يقول : وجه الشبه
إما واحد أو غير واحد ، والواحد إما حسي أو عقلي ، وغير الواحد إما بمنزلة
الواحد لكونه مركباً بأن يكون هيئة مترعة انتزعها العقل من عدة أمور ،
أو متعدد غير مركب بأن ينظر إلى عدة أمور ويقصد اشتراك الطرفين في

إِثْمًا وَاحِدًا، وَإِذَا بَيَّنَّزِلَةَ الْوَاحِدِ، لِيَكُونَ مَرْكَبًا مِنْ مُتَعَدِّدٍ، وَكُلٌّ مِنْهَا
حِسِّيٌّ أَوْ عَقْلِيٌّ، وَإِذَا مُتَعَدَّدٌ كَذَلِكَ، أَوْ مُخْتَلِفٌ، وَالْحِسِّيُّ طَرَفَاهُ
حَيَّيَّانٍ لَا غَيْرَ، لِامْتِنَاعِ أَنْ يُدْرَكَ بِالْحَسِّ مِنْ غَيْرِ الْحِسِّ شَيْءٌ، وَالْعَقْلِيُّ
أَعْمٌ، لِجَوَازِ أَنْ يُدْرَكَ بِالْعَقْلِ مِنَ الْحِسِّ شَيْءٌ، وَقِيلَ لِكَ تَشْبِيهِ
بِالْوَحْدَةِ الْعَقْلِيِّ أَعْمٌ، فَإِنْ قِيلَ: هُوَ مُشْتَرَكٌ فِيهِ فَهَوَّ كُلُّهُ، وَالْحِسِّيُّ لَيْسَ

كل منها ليكون كل منها وجه شبه . والذي بمنزلة الواحد إما حسي أو عقلي ،
والمتمدد إما حسي أو عقلي أو مختلف (لا غير) فلا يجوز أن يكونا معاً عقليين
أو أحدهما (لا امتناع الخ) فإن وجه التشبيه أمر مأخوذ من الطرفين موجود
فيها ، وكل ما يؤخذ من العقل ويوجد فيه يجب أن يدرك بالعقل لا بالحس ،
لأن المدرك بالحس لا يكون إلا جسماً أو قائماً بالجسم (أعم) يعني يجوز
أن يكون طرفاه عقليين وأن يكونا حسيين وأن يكون أحدهما حسياً والآخر
عقلياً (لمواز الخ) بل كل محسوس فله أوصاف بعضها حسي وبعضها
عقلي (أعم) فدخل طرفين يتحقق فيها التشبيه بوجه حسي يتحقق فيها
بوجه عقلي ولا عكس (فإن قيل) هذا إشارة إلى إشكال أورده السكاكي
على كون وجه الشبه قد يكون حسياً وهاك عبارته . وههنا نكتة لا بد من
التنبه لها وهي أن التحقيق في وجه الشبه يأتي أن يكون غير عقلي ، وذلك أنه
متى كان حسياً ، وقد عرفت أنه يجب أن يكون موجوداً في الطرفين ، وكل
موجود فله تعيين ، فوجه الشبه مع المشبه متعين فيمتنع إن يكون هو بعينه
موجوداً مع المشبه به لا امتناع حصول المحسوس المدين ههنا مع كونه بعينه
هناك بحكم الضرورة وبجمعك التذنب على لاعتناء إن شئت وهو استلزامه إذا

يُكَلِّمِي ، قُلْنَا : لَرَّادُ أَنْ أَفْرَادَهُ مُدْرَكَةٌ بِالْحَسَنِ ، فَأَوَّاحِدُ الْحُسْنَى كَالْمُحَرَّةِ
وَالْمُفْرَدَةِ وَطَيْبِ الرَّائِحَةِ وَقَدَّةِ الطَّعْمِ وَلَيْنِ اللَّيْسِ فَيَا مَرْ ، وَالتَّقْلِي كَالْمُرَّاهِ
عَنِ الْفَائِدَةِ وَالْجُرَّاهِ وَالْهَدَايَةِ وَاسْتِطَابَةِ النَّفْسِ فِي تَشْبِيهِ وَجُودِ الشَّيْءِ
الْمَدِيمِ الشَّيْءِ بِمَدَمِهِ ، وَالرَّجُلِ الشَّجَاعِ بِأَلَسَدِهِ ، وَالْمِلْهِ بِالنُّورِ وَالْمِطْرِ
بِخَلْقِي كَرِيمِهِ ؛ وَالْمَرْكَبُ الْحُسْنَى فَيَا طَرْفَاهُ مُفْرَدَانِ كَأَنِّي قَوْلِي :
وَقَدْ لَاحَ فِي الصَّبْحِ الثَّرْيَا كَأَنِّي . مَكْتَعْنُودٍ مُلَاحِظَةٍ حِينَ نَوَّهَا

عدم حرة الحدردن حرة الورد أو بالعكس كون الحرة مدرومة موجودة
معاً ، وممكن أن يكونا بل يكون مثله مع المشبه به لكن المثلين لا يكونان شيئاً
واحداً ، ووجه الشبه بين الطرفين كما عرفت واحداً ، فيلزم أن يكون أسراً كلياً
ماخوذاً من المثلين ؛ تجردهما عن التبيين ، لكن ما هذا شأنه هو عقل ، ويمنع
أن يقال فالمراد بوجه الشبه ، حصول المثلين في الطرفين ، فإن المثلين متشابهان
ففيهما وجه تشبيه فإن كان عقلياً كالمرجع في وجه الشبه النقل في المال
وإن كان حياً استلزم أن يكون مع المثلين مثلاً آخران وكان الكلام فيهما
كالكلام فيما سواهما ويلزم التسلسل . وقال . المصنف إما نعرف بصفة
هذا الإشكال غير أن المراد يكون وجه الشبه حياً أن تكون أفراده مدركة
بالحسن كالسواد ، فإن أفراده مدركة بالبصر ، وإن كان هو في نفسه غير مدرك
به ولا يفترقه من الحواس ، نقول وهذا ضرب من التباس (والحفاء)
يعنى خفاء الصوت (فيما مر) يعنى في تشبيه الحد بالورد والصوت الضعيف
بالحسن ، والنسبة بالبصر ، والريق بالحر ، والجد الناعم بالحرير (وقد لاح)
هو لاني فبت بن الأسات ، وقيل لا حيلة بن الجلاح ، والأول شاعر جاهل

مِنَ التَّيْبَةِ الْخَاصَةِ مِنْ تَقَارُنِ الصُّورِ الْبَيْضِ الشَّدِيدَةِ الْعُمَارِ الْقَادِرِ
فِي الْمَرَأَى عَلَى الْكَثْفَةِ الْخُصُوصَةِ إِلَى الْمَقْدَارِ الْخُصُوصِ ، وَفِيهَا طَرَفَةٌ
مُرَكَّبَانِ كَأَنَّ قَوْلَ بَشَارِ :

كَأَنَّ مَنَارَ النُّعْمِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا * وَأَسَافُنَا لَيْلَ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
مِنَ التَّيْبَةِ الْخَاصَةِ مِنْ هَوَى أَجْرَامِ مُشْرِقَةِ مُسْتَطِيلَةِ مُتَنَاسِبَةِ

محمد أسلم ابنه عقبة بن أب قيس (ملاحية) هي عنب أبيض في حبه طول وهو
في البيض بتشديد اللام والتخفيف فيه أكثر . قال ابن قتيبة : لا أعلم هل التشديد
في البيت ضرورة أو لغة فيه (ورأ) تمتع نوره (كافي قول بشار) مثله مافي
قول أبي طالب الرق :

وَكَبَّانُ أَجْرَامِ النُّجُومِ لَوَامِيَا دُرَّرَ نُزْنٌ عَلَى بِسَاطِ أُرْدَقِ
من الهيئة الخاصة من تفرق أجرام منلثة مستديرة ، صغار المقادير في
المراى على سطح جسم أذرق ضاى الزرعة . وبيت بشار من قصيدة يمدح بها
ابن هبيرة يقول فيها :

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُنَاقِبَا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقِ الَّذِي لَا مُنَاقِبَةَ
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُفَارِفٌ ذَنْبِ مَرَّةٍ وَنَجَابَتُهُ
إِذَا أَنْتَ أَمْ تَشْرَبُ مِرَازًا عَلَى الْبَدَى غَالِمَتْ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْنُفُو مُشَارِبُهُ
ك (منار النعم) النعم : الغبار ، وشار : من أثار الغبار هيج (تهاوى كواكبه)
أى يتساقط بعضها أثر بعض والأصل تهاوى حذفت إحدى التامين (من
الهيئة) فوجه التنبه مركب كما ترى وكذا طرفاه ، وذلك لأن الشاعر كما قال

الْقُدَارِ مُتَّفَقَةً فِي جَوَانِبِ شَيْءٍ مُظْلَمٍ ، وَفِيَا طَرَفَاهُ مُخْتَلِفَانِ كَمَا مَرَّ فِي تَشْبِيهِ الثَّقِينِ ؛ وَمِنْ بَدِيعِ الزَّكِيِّ الْحَقُّ مَا يَجِيءُ فِي الْهَيْئَاتِ الَّتِي تَقَعُ عَلَيْهَا الْحَرَكَةُ ، وَيَسْكُونُ عَلَى وَجْهَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَنْ يُقَرَّنَ بِالْحَرَكَةِ

الشيخ الإمام لم يقصد تشبيه النفع بالليل من جانب ، والسيوف بالكواكب من جانب ، بل عمد إلى تشبيه هيئة السيوف وقد سلت من الأعماد وهي تلوو وترسب وتجيء وتذهب ، ولم يقتصر على أن يربك لمعاتها في أثناء الصجاجة كما فعل عمرو بن كلثوم بقوله :

تَبَنَّى سَائِبِكُنَا مِنْ فَوْقِ أَرْوَسِهِمْ سَقًّا كَوَاكِبُ النِّبْعِ الْبَاتِيهِ
وهذه الزيادة وهي إفادة هيئة السيوف في حركاتها ، زادت التشبيه تفضيلاً لأنها لا تقوم في النفس إلا بالنظر إلى أكثر من جهة واحدة ، وذلك أن تعلم أن لها في حال احتدام الحرب واختلاف الأيدي بها في الضرب اضطراباً شديداً وحركات بسرعة ثم إن تلك الحركات جهات مختلفة وأحوالاً تنقسم بين الارتفاع والانخفاض ، وأن السيوف باختلاف هذه الأمور تتلاق وتتناحل ويصدم بعضها بعضاً ، ثم إن أشكال السيوف مستطيلة فنية على هذه الصفات بكلمة واحدة وهي قوله في تهاويها تدافع وتداخل ، ثم إنها بالتهاوي تستطيل أشكالها ، فلما إذا لم تزل عن أماكنها فهي على صورة الاستدارة (في تشبيه الثقلين) وتشبيه النبلور الذي ذكرناه ثم (ومن بديع الخ) أصل هذا الكلام للإمام عبد القاهر رحمه الله قال : اعلم أن ما يرداد به التشبيه دقة وحرراً أن يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركات

عَبْرَهَا مِنْ أَوْصَافِ الْجَنَسِ ، كَالشَّكْلِ وَالْوَنِّ كَافِي قَوْلِهِ :
 • وَالشَّمْسُ كَالْمِرْآتَةِ فِي كَفِّ الْأَثَلِ • مِنْ الْهَيْئَةِ الْخَاصِلَةِ مِنْ
 الْإِسْتِدَارَةِ مَعَ الْإِشْرَاقِ وَالْحَرَكَةِ الدَّيْرِقَةِ الْمُتَّصِلَةِ مَعَ تَمَوُّجِ الْإِشْرَاقِ
 حَتَّى يَرَى الشَّمْعُ كَأَنَّهُ يَبْهَمُ بِأَنْ يَنْبَسِطَ حَتَّى يَفِيضَ مِنْ جَوَانِبِ

والهيئة المنصودة في التشبيه على وجهين أحدهما أن تقتزن بغيرها من الأوصاف
 كالشكل واللون ونحوهما . والثاني أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها ، لأن
 الأول قول ابن المعتز :

• وَتَشْسُ كَالْمِرْآتَةِ فِي كَفِّ الْأَثَلِ •

أراد أن يريك مع الاستدارة والإشراق الحركة التي تراها للشمس إذا
 أنصمت التأمل ثم ، ما يحصل في نورها من أجل تلك الحركة وذلك أن للشمس
 حركة متصلة دائمة ولنورها بسبب ذلك تموج واضطراب ولا يتصل هذا
 التشبه إلا بأن تكون المرآة في يد الأثل لأن حركته تدوم وتتصل ويكون منها
 سرعة وبدوام الحركة يتموج نور المرآة وتلك حال الشمس لما لك ترى شعاعها
 كأنه يهيم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانبها ثم يبدو له فيرجع من الانبساط
 الذي تراه إلى انقباض كأنه يجمع من جوانب الدائرة إلى الوسط ، ومثل هذا
 التشبيه وإن صور في غير المرآة قول المهلب الوزيري :

وَالشَّمْسُ مِنْ مَشْرِيقِهَا قَدْ بَدَتْ مَشْرِقَةً لَيْسَ لَنَا حَاجِبٌ

كَأَنَّهَا وَتَقَعُ أَهْجِيَتْ يَتَوَلَّى فِيهَا ذَهَبٌ ذَائِبٌ

وذلك أن الذهب إذا ذاب تشكل بشكل البوتقة في الاستدارة وأخذ
 يتحرك فيها بحسب تلك الحركة ألسنة كأنه . بأن ينبسط حتى يفيض من

الدَّائِرَةِ ثُمَّ يَبْدُو لَهُ فَيَرْجِعُ إِلَى الْإِقْبَاضِ ، وَالثَّانِي : أَنَّ تَحْرُكَ الْحَرَكَةِ
عَنِ غَيْرِهَا ، فَهَذَا أَيْضًا لَا بُدَّ مِنْ اخْتِلَاطِ حَرَكَاتٍ إِلَى جِهَتٍ مُخْتَلِفَةٍ ،
فَحَرَكَةُ الرِّيحِ وَالسَّهْمِ لَا تَرْكِبُ فِيهَا ، بخلافِ حَرَكَةِ الْمَصْفِ
فِي قَوْلِهِ :

جوانبها لما في طبعه من التومة ، ثم يبدو له فيرجع إلى الاقباض لما بين
أجزاء من شدة الاتصال والتلاحم ، ولذلك لا يقع فيه غليان على الصفة التي
تكون في الماء ونحوه مما ينخله الهواء ، ومن عجيب ذلك قول الصوري :

كَأَنَّ فِي غُدْرَانِيَا حَوَاجِبًا ظَلَّتْ تَمُطُّ^(١)

أراد ما يبدو في صفحة الماء من أشكال كأنصاف دوائر صفار ، ثم تمتد
امتداداً بنقص من انحناؤها فينقلها من النفوس إلى الاستواء وذلك أشبه شيء
بالحوارجب إذا امتدت ، لأن الحارجب كما لا يخفى تقوياً ومدته بنقص من تقويته ،
ومن لطيف ذلك أيضاً قول ابن المعتز يصف وقوع القطر على الأرض :

بَكَرَتْ فَعِيرُ الْأَرْضِ تَوْبَ شَيَابِ اِرْجِيَّةِ^(٢) مَحْمُودَةُ الْإِسْكَابِ
تَقَرَّتْ أَوَائِلُهَا حَيًّا^(٣) فَكَأَنَّهُ قَطُّ عَلَى عَجَلٍ يَبْتَغِي كِتَابِ
وأما الوجه الثاني : وهو أن تحرك هيئة الحركة من كل وصف يكون في

(١) يصف أرضاً الطيب فيقول فيها غدران تهب عليها الريح فتبدو
على صفعات غدرانها أشكال كأنها حواجب لما تحسوس وامتداد .
(٢) (٢) الحيا : المطر .
(٣) يبد حاة

وَكَأَنَّ الْبَرْقَ مُصْصَفٌ قَارٍ فَاظْطَبَاقًا مَرَّةً وَافْتِئَاخًا
وَقَدْ يَقَعُ التَّرْكِيبُ فِي هَيْئَةِ السُّكُونِ ، كَأَنَّهُ قَوْلُهُ فِي صِفَةِ الْكَلْبِ

الجسم ، فهناك أيضاً لابد من اختلاط حركات كثيرة الجسم إلى جهات مختلفة
له كأن يتحرك بعضه إلى اليمين وبعضه إلى الشمال وبعضه إلى العلو وبعضه إلى
السفل ونحو ذلك ، وكلما كان التفاوت في الجهات التي تتحرك أبعاد الجسم
إليها أشد ، كان التركيب في هيئة المتحرك أكثر ، لحركة الرمح والدولاب
وحركة السهم لا تركيب فيها ، لأن الجهة واحدة ، ولكن في حركة المصصف
في قول ابن المعتز :

وكان البرق مصصف قار^(١) فاظطباقاً مرة وافئاضاً
تركيباً لأنه يتحرك في الحالتين إلى جهتين في كل حالة إلى جهة ، ومن لطيف
ذلك قول الأعشى يصف السفينة في البحر وتقاذف الأمواج بها :

تَقِصُّ السَّفِينُ بِجَانِبَيْهِ كَمَا يَنْزُو الرِّيحُ خَلَالَهُ كَرَعٌ
الرياح : الفصل ، الكرع : ماء السباح ، شبه السفينة في انحدارها وإرتفاعها
بحركات الفصل في نزوه ، وذلك أن الفصل إذا نزا ولاسبحاً في الماء وحين
يعتريه ما يعتري المهر ونحوه من الحيوانات التي هي في أول النشء كانت له
حركات متفاوتة تصير لها أعضاؤه في جهات مختلفة . ويكون هناك تسفل
وتقصع على غير ترتيب وبحيث تكاد تدخل إحدى المركبتين في الأخرى فلا
يثبت الطرف مرصعاً حتى يراه منقطعاً متسفلًا ، ويهوى مرة نحو الرأس
ومرة نحو الذنب ، وذلك أشبه شيء بحال السفينة وهيئة حركاتها حين يتدافها
الموج . قال . وكما يقع التركيب في هيئة الحركة قد يقع في هيئة السكون ،
فن ذلك قول ابن المعتز يصف سيلاً :

(١) بحذف الهمزة والأصل قارىء .

• يَقْنِي جُلُوسَ الْبَدْوِيِّ لِلْمُصْطَلَى • مِنَ الْهَيْئَةِ الْحَاصِلَةِ مِنْ مَوْقِعِ كُلِّ

قَلَمًا طَعْنَى مَلَاوُهُ فِي الْبِلَا . دِ وَغَصَّ بِدِ كُلِّ وَادِ صَدِ

تَرَى الثَّوَرِ فِي مَنَنِهِ طَائِفًا . كَغَضَبَةِ ذِي النَّجَّاحِ فِي الْوَقْدِ

وقول المتنبي في صفة الكلب :

يَقْنِي جُلُوسَ الْبَدْوِيِّ لِلْمُصْطَلَى . بِأَرْبَعِ مَجْدُودَةٍ لَمْ تُحْدَلِ (١)

لم يدل التشبيه خطأ من الحسن إلا بأن فيه تفصيلا من حيث كان بكل عضو من الكلب في أوضاعه موقع عامر وكان مجموع تلك الجهات في حكم أشكال مختلفة توافق فيجىء منها صورة خاصة ، ومن لطيف هذا الجلس قول الشاعر في صفة المصلوب :

كَبَّاهُ عَاشِقٌ قَدْ مَدَّ صَفْحَتَهُ . يَوْمَ الْوَدَاعِ إِلَى تَوْدِيعِ مُوَحِّلِ

أَوْ قَاتَمٌ مِنْ نَفَاسٍ فِيهِ لَوْنَتُهُ . مُوَاصِلٌ لِمُطْلَبٍ مِنَ الْكُتَلِ

والتفصيل فيه أنه شبهه بالتمطى إذا واصل تمطيه مع التعرض لشيء زهو اللون والكسل فيه ، فنظر إلى هذه الجهات الثلاث ، ولو اقتصر على أنه كالتعطى كان قريب التناول ، لأن هذا القدر يقع في نفس الرائي للصلوب ابتداء لأنه من حد الجملة ، وشبه بهذا في الاستقصاء قول ابن الرومي :

كَأَنَّ لَهُ فِي الْجَوْ حَبْلًا يَبُوعُهُ . إِذَا مَا انْقَضَى حَبْلُ أَتَيْتُكَ لَهُ حَبْلُ

فَعَانِقُ أَنْفَاسِ الرِّيحِ مُوَدَّعًا . وَدَاعِ رَجِيلٍ لَا يَحْطُّ لَهُ رَحْلُ

(١) الإفضاء : الجلوس ، والاصطلاء : الاستعداد بالتر ، وأربع مجدودة

فالمجدودة المفترقة : يريد بقوائم محكمة الخلق لم يبدلها أحد وإنما هي كذلك .

عُصُو فِي إِهْمَانِهِ ، وَالْقَلِيلُ كَجِرْمَانِ الْإِتْفَاعِ بِأَبْلَغِ نَافِجٍ مَعَ تَحْمِيلِ
التَّسْبِي فِي اسْتِغْنَائِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : مَثَلُ الَّذِينَ يُحْمَلُوا ثَوَارَةً مُمْ لَمْ
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحَارِ يُحْمَلُ أَثْقَرًا . وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ يُنْتَزَعُ مِنْ مُتَعَدِّ

فانشراطه أن يكون له بعد الحمل الذي يقضى فدره حبل آخر يخرج من
برج الأول إليه كقوله : موصل تقطيه من الكسل ، في استيفاء الشبه والتشبيه
على استدامته ، لأنه إذا كان لا يزال يبيع حبلًا لم يقبض بابه ولم يرسل يده ،
وفي ذلك بقاء شبه المصلوب على الاتصال (كحرمان^(١) الانتفاع الخ) فإنه
منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض ، وذلك أنه روى عن الحارث فعل
مخصوص وهو الحمل ، وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً وهي الأسفار التي هي
أوعية العلوم ، وأن الحارث جاهل بما فيها ، وكذا في جانب المشبه (واعلم) قال
الشيخ الإمام : قد يجيء بعد أداة التشبيه أمور يظن أن المقصود أمر منتزع
من بعضها ، فيقع الخطأ لكونه أمراً منتزعا من جميعها كقوله :

كما أبرقت قوماً عطائاً غمامة فلما رأوها أقشمت ونجحت

فإنه ربما يظن أن الشطر الأول منه تشبيه مستقل بنفسه لا حاجة به إلى
الثاني على أن المقصود به ظهور أمر مطمع لمن هو شديد الحاجة إليه ، لكن
بالتأمل يظهر أن معنى الشاعر في التشبيه أن يثبت ابتداء مطمعاً متصلاً باتباء

(١) وكالمظهر المطمع مع الخبر المؤنس الذي هو على عكس ما قدر في
قوله تعالى : والذين كفروا أعمالهم كمراب بقيمة يحسبه الظمان ماء حتى إذا
جاءه لم يجد شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه . المراب : ما يرى في القلابة
من ضوء الشمس وقت الظهيرة يهرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري .
والقيمة بمعنى القناع أو جمع قاع : وهو المنبسط المستوى .

فَقَعُ انْطِخًا لَوْجُوبِ انْتِزَاعِهِ مِنْ أَكْثَرِ ، كَمَا إِذَا انْتَزَعَ مِنَ الشُّطْرِ
الْأَوَّلِ مِنْ قَوْلِهِ :

كَمَا أَبْرَقَتْ قَوْمًا عِطَاشًا عَمَلَةً * فَلَمَّا رَأَوْهَا انْقَسَمَتْ وَتَجَلَّتْ
لَوْجُوبِ انْتِزَاعِهِ مِنَ الْجَمِيعِ ، طَابَ الْإِرَادَةُ التَّشْبِيهِ بِاتِّصَالِ ابْتِدَآئِهِ
مُطْلَعٍ بِانْتِزَاعِهِ مُؤَيِّسٍ . وَالْمُتَدَوُّ الْحَيُّ كَالْقَوْنِ وَالْعَظْمِ وَالرَّاحَةِ
فِي تَشْبِيهِهِ فَاصَّةٍ بِالْمُخَرَّصِ . وَالْقَلْبُ كَجِدَّةِ الْبَنْظَرِ وَكَأَلِ الْحَذَرِ

مؤيس ، وذلك بثوقف على البيت كله ، فإن قيل هذا يقتضى أن يكون بعض
التشبيهات المجتمعة كقولنا زيد يصغر ويكبر تشبيهاً واحداً ، لأن الاختصار
على أحد الخبرين يبطل الفرض من الكلام ، لأن الفرض منه وصف الخبر
عنه بأنه يجمع الصفتين وأن إحداهما لا يدوم ، قلنا الفرق بينهما أن الفرض في
البيت أن يثبت ابتداء مطعماً متصلاً بانتهاء مؤيس كما مر وكون الشيء ابتداء لآخر
وأنه على الجمع بينهما وليس في قولنا يصغر ويكبر أكثر من الجمع بين الصفتين ،
وظاهر البيت قولنا يصغوم يكدر لإفادة الترتيب المقترن بربط أحد الرصفتين
بالآخر وقد ظهر من هذا أن التشبيهات المجتمعة تغارق التشبيه المركب في مثل
ما ذكرنا من ، أحدهما أنه لا يجب فيها ترتيب ، والثاني أنه إذا حذف بعضها
لا يتغير حال الباقي في إفادة ما كان يفيد قبل الحذف ، فإذا قلنا زيد كالأسد
بأساً ، والبحر جوداً والسيف مضاً ، لا يجب أن يكون لهذه التشبيهات
فسق مخصوص بل لو قدم التشبيه بالبحر أو التشبيه بالسيف جاز ، ولو أحفظ
واحد من الثلاثة لم يتغير حال غيره في إفادة مضاً ، أعاد ذلك الشيخ الإمام
رحمه الله (باتصال) أي باعتبار اتصال الخ ، قالوا . ههنا مثلاً في قولك : تجبرت

وَإِخْفَاءُ الشَّفَادِ فِي تَشْبِيهِ طَائِرٍ بِالْفَرَابِ ، وَالْمُخْتَلِفُ كَحُسْنِ الطَّلَعِ .
وَتَنَاهَاةِ الشَّانِ فِي تَشْبِيهِ إِنْسَانٍ بِالشَّمْسِ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يُنْتَزَعُ الشَّبَهُ
مِنْ قَسِي التَّضَادِّ لِإِشْرَاكِ الضَّدَيْنِ فِيهِ ، ثُمَّ يُنْزَلُ مَنَزَلَةَ التَّنَاسُبِ
بِوَسِطَةِ تَحْلِيلِ أَوْ تَهْكُمٍ ، فَيَقَالُ لِلْجَبَانِ : مَا أَشْبَهُهُ بِالْأَسَدِ ، وَلِلْبَخِيلِ :
هُوَ حَائِمٌ . وَأَدَاتُهُ الْكَافُ وَكَأَنَّ وَمِثْلُ وَمَا فِي مَعْنَاهَا ، وَالْأَمْلُ فِي
نَحْوِ الْكَافِ أَنَّ يَكُنِيَ لِلشَّبهِ بِهِ ، وَقَدْ يَكُونُ غَيْرُهُ ، نَحْوُ : وَاضْرِبْ لَمْ

بِالْقَدُومِ : أَيْ بِوَسِطَةِ (الشَّفَادِ) : نَزُو الذِّكْرِ عَلَى الْإِنْثَى (بِنَاهَاةِ الدَّانِ) :
شُرْفُهُ وَاسْتِهَارُهُ (يَنْتَزَعُ الشَّبَهَ مِنْ نَفْسِ التَّضَادِّ) : أَيْ يَجْعَلُ التَّضَادَّ وَسِيلَةً لَجَمَلِ
الشَّيْءِ وَجِهَ شَبَهٍ (فِيهِ) : أَيْ فِي التَّضَادِّ (تَحْلِيلِ) : أَيْ إِنْيَانِ شَيْءٍ مُلِحٍ يَسْتَرْفِ
عِنْدَ السَّمْعِ . . هَذَا ، وَهَذَا مَذْهَبُ آخِرِ التَّضَادِّ ذَكَرَهُ بَعْضُهُمْ ، قَالَ قَدْ يَشْبَهُ
أَحَدُ الضَّدَيْنِ بِالْآخَرِ إِذَا كَانَ أَحَدُهُمَا أَظْهَرَ ، كَمَا يَقَالُ : الْعَمَلُ فِي حِلَاوَةٍ كَالصَّبْرِ
فِي مَرَارَةٍ ، وَأَنْتَدِ لَابِنِ الْمَهْدِيِّ يَحْتَذِرُ لِلْأَمُونِ :

لَيْتُنِي جَعَدْتُكَ مَعْرُوفًا مَنَّتَ بِهِ إِلَى لَيْلِي اللَّوْلُمُ أَحَقُّ مِنْكَ فِي الْكَرَمِ
(وَمَا فِي مَعْنَاهُ) كَلْفَةُ نَحْوٍ وَمَا يَشْتَقُّ مِنْ لَفْظَةٍ مِثْلُ وَشَبَهٍ وَنَحْوَهُمَا (وَقَدْ
يَكُونُ غَيْرُهُ) وَذَلِكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمَشَبَّهُ بِهِ مَرْكَبًا كَقَوْلِهِ قَالُ : وَاضْرِبْ لَمْ
مِثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أُرْلَاهُ مِنَ السَّيَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ مَشَبَّهًا
تَذَوُّهُ الرِّيحِ ، لِإِذْ لَيْسَ الْمُرَادُ تَشْبِيهِ حَالِ الدُّنْيَا بِالسَّيَاءِ وَلَا بِمَجْرَدِ آخِرِ يَتِمُّعِ
لِتَقْدِيرِهِ بَلِ الْمُرَادُ تَشْبِيهِ حَالِهَا فِي نَفْسِهَا وَبِهِجَّتِهَا ، وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنَ الْهَلَاكِ وَالْفَنَاءِ
بِحَالِ النَّبَاتِ يَكُونُ أَخْضَرَ وَارْقًا ثُمَّ يَسْجُ قَطْعُهُ الرِّيحَ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ وَمَا هُوَ بَيْنَ

مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْ لَهَا . وَقَدْ يُذَكَّرُ قَلِيلٌ يُنْفِي عَنْهُ كَافِي :
عَلَيْتَ زَيْدًا أَسَدًا ، إِنْ قُرُبَ ، وَحَسِبْتَ ، إِنْ بَعُدَ ، وَالْقَرَضُ مِنْهُ فِي
الْأَجَلِ يَمُودُ إِلَى الشَّبَةِ ، وَهُوَ بَيَانُ إِشْكَائِهِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ :
فَلَنْ نَقِي الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ .. فَلَنْ يَلِيكَ بَعْضُ دَمِ الْفَرَازِ

في هذا قول لبيد :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدَّبَّارِ وَأَهْلُهَا

لم يشبه الناس بالديار ، وإنما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم
بحلول أهل الديار فيها وسرعة نهوضهم عنها وتركها خالية (ينفي عنه) أي عن
التشبيه كما في علت (الخ) قال بعضهم في كون هذا الفعل منبأً عن التشبيه
نظر لقطع بأنه لا دلالة للعلم والحسبان على ذلك ، وإنما يدل عليه علما
بأن أسداً لا يمكن حله على زيد تحقيقاً ، وإنه إنما يكون على تقدير أداة التشبيه ،
سواء ذكر الفعل أو لم يذكر ، ولو قيل إنه ينفي عن حال التشبيه من القرب
والبعد لكان أصوب (بيان إمكانه) وذلك في كل أمر غريب يمكن أن
يخالف فيه ويدعى امتناعاً ، كما في قول أبي الطيب يمدح سيف الدولة : فلن
تفقد الأنام ، البيت ، أراد أنه فاق الأنام في الأوصاف الفاضلة إلى حد بطل منه
أن يكون واحداً منهم بل صار نوعاً آخر برأسه أشرف من الإنسان ، وهذا
أعنى أن ينأى بعض أفراد النوع في الفضائل إلى أن يصير كأنه ليس منها أمر
غريب ينتفر من يدعيه إلى إثبات جواز وجوده على الجملة حتى يجيء إلى إثبات
وجوده في الممدوح ، فقال فلن المسك بعض دم الفرز ، أي ولا يمد في
الدماء لما فيه من الأوصاف الشريفة التي لا يوجد شيء منها في الدم ، وخلوه
من الأوصاف التي لها كان الدم دماً ، فأبان أن لما ادعاه أصلاً في الوجود

أَوْ حَالِهِ ، كَأَنِّي تَشْبِيهِ تَوْبٍ بآخر في السَّوَادِ ، أَوْ مِقْدَارِهَا ، كَأَنِّي تَشْبِيهِ الْغُرَابِ فِي شِدَّتِهِ ، أَوْ تَقْرِيرُهَا ، كَأَنِّي تَشْبِيهِ مَنْ لَا يَحْصُلُ مِنْ سَمِيهِ عَلَى طَائِلٍ يَمُنُّ بِرَوْفِ اللَّهِ ، وَهَذِهِ الْأَرْبَعَةُ تَقْتَضِي أَنْ

على الجملة فإن قلت أرى التشبيه في البيت ، قلنا يدل البيت عليه ضمناً وإن لم يدل عليه تصرحاً (كَأَنِّي تَشْبِيهِ تَوْبٍ بآخر في السَّوَادِ) إذا علم السامع لون المشبه به دون المشبه (أَوْ مِقْدَارِهَا) أى أو بيان مقدار حال المشبه في القوة والضعف والريادة والنقصان (في تشبيهه) أى التَّوْبِ الْأَسْوَدِ (في شدته) أى شدة السَّوَادِ (أَوْ تَقْرِيرُهَا) هو معطوف على بيان أى تقرير حال المشبه في نفس السامع وقوية شأنه لديه (الْأَرْبَعَةُ) بيان الإمكان ، وبيان الحال وبيان المقدار ، والتقرير (تَقْتَضِي الْحُجْجَ) ومن هنا ضعف قول المحررى :

عَلَى بَابٍ^(١) قَسْرَيْنَ وَاللَّيْلُ لَا طَخَّ جَوَانِيَهُ مِنْ ظُلْمَةٍ مِمْدَادٍ
وذاك أن الممداد ليس من الأشياء التي لا مزيد عليها في السَّوَادِ ، كيف ورب ممداد فاقد اللون والليل بالسَّوَادِ وشدته أخرى ، ولهذا قال ابن الرومي :
حَبْرٌ أَيْ حَقِيقٌ لَعَلَّيْهِ اللَّيْلُ بَيْتُي لِلْإِخْوَانِ أَيْ سَبِيلُ
فبالغ في وصف الحبر بالسَّوَادِ حين شبهه الليل ، فكأنه نظر إلى قول

(١) على باب متعلق بما في البيت قبله وهو :

وَلَيْتُنَا وَالرَّاحُ عَجَلَى تَحْتَهَا فَنُونَ غِيَا لَدُنْجَابَةِ حَادٍ

أى كان مع حبيته في إدارة الكؤوس ، واستماع الفناء طول الليل ، على باب قسرين .

يَكُونُ وَجْهُ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ بِأَنَّهُمْ وَهُوَ بِهِ أَشْهَرُ ، أَوْ تَزْيِينُهُ ، كَأَنَّهُ
تَشْبِيهُ وَجْهِ أَسْوَدَ بِمَقْلَةِ الطَّيْلِ ، أَوْ تَشْوِيهِهُ ، كَأَنَّهُ تَشْبِيهُ وَجْهِ مَجْدُورٍ
بِشَيْءٍ جَامِدٍ قَدْ تَغَرَّسَتْهُ الدُّبْكَةُ ، أَوْ اسْتَطْرَافُهُ ، كَأَنَّهُ تَشْبِيهُ فُحْمٍ فِيهِ
بِحُمْرٍ مُوقَدٍ يَبْخُرُ مِنَ الْمَسْكِ مَوْجَهُ الذَّهَبِ ، لِإِبْرَازِهِ فِي صُورَةِ الْمَتَسِّعِ
عَادَةً ؛ وَلِلْإِسْطِرَافِ وَجْهُ آخَرُ ، وَهُوَ أَنَّ يَكُونُ لِلشَّيْءِ بِهِ نَادِرَ الْخُصُورِ
فِي الذَّهْنِ ، إِنَّمَا مُطْلَقًا كَمَا مَرَّ ، وَإِنَّمَا عِنْدَ خُصُورِ الشَّيْءِ كَأَنَّهُ قَوْلُهُ :

وَلَا زَوْرِدِيَّةَ تَزْهُو بِزُقَّتَيْهَا تَبِينَ الرِّيَاضِ عَلَى مَحَرِّ الْيَوَاقِيتِ
كَأَنَّهَا فَوْقَ قَامَاتٍ ضَمَعْنَ بِهَا أَوَائِلُ النَّارِ فِي أَطْرَافِ كِبَرِيَّتِ

العامَّة في الشيء الأسود هو كالتنفس^(١) ، ثم تركه للقافية إلى المداد (أو تزيينه)
عطف على بيان إمكانه ، وقد أشار ابن الرومي إلى التزيين والتشويه في قوله :
تَقُولُ هَذَا مُحَاجُّ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ وَإِنْ تَمِبَ قُلْتَ ذَا قِيٍّ الزَّائِرِ

(كاسر) في تشبيه لحم فيه حجر موقد (كأي قوله ولا زوردية) فأنت ترى
أن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حصولها في الذهن عادة
صورة بحر من المسك موجه الذهب ، وإنما النادر حضورها عند حضور صورة
النفس ، فإذا أحضر مع صحة التشبيه ، استطرف لمشاهدة عناق بين صورتين
لا تتراعى نازعاً . وما يؤيد هذا ما يحكى أن جريراً قال أشد عدى بن الرقاع :

(١) التنفس : المداد الذي يكتب به .

وَقَدْ يَمُودُ إِلَى الشَّكَبَةِ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا إِيَّاهُمْ أَنَّهُ أَتَمُّ مِنَ الشَّكَبَةِ
وَذَلِكَ فِي التَّشْبِيهِ الْقُلُوبِ ، كَقَوْلِهِ :
وَبَدَا الصَّبَاحُ كَانَ غُرْمَتُهُ * وَجْهُ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ

* عَرَفَ الدَّيَّارَ تَوَّعًا فَاعْتَادَهَا *

فَلَا بَلَّغَ إِلَى قَوْلِهِ :

* تَزَجَّيْ أَعْرَجَ كَانَ إِزْرَةَ رَوْقِهِ *

رَحْمَةً ، وَقُلْتُ قَدْ وَقَعَ مَا عَسَاهُ يَقُولُ وَهُوَ أَعْرَابِي حَلَفَ جَافٌ ، فَلَا قَالَ :

* قَلَمَ أَصَابَ مِنَ النَّوَاةِ مِدَادَهَا *

استحالت الرحمة حدةً فهل كانت رحت في الأولى والحسد في الثانية
إلا لأنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له في أول الفكر شبه ،
وحين أتته صادفه قد ظفر بأقرب صفة من أبعد موصوف . وذكر الشيخ
عبد القاهر رحمه الله للاستطراف في تشبيهه البنفسج بنار الكبريت وجهاً آخر
وهو أنه أراك شيئاً لثبات عرض يرف ، وأوراق رطبة من لُب نار في جسم
مستول عليه اليبس ، ومبنى الطباع وموضوع الجلبة ، على أن الشيء إذا ظهر من
مكان لم يعمد ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس بمعدن له ، كانت صباغة
النفوس به أكثر ، وكان الشغف به أجدر . هذا وقوله ولا زوردية : أي ورب
بنفسجة شبيهة باللازورد — الحجر المعروف ، والأكثر أن يقال زمرى الرجل
فهو مزهر : أي تكبر ، وقد يقال زها يزهر ، وحر اليواقيت : يعني الأزهار ،
والشقائق : الحمر ، والبيتان لابن الرومي (كقوله وبدا الصباح) فإن الأماعر وهو
محمد بن وهيب قصد إيهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح والوضوح والضياء

وَالثَّانِي بَيَانُ الْإِفْتِيَامِ بِهِ ، كَتَشْدِيدِهِ الْجَانِسِ وَجْهًا كَالْبَدْرِ فِي الْإِشْرَاقِ
وَالْإِسْتِدَارَةِ بِالرَّغِيفِ وَيُسَمَّى هَذَا إِظْهَارَ الْمَطْلُوبِ ، هَذَا إِذَا أُرِيدَ الْحَاقُّ

واعلم أن هذا وإن كان في الظاهر يشبه قولهم لا أدري أوجه أنور أم الصبح ،
وغرته أضوأ أم البدر ، وقولهم إذا أفرطوا : نور الصباح يخفى في ضوء وجهه ،
أو نور الشمس مسروق من نور جبينه ، ونحو ذلك من وجوه المبالغة ، فإن
في الأول خلافة وشيئا من الحر ليس في ، الثاني وهو كأنه يستكثر الصباح
أن يشبهه بوجه الخليفة ، ويوم أنه احتشد له واجتهد في تشبيهه بفخيم به أمره
فيوقع المبالغة في نفسك من حيث لا تشعر ، ويغيدكما من غير أن يظهر ادعاؤه
لها ، لأنه وضع كلامه وضع من يقبس على أصل متفق عليه لا يشق من خلاف
عناقه وتهكم متهم ، والمعاني إذا وردت على النفس هذا المورد ، كان لها نوع
من السرور عجيب فكانت كالنعمة لا تدركها المنة وكالغنيمة من حيث لا تحسب ،
وفي قوله حين يمدح فائدة شريفة ، وهي الدلالة على انصاف المدح بما لا يوجد
إلا فيمن هو كامل في الكرم من معرفة حق المادح على ما احتشد له من تزيينه
وقصده من تصخيم شأنه في عيون الناس بالإصعاد إليه والارتياح له ، والدلالة
بالبشر والطلاقة على حسن موقعه عنده (ويسمى هذا إظهار المطلوب)
قال السكاكي : ولا يحسن المصير إليه إلا في مقام الطمع في نسي المطلوب ، كما
يحكى عن صاحب رحمة الله أن قاضي بهستان دخل عليه فوجده صاحب
منقناً فأخذ يمدحه حتى قال وعالم يعرف بالسجزي وأشار لخدماء أن
ينظموا على أسلوبه ففعلوا واحداً بعد واحد إلى أن انتهت التوبة إلى شريف
في البين فقال أشهى إلى النفس من الجز فأمر صاحب أن يقدم له مائدة

التأنيص ، حقيقة أو ادعاء ، بلزائد ، فإن أريد الجمع بين شيئين في أمر
فالأحسن ترك التشبيه إلى الحكم بالتشابه ، احترازاً من ترجيح أحد
للتساويين ، كقوله :

تَشَابَهَ دَمِي إِذْ جَرَى وَمَدَامِي فَمِنْ مِثْلِي مَا فِي الْكَاسِ عَيْنِي تَسْكُبُ
عَوَالِي مَا أَدْرِي أَبَا عِلْمٍ أَسْبَتَ جُفُوفِي أَمْ مِنْ عَذْرَتِي كُنْتُ أَشْرَبُ
وَيَجُوزُ التَّشْبِيهُ أَيْضاً كَتَشْبِيهِ غُرَّةِ الْقُرْسِ بِالصُّبْحِ ، وَعَكْسِهِ مَتَى أُرِيدَ ظُهُورُ

(فإن أريد الجمع بين شيئين في أمر) يعني من غير قصد إلى أن أحدهما ناقص
في ذلك والآخر زائد (كقوله تشابه) وما هو حسن في هذا المعنى قول
الساحب بن عباد :

رَقِي الزُّبَجُجُ وَرَأَيْتِ انْقِصَارُ وَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلِ الْأَمْرُ
فَكَأَنَّمَا سَحَرُ وَلَا قَدْحُ وَكَأَنَّمَا قَدْحُ وَلَا سَحَرُ

والبيتان لأبي إسحاق الصائغ . ويقال أسبل الدمع والمطر : إذا عطل ، أي
سال كثيراً ، وأسبلت السماء كذلك (ويجوز التشبيه أيضاً) يعني عند إرادة
الجمع بين شيئين في أمر . قال الشيخ في أسرار البلاغة : جلة القول إنه متى لم
يقصد ضرب من المبالغة في إثبات الصفة الشيء ولم يقصد إلا الإيهام في التاخر
أنه كالزائد ، اقتصر على الجمع بين الشيئين في مطلق الصورة والشكل واللون .
أو جمع بين وصفين على وجه يوجد في الفرع على حدة أو قريب منه في الأصل ،
فإن المكر يستقيم في التشبيه ، ومتى أريد شيء من ذلك لم يستقيم (كتشبيه
غرة القرس بالصبح وعكسه) مثله تشبيه الشمس بالمرآة المجلوة ، أو الدينار
الخارج من السكة ، كما قال ابن المعتز :

مُنِيرٌ فِي مَظْلَمٍ أَكْثَرُ مِنْهُ. وَهُوَ بِاعْتِبَارِ طَرَفَيْهِ إِنَّمَا تَشْبِيهُ مُفْرَدٍ بِمُفْرَدٍ، وَكَمَا
غَيْرُ مُقَيَّدَيْنِ، كَتَشْبِيهِهِ أَخْلَدَ بِالْوَرْدِ، أَوْ مُقَيَّدَانِ كَقَوْلِهِمْ : هُوَ كَالرَّقَمِ.

وَكَأَنَّ الشَّمْسَ لِلْبَيْرَةِ دِينًا وَجَلَّتْ حَدَائِدُ الصَّرَافِ

وعكسه متى قصد إلى مستدير يتلأأ وبلغ ثم خصوص في جنس اللون
يوجد في المرأة المجلوة والدينار المتخلص من حمى السكر كما يوجد في الشمس،
وإن عظم التفاوت بين نور الشمس ونور المرأة والدينار، وبين الجرمن،
فإنه ليس شيء من ذلك بمنظور إليه في التشبيه، وعلى هذا ورد تشبيه الصبح في
الظلام بـعلم أبيض على دياج أسود في قول ابن المعتز :

وَالْقَلِيلُ كَالْخَلَّةِ السَّوْدَاءِ لَاحَ بِهِ مِنْ الصَّبَاحِ طِرَازٌ غَيْرُ مَرْقُومٍ (١)

فإنه تشبيه حسن مقبول وإن كان التفاوت في المقدار بين الصبح والطرز
في الامتداد والانبساط شديداً (متى أريد ظهور منير في مظلم أكثر منه)
يعنى ولم يرد المبالغة في وصف غرة القوس بالضياء والانبساط وفرط التلألؤ
ونحو ذلك، إذ لو أريد شيء من هذا لوجب جعل الغرة مشبهاً والصبح مشبهاً
به (كتشبيه الخد بالورد) ومن هذا قوله تعالى : عن لباس لكم وأنتم لباس
لن، قال الزمخشري : لما كان الرجل والمرأة يستقلان ويشتمل كل منهما على
صاحبه في جنانه، شبه باللباس المشتل عليه، قال الجدي :

إِذَا مَا تَصَجَّجْتُ عَلَى عَظْمَا ثَبَتَتْ فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاسَا

(كقولهم هو كالرقم على الماء) فإن التشبه هو الساعى المقيد بأن

عَلَى الْمَاءِ ، أَوْ مُخْتَلِفَانِ كَقَوْلِهِ : وَالشَّمْسُ كَالْمِرْآةِ وَعَكْسِيهِ ، وَإِنَّمَا تَشْبِيهُهُ

لا يحصل من سبه على طائل . والمثبه به هو الراقم المقيد بأن رقه على الماء ، لأن وجه الشبه فهما هو التقوية بين الفعل وعدمه ، وهو موقوف على اعتبار هذين القيدين . هذا وبما طرفاه مقيدان قولهم : هو كمن يجمع سيفين في غمد ، وقولهم : هو كبنتي الصيد في عرينة الأسد ، وقولهم : هو كالهادى وليس له بغير ، وقول الشاعر :

إِنِّي وَتَرْبِيئِي بِمَدْحِي مَمْتَرًا كَمَقْلَقٍ دُرًّا عَلَى خِنْزِيرٍ

فإن المثبه فيه هو المتكلم بقيد اتصافه بتربئته بمدحه مشراً . فلتعلق التربئتين أعنى قوله بمدحى داخل في المثبه والمثبه به من يعلق درأ بقيد أن يكون تعليقه لإيه على خنزير ، فالمثبه مأخوذ من مجموع المصدر وما في صلته ، وهو أن كل واحد منهما يضع اتربئة حيث لا يظهر لها أثر لأن الشيء غير قابل للتربئين ، فالواو في قوله وتربئى بمعنى مع ، إذ لا يمكن أن يقال إن كذا وأن تربئى كذا لأنه ليس من شأنه أن يكون أحدهما خبراً عن ضمير المتكلم والآخر عن تربئى لا يقال تقديره : إنى كملت درأ على خنزير . وأن تربئى بمدحى مشراً كتمليق در على خنزير ، لأنه لا يتصور أن يشبه المتكلم نفسه من حيث هو بملق درأ على خنزير ، بل لابد أن يكون يشبه نفسه باعتبار تربئته بمدحه مشراً (أو مختلفان) أى أحدهما مقيد والآخر غير مقيد (كقوله والشمس كالمرآة) فإن للمثبه هو الشمس على الإطلاق ، والمثبه به هو المرأة ، بقيد أنه في كف الأشل (وعكسه) أى تشبه المرأة في كف الأشل بالشمس (وأما تشبيه مركب بمركب) ويجب في هذا أن يكون كل من المثبه والمثبه به حيث

مَرْكَبٍ بِمَرْكَبٍ كَمَا فِي بَيْتِ بَشَّارٍ ، وَإِنَّمَا تَشْبِيهُ مَقْرُونٍ بِمَرْكَبٍ ،

خاصة من عدة أمور ، قال الزعشمي : إن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها عن بعض لم يأخذ هذا بحجة ذلك قدشها بنظائرهما ونسبه كيفية خاصة من مجموع أشياء قد تضامنت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحداً بأخرى مثلاً . واعلم أن هذا القسم ضربان أحدهما مالا يصح تشبيه كل جزء من أحد طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر كقوله :

غَدَا وَالصُّبْحُ تَحْتَ اللَّيْلِ بِأَدِّ كَطَرْفِ أَشْهَبِ مُلْقَى الْجَلَالِ

فإن الجلال فيه في مقابلة الليل ولو شبه به لم يكن شيئا وكقول الآخر :

كَأَنَّكَ لِلرَّيْحِ وَالشَّعْرِ قُدَّامُهُ فِي شَامِخِ الرَّقْمَةِ

مُنْصَرِفٍ بِاللَّيْلِ عَنِ دَعْوَةٍ قَدْ أُسْرِجَتْ قُدَّامَهُ كَهَمَةِ

فإن المريح في مقابلة المنصرف عن الدعوة ، ولو قيل كان المريح منصرفاً بالليل عن دعوة ، كان خلوفاً من القول ، والثاني ما يصح تشبيه كل جزء من أجزاء أحد طرفيه بما يقابله من أجزاء الطرف الآخر ، غير أن الحالة تنهيه ومثاله قوله :

وَكَاَنَّ أَجْرَامَ النُّجُومِ لَوَاسِمًا قُدُورُ يُنْزَرْنَ عَلَى بِسَاطٍ أَزْرَقِ

فإنه لو قيل كان النجوم دبر وكان السماء بساط أزرق ، كان تشبيهاً صحيحاً لمكان أين يقع من التشبيه الذي يربك الميتة التي تملأ القلوب سروراً وهجاً من طلوع النجوم مؤلفة متفرقة في أديم السماء وهي ذرقاء ذرقها الصافية (كافي بيت بشار) وهو قوله :

كَأَنَّ مَثَلِ النَّمَقِ فَوْقَ رُؤْسِنَا وَأَسَافَتَا لَيْلِ تَهَادَى كَوَاكِبِ

كَا مَرَّةً ، مِنْ تَشْبِيهِ الشَّقِيقِ ، وَإِنَّمَا تَشْبِيهُ مَرْكَبٍ بِمَفْرَدٍ ، كَقَوْلِهِ :
يَا صَاحِبِي تَقْصِيًا نَظْرِيكَأ تَرِيَا وَجْهَ الْأَرْضِ كَيْفَ تَصَوَّرُ
تَرِيَا نَهَارًا مُشِيًّا قَدْ شَابَهُ زَهْرُ الرُّبَى فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقْمِرٌ
وَأَيْضًا إِنَّ قَدَدَ طَرْفَاهُ فَإِنَّمَا مَلْفُوفٌ ، كَقَوْلِهِ :
كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَأْيَا لَدَى ذِكْرِهَا الْمُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

وقد سبق شرحه ، ومثله في ذلك قول البحري :

تَرَى أَحْبَابَهُ يَصْدَدْنَ فِيهِ صُودَ الْبَرْقِ فِي الْقَمَرِ الْجَاهِمِ (١)

لا يريد به تشبيه ياض المحول على الافراد بالبرق ، بل مقصود الميتة
الحاصلة من غلاظة أحد الشئين بالآخر (من تشبيه الشقيق) أى وهو مفرد
بأعلام ياقوت فشرن على رماح من زبرجد ، وهو مركب من عدة أمور
(كقوله يا صاحبي) البتة لأن تمام من قصيدة يمدح بها المهضم . قوله قصيًّا :
أبلغنا أقصى نظريتك بالمبالغة وتحقيق النظر . وقوله تصور : أصله تتصور حذفت
التاء ، وشابه : دخله ، والربا جمع ربوة : وهى المكان المرتفع ، وقوله فكأنما
هو مقمر : معناه أن النبات من شدة خضرته مع كثرة وتكافئه قد صار لونه إلى
الاسوداد فنقص من ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر (ملفوف) وهو
ما أتى فيه بالمشبهات ثم بالمشبهات بها (كقوله) أى قول امرئ القيس
يصف عقاباً بكثرة اصطيد الطيور . فقد شبه الرطب الطرى من قلوب الطير
بالعنب واليابس العتيق منها بالحشف (٢) البال ، إذ ليس في اجتماعها

(١) الجاهم : السحاب لا ماء فيه ، ويصدن فيه : أى فى القوس المجل .

(٢) الحشف : أردأ القمر ، ورضنه بالبال تأكيداً .

أو مفروق، كقوله :

النَّشْرُ مِنْكَ وَالْوُجُوهُ دَنَا نِيرَ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَمَّ
وَإِنْ تَعَدَّدَ طَرَفُهُ الْأَوَّلُ فَتَنْشِيبُهُ التَّنْوِيَّةُ ، كقوله :

صُدَّعَ الْحَبِيبَ وَحَالِي كَلَامَهَا كَالْقَبَالِي
وَإِنْ تَعَدَّدَ طَرَفُهُ الثَّانِي فَتَنْشِيبُهُ الْجَمْعُ ، كقوله :

حيث خصوصية بتد بها ويقصد تشبيهها ، ولنا قال الشيخ في أسرار البلاغة : إنه إنما يستحق التشبيه من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه لا لأن الجميع قائمة في عين التشبيه (أو مفروق) وهو أن يؤتى بمشبه ومثبه به ، ثم آخر وآخر ، كقول المرقش الأكبر :

النشر منك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عم
النشر : الرائحة ، والعنم شعر أحمر لين الانحناء يشبه به أكف الجوازي .
التنصبة . ومنه قول أبي الطيب :

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ خُوطَانَانِ وَقَاعَتْ عَنَبَرًا وَرَنْتْ غَزَالًا
(الأول) أى المشبه (الثانى) أى للمثبه به (كقول) البحرى من
فصيحة أولها :

بَابُ نَدِيمًا لِي حَتَّى الْمَبَاحِ أُعِيدُ مُجْدُولُ مَكَانِ الْوِشَاحِ
كانما يسم البيت قد شبه نعر أعينه كما ترى بثلاثة أشياء ، ومتنشد : منظم ،
والبرد : هو حب الغمام ، والاتاج جمع أصفوان : نور يشق كالورد وأوراده

كَأَنَّمَا يَنْسِمُ عَنْ لَوْلَاهُ مُنْتَضِدٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَفَاحٍ
وَبِاعْتِبَارِ وَجْهِهِ إِنَّمَا تَحْمِيلٌ ، وَهُوَ مَا وَجْهُهُ مُنْتَزَعٌ مِنْ مُنْتَضِدٍ ، كَمَا
مَرَّ ، وَقَيْدَهُ السَّكَائِيُّ يَكُونُهُ غَيْرَ حَقِيقٍ ، كَأَنَّهُ تَشْبِيهِهُ مَثَلُ الْيَهُودِ
يَمَثُلُ الْحَارِ ، وَإِنَّمَا غَيْرُ تَحْمِيلٍ . وَهُوَ بِخِلَافِهِ . وَأَيْضًا إِنَّمَا يُجَسَّلُ ، وَهُوَ بَالِغٌ

في شكلها أشبه شيء بالإنسان في اعتدالها . هذا ومن تشبيهه الجمع قول صاحب ابن
عباد في وصف آيات أهديت إليه :

أَتَدْنِي بِالْأَمْسِ أَيْسَانُهُ تَقَلُّ رُوحِي بِرُوحِ الْجَنَانِ
كَتَرْدِ الشَّبَابِ وَبَرْدِ الشَّرَابِ وَظِلُّ الْأَمَانِ وَتَبْلِي الْأَمَانِ
وَعَهْدُ الصَّبَا وَنَسِيمُ الصَّبَا وَصَفْوِ الدَّانِ وَرَجْعُ الْقِيَانِ
ومنه قول امرئ القيس :

كَأَنَّ اللَّدَامَ وَصَوْبَ الْقَمَامِ وَرِيحَ الْخَزَائِي وَنَشْرَ الْقَطَرِ
يُعَلِّ بِرْدُ أَنْبِيَاءِ إِذَا طَرَبَ الطَّارُ السُّتَجِرِ

إلا أن فيه شرباً من قصد إلى هيئة الاجتماع (كاسر) من نحو تشبيه المرأة في
كف الأثل ، والتشبيه في بيت بشار :

كَأَنَّ مَثَارَ النَّمْعِ فَوْقَ رُؤْسِنَا وَأَسَافُنَا لَيْلُ تَهَادَى كَوَاكِبِ

(وقيد السكاكي بكونه غير حقيق) وإليك جواره . اعلم أن التشبيه متى كان
وجهه وصفاً غير حقيق وكان منتزعا من عدة أمور ، خص باسم التمثيل كالذي
في قوله :

أَصْبَحَ عَلَى مَقْبَضِ الْعَسْوِ دِ قَلْبٍ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ

يَذْكُرُ وَجْهَهُ ، فَمِنْهُ ظَاهِرٌ يَفْهَمُهُ كُلُّ أَحَدٍ نَحْوُ : زَيْدٌ أَسَدٌ ، وَمِنْهُ حَقٌّ لَا يَذْكُرُهُ إِلَّا الْخَاصَّةُ ، كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ : ثُمَّ كَالْحَلْقَةِ الْفُرْعَةِ لَا يَذْهَبُ

فَالنَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا إِنْ لَمْ تَحْمِدْ مَا تَأْكُلُهُ

فإن تفسيره المحسود الذي يحرم القول بالنار التي لا تعد بالخطب فيسرع فيها الغناء ، ليس إلا في أمر متوهم له . وهو ما نتوهم إذا لم تأخذ منه في القول مع عليك بتطلبه إياه ، عسى أن يتوصل به إلى قننة مصدور من قيامه إذا كان مقلم أن تمنحه ما بعد حياته ليسرع فيه الهلاك ، وأنه كاترى متزوج من عدة أمور وكالذي في قوله :

وَإِنْ مِنْ أَدْبِيَّتِهِ فِي الصَّبَا كَأَنَّهُ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرْبِهِ

حَقٌّ قَرَأَهُ مُورِقًا نَاصِرًا بَعْدَ الَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْ بَيْتِهِ

فإن تفسيره المؤدب في صباه بالعود المسقى ، أو أن الفرس الموقى بأوراده وفضره ليس إلا فيما يلزم كونه مهذب الأخلاق مرضى السيرة حميد الفعّال لتأدية المطالب بسبب التأديب المصادف وقته من تمام الميل إليه وكالالمتحسان . حاله ، وأنه كاترى أمر تصورى لصفة حقيقية وهو مع ذلك متزوج من عدة أمور (ومنه حقي) قال الشيخ الإمام : وأما ما يلقى ويغضض حتى يحتاج في استخراجه إلى ضرورة ولطف فكرة ، فنحو قول كعب الأشقرى وقد أوفده الملب على الحجاج فوصف له بنيه وذكر مكانهم من التمثل والبأس ، فسأله في آخر القصة ، قال فكيف كان بنو الملب فهم^(١) ، قال كانوا حاة السرح نهاراً فإذا ألبوا فخرسان البيات ، قال فأبهم كان أحمد ، قال كانوا كالحلقة المفرقة .

أَيْنَ طَرَفَا، أَيُّ هُم مُتَنَاسِبُونَ فِي الشَّرَفِ، كَمَا أَنَّهَا مُتَنَاسِبَةُ الْأَحْزَاءِ
فِي الصُّورَةِ. وَأَيْضًا مِنْهُ مَا لَمْ يُذَكَّرْ فِيهِ وَصَفُ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ، وَمِنْهُ
مَا ذُكِرَ فِيهِ وَصَفُ لِشَيْءٍ بِهِ وَحْدَهُ، وَمِنْهُ مَا ذُكِرَ فِيهِ وَصَفُهُمَا،
كَقَوْلِهِ:

صَدَقْتُ عَنْهُ وَلَمْ تَصْدِفْ مَوَاعِبُهُ عَنِّي وَعَاوَدَهُ ظَنِّي فَلَمْ يَجِبِ
كَالْنَيْثِ إِنْ جِئْتَهُ وَأَفَّاكَ رَيْفُهُ وَإِنْ تَرَحَّلْتَ عَنْهُ لَجَّ فِي الطَّلَبِ

لا يدري أين طرفاها، فهذا كما ترى ظاهر الأمر في فقره إلى فضل الرقبة والنظر،
الآ ترى أنه لا يهضم حق فهمه إلا من له ذهن ونظر يرفع به عن طبقة العامة،
اتمى كلام الشيخ. وأصل المثل لقاطعة بنت الحرش الأمازيغية إحدى النجبات
في الجاهلية سألتها أبو سفيان أي بئيك أفضل، فقالت الربيع لا بل حمارة لا بل
أنس الفوارس، فكلهم إن كنت أدري أيهم أفضل، ثم كالحلقة إلى آخره،
أخذه كعب الأشجري ووصف به بني المهلب (كما أنها) أي الحلقة المفرغة
(متناسبة الأجزاء في الصورة) فيمتنع تعيين بعضها طرفاً وبعضها وسطاً
لكونها مفرغة مصمتة الجوانب كاللدايرة (منه)، أي من المجل (كقوله)
أي قول أبي تمام يمدح الحسن بن سهل وقبل البيتين:

سَتُصْبِحُ الْيَبْسُ بِي وَالْقَيْلُ عِنْدَ فَقِي كَثِيرٍ ذِكْرُ الرُّضَى فِي سَاعَةِ النَّصَبِ
قوله صدقت: معناه أعرضت، وقوله ربه: معناه أوله وأخسه، يقال
فله في ورق شابه وربه: أي أوله، وأصابه ريق المطر وريق كل شيء: أضفه.
فالشاعر قد وصف الممدوح كما ترى بأن عطاياه قاطنة عليه، أعرض أولم
يعرض، وكذا وصف النيث بأنه يصيبك جثته أو ترحلت عنه، والوصفان

وَإِنَّمَا مَقْصِدُكُمْ، وَهُوَ مَا ذُكِرَ وَجْهُهُ، كَقَوْلِهِ :
وَقَرَّرَهُ فِي صَفَاءٍ * وَأَذْمِي كَاللَّالِي
وَقَدْ يَنْسَاجُ بِذِكْرِ مَا يَتَّبِعُهُ مَكَانُهُ ، كَقَوْلِهِمْ فِي كَلَامِ

دالان على وجه الشبه ، أعنى الإياحة في حالي الطلب وعدمه ، وحالي الإقبال
عليه والإعراض عنه (كقوله وقَرَّرَهُ) مثله قول أبي بكر الخالسي :

يَا شَيْبَةَ الْبَدْرِ حُسْنًا وَضِيَاءً وَمَنَالًا
وَشَيْبَةَ الْفُضْنِ لِينًا وَقَوَامًا وَاعْتِدَالًا
أَنْتِ مِثْلُ الْوَرْدِ لَوْنًا وَنَيْلًا وَمَلَالًا
زَارِنًا حَتَّى إِذَا مَا سَرْنَا بِالقُرْبِ زَالًا

وقول ابن الرومي :

يَا شَيْبَةَ الْبَدْرِ فِي الْخُسْنِ وَفِي بُدْرِ اللَّيَالِ
جَدُّ قَدْ تَنْفَجِرُ الصَّخْرَةُ بِالمَاءِ الزَّلَالِ

(وقد ينساج بذكر ما يتبعه مكانه) قال السكاكي : اعلم أنه ليس
بمعتزم فيما بين أصحاب علم البيان أن يتكلفوا التصريح بوجه التشبيه على ما هو
به ، بل قد يذكرون على سبيل التسامح ما إذا أنصت فيه النظر لم تحده إلا
شيئاً مستحباً لما يكون وجه التشبيه في المآل فلا بد من التنبه عليه ، من ذلك
قولهم في الألفاظ إذا وجدورها لا تثقل على اللسان ولا تكده بتنافر حروفها
أو تكرارها ، ولا تكون غريبة وحشية تستكره لكونها غير مأیوفة ، ولأما
تشبيه معانيها وتشتت فيصعب الوقوف عليها وتشتت عن النفس : هي كالسلسل

التصريح : هو كالتسل في الخلاوة ، فإن الجامع فيه لأزمتها ، وهو ميل الطبع ، وأيضاً إما قريب مبتدل ، وهو ما يقتل فيه من الشبهة إلى

في الخلاوة وكالماء في السلاسة وكالنسيم في الرقة ، وقولهم في الحجة المطلوب بها قلع الشبهة متى صادفوها ، معلومة الأجزاء يقينية التأليف قطعية الاستلزام ، هي كالشمس في الظهور ، فيذكرون الخلاوة والسلاسة والرقة والظهور لوجه الشبه ، على أن وجه الشبه في المآل هناك شيء غيرها ، وذلك لازم الخلاوة وهو ميل الطبع إليها ومجة النفس وورودها عليها ، ولأزم السلاسة والرقة وهو إقادة النفس نشاطاً والإهداء إلى الصدر انشراحاً وإلى القلب روحاً ، فثأن النفس مع الالتفات الموصوفة بتلك الصفات كشأنها مع العمل الشيء الذي يله طعمه فتش النفس له ويميل الطبع إليه ويحب وروده عليه ، أو كشأنها مع الماء الذي يفسخ في الحلق وينحدر فيه أجلب انحدار للراحة ، ومع النسيم الذي يمر في البدن ، فيتخلل المسالك الطيفة منه ، فيفيد أن النفس نشاطاً ويهيد أن إلى الصدر انشراحاً وإلى القلب روحاً ، ولأزم الظهور وهو إزالة الحجاب ، فثأن البصيرة مع الشبهة كشأن البصر مع الظلة في كونها معها كالحسنيين ، وانقلاب حالها إلى خلاف ذلك مع الحجة إذا جرت والشمس إذا ظهرت ، وتسامحهم هذا لا يقع إلا حيث يكون التشبيه في وصف اعتباري كالذي نحن فيه ، وأقول يشبه أن يكون تركهم التحقيق في وجه التشبيه على ما سبق التنبيه عليه من تسامحهم هذا (وأيضاً إما قريب) اعلم أن معرفة الشيء من طريق الجملة كاقيل غير معرفته من طريق التفصيل . فكلام المصنف هنا وإن كاد يكون مفهوماً فإن تمام البيان فائدة لا يشكرها المميز ، وذلك أتم للعرض وأثنى لنفس فتقول : إن الشبه إما قريب يقع في الوهم من أول النظر

الْمُشَبَّهِ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَدْقِيقِ ظَنَرٍ ، لِظُهُورِ وَجْهِهِ فِي بَادِيِ الرَّأْيِ ، لِكَوْنِهِ
أَمْرًا جَلِيلًا ، فَإِنَّ الْجَمْلَةَ أَسْبَقُ إِلَى النَّفْسِ ، أَوْ قَلِيلَ التَّفْصِيلِ مَعَ غَلَبَةِ

ولما غريب لا يزع إليه الخاطر إلا بعد ثبت وتذكر وفكر النفس ومحرّك
لروح ، فالتقريب مثل ما إذا أخطرت بالبال استدارة الشمس ونورها وقعت
المرأة المجلوة في قلبك وترآى لك الشبه منها فيها ، وكذلك إذا نظرت إلى الرشي
مفتشوراً وتطلبت لحنة وقعته واختلاف الأصابع فيه شيئاً حرك ذكر
الروض مطوراً مفتراً عن أزهاره متبشياً عن أنواره ، وكذلك إذا نظرت إلى
السيف الصقيل عند له وبريق منه لم يقاعد عنك أن تذكر لمان البرق وإن
كان هذا أقل ظهوراً ، وأما النريب فهو مثل تفضيه الشمس بالمرأة في كف
الآشل ، وتشبيه البرق بأصبع السارق في قول كشاجم :

أَرَقْتُ أَمْ نَحْتُ لِعَصْوِهِ بَارِقٍ مُؤْتَلِقِي مِثْلِي فَوَادِ الْعَاشِقِ

كَأَنَّهُ إِصْبَعُ كَفِّ السَّارِقِ

وإن أردت أن تعلم السبب في سرعة بعض الشبه إلى الفكر ولإيهام بعض أن
يكون له ذلك الإسراع فإن هنا حريين من العبارة أولها أنا نعلم أن الجملة أبداً
أسبق إلى النفوس من التفصيل ، وأنت تجد الرؤية نفسها لا تصل بالبدنية إلى
التفصيل ، ولكنك ترى بالنظر الأول الوصف على الجملة ثم ترى التفصيل عند
إعادة النظر ، ولذلك قالوا النظرة الأولى حمقاء ، وقالوا لم ينعم النظر ولم
يستقص التأمل ، وهكذا الحكم في السمع وغيره من الحواس ، فإنك تدرك
من تفاصيل الصوت والذوق في المرة الثانية ما لم تدرك في الأولى ، فمن يروم
التفصيل كن يتخفى الشيء من بين جملة يريد تمييزه عما اختلط به ومن يروم

حُضُورِ الشَّيْءِ فِي الذَّهْنِ ، إِنَّمَا عِنْدَ حُضُورِ الشَّيْءِ ، قَرِيبَ النَّاسِبَةِ

الإجمال كن يريد أخذ الشيء جزأاً وجرافاً ، وكذا حكم ما يدرك بالعقل ترى الجمل أبداً تسبق إلى الذهن وتقع في الخاطر أولاً ، وترى التفاصيل مغمورة فيها بينها لا يحضر إلا بعد إعمال الروية واستعانة بالتذكر ، ويتعالت الحال والحاجة إلى الفكر بحسب مكان الوصف ومرتبته من حد الجملة وحد التفصيل وكلما كان أوغل في التفصيل كانت الحاجة إلى التوقف والتذكر أكثر وانحدر إلى التأمل والتأمل أشد ، وإذا قد عرفت هذه العبرة فالاشتراك في الصفة إذا كان من جهة الجملة على الإطلاق بحيث لا يشوبه شيء من التفصيل نحوه : إن كلاً الشئيين أسود أو أحمر فهو يقل عن أن يحتاج فيه إلى قياس وتشبيه فإن دخل في التفصيل شيئاً نحو : إن هذا السواد صاب براق والحمرة دقيقة ناصعة ، احتجت بقصر ذلك إلى إدارة الفكر ، وذلك مثل تشبيه حرة الحد بحمرة التفاح والورد ، فإن زاد تفصيله بخصوص تدق الباردة عنه وبتميز بفضل تأمل ، ازداد الأمر قوة في اقتضاء الفكر ، وذلك نحو تشبيه سقط النار بعين الديك في قول غيلان :

وَسَقَطَ كَمَيْنِ الدِّيكِ عَاوَرَتْ صُحْبَتِي أَبَاهَا وَهَيَّأَنَا لِمَوْضِعِهِ وَكَرَّأَ

والعبرة الثانية أن ما يقتضى كون الشيء على الذكر وثبوت صورته في النفس أن يكثر دوراته على العيون ويدوم ترده في مواقع الإبصار ، وإن تدرك الحواس في كل وقت أو في أغلب الأوقات ، وبالعكس وهو أن من سبب بعد ذلك الشيء عن أن يقع ذكره بالخاطر وتعرض صورته في النفس فله رؤيته وأه ما يحس على طريق التبدية ، وإذا كان ذلك كذلك بأن منه أن كل شبه رجع إلى وصف أو صورة أو هيئة من شأنها أن ترى وتبصر أبداً ، فالتشبيه

كَتَنِيهِ الْجُرَّةُ الصَّغِيرَةُ بِالْكُوزِ فِي الْمِقْدَارِ وَالشَّكْلِ ، أَوْ مُطْلَقًا

المعقود عليه نازل مبتذل وما كان بالفض من هذا ، وفي الناية القصوى من مخالفة ، فالتشبيه المردود إليه غريب نادر بدیع ، ثم إن التفصيل وإن كانت دقائمه لا نكاد تضبط ، إلا أن الأغلب الأعراف بينها وجهان : أحدهما أن تأخذ بعضاً وتضع بعضاً ، كما فعل امرؤ القيس في قوله :

حَمَلْتُ رَدَيْنِيَا كَأَنَّ سِنَانَهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ

فزل الدخان عن السنا وأثبتته مفرداً كما ترى وكما فعل الآخر حين فصل الحدق عن الجفون وأثبتها مفردة فيما شبه وذلك قوله :

لَهَا حَدَقٌ لَمْ يَتَّصِلْ بِجَفُونٍ »

والثاني أن تنظر من المشبه في أمور اعتبرها كلها وتطلبها في المشبه به كاعتبارك في تشبيه الأربا بالمعقود الأنجم أنفسها والشكل والقون والمقدار واجتماعها على المسافة المخصوصة في القرب ، ثم اعتبارك في المعقود المثور من الملاحة مثل ذلك ، وبعده ، فإن تافت نفسك إلى شيء من الشرح لعبارة المصنف فإليك ذلك . قوله أو قليل : التفصيل معطوف على أمراً جلياً ، وقوله : لقرب المناسبة ، يعني بين المشبه والمشبه به ، وقوله أو مطلقاً : معطوف على قوله عند حضور المشبه ، وقوله لتكرره : علة لعلبة المشبه به مطلقاً ، وقوله : لمعارضة الخ ، يعني وإنما كانت قلة التفصيل في وجه الشبه مع غلبة حضور المشبه به بسبب قرب المناسبة أو التكرار على الحسن سبباً لظهوره المؤدى إلى الابتذال مع أن التفصيل من أسباب الغرابة ، لأن قرب المناسبة في الصورة الأولى والتكرار على الحسن في الثانية ، يعارض كل منهما التفصيل بواسطة اقتضائهما سرعة الالتئال من المشبه إلى المشبه به ، فيصير وجه الشبه كأنه أمر جلي لا تفصيل فيه ، فيصير سبباً للابتذال ، وقوله كما مر : يعني في تشبيه البنفسج بنار

تُسَكَّرُهُ عَلَى الْحَسِّ ، كَالشَّيْءِ بِالرَّيَّةِ اللَّجْوَةِ ، فِي الْإِسْتِدَارَةِ وَالْإِسْتِظَارَةِ ،

الكبريت ، وقوله لكونه وهماً الخ : فالوصف كتشبيه فصال السهام بأياب الأغوال ، والخيال كتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت منشورة على رماح من البرجد ، والعقل كتشبيه مثل أخبار اليهود بمثل أخبار يحمل أسفاراً ، وقوله مر ذلك ، فانت ترى أن كلا سبب لندرة حضور المشبه به في الزمن ، وقوله أو لفة : مطوف على قوله لكونه وهماً ، وقوله فالفرابة فيه : أى في تشبيه الشمس بالمرآة في كفاً لأسل ، وقوله من وجهين : فأحد الوجهين كثرة التفسير ، والثاني : ففة تكرره على الحس . هذا ومن أبلغ الاستقصاء في التفصيل وعجبية قول ابن المعتز :

كَأَنَّأَوْضُوهُ الصُّبْحِ يَسْتَمِجِلُ الدُّجَى نَظِيرُ غُرَابًا ذَا قَوَادِمَ جَوْنٍ^(١)

شبه ظلام الليل حين يظهر فيه الصبح بأشخاص الغريبان ، ثم شرط أن تكون قوادم ريشها بيضاء ، لأن تلك الفرق من الظلة يقع في حواشها من حيث كل معظم الصبح وعوده لمع نور يتخلل فيها في العين كشكل قوادم إذا كانت بيضاء ، وتنام التدقيق والسر في هذا التشبيه في شيء آخر وهو أن جعل ضوء الصبح قوة ظهوره ودفعه لظلام الليل كأنه يحفز الدجى ويستعجلها ، ولا يرضى منها أن تستعمل في حركتها ، ثم لما بدأ بذلك أولاً اعتبره في التشبيه آخرأ ، فقال : نظير غراباً ولم يقل غراباً نظير مثلاً ، وذلك أن الغراب وكل طائر إذا كان واقفاً هادئاً في مكان فارغ وأخيف وأطير منه

(١) قوادم الطير : مقادير ريشه ، وهى عشرة في كل جناح ، والجون

بالضم : جمع جون بالفتح ، والمراد به هنا الأبيض .

لِمَا رَضَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْبِ وَالتَّكْرَارِ التَّفْصِيلِ ، وَإِنَّمَا بَعِيدٌ غَرِيبٌ وَهُوَ
بِخِلَافِهِ لِمَدَمِ الظُّهُورِ ، وَإِنَّمَا لِكثَرَةِ التَّفْصِيلِ كَقَوْلِهِ * وَالشَّمْسُ كَالْمِرَآةِ

أو كان قد حبس في يد أو قص فارسل ، كان ذلك لا محالة أسرخ لطيرانه
وأجل ، وأمد له وأمد لأمده ، فإن تلك الفرعة التي ترمض له من تنفيره أو
الفرعة التي تدركه وتحدث فيه من خلاصه وإفلاته ، مما دعه إلى أن يستمر
حتى ينسحب عن الأتق ويصير إلى حيث لا يراه العيون ، وليس كذلك إذا
طار عن الاختيار ، لأنه يجوز حينئذ أن يصير إلى مكان قريب من مكانه
الاول ، وأن لا يسرع في طيرانه بل يمشي على هيئة ويتحرك حركة غير المتجمل
واعلم أن هذا الأمر وهو التفصيل يتفاوت حاله ، فنه ما يبلغ من كرم الموضع
ولطف التأخير في النفس مبلغاً لا يدرك شأوه ، ومنه ما دون ذلك ، وبين هذا
والمناطة ، فأت إذا قابلت قول بشار : كأن مثار النقع البيت ، بقول المتنبي :

يَزُورُ الْأَعَادِي فِي سَمَاءِ مِجَاجَةٍ أَسِنَّتُهُ فِي جَانِبَيْهَا الْكَوَاكِبُ

أو قول عمرو بن كلثوم :

تَبَقَّى سَنَابِكُهَا مِنْ قُوَى أَرْوَاسِهِمْ سَقْفًا كَوَاكِبُهُ الْبَيْضُ الْمُبَاتِيرُ

وجدت بيت بشار من النخامة والنبيل والرفعة والشرف ، ما لا يوجد
لصاحبه ، ذاك لأن كلا منهما وإن راعى التفصيل في التشبيه ، إلا أنه انحصر
على أن أراك لحان الأسنه والسيوف في أثناء المجاجة ، بخلاف بشار فإنه لم
يقتصر على ذلك كما بيناه فيما تقدم . وكذلك تجد قول ابن المعتز في الأندريون :

مَذَاهِنٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيمَا بَقَايَا غَالِيَةٍ

أعلى وأفضل من قوله :

فِي كَهْفِ الْأَقْلَامِ ، أَوْ نَذِيرِ حُضُورِ الشَّيْءِ ، إِنَّمَا عِنْدَ حُضُورِ الشَّيْءِ لِيُنْذِرَ
لِلْأَسْبَابِ كَامَرَ ، وَإِنَّمَا مُطْلَقًا لِيَكُونَهُ وَغَيْرًا أَوْ مَرَكَبًا خَيَالِيًّا أَوْ عَقْلِيًّا
كَامَرَ ، أَوْ لِيَعْلَمَ تَكَرُّرَهُ عَلَى الْحِسِّ كَقَوْلِهِ : وَالشَّمْسُ كَالْمِرْآةِ ، فَالْعَرَابَةُ
فِيهِ مِنْ وَجْهَيْنِ ، وَلِلْمِرْآةِ بِالتَّفْصِيلِ أَنْ تَنْظُرَ فِي أَكْثَرِ مِنْ وَصْفٍ ، وَيَقَعُ
عَلَى وَجْهِهِ ، أَعْرِفْهَا أَنْ تَأْخُذَ بِمَضَا وَتَدَعِ بَعْضًا كَافِي قَوْلِهِ :

حَلَّتْ رُذَيْنِيًّا كَانَ سِنَانُهُ * سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّعِلْ يَذْخِرُ
وَأَنْ تَعْتَبِرَ الْجَمِيعَ ، كَامَرَ ، مِنْ تَشْبِيهِ الثَّرْيَا ، وَكَلَّمَا كَانَ التَّرَكِيبُ

وَطَائِفَتِهَا سَاقِي أَدِيبٍ يَمِيزُهَا كَخَنْجَرٍ عَيَّارٍ صِنَاعَتُهُ الْفَتَكُ (١)
وَيُحْمَلُ أَذْرِيُونَةُ فَوْقَ أُذُنِهِ كَكُلْسٍ عَمِيقٍ فِي قَرَارَتِهَا مَسْكُ
ذَاكَ لِأَنَّ السَّوَادَ الَّذِي فِي بَاطِنِ الْأَذْرِيُونَةِ الْمَوْضُوعِ بِإِزَازِهِ الْعَالِيَةِ ، وَالْمَسْكُ
فِيهِ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ لَيْسَ بِشَامِلٍ لَهَا ، وَالثَّانِي أَنَّهُ لَمْ يَسْتَدِرْ فِي قَعْرِهَا بَلْ أَرْفَعَ
مِنْهُ حَتَّى أَخَذَ شَيْئًا مِنْ سَمَكِهَا مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ وَلَهُ فِي مَنَاطِعِهِ هَيْئَةٌ تَشَبَّهُ أَمَارَ الْعَالِيَةِ
فِي جَوَانِبِ الْمَدَمَنِ إِذَا كَانَتْ هَيْئَةً بَقِيَتْ عَنِ الْأَصَابِعِ ، وَقَوْلُهُ فِي قَرَارَاتِهَا مَسْكُ :
يُبَيِّنُ الْأَمْرَ الْأَوَّلَ ، وَيُؤْمِنُ مِنْ دُخُولِ النَّفْسِ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ يَدْخُلُ لَوْ قَالَ فِيهَا
مَسْكُ وَلَمْ يَشْرُطْ أَنْ يَكُونَ فِي الْقَرَارَةِ ، وَأَمَّا الثَّانِي فَلَا يَدُلُّ عَلَيْهِ كَمَا يَدُلُّ
قَوْلُهُ : جَبَابًا عَالِيَةً ، لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْمَسْكِ وَالشَّيْءِ الْيَابِسِ إِذَا فَضَلَ
فِي شَيْءٍ مُسْتَدِيرٍ لَهُ قَعْرٌ أَنْ يَسْتَدِيرَ فِي الْقَعْرِ وَلَا يَرْفَعُ ، فِي الْجَوَانِبِ وَالْأَرْتَعِاقِ

(١) يَصِفُ الْخَرَّ : لِلْبَزْلِ مَا يَصِفُ بِهِ الشَّرَابُ ، وَالْأَذْرِيُونَةُ : وَرْدُهُ
أُورْدَاتٍ حَمْرٍ فِي وَسْطَةِ سَوَادٍ لَهُ نَبْوٌ وَارْتَعِاقٌ وَهُوَ يَكُونُ أَصْفَرًا .

مِنْ أُمُورٍ أَكْثَرَ كَانَتْ تَنْشِئُهُ أَبَدًا ، وَالتَّلْيِخُ مَا كَانَ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ .
لِفَرَايِدِهِ ، وَلَآنَ نِيلَ الشَّيْءِ . تَمَدَّ طَلَبُهُ الْإِلَهَ ، وَقَدْ يُتَصَرَّفُ فِي الْقَرِيبِ بِمَا
يَجْعَلُهُ غَرِيبًا كَقَوْلِهِ :

الذي في سواد الأذريوة ، بخلاف الغالية فإنها رطبة ثم تأخذ بالأصابع فلا بد
في البقية منها أن ترتفع عن القرارة ذلك الارتفاع ، ثم هي لنومتها ترق فتكون
كالصبيح الذي لا يظهر له جرم وذلك أصدق لقبه (والتليخ ما كان من هذا
الضرب) لا يقال عجم الظهور ضرب من التعقيد والتعقيد كما علينا مذموم ،
لأننا نقول التعقيد كما سبق له سيان : الأول : سوء ترتيب الالفاظ ، والثاني :
اختلال الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثاني الذي هو المقصود باللفظ ،
والمراد بعد الظهور في التشبيه ما كان سببه لطف المعنى ودقته ، أو ترتيب بعض
المعاني على بعض ، فإن المعاني الشريفة لا بد فيها في غالب الأمر من بناء ثان
على أول وردت إلى سابق . قال الشيخ : وهل شيء أحلى من الفكرة إذا
استمرت وحاصدت نهجاً قوياً ، وطريقة تنقاد وتبينت لها العاية فيما ترتاد .
قال الجاحظ في أثناء فصل يذكر فيه مافي الفكر من الفضيلة : وأين تقع لذة
الجميمة بالعلوفة ، ولذة السبع بلطع السم ، وأكل اللحم من سرور الظفر
بالأعداء ، ومن افتتاح باب العلم بعد إيمان فرعه . وبعد ، فإذا أعدت الحليبات
لجرى الجياد ، ونصبت الأهداف ليعرف فضل الرماة في الأبعاد والساد ،
فرهان العقول التي تتبقي ونضالها التي تمتحن قوامها في تماسيحها هو الفكر
والزوية والاستبطاط (ولأن نيل الشيء بعد طلبه ألد) ولذلك ضرب المثل لكل
ما لطف موقعه يبرد الماء على الظل كما قال الفطامي :

وَمَنْ يَفْزِدَنَّ مِنْ قَوْلٍ يُصَيِّرُ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي النَّفْلِ الصَّادِي .
(وقد يتصرف في القريب بما يجعله غريباً) وهذا على وجوه ، منها أن

لَمْ تَلَقْ هَذَا الْوَجْهَ تَمْسُ نَهَارِنَا إِلَّا بِوَجْهِ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءٌ
وقوله :

عَزَمَاتُهُ مِثْلُ النُّجُومِ ثَوَابِقًا لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلثَّقَابَاتِ أَقْوَالُ
وَيُسَمَّى هَذَا التَّشْبِيهُ لِلْمَشْرُوبِ وَبِاعْتِبَارِ أَدَاتِهِ إِنَّمَا مَوْكَدٌ ، وَهُوَ

يكون كقول أبي الطيب من قصيدة يمدح بها هرون بن عبد العزيز .

لَمْ تَلَقْ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا إِلَّا بِوَجْهِ لَيْسَ بِهِ حَيَاءٌ
وقول الآخر :

فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ شَمْسٌ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْغُدْرِ تَطْلُعُ
فَوَاقِهِ مَا أَذْرَى أَأَخْلَامُ نَأْمٍ أَلَمْتُ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرَّأْيِ كِبَرُ يَوْشَعِ
فإن تشبيه وجهه الحسان بالشمس مبتدل ، لكن كل واحد من حديث
الحياة في الأول ، والتشبيك مع ذكر يوشع عليه السلام في الثاني ، أخرجه من
الابتدال إلى الغرابة ، وشيخ بلذول قول الآخر :

إِنَّ السَّحَابَ لَتَسْتَحْيِي إِذَا تَفَارَتْ إِلَى نَدَاكَ فَكَأَنَّكَ بِمَا فِيهَا
ومنها أن يكون كقول الطواط :

عَزَمَاتُهُ مِثْلُ النُّجُومِ ثَوَابِقًا لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلثَّقَابَاتِ أَقْوَالُ
وقوله :

مَهَا الْفُوحْسِي إِلَّا أَنْ هَامَا أَوَانِسِي قَمَا انْطَلَطُ إِلَّا أَنْ تَنْكَ دَوَابِلِي (١)

مَاحِذَفَتْ أَدَانَهُ ، مِثْلُ : وَجِي تَمْرُ مَرَّ النَّحَابِ ، وَمِنْهُ نَحْوُ :
وَالرَّيْحُ تَمَبْتُ بِالنَّصُونِ وَقَدْ جَرَى * ذَهَبَ الْأَصِيلُ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ

وقوله :

يَكَادُ يَخْشِيكَ صَوْبُ الْفَيْثِ مُنْكَبًا لَوْ كَانَ طَلَقَ الْمَعْيَا يُعْطِرُ الدَّهَبَا
وَالْبَدْرُ لَمْ يَنْبِ وَالشَّمْسُ لَوْ تَلَقَّتْ وَالْأَسَدُ لَوْ لَمْ تُعْصِدْ وَالْبَحْرُ لَوْ عَذَّبَا
وهذا يسمى التشبيه المشروط ، ومنها أن يكون كقوله :

فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ شَيْءٌ مِنْ حَاشِيَتِهَا وَلِلْقَضِيْبِ نَصِيْبٌ مِنْ تَلْهِبَتِهَا
وقول ابن بابل :

أَلَا يَكْرِيضُ الْتَزَنُ مِنْ أَرْقِ الْحَيَى نَيْمُكَ مَسْرُوقٌ وَوَصْفُكَ مُنْتَحَلٌ
سَكَيْتَ أَبَا سَدٍ فَتَشْرِي نَشْرُهُ وَلَكِنْ لَهُ مِدْقُ الْهَوَى وَلَكِ الْمَلَأُ
وند يخرج من الابتذال بالجمع بين عدة تشبيهات كقوله :

كَأَنَّمَا يَبْسُ مِنْ لَوْلُو مَنْصَدٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ آتَاخٍ
كما يرداد بذلك لطفًا وغرابة ، كقول امرئ القيس :

لَهُ أَظْلًا ظَلِي وَسَاقًا نَمَامَةً وَلِإِخْخَاهِ سِرْحَانٌ وَتَقَرِّيبٌ تَنْفَلِي^(١)
(والريح تمبت بالنصون) البيت لابن خفاجة الأندلسي وعبت الريح بالنصون

(١) شبه حاصرت هذا الفرس بخاصرت الظبي في الضرب ، وشبه ساقيه بساق الثعالب في الاتصاف والطول ، وعدوه بإرغاء الذئب ، وتقريبه بتقريب ولد الثعلب ، لجمع بين أربعة تشبيهات كما ترى ، والإرغاء : ضرب من عدو الذئب ، والتقريب : وضع الرجلين موضع اليدين في العدو .

أَوْ مُرْسَلٌ وَهُوَ بِخِلَافِهِ ، كَأَمَرٌ . وَبِاعْتِبَارِ الْغَرَضِ إِنَّمَا مَقْبُولٌ وَهُوَ
الْوَاقِعُ بِإِفَادَتِهِ ، كَأَن يَكُونَ الشَّيْءُ بِوَاجِبِهِ الشَّيْءُ فِي بَيَانِ الْحَالِ ،
أَوْ أُنْتَمَتْ نَتِجَةٌ فِيهِ فِي الْحَاقِ النَّاقِصِ بِالْكَامِلِ ، أَوْ مُسَلَّمٌ الْخُفَّ فِيهِ ،
مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ الْمُخَاطَبِ فِي بَيَانِ الْإِسْكَانِ ، أَوْ مَرْدُودٌ وَهُوَ بِخِلَافِهِ

حارة عن إمالته إياها . والأصيل : هو الوقت بعد العصر إلى الغروب ،
يوصف بالصفرة وبعد من أطيب الأوقات كالسحر قال :

وَرَبَّ نَهَارٍ لِلْفَرَاقِ أَصِيلُهُ وَوَجْهِي كَلَّا لَوْ تَنَبَّهْتُ مُتَنَابِسُ
قال الأبيوردي :

لِيَأْتِيهِ أَشْحَارٌ وَفِيهِ هَوَاجِرٌ كَاخْضَلَتْ وَالشَّمْسُ تَنْفُسُ أَصَالُ
فذهب الأصيل : صفوه وشعاع الشمس فيه ، وقوله على لحن الماء ، فالجبن
القنعة : أى على ماء كالقنعة في البياض والصفاء ومثل البيت قول الشاعر يصف
القمر لآخر الشهر قبل السرار :

كَأَنَّمَا أَدُمُ الْإِظْلَامِ حِينَ نَحَا مِنْ أَشْهَبِ الصَّنَجِ الْقَمَلُ حَافِرُهُ
وقول الشريف الرضي :

أُرْمِيَ النَّسِيمُ بِوَادِيكُمْ وَلَا تَجِيَتْ حَوَالِلُ الزَّوْنِ فِي أَجْدَانِكُمْ تَصَعُّ
وَلَا يَزَالُ جَبِينُ النَّبْتِ تَوَحُّدُهُ عَلَى قُبُورِكُمْ الْفَرَاغَةُ الْهَجُّ (١)
(وهو بخلافه) أى ما ذكر أناه وصار مرسلًا من التأكيد المتفاد من
حذف الأداة الشعر بحسب الظاهر أن المشبه هو المشبه به (كما مر)
من الأمثلة المذكورة فيها أداة التشبيه (وهو بخلافه) أى القاصر عن إفادة

(١) الأجدات : القبور ، والمراضة : السحاب ذو الرعد والبرق والجمع الماخضة .

في خاتمة بر أعلى مراتب التشبيه في قوة المبالغة بإعتبار ذكر

الفرض . (تكملة) ذهب بعض الناس إلى أنه لا فرق بين نحو قولك : رأيت أسداً يرمى ، وبين قولك : زيد أسد ، وأن الثاني استارة كالأول وليس بتشبيه والصواب بمنزل عن ذلك . قال الإمام عبد القاهر ما لحواه : إنه إذا جرى في الكلام لفظ دلت عليه تشبيه شيء بمناه ، كان ذلك على وجهين : أحدهما أن يسقط ذكر المشبه من البين حتى لا يعلم من ظاهر الحال أنك أردته ، كقولك : عنت لنا ظبية وأنت تريد امرأة ، ووردنا بحراً وأنت تريد المدوح وهذا تقول فيه إنه استارة لانتحاشي بته . والثاني : أن يكون المشبه مذكوراً مقدراً وحينئذ فالمشبه به إن كان خبراً أو منزلاً منزله ، يعني أن يكون خبر كان وإن ومفعولاً ثانياً لباب علت وحالا ، فالوجه أن هذا يسمى تشبيهاً ولا تطلق عليه الاستعارة ، لأن المشبه به إذا وقع هذه الموانع كان الكلام موضوعاً لإثبات مناه لما يعتمد عليه أو نفيه عنه ، فإذا قلت زيد أسد ، فقد وضعت كلامك في الظاهر لإثبات معنى الأسد لزيد . وإذا امتنع إثبات ذلك له على الحقيقة كان لإثبات شبه من الإسد له فيكون اجتناباً لإثبات التشبيه ، فيكون خليفاً بأن يسمى تشبيهاً إذا كان إنما جاء ليفيده ، بخلاف الحالة الأولى فإن المشبه به فيها لم يحتاج لإثبات مناه الشيء ، كما إذا قلت جاءني أسد ورأيت أسداً ، فإن الكلام في ذلك موضوع لإثبات المجيء واقعاً من الأسد والرؤية واقعة منك عليه ، لا لإثبات معنى الأسد لشيء ، فلم يكن ذكر المنبه به لإثبات التشبيه ، وكان قصد التشبيه أمراً مطروباً في النفس مكتوناً في الضمير لا يعلم إلا بعد الرجوع إلى شيء من النظر والتأمل ، وإذا افرقت الصورتان هذا لا فراق ، منسب أن يفرق بينهما في الاصطلاح والعبارة بأن تسمى إحداها

أَرَاكَ كَانِهِ كَلْبًا أَوْ بَعْضَهَا حَذَفُ وَجْهِهِ وَأَدَانِهِ ، فَقَطَّ ، أَوْ مَعَ حَذَفِ الشَّيْءِ

تسبيهاً والآخرى استعارة . ثم قال : فإن أبيت إلا أن تطلق الاستعارة على هذا القسم ، فإن حسن دخول أدوات التشبيه لا يحسن إطلاقه ، وذلك كأن يكون اسم المشبه به معرفة كقولك : زيد الأسد وهو شمس النهار ، فإنه يحسن أن يقال : زيد كالأسد دخلته شمس النهار ، وإن حسن دخول بعضها دون بعض هان الخطب في إطلاقه ، وذلك كأن يكون نكرة غير موصوفة ، كقولك زيد أسد ، فإنه لا يحسن أن يقال زيد كأسد ، ويحسن أن يقال : كان زيداً أسد ، ووجده أسداً ، وإن لم يحسن دخول شيء منها إلا بتغيير لصورة الكلام كان إطلاقه أقرب لنموض تقدير أداة التشبيه فيه ، وذلك بأن يكون نكرة موصوفة بما لا يلائم المشبه به ، كقولك فلان بدر يسكن الأرض ، وهو شمس لا تنيب ، وكقوله :

كَمَسَّ نَالَتْ وَالْفِرَاقُ غُرُوبُهَا عَا وَبَدَرُ وَالصَّدُودُ كَسُوفُهُ .

فإنه لا يحسن دخول الكاف ونحوه في شيء من هذه الأمثلة ونحوه ، إلا بتغيير صورته ، كقولك هو كالبدور إلا أنه يسكن الأرض ، وكالشمس إلا أنها لا تنيب . وكالتشمس المتألفة إلا أن الفراق غروبها ، والبدور إلا أن الصدود كسوفه ، وقد يكون في الصفات التي تسمى في هذا النحو ، والصلوات إلى توصل بها ما يجعل تقدير أداة التشبيه فيه ، فيقرب حينئذ من القبيل الذي تطلق عليه الاستعارة من بعض الوجوه ، وذلك مثل قول أبي الطيب :

أَسَدٌ دَمُ الْأَيْدِ الْمَزْبَرِ خِصَابُهُ مَوْتٌ فَرِيصٌ الْمَوْتِ مِنْهُ تَرْغُوطُهُ (١)

فإنه لا سبيل إلى أن يقال المعنى هو كالأسد وكالموت ، لما في ذلك من

(١) الفريص جمع فريصة : وهي لحة بين الثدي والكف ، ترعد من الفزع

ثُمَّ حَذَفَ أَحَدَهُمَا كَذَلِكَ ، وَلَا قُوَّةَ لِتَغْيِيرِهِمَا .

الذائق . لأن تشبيهه بنفس السبع المعروف دليل أنه دونه أو مثله ، وجعل دم
المزبر الذي هو أقوى الجنس خضاب يده دليل أنه فوقه ، وكذلك لا يضح
أن يشبه بالموت المعروف ثم يجعل الموت يخاف منه وكذا قول البحري :

وَبَدَرَ أَضَاءُ الْأَرْضِ شَرَقًا وَمَغْرِبًا وَمَوْصِعَ رَجُلٍ مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلِمٌ

إن رجح فيه إلى التشبيه الساذج حتى يكون المعنى هو كالبدردم أن
يكون قد جعل البدر المعروف موصوفاً بما ليس فيه ، فظهر أنه إنما أراد أن
يثبت من المدوح بداراً له هذه الصفة العجيبة التي لم تعرف البدر ، فهو مبني
على تخييل أنه زاد في جنس البدر واحداً له تلك الصفة ، فالكلام موضوع
لا لإثبات الشبه بينهما ولكن لإثبات تلك الصفة ، فهو كقولك زيد رجل كيت
وكيت لم تقصد إثبات كونه رجلاً لكن لإثبات كونه متصفاً بما ذكرت ، فإذا
لم يكن اسم المشبه به في البيت محتجباً لإثبات الشبه ، تبين أنه خارج عن الأصل
الذي تقدم من كون الاسم محتجباً لإثبات الشبه ، فالكلام فيه مبني على أنه كون
المدوح بداراً أمر قد استقر وثبت وإنما العمل في إثبات الصفة الغريبة ، وكما
يمنع دخول السكاف في هذا ويحوى بمنع دخول كان وحسبت لاقتضائهما
أن يكون الخبر والمفعول الثاني أمراً ثابتاً في الجملة إلا أن كونه متعلقاً بالاسم
والمفعول الأول شكوك فيه كقولنا : كان زيداً منطلقاً ، أو خلاف الظاهر
كقولنا كان زيداً أسداً ، والنكرة فيما نحن فيه غير ثابتة ، فدخل كان وحسبت
عليها كالقياس على المجهول ، وأيضاً هذا النحو إذا قايت عن سره وجدت
محصوله أنك تدعى حدوث شيء هو من الجنس المذكور ، إلا أنه اختص
بصفة عجيبة لم يتروم جوازها على ذلك الجنس فلم يكن لتقدير التشبيه فيه معنى

الحَقِيقَةُ وَالْمَجَازُ

وَقَدْ يَقْدَانِ بِالْفَرَوَيْنِ * الْحَقِيقَةُ الْكَلِمَةُ الْمُسْتَقْمَلَةُ فِيهَا وَضِيعَةٌ

هذا إذا كان المشبه به خبراً عن المشبه أو منزلاً منزله كما علت ، أما إن لم يكن كذلك نحو قولهم : رأيت به أسداً وقبني منه أسد ، فلا يسمى استعارة (١) لأنه إنما يتصور الحكم على الاسم بالاستعارة ، إذا جرى على ما يدعى أنه مستعار ، له إما باستعماله فيه أو بإثبات معناه له ، والإسم في مثل هذا غير جارٍ على المشبه بوجه ، ولأنه يحىء على هذه الطريقة مالا يتصور فيه التشبيه ، فيظن أنه استعارة كقوله تعالى : لم فيها دار الخلد . إذ ليس المعنى على تشبيه جهنم بدار الخلد إذ هي نفسها دار الخلد وكقول الشاعر :

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ الْعِلَى وَلَا يَشْرَبُ كَأْسًا يَكْفُ مِنْ بَحَلَا

فإنه لا يتصور فيه التشبيه ، وإنما المعنى أنه ليس ببخل . ولا يسمى تشبيهاً أيضاً لأن المشبه به لم يحتل فيه لإثبات التشبيه كما سبق : وقد عد هذا صاحب الفتح تشبيهاً .

(الحقيقة والمجاز) الحقيقة إما فعيل بمعنى مفعول من قولك حققت الشيء إذ أثبت أو فعيل بمعنى فاعل من قولك حق الشيء يحق إذا ثبت ، أى المثبتة أو الثابتة في موضوعها الأصلي . والمجاز مفعول من جاز المكان يجوزه إذا تعده ، وإذا عدل باللفظ عما وجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً (وقد يقيدان بالفنوين) لتمييزا عن الحقيقة والمجاز البقيين والأكثر ترك هذا التقيد لتلايتهم خروج الشرعى والعرف

(١) سيأتي أن هذا النوع يسمى مجريداً .

لَهُ فِي اصطلاح التَّخاطُبِ ، وَالْوَضْعُ تَعْيِينُ اللَّفْظِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى بِنَفْسِهِ ،
فَصَرُوحُ الْجَزْءِ ، لِأَنَّ دَلَالَتهُ بِقَرِينَةٍ ، دُونَ الْمُشْتَرَكِ ، وَالْقَوْلُ بِدَلَالَةِ اللَّفْظِ
إِقْدَانِهِ ظَاهِرُهُ فَلَيْدٌ ، وَقَدْ تَأَوَّلَهُ السَّكَكِيُّ . وَالْجَزْءُ مُفْرَدٌ وَمُرَكَّبٌ

(في اصطلاح التَّخاطُبِ) احْتَرَزُوا بِذَلِكَ عَنِ الْجَزْءِ الَّذِي اسْتَعْمَلَ فِيهِمَا وَضَعُ
لَهُ لَا فِي اصطلاح به التَّخاطُبِ كَلَفَظَ الصَّلَاةَ بِسَعْمَلِهِ الْمُخاطَبُ بِعَرَفِ الشَّرْعِ
فِي الدِّعَاءِ مَجَازاً (لِأَنَّ دَلَالَتهُ بِقَرِينَةٍ) وَحَيْثُ لَا يَسْمَى التَّعْيِينَ فِيهِ وَضْعاً
(دُونَ الْمُشْتَرَكِ) وَهُوَ مَا وَضَعَ حَسْبَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ وَضْعاً مُتَعَدِّداً ، وَإِنَّمَا
يُفْرَجُ عَنِ الْحُدُودِ قَدْ عَيْنَ الدَّلَالَةَ عَلَى كُلِّ مِنَ الْمَعْنَيْنِ بِنَفْسِهِ ، وَعَدَمَ الدَّلَالَةَ
عَلَى أَحَدِ الْمَعْنَيْنِ بِالتَّعْيِينِ لِمَارَضِ الْإِشْتِرَاكِ لَا يَتَنَاقَى ذَلِكَ ، فَانْقَرَضَ مِثْلَاهُمَا
مَرَّةً لِيَدُلَّ بِالِاسْتِقْلَالِ عَلَى الطَّهْرِ . وَمَرَّةً أُخْرَى لِيَدُلَّ كَذَلِكَ عَلَى الْخِيَصِ ، فَإِذَا
اسْتَعْمَلَ فِي أَحَدِهِمَا وَاجْتَبَى إِلَى الْقَرِينَةِ الْمَعْنَى لِلرَّادِّ لَمْ يَضُرَّ ذَلِكَ فِي كَوْنِهِ
حَقِيقَةً (وَالْقَوْلُ الْخ) رَأَى عِبَادُ بْنُ سُلَيْمَانَ الصَّيْمَرِيُّ أَنَّ دَلَالَةَ الْإِلْفَاظِ عَلَى
مَعَانِيهَا لَا تَحْتَاجُ إِلَى الْوَضْعِ بَلْ بَيْنَ الْهَيْظِ وَالْمَعْنَى مَنَاسِبَةٌ طَبِيعِيَّةٌ تَقْتَضِي دَلَالَةَ
كُلِّ لَفْظٍ عَلَى مَعْنَاهُ لِدَانِهِ ، فَذَهَبَ الْمَصْنُفُ وَكَثِيرٌ مِنَ الدُّلَاءِ إِلَى فُسَادِ
هَذَا الرَّأْيِ لِاقْتِضَائِهِ أَنْ يَمْتَنَعَ نَقْلُهُ إِلَى الْمَجَازِ ، وَجَعَلَهُ عَلَماً وَوَضَعَهُ لِلْمُتَضَادِّينِ ،
كَالْجَوْنِ لِلْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ ، وَالتَّامِلِ لِلْعُطْشَانِ وَالرَّيَّانِ ، فَإِنْ مَا بِالذَّاتِ لَا
يَزُولُ بِالْغَيْرِ ، وَالاخْتِلَافِ الْقَنَاتِ بِاخْتِلَافِ الْأُمَمِ . أَمَّا السَّكَكِيُّ فَإِنَّهُ تَأَوَّلَ
هَذَا الْقَوْلَ وَقَالَ إِنَّهُ تَفْسِيحٌ عَلَى مَا عَلَيْهِ أَئِمَّةُ عِلْمِ الْأَشْتِقَاقِ وَالتَّصْرِيفِ مِنْ أَنَّ
لِلْحُرُوفِ فِي أَنْفُسِهَا خَوَاصَّ يَتَحَقَّقُفْ ، كَالْجَهْرِ وَالْهَمْسِ وَالتَّسَدُّدِ وَالرَّعَاوَةِ
وَالْوَسْطِ بَيْنَهُمَا وَغَيْرَ ذَلِكَ ، مُسْتَدْعِيَةً أَنْ الْعَالَمُ بِهَا إِذَا أَخَذَ فِي تَعْيِينِ شَيْءٍ مِنْهَا
لَمْ يَلْحَظْ لَا يَهْمِلُ التَّنَاسُبَ بَيْنَهُمَا فَضَاءً لِحَقِّ الْحِكْمَةِ ، كَالْفَصْمِ بِالْعَاءِ الَّذِي هُوَ

أما المفرد فهو الكلمة المستقلة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته ، فلا بد من العلاقة ليخرج اللفظ والكناية ، وكل منهما لقوى وشرعي وعرفي خاص

حرف رغو لكسر الشيء من غير أن يبين ، والقسم بالقاف الذي هو حرف شديد لكسر الشيء حتى يبين ، وكالتلم بالميم الذي هو حرف خفيف للظن في الجدار ، والتلب بالياء الذي هو حرف شديد للظن في العرض ، والرفير بالغاء لصوت الحمار ، والزهير بالهمز الذي هو شديد لصوت الأسد واما شاكل ذلك ، وأن التركيبات كالفعلان والفعل بالتحريك كالزنوان والحيدى وفعل مثل شرف وغير ذلك خواص أيضاً فيلزم فيها ما يلزم في الحروف ، وفي ذلك نوع تأثير لا نفس الكلام في اختصاصها بالمعاني . . وبعد ، فهذا التأويل خلاف المصحح نقله عن عباد ، فإن المنقول عنه أن المناسبة كافية في دلالة اللفظ على المعنى فلا يحتاج إلى الوضع ، يدرك ذلك من خصه الله تعالى به كما في القافة ويعرفه غيره منه . وهذا كما ترى بعيد عن تأويل السكاكي (في اصطلاح التخاطب) زاد هذا القيد ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازاً ، فإنه لو كان مستعملاً فيما وضع له في الجملة فليس بمستعمل فيما وضع له في الاصطلاح الذي به وقع التخاطب (فلا بد من الدلالة) ليتحقق الاستعمال على وجه يصح (ليخرج اللفظ والكناية) يقول إن قولنا على وجه يصح ليخرج اللفظ كما تقول : خذ هذا البرس ، مشيراً إلى كتاب ، ونقولاً مع قرينة عدم إرادته لتخرج الكناية لأنها مستعملة في غير ما وضع له مع جواز لزيادة ما وضع له (وكل منهما لقوى) أما الحقيقة فلأن واضعها إن كان واضع الامة فظنوية ، وإن كان

أَوْعَامٌ ، كَأَسَدٍ لِّلْبُحْرِ وَالرَّجُلِ الشَّجَاعِ ، وَصَلَاةٍ لِّلْعِبَادَةِ الْخُصُوصَةِ
وَالدُّعَاءِ ، وَفِعْلٍ لِّلْفِعْلِ وَالْحَدَّثِ ، وَدَابَّةٍ لِّذِي الْأَرْبَعِ وَالْإِنْسَانِ ، وَالْمَجَازُ
مُرْسَلٌ ، إِنْ كَانَتِ الصَّلَاقَةُ غَيْرَ الْمِثَابَةِ إِلَّا فَاسْتِعَارَةً ، وَكَثِيرًا مَا تُطْلَقُ

الشارع فشرعية وإلا عرفية ، والعرفية إن تعين صاحبها نسبت إليه نقولنا
فنية ونحوية وإلا بقيت مطلقة ، وأما المجاز فلأن الاصطلاح الذي به وقع
التخاطب وكان اللفظ مستعملا في غير ما وضع له في ذلك الاصطلاح إن كان
هو اصطلاح اللغة فالمجاز لنفوي وإن كان اصطلاح الشرع فشرعي وإلا فعرفي
عام أو خاص : الحقيقة اللغوية كأسد إذا استعمله المخاطب بعرف اللغة في
السبع المخصوص ، أما في الرجل الشجاع فجاز لنفوي والحقيقة الشرعية كصلاة
إذا استعملها المخاطب بعرف الشرع في العبادة المخصوصة . أما في الدعاء فجاز
شرعي ، والحقيقة العرفية الخاصة كفعل إذا استعمله المخاطب بعرف النحو في
الكلمة المخصوصة ، أما في الحدث فجاز عرفي خاص ، والعرفية العامة كدابة
إذا استعملها المخاطب بالعرف العام في ذي الأربع ، أما في الإنسان فجاز
عرفي عام (مرسل) سموه كذلك لإرساله عن التقييد بعلاقة المشابهة
(وإلا فاستعارة) فالاستعارة على هذا هي اللفظ المستعمل فيما شبه بمجناه
الأصلي للعلاقة المشابهة كظلية في قولك : عنت لنا ظبية ، وأنت تريد امرأة .
وكثيراً ما تطلق على فعل المتكلم أي استعمال اسم المشبه به في المشبه ، وحيث
تكون بمعنى المصدر ويصح منه الاشتقاق فيسمى المشبه به مستعاراً منه والمشبه
مستعاراً له ، واللفظ مستعاراً . ثم قال المصنف : والمرسل هو ما كانت
العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملازمة غير التشبيه كاليد إذا استعملت
في النعمة لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة ومنها تصل إلى المقصود بها

الِإِسْتِمَارَةُ عَلَى اسْتِحْصَالِ اسْمِ الشَّيْءِ بِهِ فِي الشَّيْءِ ، فَهِيَ مُسْتَمَارَةٌ مِنْهُ
وَمُسْتَمَارَةٌ لَهُ وَالْفَتْحُ مُسْتَمَارٌ ، وَلِلرَّاسِلِ كَالْيَدِ فِي النِّقْمَةِ وَالْقُدْرَةِ وَالرَّيَاوِيَةِ

قال الإمام عبد القاهر : ويشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى مصدر تلك
النعمة وإلى المول لها . فلا يقال اتسمت اليد في البلد أو اتقنت يداً ، كما يقال
اتسمت النعمة في البلد أو اتقنت نعمة ، وإنما يقال سميت يده عندي وكنت
أيدي له ونحو ذلك ، ونظير هذا قولهم في صفة راعي الإبل إن له عليها
أصباً أرادوا أن يقولوا له عليها أثر حنق فدلوا عليه بالأصبع ، لأنه ما من
حنق في عمل يد إلا وهو مستفاد من حسن تصرف الأصابع ، والحنق في
رفقها ووضعها كما في الخط والنقش ، وعلى ذلك قيل في تفسير قوله تعالى : بل
قادرين على أن نسوي بناءه ، أي نجعلها تكف البعير فلا يتمكن من الأعمال
اللطيفة فأرادوا بالأصبع الأثر الحسن حيث يقصد الإشارة إلى حنق في النعمة
لا مطلقاً ، حتى يقال رأيت أصابع الغار ، وله أصبع حسنة وأصبع قبيحة ، على
معنى أثر حسن وأثر قبيح ونحو ذلك ، وينظر إلى هذا قولهم : ضربته سوطاً
لأنهم عبروا عن الضربة الواقعة بالسوط باسم السوط ، فجعلوا أثر السوط سوطاً
وتفسيرهم له بقوله المنى ضربته طربة بالسوط بيان لما كان الكلام عليه في
أصله (والقدرة) أي وكاليد في القدرة . لأن أكثر ما يظهر سلطان القدرة في
اليد وبها يكون البطش والضرب والقطع والأخذ والنفذ والرفع والوضع والرفع
إلى سائر الأفعال التي تنفي عن وجوه القدرة ومكانها : وقد تكون اليد
مجددة على حيل التثليل كما في قوله تعالى : والسموات مطويات بيمينه .
فليس ذلك من باب الجواز المرسل كما ظهروا بفتنهم . ولذلك قال الزمخشري رحمه
الله : إن الغرض من الآية إذا أخذ بحكمته ومجموعه هو تصوير عظمته تعالى

فِي الْمَزَادَةِ ، وَمِنْهُ تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ جُزْئِهِ ، كَأَمْسَيْنِ فِي الرَّيْبَةِ ، وَعَكْسُهُ

والتوقيف على كنه جلالة لا غير ، من غير ذهاب بالقبضة ، ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز (١) ، فإن السامع لذلك إذا كان له فهم يقع على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة ، وأن الأفعال العظيمة التي تتجبر فيها الأذهان هيئة عليه هواماً لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلا بإجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخيل . قال : ولا ترى باباً في علم البيان أدق ولا أظف من هذا الباب . ولا أنعم وأعز على تماطى تأويل المشتبهات من كلام الله ، فإن أكثره وعليه تخيلات قد زلت فيها الأقدام ، وما أتى من زل إلا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقيب ، حتى يعطوا أن في عداد العلوم الحقيقة علماً لو قدروه . حتى قدره لما خفى عنهم أن العلوم كلها مفتقرة إليه وعياله عليه ، إذ لا يحل عضة من عضدها المؤربة ، ولا يفك قيودها المكربة ، إلا هو ، وكل من آية أو حديث قد ضيع وسيم الحسب بالتأويلات البعيدة والوجوه الزئنة ، لأن من تأول لبس من هذا العلم في غير ولا تغير ، ولا يعرف قبيلاته من دبير ، هذا وأما اليد في قوله عليه السلام : المؤمنون متكافؤ دماؤهم ويسمى بدمهم أديانهم وهم يد على من سواهم . فن باب التشبيه أي هم مع كثرتهم في وجوبه الاتفاق بينهم مثل اليد الواحدة ، فكما لا يتصور أن يخذل بعض أجزاء اليد بعضاً وأن تختلف بها الجهة في التصرف ، كذلك سليل المؤمنين في تعاضدهم على المشركين ، لأن كلمة التوحيد جامعة لهم (وكأرواية في المزايدة) الراوية : البعير الذي يستقى عليه ، والمزايدة : سقاء الماء ، فاستعمال الأول في الثاني ضرب من المجاز المرسل للعلاقة الموجودة بين البعير ، والمزايدة بسبب حله لإياها . ومثل ذلك إطلاق الحنف من البيت على البعير الذي يحمله (كالعين في الرينة)

كَالْأَصَابِعِ فِي الْأَنَامِلِ ، وَقَسَمِيَّتُهُ بِاسْمِ سَبِيهِ ، نَحْوُ : رَعَيْنَا النِّيثَ ، أَوْ مُسَبِّبِهِ ، نَحْوُ : أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ نَمَاتًا ، أَوْ مَا كَانَ عَلَيْهِ ، نَحْوُ : وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ، أَوْ مَا يُوَلِّ إِلَيْهِ ، نَحْوُ : إِنِّي أَرَانِي أَعْمَرُ خَيْرًا ، أَوْ تَحْلَهُ نَحْوُ : فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ، أَوْ حَالَهُ نَحْوُ ، وَأَمَّا الَّذِينَ أَمِضَتْ وَجُوهُهُمْ فَنَفَى رَحْمَةِ اللَّهِ ،

الرَّيْبَةُ النَّخْصُ يُطْلَعُ عَلَى عَوْرَاتِ الْعَدُوِّ فِي مَكَانٍ عَالٍ ، فإِطْلَاقُ الْعَيْنِ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الْعَيْنَ هِيَ الْمَقْصُودُ فِي كَوْنِ الرَّجُلِ رَيْبَةً ، إِذْ مَا عَدَاهَا لَا يَقْنِي شَيْئًا مَعَ فَقْدِهَا ، فَصَارَتْ كَأَنَّهَا النَّخْصُ كُلُّهُ فَلَا يَدُ فِي الْجُزْءِ الْمُطْلَقِ عَلَى الْكُلِّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَزِيدٌ اخْتِصَاصٍ بِالْمَعْنَى الَّتِي قَصِدَ بِالْكُلِّ ، مِثْلًا لَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْيَدِ أَوْ الْأَصْبَعِ عَلَى الرَّيْبَةِ وَإِنْ كَانَ كُلُّهُمَا جُزْءًا مِنْهُ . وَفُظِّيرَ إِطْلَاقُ الْعَيْنِ عَلَى الرَّيْبَةِ إِطْلَاقُ الرَّقْبَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى : فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ (وَعَكْسُهُ) يَعْنِي تَسْمِيَةَ الشَّيْءِ بِاسْمِ كُلِّهِ (كَالْأَصَابِعِ فِي الْأَنَامِلِ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : يَحْمِلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ . وَالْأَمَلَةُ جُزْءٌ مِنَ الْأَصْبَعِ ، وَالْعَرَضُ مِنْهُ الْمُبَالَغَةُ كَأَنَّهُ جَعَلَ جَمِيعَ الْأَصْبَعِ فِي الْأَذُنِ لِثَلَاثِ سَمْعٍ شَيْءٍ مِنَ الصَّاعِقَةِ (نَحْوُ رَعَيْنَا النِّيثَ) أَيْ الْبَابَاتِ الَّتِي سَبَبِيهِ النِّيثُ (نَحْوُ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ) أَيْ الَّذِينَ كَانُوا يَتَامَى . إِذْ لَا يَتَمُّ بِعَدِّ الْوُلُغِ (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ) أَيْ أَهْلَ نَادِيهِ (وَالِاسْتِمَاعَةُ) وَهِيَ كَمَا عَلِمْتَ مَا كَانَتْ عِلَاقَتُهُ انْمِشَابَةً ، أَيْ قَدْ دُفِدَ أَنْ الْإِطْلَاقِ بِسَبَبِ الْمِشَابَةِ ، فَإِذَا أُطْلِقَ نَحْوُ الْمُشْفَرِّ عَلَى شَفَةِ الْإِنْسَانِ ، فَإِنْ أُرِيدَ تَشْبِيهُهَا بِمُشْفَرِّ الْإِبِلِ فِي الْفَافِ فَهُوَ اسْتِعَارَةٌ كَمَا قَالَ الْفَرَزْدَقُ :

فَوَ كُنْتُ صَمِيًّا عَرَفْتُ قَرَابَتِي وَلَكِنْ زَيْجِي غُلِيطَ الْمَشَافِرِ

أَيْ وَلَكِنَّكَ زَيْجِي ، كَأَنَّهُ بَعِيرٌ لَا يَهْتَدِي لَشَرْفِي ، وَكُنَّا قَوْلَ الْخَطِيبَةِ

مُخَاطَبِ الزُّبُرَانِ :

أَعِيفُ، الْجَنَّةُ أَوْ آتَتْهُ نَحْوُ : وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ . أَيْ ذِكْرًا

قَوَّوْا جَارَكُمْ الْعِيَانُ لَمَّا جَوَّوَتْهُ وَقَلَّصَ عَنْ بَرْدِ الشَّرِّ اسْمًا فَرِيدًا (١)

. فَإِنَّهُ وَإِنْ عَنِ نَفْسِهِ بِالْجَارِ جَاز أَنْ يَقْصِدَ إِلَى وَصْفِ نَفْسِهِ بِنَوْعٍ مِنْ سُوءِ الْحَالِ لِيُزِيدَ فِي التَّهْكُمِ بِالزُّبُرَانِ ، وَيُؤَكِّدَ مَا قَعَدَهُ مِنْ رَمِيهِ بِإِضَاعَةِ الضَّيْفِ وَإِسْلَامِهِ لِلْعُزْرِ وَالْبُؤْسِ . وَإِنْ أُريدَ أَنَّهُ مِنْ إِطْلَاقِ الْمُقَيَّدِ عَلَى الْمَطْلُوقِ ، فَهُوَ بِجَازٍ مُرْسِلٍ كُلِّ مَطْلُوقٍ الْمُرْسِنُ عَلَى الْآفِ فِي قَوْلِ الْعِجَاجِ : وَفَاحًا وَمُرْسِنًا مُرْسِيًا . وَاعْلَمْ ، أَنَّ صَمِيمَ هَذَا الْعِلْمِ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ هَذَا الضَّرْبُ مِنَ الْبَيَانِ ، أَغْنَى الْإِسْتِعَارَةَ الَّتِي تَتَضَمَّنُ التَّنْثِيهِ ، فِيهِ أَمَدٌ مِيدَانًا وَأَشَدُّ اقْتِنَانًا رَأَيْتُ حَسَنًا وَإِحْسَانًا ، وَأَوْسَعُ سَمَةً وَأَبْعَدُ غَوْرًا ، وَأَذْهَبُ نَجْدًا فِي الصَّنَاعَةِ وَعَوْرًا مِنْ أَنْ يَجْمَعَ شَعْبًا وَشُعُوبًا ، وَيَتَحَصَّرَ فَنُونُهَا وَضُرُوبُهَا ، نَمٌّ وَأَسْمَرٌ سَحْرًا وَأَمَلًا بِكُلِّ مَا يَمْلَأُ صَدْرًا ، وَأَهْدَى إِلَى أَنْ تَهْدَى إِلَيْكَ عِذَارِي قَدْ تَخَيَّرَ لَهَا الْجَمَالَ ، وَعَنِ بَهَا الدِّكَّالِ ، وَأَنْ تَخْرُجَ لَكَ مِنْ بَحْرِهَا جَوَاهِرُ إِنْ بَاغَتْهَا الْجَوَاهِرُ مَدَّتْ فِي الشَّرَفِ وَالْمُضَيَّةِ بَاعًا لَا يَقْصُرُ ، وَأَبْلَتْ مِنَ الْأَوْصَافِ الْجَامِلَةِ عَاسِنُ لَا تَنْتَكِرُ ، وَأَنْ تَتَّيَّرَ مِنْ مَعْدِنِهَا تَبْرًا لَمْ تَرْتَمِلْهُ ، ثُمَّ تَصَوَّغَ فِيهَا صِيَائِغَاتُ تَمَطَّلِ الْحُلِيِّ وَتَرْتِيكِ الْحُلِيِّ الْحَقِيقِيِّ ، وَأَنْ تَأْيِيكَ عَلَى الْجِلَّةِ بِمُقَاتِلِ يَأْسُرُهَا الدِّينُ وَالْدُنْيَا ، وَشَرَائِفُهَا مِنَ الشَّرَفِ الرَّتَبَةِ الْعُلْيَا ، وَهِيَ أَجَلُ مَنْ أَدَّ تَأَنِّي الصِّفَةِ عَلَى حَقِيقَةِ حَالِهَا ، وَتَسْتَوْفِي جَمْلَةَ حَالِهَا ، وَمِنْ الْمُضَيَّةِ الْجَامِعَةِ فِيهَا أَمَّا تَبْرُزُ هَذَا الْبَيَانِ أَبَدًا فِي صُورَةٍ مُسْتَجِدَّةٍ تَزِيدُ قُدْرَهُ نَبْلًا ، وَتُوجِبُ لَهُ بَعْدَ الْعِضْلِ فَضْلًا ، وَلِئِنْكَ تَتَجَدَّدُ الْعُقْلَةُ الْوَاحِدَةُ قَدْ اكْتَسَبَتْ فِيهَا فَوَائِدَ ، حَتَّى تَرَاهَا مُكَرَّرَةً فِي مَوَاضِعَ . وَلَهَا فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ تِلْكَ الْمَوَاضِعِ شَأْنٌ مُفْرَدٌ وَشَرَفٌ مُفْرَدٌ وَفَضِيلَةٌ مَرْمُوقَةٌ

(١) الْعِيَانُ : الْمَطْطَانُ إِلَى اللَّبَنِ أَشَدُّ الْعَطَشِ ، وَمِثْلُهَا : فَاعِلٌ قَلَّصَ .

حَسَنًا ، وَالْإِسْمَارَةُ قَدْ تَقَيَّدُ بِالتَّحْقِيقِيَّةِ لِتَحَقُّقِ مَعْنَاهَا حَسَنًا أَوْ عَقْلًا ، كَقَوْلِهِ :

وخلابة موموقة . ومن خصائصها التي تذكر بها وهي عنوان مناقبها ، أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ، حتى تخرج من الصدقة الواحدة عدة من الدرر ، وتجنّي من الفصن الواحد أنواعاً من الثمر ، وإذا تأملت أقسام الصنعة التي بها يكون الكلام في حد البلاغة ، ومما يستحق وصف البراعة ، وجدتها تنفرد إلى أن تميزها حلاها . وتقصر عن أن تنازعها مداها ، وصادقتها نجومها في بدوها ، وروحها في زهرها ، وعرائس مالم تمرها طيها فهي عواطل ، وكواعب مالم تحسها فليس لها في الحسن حظ كامل ، فإنك ترى بها الجاد حياً ناطقاً والأعجم فصيحاً ، والأجسام الحرس مبينة ، والمعاني الخفية بادية جليلة ، وإذا نظرت في أسر المقاييس وجدتها ولا ناصر لها أعز منها ، ولا روتق لها مالم تزنها ، وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة مالم تكنها إن شئت أرتك المعاني العظيمة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأينا العيون ، وإن شئت لطفت الأرضاء الجسائية حتى تعود روحانية لاتألفها إلا الظنون . وبعد ، فقد يدور بخلك أن في وسع الناس جميعاً أن يجيدوا في هذا الباب ويأتوا فيه بالإبداع والإحسان ، وهو وربك أكبر من أن يظن به مثل هذا الظن ، ولقد كبا فيه وقاك الله كثير من فرسان البلاغة وأئمة البيان ، فمنهم أبو نواس حيث يقول :

رَسَمُ الْكَرْمِ بَيْنَ الْجُفُونِ حَيْلُ عُنَى عَلَيْهِ بُكَاءُ عَلَيْكَ طَوِيلُ

سئل مسلم بن الوليد عن هذا البيت ، فقال إن كان قول أبي العذافر :

* بَاضَ الْهَوَى فِي فَوَادِي وَفَرَّخَ التَّدْكَارُ *

حَسَنًا كَانَ هَذَا حَسَنًا .

ومهم أبو تمام حيث يقول :

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أَخْذَعَيْكَ بَقْدَ أَنْجَبْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْمِكَ (١)

ولقد أسرف أبو تمام في هذا قدس عليه وأطلق لسانه عليه ، وأكد له الحجة على نفسه ، فن ذلك قوله :

وَكَمْ أَحْرَزْتَ مِنْكُمْ عَلَى قُبُحِ قَدْهَا مَرُوفُ الرَّدَى مِنْ مَرْهَفِ حَسَنِ الْقَدِّ
وقوله برئ غلاماً :

أَنْزَلْتَهُ الْأَيَّامَ عَنْ ظَهْرِهَا مِنْ بَعْدِ إِنْجَابِ رَجُلٍ فِي الرُّكْبِ

ولا وجه لاستيعاب ذلك ، لأن قلبه دال على كثيره ، ولكن انظر إلى قول الحماسي :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِي لَهْمٍ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَائِفَ وَوُحْدَانَا

أو قول مسلم :

تَجَرَّى الرِّيحُ بِهَا عَسْرَى مُوَاهَةٍ حَيْرَى تَلَوَّذُ بِأَطْرَافِ الْجَلَامِيهِ

أو قول أبي النعمانية :

أَتَتْهُ الْإِطْلَاقُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تَجَرَّرُ أَذْيَاكُمَا

أو قول الحماسي من خطبة له : إن أمير المؤمنين ترك سائته بين يديه ، فحجم عيدينها فوجدني أسرها عوداً وأصلها بكسراً ، فرماكم بي لأنكم طامسوا وضعت في التهمة ، واضطجعت في مراقد الضلال . فأنتم إذا نظرت إلى مثل

(١) الحرق بالضم : العنف ، وكذلك الحق والجمل ، وضم الراء الضمر ،

ويريدون بتفويم الأعديين : وهما عرتان في صحنى العنق (كالبيتين) إزالة التكبر والعنف ، لأنهم يقولون في التكبر العائق : شديد الأعديين .

• لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مَقْدَفٌ • أَيْ رَجُلٌ شُجَاعٌ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى :

هذا كلام وجدت هناك استعارة قد أصابت المحر وطبقت المفصل ، فإن أدركت من نفسك تلك المنة وإلا أطلقت عليك لسان العائدين (قد تمسّد بالتحقيقة) وهذا التمسّد تميز عن التخيلية ، وللكنى عنها . قال وإنما تسمى محققية لتحقق معناها ، أى ما عني بها واستعملت هي فيه حسيّاً أو ذهنياً . بأن يكون ذلك المعنى أمراً معلوماً يمكن أن ينص عليه ، ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية ، فيقال إن اللفظ قد نقل عن مسماه الأصل لجل اسمها لهذا المعنى ، على سبيل الإعارة للبالغة في التشبيه . أما الحسى فكنقول زهير بن أبي بللى :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مَقْدَفٌ لَهُ لَيْذٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقْلَمْ^(١)

أى لدى رجل شجاع ، ومن لطيف ذلك ما يقع التشبيه فيه في المحركات ، كقول أبي دلالة يصف بقلته :

أَرَى الشَّهْبَاءَ تَمُجُّنُ إِذْ غَدَوْنَا بِرِجْلَيْهَا وَتَحْزِرُ بِالْيَدَيْنِ

شبه حركة رجلها حيث لم تثبتا على موضع فتعتمد بهما عليه ، وهوتا ذاهبتين نحو يديها بحركة يدي العاجن ، فإنها لا تثبتان في موضع بل تزلان إلى قدام لرعاوة المجين ، وشبه حركة يديها بحركة يدي الحاذر ، فإنه يقف يده نحو بطنه ويحدث فيها ضرباً من التقيؤ ، كما تجد في يد الدابة إذا اضطربت

(١) شاكي السلاح وشائك السلاح : أى تام السلاح كله من الشوك ، وهى المدة والقوة . مقْدَفٌ : أى يقْدَفُ به كثيراً إلى الوقائع ، والبذ جمع لذة : وهى ما تلبذ من شر الأسد على منكبيه .

أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، أَيِ الدِّينِ الْحَقِّ ؛ وَدَلِيلُ أَنَّهَا بَجَازٌ لِقَوَى كَوْنُهَا

في سبيلها ولم تقم على ضبط يديها ، وأن ترمى بها إلى قدام وأن تشد اعتمادها حتى تثبت في الموضع الذي تقع عليه ، فلا تزول عنه ولا تنقث ، وأما العقل فكقوله تعالى : أهدنا الصراط المستقيم ، أي الدين الحق (ودليل أنها بجاز لقوى) اختلف العلماء في الاستمارة هل هي بجاز لقوى أو عقل ، فذهب الكثير إلى أنها بجاز لقوى نظراً إلى استعمال الأسد في غير ما هو له عند التحقيق ، فإنما وإن ادعينا الشجاع الأسدي ، فلا تتجاوز في هذه الدعوى حديث الشجاعة حتى تدعى لرجل صورة الأسد وهيئته وعبالة عقله وغالبه وسائر أوصافه الظاهرة البادية للعيون ، ولئن كانت الشجاعة من أخص أوصاف الأسد وأمكنها ، فإن اللغة لم تضع الاسم لها وحدها ، بل لها في مثل تلك الجنة ، وهاتيك الصورة والهيئة وتلك الأناب والمخالب إلى سائر ما يعلم من الصور الخاصة في جوارحه كلها ، ولو كانت وضعت لتلك الشجاعة التي تعرفها وحدها لكان صفة لا إسماً ولكان كل شيء يفضي في شجاعته إلى ذلك الحد ، مستحقاً للاسم استحقاقاً حقيقياً لا على طريق التمثيل والتأويل ، وذهب آخرون إلى أنها بجاز عقل بمعنى أن التصرف في أمر عقل لا لقوى ، لأنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به ، لأن فعل الاسم وحده لو كان استمارة لكانت الأعلام المنقولة كيزيد ويشكر استمارة ، ولما كانت الاستمارة أبلغ من الحقيقة لأنه لا بلاغة في إطلاق الاسم المجرد عارياً عن معناه ، ولما صح أن يقال لمن قال رأيت أسداً يعني زيدا أنه جملة أسداً ، كما لا يقال لمن سمي ولده أسداً أنه جملة أسداً ، لأن جعل إذا تعدى إلى مفعولين كان بمعنى صير ، فأعاد إثبات صفة الشيء ، فلا يقول جملة أسداً إلا على معنى أنك أثبت له صفة الإمارة ، وعليه قوله تعالى : وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، المعنى أنهم أثبتوا

مَوْضُوعَةٌ لِلنَّبِيِّ وَلَا لِلْأَعْمِ مِنْهُمَا ، وَقِيلَ إِنَّمَا جَازَ عَقْلِي ، يَتَعَنَّى أَنْ
 الْقَصْرِفُ فِي أَمْرِ عَقْلِي لَا لِنُورِي ، لِأَنَّهَا لَمَّا لَمْ تُطْلَقْ عَلَى الشَّيْءِ إِلَّا بَعْدَ
 ادِّعَاءِ دُخُولِهِ فِي جِنْسِ الشَّيْءِ بِدَكَانَ اسْتِغْنَاهَا فِيمَا وَضِعَتْ لَهُ ، وَلِهَذَا صَحَّ
 التَّعَجُّبُ فِي قَوْلِهِ :

قَامَتْ تَطْلُفِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزَّ عَلَى مِنْ نَفْسِي
 قَامَتْ تَطْلُفِي وَمِنْ تَجَبَّ شَمْسٌ تَطْلُفِي مِنَ الشَّمْسِ

لِللَّائِكَةِ صِفَةُ الْإِنْفِرَةِ وَاعْتَقَدُوا وَجُودَهَا فِيهِمْ ، وَعَنْ هَذَا الْإِعْتِقَادِ صَدَرَ
 عَنْهُمْ إِطْلَاقُ اسْمِ الْإِنْفِرَةِ عَلَيْهِمْ ، لَا أَنَّهُمْ أَطْلَقُوا مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِ ثَبُوتِ مَعْنَاهُ
 لَمْ يَكُنْ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ : أَشْهَدُوا خَنَقَهُمْ ، وَإِذَا كَانَ نَقْلُ الْاسْمِ تَبَعًا لِنَقْلِ الْمَعْنَى كَانَ
 الْاسْمُ مُسْتَعْمَلًا فِيمَا وَضَعَهُ ، وَقَالُوا : لِذَلِكَ صَحَّ التَّعَجُّبُ فِي قَوْلِ ابْنِ الْعَمِيدِ :

قَامَتْ تَطْلُفِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزَّ عَلَى مِنْ نَفْسِي
 قَامَتْ تَطْلُفِي وَمِنْ تَجَبَّ شَمْسٌ تَطْلُفِي مِنَ الشَّمْسِ
 وَالنَّمْنُ عَنِ التَّعَجُّبِ فِي قَوْلِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ طَبَاطَبَا :

يَا مَنْ حَكَى الْمَاءَ قَرَطُورِي وَقَلْبُهُ مِنْ قَسَاوَةِ الْحَجَرِ
 يَا لَيْتَ حَقْلِي كَحَقْلِ نَوْبَكِ مِنْ حَسَنِكَ يَا وَاحِدًا مِنَ الْبَشَرِ
 لَا تَتَجَبَّوْا مِنِّي يَلِي غِلَافِي قَدْ زَرَّ أَزْرَارُهُ عَلَى الْقَمَرِ ^(١)
 وَقَوْلِ الْآخَرِ :

تَرَسَّى الثِّيَابُ مِنَ السَّكَنَانِ يَلْحَقُهَا نُورٌ مِنَ الْبَدْرِ أَحْيَانًا فَيُبْلِيهَا

(١) البيل من بل الثوب : خلق ، والغلالة : شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع .

وَالنَّعْيُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ :

لَا تَعْتَبُوا مِنْ بَلَى غِلَائِيهِ قَدْ زَرَّ أَزْرَارُهُ عَلَى الْقَمَرِ
وَرَدَّ بَأْسَ الْإِدْعَاءِ لَا يَقْتَضِي كَوْنَهَا مُسْتَقَمَّةً فِيمَا وَضَعَتْ لَهُ ، وَأَمَّا

فَكَيْفَ تُنْكَرُ أَنْ تَبْلَى مَعَاجِرُهَا وَالْبَذَرُ فِي كُلِّ وَقْتٍ طَالِعٌ فِيهَا^(١)

فلولا أن ابن الصييد ادعى لعلامه معنى الشمس الحقيقي لما كان لهذا النجم معنى ، فليس يبدع ولا منكر أن يظلل إنسان حسن الوجه إنساناً وبقية وجهاً بشخصه ، ولولا أن أبا الحسن جعل صاحبه قرأ حقيقياً لما كان للهي عن التعجب معنى ، لأن الكنان إنما يسرع إليه البلى حين يلبس القمر الحقيقي لا إنساناً بلغ في الحسن غاية ، وكذلك القول في شعر كالك الشعراء . أجاب الطريق الأول عن هذا بأن ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه لا يخرج عن كونه مستعملاً في غير ما وضع له ، وأما التعجب والنهي عنه فيما ذكر فلبناء الاستعارة على تناسل التشبيه قضاء لحق المبالغة ، فإن قيل لإصرار المتكلم عن ادعاء الاسدية للرجل ينافي نصبه قرينة مانعة من أن يراد به السبع المخصوص ، فلما نقول لامناقة هناك . قال صاحب المفتاح : وجه التوفيق وهو أن تنفي دعوى الاسدية للرجل ينافي نصبه قرينة مانعة من أن يراد به السبع المخصوص ، فلما نقول الذي له غاية جراءة المقدم ونهاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة ، وغير متعارف وهو الذي له تلك الجراءة وتلك القوة لأمع تلك الصورة ، بل مع صورة أخرى على نحو ما ارتكب المتنبي هذا الادعاء في عد نفسه وجماعته من جنس الجبن وعد جماله من جنس الطير حين قال :

(١) المعاجر جمع معجر ، كثير : ثوب تمتع به المرأة ، أي تشده على رأسها .

التَّعَجُّبُ وَالنَّفْيُ عَنْهُ فَلْيُنَاءِ عَلَى تَنَاسِي التَّشْبِيهِ ، قَضَاءِ لِحَقِّ الْمُبَالَغَةِ .
وَالِاسْتِمَارَةُ بِتَفَارُقِ الْكَذِبِ بِالْبِنَاءِ عَلَى التَّأْوِيلِ وَنَصْبِ الْقَرِينَةِ عَلَى
إِرَادَةِ خِلَافِ الظَّاهِرِ ، وَلَا تَكُونُ عِلْمًا ، لِتَأْكَفَاتِهِ الْجَنَسِيَّةِ ، إِلَّا إِذَا قَصَصَ

تَحْنُ قَوْمٌ يَلْعِنُونَ فِي زِيٍّ نَاسٍ . فَوْقَ طَيْرٍ لَهَا شُخُوصُ الْجَمَالِ
مستشهداً لدعواك هاتيك بالخيالات العرفية والتأويلات المناسبة من نحو
حكمهم إذا رأوا أسداً هرب عن ذئب إنه ليس بأسد ، وإذا رأوا إنساناً ،
لا يقارمه أحداً به ليس بإنسان وإنما هو أسد أو هو أسد في صورة إنسان ،
وأن تخصص القرينة بنفها المتعارف الذي يسبق إلى الفهم ليتبين ما أنت
تستعمل الأسد فيه ومن البناء على هذا التنوع قوله :

* نَحْيَةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ *^(١)

وقولهم : عتابك السيف . وقوله عز وجل : يوم لا ينفع مال ولا بنون
إلا من أتى الله بقلب سليم ، ومنه قوله :

وَبَلَدَةٌ لَيْسَ بِهَا أَنْيْسٌ إِلَّا الْيَعَانِيَةُ وَالْأَلْيَسُ^(٢)

(بالبناء على التأويل) في دعوى دخول المشبه في جنس المشبه به بجعل
أفراد المشبه به قسماً كما مر ، والكاذب يتبرأ من التأويل (ونصب القرينة
على إرادة خلاف الظاهر) والكاذب لا ينصب دليلاً على خلاف زعمه
وأنى ينصب وهو لترويج ما يقول راكب كل صعب وذلول (ولا تكون
علماً) لأنها تعتمد إدخال المشبه في جنس المشبه به بجعل أفراد قسماً كما

(١) صدره * وخيل قد دلفت لها بحيل * والبيت لعمرو بن معد يكرب -

(٢) اليعفور : ولد البقرة الوحشية ، والييس : الإبل البيضاء .

نَوْعٌ وَصِفِيَّةٌ كَحَاتِمٍ ، وَقَرِيْبَتَهَا إِنَّمَا أَمْرٌ وَاحِدٌ ، كَافِي قَوْلُهُ : رَأَيْتُ أُسْدًا
يَرْنِي ، أَوْ أَكْثَرُ ، كَقَوْلِهِ :

فَإِنْ تَعَاوَا الْبَدَلُ وَالْإِيمَانُ فَلَنْ فِي إِيمَانِنَا نِيرَانًا

أَوْ مَعَانٍ مُكْتَنِيَةً ، كَقَوْلِهِ :

سبق ، وذلك غير ممكن في العلم لمناقبه الجفسيه ، لأنه يقتضى التخصيص ومنع
الاشتراك ، والجفسيه تقتضى العموم وتناول الأفراد ، واستدل في الإيضاح
على أنها لا تكون علماً بأن العلم لا يدل إلا على نوعين شئ من غير إشعار بأنه
إنسان أو فرس أو غيرها ، فلا اشتراك بين معناه وغيره إلا في مجرد التعمين
ونحوه من العوارض العامة التي لا يكتفى شئ منها جامعاً في الاستمارة (إلا إذا
تضمن نوع وصفية) بسبب اشتراكه بوصف من الأوصاف كحاتم ، فإنه
يتضمن الانصاف بالجلود ، وحيث يجوز أن يشبه شخص بحاتم في الجلود
ويتناول في حاتم فيجعل كأنه موضوع للجلود ، سواء كان ذلك الرجل المهود
من طي أو غيره ، كما جعل أسد كأنه موضوع للشجاع ، سواء كان متعارفاً أو
غيره ، فهذا التأويل يكون حاتم متناولاً للفرد المتعارف المهود والفرد الغير
المتعارف وهو من يتصف بالجلود ، لكن استعماله في غير المتعارف يكون
استعمالاً في غير الموضوع له فيكون استمارة نحو رأيت اليوم حاتماً (كَقَوْلِهِ
فَإِنْ تَعَاوَا) فتلقى قوله تعافوا بكل من البدل والإيمان قرينة على أن المراد
بالنيران آلة الحرب التي تشبه في الزمان ، لدلالته على أن جوابه أنهم يحاربون
ويضربون على الطاعة بالسيف (أو معان ملثمة) أى مربوط بعضها ببعض
يريد أن تكون القرينة أمراً مركباً (كَقَوْلِهِ) أى البحرى : فانظر ماذا
صنع حين أراد استمارة السحاب لأنامل عين المدحوخ تحريماً على ما جرت

وَصَاعِقَةٍ مِنْ نَصْلِهِ تَنْكِي بِهَا * عَلَى أَرْوُسِ الْأَقْرَانِ تَحْسُ سِحَابٍ
وَهِيَ بِاغْتِيَارِ الطَّرَفَيْنِ قَيْنَانٍ ، لِأَنَّ اجْتِمَاعَهُمَا فِي شَيْءٍ : إِنَّمَا يُمَكِّنُ
نَحْوُ أَحْيَيْنَاهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ، أَيْ ضَالًّا قَدْ بَيَّنَّاهُ
وَلَفْظُ وَقَافِيَةٍ ، وَإِنَّمَا يُجْتَنَّبُ ، كَاسْتِعَارَةِ اسْمِ الْمَدْمُومِ لِلتَّوَجُّودِ ، لِإِدْمَاقِ

به العادة من تشبيه الجواد بالبحر الفياض تارة ، وبالسحاب المطال أخرى ،
ذكر أن هناك صاعقة ، ثم قال من نصله فبين أن تلك الصاعقة من نصل سيفه
ثم قال على أروس الأقران ، ثم قال خمس ، فذكر العدد الذي هو عدد جميع
أنامل اليد لجل ذلك كله قرينة لما أراد من استعارة السحاب للأنامل ، وتكنى
من انكسار : أى انقلب (نحو أحييناه) والإحياء والمداية لاشك في جواز
اجتماعهما في شيء ، وإنما قال نحو أحييناه . لأن الطرفين في استعارة الميت
للضال بما لم يمكن اجتماعهما في شيء إذ الميت لا يوصف بالضلال (وقافية)
لما بين الطرفين من الوفاق (وإما بمتنع) والمراد به ما كان وضع التشبيه فيه
على ترك الاعتدال بالصفة وإن كانت موجودة لخلوها بما هو ثمرتها والمقصود
بها وما إذا خلت منه لم تستحق الشرف (كاستعارة اسم المدموم للوجود
لعدم غناه) أى لا انتفاء نفعه كما في المدموم ، وكذلك استعارة اسم الموجود
للمدموم إذا كانت الآثار المطلوبة من مثله موجودة حال عدمه فيكون مشاركا
للوجود في ذلك أو اسم الميت للحى الجمال لأنه عدم فائدة الحياة ، والمقصود
بها أى العلم فيكون مشاركا للميت في ذلك ، ولذلك جعل النوم موتاً لأن
النائم لا يشعر بما يحضره كالإشعر الميت ، أو الحى العاجز لأن السجركا لجل

عَنَانِهِ ، وَاقْسَمَ عَنَادِيَّةً . وَمِنْهَا التَّهْكِيَةُ وَالتَّمْلِيحِيَّةُ ، وَهَٰمَا مَا اسْتَعْمِلَ
فِي ضِدِّهِ أَوْ قَيْضِهِ ، لِمَا مَرَّ نَحْوُ : فَبَشَّرْتُهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ؛ وَاعْتِبَارُ الْجَمْعِ
فِيْمَا نَ ، لِأَنَّهُ إِذَا دَاخِلٌ فِي مَقْبُومِ الطَّرَفَيْنِ ، نَحْوُ : كُلَّمَا سَمِعَ هَيْمَةُ طَلَرَّ

يُحِطُ مِنْ قَدْرِ الْحَيِّ (وَلَقَسَمَ عَنَادِيَّةً) لِأَنَّ طَرَفَيْنِ فِي الْإِيجَاعِ (طَرَفٌ) فِي
التَّشْبِيهِ مِنْ أَنَّ التَّضَادَّ أَوْ التَّنَاقُضَ كِلَاهُمَا يَنْزِلُ مِثْلُ التَّنَاسُبِ بِرَاسِطَةِ تَمْلِيحٍ
أَوْ تَهْكِيمٍ (نَحْوُ فَبَشَّرْتُهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ) أَيْ أَنْذَرْتُهُمْ اسْتَعْمِلَتْ الْبَشَارَةَ الَّتِي هِيَ الْأَعْبَادُ
بِمَا يَظْهَرُ سُرُورُ الْحَجَرِ بِهِ لِلْإِنْذَارِ الَّذِي هُوَ عَذَابُهَا بِإِدْعَاةٍ فِي جَنْبِهَا عَلَى خَفِيلِ التَّمْلِيحِ
وَالِاسْتِزَادِ (نَحْوُ كَلِمَا) نَحْوُهُ قَوْلُ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي الْحَرْثِ تَرْتِي قَتِيلًا :

لَوْ يَشَاءُ طَلَرَّ بِهِ ذُو مَيْمَنَةٍ لَأَحِقَّ الْأَطَالِ نَهْدُ ذُو خَصْلٍ (١)
وقول بعض العرب :

وَبَرَأْتُ بِمَنْصَلِي فِي يَمَنَاتٍ دَوَائِي الْأَيْدِ يَخْبِطُنَ السَّرِيحَا

يقول : إِنَّهُ قَامَ بِسَيْفِهِ مَسْرِعًا إِلَى نَوَاقِصِ مَنْ وَدَمِيتْ أَيْدِيهِ ، غَلَبَتْ
السُّيُورُ الْمَشْدُودَةُ عَلَى أَرْجُلِهِ . وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ اسْتِعَارَةُ التَّقْطِيعِ لِتَفْرِيقِ الْجَمَاعَةِ
وِإِعَادِ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَتَقَطَّعُوا فِي الْأَرْضِ أَعْمَا ، فَإِنَّ التَّقْطِيعَ
مَوْضُوعٌ لِإِزَالَةِ الْإِتِّصَالِ بَيْنَ الْأَجْسَامِ الَّتِي بَعْضُهَا مُتَلَزِقٌ بِبَعْضٍ فَالْجَمْعُ يَنْبَغِي
إِزَالَةُ الْإِجْتِمَاعِ الَّتِي هِيَ دَاخِلَةٌ فِي مَقْبُومِ مَا هِيَ فِي التَّقْطِيعِ أَشَدَّ وَاسْتِعَارَةُ الْخِيَاطَةِ
لِزُورِ الدَّرْعِ فِي قَوْلِ التَّطَلَّاسِي :

(١) المِيعَةُ : أَوَّلُ جَرَى الْفَرَسِ وَأَنْتَضَعُهُ ، وَالْأَطَالُ جَمْعُ أَطْلٍ بِكَسْرِ فَسْكَوْنِ
وَبُكَرَتَيْنِ ، وَهِيَ الْخَاصِرَةُ ، وَالْمُرَادُ خَامِرُ الْجَنِينِ ، وَالنَّهْدُ بِالْفَتْحِ : الْفَرْسُ
الْعَظِيمُ الْمُشْرِفُ ، وَخَصْلُ الشَّعْرِ : مَعْرُوقَةٌ .

إليها ، فإنَّ الجامعَ بَيْنَ الْمَذْيِ وَالطَّيْرَانِ هُوَ قَطْعُ الْمَسَافَةِ بِسُرْعَةٍ ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِيهَا ، وَإِنَّمَا غَوَّ دَاخِلٌ كَأَمَرٍ ؛ وَأَيْضًا إِنَّمَا عَاشِيَةٌ ، وَهِيَ الْمُتَدَلَّةُ

لَمْ تَلَقْ قَوْمًا ثُمَّ شَرُّ لِإِخْوَانِهِمْ مِمَّا عَشِيَّةً يَجْرِي بِاللَّهِمِ الْوَادِي
تَقْرِيبُهُمْ لَهُذَمِيَّاتٍ نَقْدُ بِهَا مَا كَانَ حَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَادٍ (١)
فإن الحياطة تضم خرق القميص . والورد يضم خلق الدرع ، فالجامع بينهما
الضم الذي هو داخل في مفهومها وهو في الأول أشد . واستعارة النثر لإسقاط
المهزمين ومخرقهم في قول أبي الطيب :

نَقَرْتُهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَادِ نَقْرَةً كَمَا نَبِزْتُ فَوْقَ التَّوَرُوسِ الدَّرَاهِمَ (٢)
لأن النثر أن تجتمع أشياء في كف أو وعاء ثم يقع فعل تتفرق معه دفعة
من غير ترتيب ونظام . وقد استعاره لما يتضمن التفرق على الوجه المخصوص
وهو ما اتفق من تناقض المهزمين في الحرب دفعة من غير ترتيب ونظام ،
ونسبة إلى المدح لأنه سيء بهذا وأما قوله كلما سمع هبة طار إليها فهو
جزء حديث ولنظرة : خير الناس رجل يمان فرسه كلما سمع هبة طار
إليها ، أو رجل في شعبة في غنمة له يبعدها الله تعالى حتى يأتيه الموت . قال
الزعمري : الهبة الصبغة التي يفرغ منها ، وأصاها من هاع جميع إذا جبن .
والشفة رأس الجبل ، والمعنى خير الناس رجل أخذ يمان فرسه واستعد للجهاد
في سبيل الله ، أو رجل اعتزل الناس وسكن في دؤس بعض الجبال في غم له قليل
يرعاها ويكتفي بها في أمر معاشه ويبعدها حتى يأتيه الموت (كاسر) من استمارة

(١) تقريبهم : نضيفهم ، والهم من السنان : الحاد ، والقند : الشق ،
والزراد : صانع الدرع (٢) الأحيد : اسم جبل ، وثرثم : فرقته .

يُظْهِرُ الْجَمِيعَ فِيهَا ، نَحْوُ : رَأَيْتُ أَسَدًا يَرْمِي ، أَوْ خَاصِيَّةً ، وَهِيَ الْفَرِيَّةُ
وَالْفَرَاةُ قَدْ تَكُونُ فِي نَفْسِ الشَّيْءِ ، كَقَوْلِهِ :
وَإِذَا احْتَبَى قَرْبُوسُهُ بِمِثْنَيْهِ عَلَكَ الشَّكِيمَ إِلَى انْفِرَافِ الزَّائِرِ
وَقَدْ تَحْصُلُ يَتَعَرَّفُ فِي الْعَامَّةِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ :
« وَسَأَلْتُ بِأَعْنَاقِ الْمَلَى الْأَبَاطِحُ »

الأسد للرجل الشجاع ، والشمس للوجه المنهال ونحو ذلك (وهي الفرية)
بقي لا يظفر بها إلا من ارتفع عن طبقة العامة (كما في قوله) أى قول يريد
ابن مسلة بن عبد الملك يصف فرساً له بأنه مؤدب ، وأنه إذا نزل عنه وألقى
عناقه في قربوس سرجه وقف مكانه إلى أن يعود إليه . القربوس : مقدم السرج ،
والشكيم : الحديدة المعترضة في فم الفرس . شبه هيئة العنان في موقعه من
قربوس السرج هيئة الثوب في موقعه من ركة المحتبى ، فكانت الاستعارة
غريبة لفراة الشبه . قال : وقد تحصل الفراة بتصرف في العامة بأن يكون
التشبيه مشهوراً ولكنه يذكر على وجه بدیع كما في قول كثير عزة :

ولما قضينا من مئى كل حاجة ومسح بالآركان من هو ماسح
وشدت على دم المطايا رحالنا ولم ينظر النادى الذى هو رانح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق الملئى الأباطح

المقصود وسالت ، فإنه أراد أن الإبل سارت سيراً حثيثاً في غاية السرعة
وكانت سرعة في عين وسلامة ، حتى كأنها كانت حيولاً وقعت في تلك الأباطح
بجرت بها ، ومثلها في الحسن وعلو الطبقة في هذه النقلة بعينها قول ابن المعتز :

إِذْ أَسْنَدَ الْفِئْلَ إِلَى الْأَبَاطِخِ دُونَ اللَّطَى وَأَعْنَاهَا ، وَأَدْخَلَ
الْأَعْنَاقَ فِي السَّيْرِ . وَبِاعْتِبَارِ الثَّلَاثَةِ سِتَّةَ أَقْسَامٍ ، لِأَنَّ الطَّارِقَيْنِ إِذَا
كَانَا حَيَّتَيْنِ فَالْجَمِيعُ إِنَّمَا حَيٌّ نَحْوُ : فَأَخْرَجَ لَهُمْ مِجْلًا جَدَّدَ لَهُ خُورًا ،
فَإِنَّ السُّتَمَارَ مِنْهُ وَلَدُ الْبَقْرَةِ ، وَالسُّتَمَارُ لَهُ الْحَيَوَانُ الَّذِي جَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى
مِنْ خِلِّ الْقَبْطِ ، وَالْجَمِيعُ الشَّكْلُ ، وَالْجَمِيعُ حَيٌّ ؛ وَإِنَّمَا عَلِيٌّ نَحْوُ :
وَأَبَةُ لَهُمْ الْقَبِيلُ نَسَلُغَ مِنْهُ النَّهَارَ ، فَإِنَّ السُّتَمَارَ مِنْهُ كَسَطُ الْمَقْدَرِ عَنْ

سَأَلَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْمَلِكِ حِينَ دَعَا أَنْصَارَهُ يَوْجُوهُ كَالدَّانِيَةِ
أَرَادَ أَنَّهُ مَطَاعٌ فِي الْحَيِّ وَأَنَّهُمْ يَسْرِعُونَ إِلَى نَصْرَتِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَدْعُوهُمْ لِحُطْبِ
إِلَّا أَتَوْهُ وَكَثُرُوا عَلَيْهِ وَازْدَحَمُوا حَوَالِيَهُ ، حَتَّى تَجْدُمَ كَالسِّيُولِ نَحْبَهُ مِنْ هَهُنَا
هَهُنَا ، وَتَنْصَبَ مِنْ هَذَا الْمَسِيلِ وَذَلِكَ حَتَّى يَنْفَسَ الْوَادِي وَيَطْفَحَ مِنْهَا ،
وَهَذَا شَبَّهِ مَعْرُوفٍ طَاهِرٍ ، وَلَكِنْ حَسَنَ التَّصَرُّفِ فِيهِ أَقَادُ الْطُفِّ وَالْفَرَابَةِ ،
وَذَلِكَ إِنْ أَسْنَدَ الْفِعْلَ إِلَى الْأَبَاطِخِ وَالشَّعَابِ دُونَ الْمَطَى أَوْ أَعْنَاهَا وَالْأَنْصَارِ
أَوْ وَجُوهِهِمْ ، حَتَّى أَقَادَ أَنَّهُ امْتَلَأَتْ الْأَبَاطِخُ مِنَ الْإِبِلِ وَالشَّعَابِ مِنَ الرِّجَالِ
كَأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : وَاشْتَمَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا ، وَفِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا شَيْءٌ شَيْءٌ الَّذِي فِي
الْآخِرِ يُوَكِّدُ أَمْرَ الدَّقَّةِ وَالْفَرَابَةِ ، أَمَّا الَّذِي فِي الْأَوَّلِ فَهُوَ أَنَّهُ أَدْخَلَ الْأَعْنَاقَ
فِي السَّيْرِ فَإِنَّ السَّرْعَةَ وَالْبَطْءَ فِي سَيْرِ الْإِبِلِ يَظْهَرَانِ غَالِبًا فِي أَعْنَاقِهَا ، وَأَمَّا الَّذِي
فِي الثَّانِي فَهُوَ أَنَّهُ قَالَ عَلَيْهِ ، فَهَذَا الْفِعْلُ إِلَى خَيْرِ الْمَدْرُوحِ بَعْلٍ ، فَأَكْثَرُ مَقْصُودِهِ
مِنْ كَوْنِهِ مَطَاعًا فِي الْحَيِّ . هَذَا وَهُوَ تَحْصِيلُ الْفَرَابَةِ بِالْجَمْعِ بَيْنَ عِدَّةِ اسْتِعَارَاتِ
لِلْحَقَائِقِ الشَّكْلِ بِالشَّكْلِ كَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

نحو الشاة ، والمستعار له كشف الضوء عن مكان الليل ، ومما حسيان
والجامع ما يعقل من ترتيب أمر على آخر ؛ وإما مختلف ، كقولك : رأيت
شمساً وأنت تريد إنساناً كالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشأن ، وإلا فهما
إما عقديان : نحو : من بعثنا من مرقداً ، فإن المستعار منه الرقاد ، والمستعار
له الموت ، والجامع عدم ظهور الليل والجميع غفل ، وإما مختلفان ،
والحسي هو المستعار منه نحو : فاصدع بما تؤمر ، فإن المستعار منه كسر

فَعَتُّ لَه لَمَّا تَمَطَّى بِصَلْبِهِ وَأُرْدَفَ أَجْزَاءُ وَهَاءِ بِكَلْكَلٍ

أراد وصف الليل بالطول ، فاستعار له صلباً يتمطى به إذا كان كل ذي
صلب يزبد شي. في طوله عند تمطيه وبالغ في ذلك بأن جعل له أجزاً يردف
بعضها بعضاً ، ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره والتمطى لمكايده ،
فاستعار له كالكلا ينوء به . وقال الشيخ عبد القاهر : لما جعل الليل صلباً قد تمطى
به في ذلك لجعل له أجزاً قد أردف بها الصلب ، وثلاث لجعل له كلكلا قد
ناه به ، فاستوى له جملة أركان الشخص ، وراعى ما يراه الناظر من سواده إذا
نظر قدامه وإذا نظر خلفه ، وإذا رفع البصر ومدّه في عرض الجو (مكان
الليل) يلقى ظله (والجامع ما يعقل من ترتيب أمر على آخر) كترتيب
ظهور الدمع على كسطة الجلد ، وترتيب الظلة على كشف الضوء عن مكان الليل .
هذا . وقد وقع في عبارة الشيخ عبد القاهر والسكاكي ، أن المستعار له
ظهور النهار من ظلة الليل . وظاهر أن المراد بالظهور في كلامهما التبريز ، أي
تبريز النهار عن ظلة الليل (نحو فاصدع بما تؤمر) فكأنه قيل أين الأمر
إلانة لانهضى كما لا يثبت صدع الزاجحة ونظير الآية قوله تعالى : ضربت عليهم

وَالْمُجَابِجَةُ وَهُوَ حَسِيٌّ، وَالْمُسْتَعَارُ لَهُ التَّنْبِيغُ، وَالْجَامِعُ التَّأْيِيدُ، وَهُمَا عَقْلِيَّانِ
وَلَهُمَا عَكْسُ ذَلِكَ نَحْوُ: إِنَّا لَمَّا طَقَى لِلَّهِ حَمَلُنَا كُمْ فِي الْجَارِيَةِ، فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ
لَهُ كَثْرَةُ اللَّاءِ وَهُوَ حَسِيٌّ، وَالْمُسْتَعَارُ مِنْهُ التَّكْثِيرُ، وَالْجَامِعُ الْإِسْتِمْلَاءُ
لِلْفَرِطِ، وَهُمَا عَقْلِيَّانِ. وَبِاعْتِبَارِ الْفَعْلِ قِيَمَانٍ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ اسْمُ جِنْسٍ
فَأَصْلِيَّةٌ، كَأَسَدٍ وَقَتْلٍ، وَإِلَّا فَتَبْعِيَّةٌ، كَالْفِعْلِ وَمَا يَشْتَقُّ مِنْهُ وَالْحَرْفُ
فَالْقَشْبِيُّ فِي الْأَوَّلَيْنِ لِمَعْنَى الْمَصْدَرِ، وَفِي الثَّلَاثِ لِمَتَّبَعَاتِي مَعْنَاهُ كَمَا جَرَوْرٍ

الذلة، أى جعلت الذلة محيطة بهم مشتقة عليهم . فهم فيها كما يكون في القبة من
ضربى عليه أو جعلت ملصقة بهم حتى لو تمتم ضربة لازب ، كما يضرب الطين
على الحائط فيلزمه ، فالمستعار منه ، إما ضرب القبة على الشخص ، وإما ضرب
الطين على الحائط وكلاهما حسي والمستعار له حالهم مع الذلة والجامع الإحاطة
أو الزوم وهما عقليان (اسم جنس) هو مادل على ذات سالفة لأن تصدق
على كثيرين ولو تأويلا من غير اعتبار وصف من الأوصاف . فدخل نحو
أسد ونحو قتل الأول اسم عين والثاني اسم معنى ونحو حاتم من قولك : رأيت
اليوم حاتمًا وخرج بقولنا السالفة لأن تصدق على كثيرين الأعلام التي لم تتضمن
وصفية والمضمرات وأسماء الإشارة ، وقولنا من غير اعتبار وصف من
الأوصاف خرج به المشتقات كضارب . فإنه اسم وضع لذات منصفة
بالضرب (وما يشتق منه) : كاسم الصاعل ، واسم الممحول ، والصفة . المصممه
وأفضل التفضيل ، وأسماء الزمان والمكان ، والآلة (الأولين) أى الفعل وما يشتق
منه (الثالث) أى الحرف (كالمجرور في زيد في نعمة) أما السكاكي فإنه قال وأعني
بمتعلقات معاني الحروف ما يعبر به عنها عند تصغيرها مثل قولنا من معناها

فِي : زَيْدٌ فِي نِعْمَةٍ ، فَيَقْدَرُ فِي نَطَقَتِ الْحَالُ ، وَالْحَالُ نَاطِقَةٌ : يَكْذِبُ لِلدَّلَالَةِ
بِالنُّطْقِ ، وَفِي لَامِ التَّحْلِيلِ نَحْوُ : فَالْتَقَطَ آلُ فِرْعَوْنَ لَيْسَ كَوْنُ لَهُمْ عَدُوًّا

ابتداءً النّاية وإلى معناها انتهاء النّاية ، وكى معناها الفرض ، فهذه ليست معاني
الحروف ، وإلا لما كانت حروفاً بل أسماء ، لأن الاسمية والحرفية إنما هي
باعتبار المعنى وإتمامي متعلقات لمعانيها ، أى إذا أُنشئت هذه الحروف معاني
رجعت تلك المعاني إلى هذه بنوع استلزام . وهذا الذى ذكره السكاكى هو
ما جرى عليه علماء هذا الفن (فيقدر) أى حيث كان التشبيه للمعنى المصدر
ولمتعلقات معنى الحروف فيقدر فى قولنا : نطقت الحال بكذا والحال ناطقة
بكذا ، لدلالة الحال بنطق الناطق فى اقتضاح المعنى للذهن ، ثم تدخل الدلالة فى
جنس النطق فيستعار لها لفظ النطق ، ثم يشتق منه الفعل والصفة فتكون
الاستعارة فى المصدر أصلية وفى الفعل والصفة تبعية ويقدر فى لام التحليل (١)
نحو : فالنقطة آل فرعون لىكون لهم عدواً وحزناً للعداوة والحزن الحاصلين
بعد الالتقاط بالصفة النائية للالتقاط ، كالحبة والنبتى فى الترتب على الالتقاط
والحصول بعده ، ثم استعمل فى العداوة والحزن ما كان حقه أن يستعمل فى
الملة القائمة . وهذا الذى ذكره المصنف مأخوذ من كلام صاحب الكشف
حيث قال معنى التحليل فى اللام وارد على طريق المجاز لأنه لم يكن داعيهم إلى
الالتقاط أن يكون لهم عدواً وحزناً ولكن المحبة والتبني ، غير أن ذلك لما كان
نتيجة التقاطهم وثمرته شبه بالداعى الذى فعل . الفاعل الفعل لأجله ، ثم قال :
وهذه اللام حكمها حكم الأسى حيث استعيرت لما يشبه التحليل كما يستعار

(١) ويقدر على قوله تعالى : ولاصلبكم فى جذوع النخل ، للجذوع
الأوعية ثم للصلوب بالموعى ، فاستعيرت فى تبعاً لذلك وقس على هذا مثله .

وَحَزَنًا ، فَمَدَاوَةٌ وَالْمَزْنُ بَدَ الْإِلْتِقَاطِ يَمْلِكُهُ الْفَائِيَةُ : وَمَدَارٌ قَرِيبَتُهَا
فِي الْأَوَّلَيْنِ عَلَى الْفَاعِلِ ، نَحْوُ : نَفَقَتِ الْحَالُ ، أَوْ لَقَعُولِي نَحْوُ :

* قَتَلَ الْبُخْلَ وَأَحْيَا السَّمَاخَا *

وَنَحْوُ : * تَقْرِيبُهُمْ لِهَذِمِيَّاتٍ هَذُ بَيَا *

أَوْ الْجَرُورِ نَحْوُ : فَبَشَّرَهُمْ بِمَذَابِ أَلِيمٍ ، وَبِاعْتِبَارِ آخِرِ ثَلَاثَةِ أَقْسَامِ

الأسد لمن يشبه الأسد . . وبعد ، فلتقوم في هذا المقام كلام طويل عزيز
ليس من ستنا في هذا الشرح التوضيح فراجع هناك إن شئت . قال ،
المصنف : ومدار قرينة الاستعارة التسمية في الأفعال والصفات المشتقة منها
على نسبتها إلى الفاعل ، كقولك نفقت الحال بكذا : الحال ليس من ينطق
حقيقة ، فدل ذلك على أن المراد بالناطق الدلالة أو إلى المنعول كقول ابن المعتز :

جُمِعَ الْحَقُّ لَنَا فِي إِمَامٍ قَتَلَ الْبُخْلَ وَأَحْيَا السَّمَاخَا

فالذي دل على أن قتل وأحيى مستعاران إنما هو إسنادهما إلى البخل والسماخ
ولو قال قتل الأعداء وأحيى الأحياء لم يكن ذلك استعارة بوجه وكذلك أحيى
أو المنعول الثاني كقول القاطم :

لم تاتي قوما هم شر لإخوتهم منا عشية يجرى بالدم الرادي

تقريبهم . لهذميّات فقد بها ما كان غاط عليهم كل زرد

الهم من الأسته : الفاطم ، فأراد بهذميّات طعنات مفسدة إلى الأسته

الفاطمة ، أو أراد نصر الأسته ، والنسبة للبالغة كأخرى ، والقد : القطع ، وزرد

المرح وسردها : نسجها . فإسناد الفري إلى الهذميّات قرينة على أن تقريبهم استعارة .

مُطْلَقَةٌ وَهِيَ مَا لَمْ تَقَرَّنْ بِصِفَةٍ وَلَا تَقْرِيحٍ ، وَالرَّادُ لِلْمَعْنَوِيَّةِ لَا النَّصِّ ،
وَتَجَرُّدَةٌ ، وَهِيَ مَا قَرِنَ بِمَا يَلَايِمُ الْمُسْتَمَارَّةَ ، كَقَوْلِهِ :
• غَمْرُ الرَّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا •

أو إلى الجمع ورغمو : فبشرم يذاب إلى ، فذكر المذاب قريبة على أن بشر
استمارة (بصفة ولا تفرع) أى صفة تلائم أحد الطرفين أو تفرع كلام ،
كذلك اعلم أن للتلائم إذا كان من تمة الكلام الذى فيه الاستمارة فهو
صفة وإن كان كلاماً مستقلاً جى به بعد ذلك الكلام فهو تفرع ، سواء
كان يعرف بالتفرع أو لا (كقوله غمر الرداء) فقد استعار الرداء للمعروف
لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذى
هو وصف المعروف لا الرداء فنظر إلى المستمارة ، والبيت لكثير عزة
وتماه • غلقت لضحكته وغاب المال : أى إذا تبسم غلقت رقاب أمواله في
أيدى السائلين ، يقال غلق الرمن في يد المرتين : إذا لم يقدر على انفاكه ،
ونظير البيت قوله تعالى : فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ، حيث قال إذا قهولم
يقبل كسها ، فإن المراد بالإذاقة إصابتهم بما استهبر له اللباس ، كأنه قال فأصابتها
الله بلباس الجوع والخوف : قال اليعنبرى : الإذاقة جرت عندهم مجرى الحقيقة
لتصويرها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها ، فيقولون ذاق فلان البؤس
والعسر وأذاقه المذاب شبه ما يدرك من أثر العسر والآلم بما يدرك من طعم المر
والبئس ، فإن قيل الرشح أبلغ من التجريد فبلا قيل فكسها الله بلباس الجوع
والخوف ، قلنا لأن الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك باللس من غير عكس
فكان في الإذاقة إشعار بشدة الإحابة بخلاف الكسوة ، فإن قيل لم لم يقل
فأذاقها الله طعم الجوع والخوف ، قلنا لأن الطعم وإن لام الإذاقة فهو مفوت

وَمُرُشَّةٌ ، وَهِيَ مَا قَرِنَ بِمَا يُلَاقِيهِ الْمُسْتَعَارُ مِنْهُ ، نَحْوُ : أَوَّلِكَ
الَّذِينَ اشْتَرَوْا الصَّلَاةَ بِالْهَدَى فَمَا رَجَحَتْ نِجَارَتُهُمْ ، وَقَدْ يَجْتَمِعَانِ ،
كَقَوْلِهِ :

لَقَدْىَ أَسَدٌ شَاكِيَ السَّلَاحِ مُقَدَّفٌ ۖ لَهُ لَيْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقْلَمْ
وَالْتَرَشِيعُ أَبْلَغُ ، لِاشْتِمَالِهِ عَلَى تَحْقِيقِ الْمِبَالغةِ ، وَمَبْنَاهُ عَلَى تَنَاسِي

لما يفيدُه لفظ البأس من بيان أن الجوع والخوف عم أثرهما جميع البدن عموم
الملابس (نحو أولئك الذين اشتروا الصلابة بالهدى) فإنه استعار الاشتراء
للاختيار وقفاء بالرجع والتجارة الذين هما من متعلقات الاشتراء فنظر إلى المستعار
منه ومن هذا الباب قول الشاعر :

يُنَازِعُنِي رِدَائِي عَبْدٌ عَمْرُو زُوَيْدُكَ يَا أَخَا عَمْرٍو بْنَ تَكْوُرٍ
فِي الشُّطْرُ الَّذِي مَنَكْتُ يَتَنِي وَذُوْلَكَ وَغَتَجِرُ مِنْهُ بِشَطْرِ
فإنه استعار الرداء لل سيف نحو ما سبق ووصفه بالاعتجار الذي هو وصف
الرداء فنظر إلى استعار له (كقوله لدى أسد) فقوله شاكي السلاح مقذف
تجريد لأنه وصف بلاءم المستعار له ، وقوله له ليد أظفاره لم تقلم ترشيح لأنه
وصف بلاءم المستعار منه ، والبيت لزهير بن أبي سدي ، وشاكي السلاح : نامة ،
ومقذف : مرمى به في الوقائع والحروب . والبدع لبدع : ما تبدل من شعر الأسد
على منكبيه (والترشيح أبلغ) الترشيح الذي هو ذكر ملائم المستعار منه أبلغ من
الإطلاق والتجريد لاشتماله على تحقيق المبالغة في التشبيه ولهذا كان مبناه على تناسي
التشبيه وحرف النفس عن قومهم حتى إنه يوضع الكلام في علو القدر وسمو المنزلة
وضعه في علو المكان ، كما قال أبو تمام يمدح يزيد النخعي :

التَّشْبِيهِ ، حَتَّى إِنَّهُ يُبْقَى عَلَى عُلُوِّ الْقَدْرِ مَا يُبْقَى عَلَى عُلُوِّ الْكَانِ ،
كَقَوْلِهِ :

ويعصد حتى يظن الجهمو ل بأن له حاجة في السماء
فلولا أن قصده أن ينشئ التشبيه ويدفعه بجهده ، ويصمم على إنكاره
ويجده ، فيجعله ساعداً في السماء من حيث المسافة المكانية ، لما كان لهذا
الكلام وجه ومن أبلغ ما يكون في هذا المعنى قول ابن الرومي :

أَعْلَمُ النَّاسِ بِالنُّجُومِ بَنُو نُو نَحْتَ عَلَمًا لَمْ يَأْتِيهِمْ بِالْحَسَابِ
بَلْ بِأَنْ شَاهَدُوا السَّمَاءَ تُنْمُوا يَبْرُقُ فِي الْمَكْرُمَاتِ الصَّابِ
مَبْلَغًا لَمْ يَكُنْ لِيَبْلُغَهُ الطَّا لِبُ إِلَّا يَتَلَكَّمُ الْأَشْبَابِ
رأعاده في موضع آخر فزاد الدعوى قوة ، ومر فيها مرور من يقول.
صدقاً ويذكر حقاً :

يَا آلَ نُو بَحْتَ لَا عَدِمْتُكُمْ وَلَا تَبَدَّلَتْ بَعْدَكُمْ بَدَلًا
إِنْ صَحَّ عَلَى النُّجُومِ كَأَنَّ لَكُمْ إِنْ صَحَّ إِذَا مَا يَوْمَاكُمْ أَنْتَحَلًا
كَمْ عَالِمٍ فِيكُمْ وَلَيْسَ بِأَنْ فَا سَ وَلَكِنْ بِأَنْ رَقِ فَسَلَا
أَعْلَاكُمْ فِي السَّمَاءِ تَجِدُكُمْ فَاسْتُمْ تَجْهَلُونَ مَا جُهَلَا
شَافَيْتُمْ الْبَدْرَ بِالسُّوَالِ عَنِ الْأُمِّ رِ إِلَى أَنْ بَلَّغْتُمْ رُحَلَا
ومنه قول بشار :

أَتَغْفِي الشَّمْسُ زَاوِرَةَ وَلَمْ تَكْ تَبْرَحِ الْقَلْبَا

وَيَصْدُقُ حَتَّى يَطْلُنَ الْمَجُورُ لُ بَأْنُ لَهُ حَاجَةٌ فِي السَّمَاءِ

• وقول المتنبي:

كَهَيْزَتْ نَحْوَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ مِنْهَا الشُّمُوسُ وَلَيْسَ فِيهَا لِلشَّرِيقِ

وقوله:

وَلَمْ أَرَ قَبْلِي مَنْ مَشَى الْبَدْرُ نَحْوَهُ وَلَا رَجُلًا قَامَتْ تُعَاغِيهِ الْأَسَدُ

ومن مآثر من التمتع في قوله:

قَامَتْ تَطْلُلُنِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تَطْلُلُنِي مِنَ الشَّمْسِ

والنبي عن التمتع في قوله:

لَا تَعْجَبُوا مِنْ بِلَى غِلَاتِهِ قَدْ زَرَّ أَرْزَارُهُ عَلَى الْقَمَرِ

أو ما ترى هؤلاء فيما فعلوا كيف بذوا أمر التنحية وراء ظهورهم، وكيف نسوا حديث الاستعارة، كأن لم يمر منهم على بال، ولم يروه ولا طيف خيال. وإذا كانوا مع التنحية والاعراف بالأصل يسوغون أن لا يبتنوا إلا على الفرع ويقولون:

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكُنُهَا فِي السَّمَاءِ قَدَرُ الْقَوَادِ عَزَا بَحِيلًا

فَإِنْ تَسْتَطِيعُ إِلَيْهَا الصُّنُودُ وَإِنْ تَسْتَطِيعُ إِلَيْكَ التَّزْوِلُ (١)

أو يقولوا:

وَعَدَ الْبَدْرُ بِإِلْزَامَةِ لَيْلًا فَإِذَا هُوَ فِي قَصَبِ نَذْوِي

قُلْتُ يَا سَيِّدِي وَلِمَ تُوَفِّرُ الْيَسَلَ عَلَى صَاعَةِ الصَّبَاحِ اللَّيْلِ

(١) البيان للعالم بن الأحنف.

وَنَحْوُهُ مَا مَرَّ مِنَ التَّعْجِبِ وَالنَّعْيِ عَنْهُ ، وَإِذَا جَازَ الْبَيْتَ عَلَى الْفَرْعِ
مَعَ الْإِعْزَازِ بِالْأَصْلِ كَافِي قَوْلِهِ :

عِى الشَّمْسُ مَسْكُنَهَا فِي السَّمَاءِ فَمَرَّ الْقَوَادِ عَزَاهُ جَبِيلًا
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّمُودُ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ التَّزُولَا

قَالَ لَا أَحِبُّ تَغْيِيرَ رَشْمِي هَكَذَا الرَّسْمُ فِي طُلُوعِ الْبُذُورِ (١)
أَوْ يَقُولُوا :

قُلْتُ زُورِي فَأَرْسَلَتْ أَنَا آتِيكَ سُحْرَهُ
قُلْتُ فَلَالَيْلٍ كَانَ أَخْفَى وَأَذْنَى مَسَرَّهُ
فَأَجَابَتْ بِعُجْبَةٍ زَادَتْ الْقَلْبَ حَسْرَهُ
أَنَا شَمْسٌ وَإِنَّمَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ بِكُورِهِ

فهم إن تسويغ ذلك مع جعد الأصل في الاستمارة أقرب ، وعمله طبقة
عالية في هذا القبيل وشكل يدل على شدة التكيمة وعلو المأخذ قول الفرزدق :
أَبِي أَحَدَ النَّبِيِّينِ صَمْعَةُ الَّذِي مَتَى تُخْلِفِ الْجُوزَاهُ وَالْأَثَرُ يُظْهِرُ
أَجَارَ بَنَاتِ الْوَاهِدِينَ وَمَنْ يُغَيِّرُ عَلَى الْمَوْتِ تَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ مُخْفِرٍ
ادعى لآبيه اسم النبي ادعاء من سلم له ذلك ، ومن لا ينظر بياحه أنه
متناول له من طريق التشبيه وكذلك قول عدي بن الرقاع يصف حارين وحشيين

(١) الآيات لسعيد بن حيد وكذلك التي بعدها .

فَقَعَ جَعْدِهِ أَوَّلَى . وَأَمَّا لَلرَّكَبِ فَهَوَ اللَّفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِيهَا شَبْهٌ
بِمَعْنَاهُ الْأَصْلِيُّ تَشْبِيهُ التَّمثِيلِ لِلْمَبَالِغَةِ ، كَمَا بَقِيَ لِلْمُقَرَّرِ فِي أَمْرِ : إِنْ

يَتَعَاوَرَانِ مِنَ الْفُجَارِ مِلَاءَةً يَبْصَاءُ مُحْكَمَةً مِمَّا تَسَجَّلَا
تَطْوَى إِذَا وَرَدَا مَكَانًا مُحَرِّقًا وَإِذَا السَّنَابِكُ أَشْهَكَتْ نَشْرَاهَا

(وَأَمَّا الركب) كل ما مر عليك من ضروب الجاز وأمثله إنما هو
في الجاز المقرد ، وهذا هو القول في الجاز الركب المعروف بالتمثيل .
الجاز الركب هو اللفظ الركب المستعمل فيها شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل
للمبالغة ، أي تشبه إحدى صورتين متواترتين من أمرين أو أمور بالآخرى ثم
تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه ، فتذكر بلفظها من غير
تغيير بوجه من الوجوه ، كما كتب الوليد بن يزيد لما بويع إلى مروان بن محمد
وقد بلغه أنه متوقف في البيعة له : أما بعد فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر
أخرى . فإذا أناك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام . شبه
صورة تردده في المبالغة بصورة تردد من قام ليذهب في أمر ، فتارة
يريد الذهاب فيقدم رجلاً ، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى . وكما يقال لمن
يعمل في غير مهله : أراك تنفخ في غير لحم وتخط على الماء ، والمعنى أنك
في فعلك كمن يفعل ذلك . وكما يقال لمن يعمل الحيلة حتى يميل صاحبه
إلى ما كان يمتنع منه : ما زال يقتل منه في القوة والغارب ، حتى بلغ منه
ما أراد ، والمعنى أنه لم يزل يرقق بصاحبه وفقاً يشبه حاله فيه حال من
يجيء إلى البعير الصعب فيحكه ، ويقتل الشعر في ذوته وغاربه ، حتى
يسكن ويسأسئ . وهذا في المعنى فظير فوفهم فلان يقرد فلاأ . أي يتألف به
فعل من يزع القرد من البعير ليلتذ بذلك فيسكن ويثبت في مكانه حتى يتمكن

أَرَأَيْكَ تَقْدُمُ رِجْلًا وَتَوَخَّرُ أُخْرَى ، وَهَذَا يُسَمَّى التَّحِيلَ عَلَى سَبِيلِ

من أخذه وكذا قوله تعالى : والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والمضى واقف أعظم أن مثل الأرض في تصرفها تحت أمر الله وقدرته ، وأنه لا يشذ شيء مما فيها عن سلطانه عز وجل ، مثل الشيء يكون في قبضة الآخذ له منا الجامع يده عليه . وكذا قوله تعالى : والسموات مطويات بيمينه ، أى يخلق فيها صفة العلى حتى ترى كالكتاب المطوى يمين الواحد منا . وخص اليمين ليكون أعلى وأعظم للنيل لأنها أشرف اليدين وأقوامها والتي لا تغنى للأخرى دونها ، فلا يشاء إنسان شيء إلا بدأ بيمينه فيها ما لديه ، ومتى قصد جعل الشيء في جهة العناية جعل في اليد اليمنى ، ومتى قصد خلاف ذلك جعل في اليسرى كما قال البحرى :

وَإِنْ يَدِي وَقَدْ أَشَدَّتْ أَمْرِي إِلَيْهِ الْيَوْمَ فِي يَدِكَ الْيَمِينِ ^(١)

وقال ابن ميادة :

أَلَمْ أَتُ فِي يَمْنَى يَدَيْكَ جَمَلَتْنِي فَلَا تَحْمِلْنِي بَدَّهَا فِي شِمَالِكَ

أى كنت مكرماً عندك فلا تحملنى مهاناً ، وكنت في المكان الشريف منك فلا تحملنى في المنزل الوضع ، وكذا قوله تعالى : ولما سكنت عن موسى الغضب . قال أبو عبيد : كأن الغضب كان يفرجه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا وألق الألواح وجرب رأس أخيك إليك فترك النطق بذلك وقطع الإغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستصحبها كل ذى طبع سليم وذوق صحيح إلا أن ذلك ولأنه من قبيل شعب البلاغة ، وإلا فأقراءة معاوية بن قرة : ولما سكن عن موسى الغضب ، لا تجد النفس عندها شيئاً من تلك الهزة ، وطرفاً من تلك الروعة .

(١) إليه : أى إلى يونس بن بقا وكان خطيباً عند الممدوح وهو المعتز بالله .

الاستعارة، وَقَدْ يُسَمَّى التَّمْثِيلُ مُطْلَقًا، وَبَقِيَ فَتَا اسْتِعْمَالُهُ كَذَلِكَ مُعْمًى
مَثَلًا، وَلِهَذَا لَا تُقَرَّرُ الْأَمْثَالُ.

﴿فصل﴾

قَدْ يُضَمَّرُ التَّشْبِيهُ فِي النَّفْسِ، فَلَا يَصْرَحُ بِشَيْءٍ مِنْ أَرْكَانِهِ

وكل هذا يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة، وقد يسمى التمثيل مطلقاً من
التقييد بقولنا على سبيل الاستعارة. ويمتاز عن التشبيه التمثيل بأن يقال له
تفسيه بتمثيل أو تشبيه بتمثيل، والتمثيل متى فشا استعماله كذلك أى على سبيل
الاستعارة سمي مثلاً، ولكون الأمثال واردة على سبيل الاستعارة لا تشبيه
ومن هنا لا يلتفت في الأمثال إلى مضاربيها تذكيراً وتأنياً وإفراداً وتثنية
وجمماً، بل إنما ينظر إلى موارها مثلاً إذا طلب رجل شيئاً ضيعه قبل ذلك
قيل: الصيف ضيعت اللبن، بكسر التاء لأنه في الأصل لامرأة، وأما ما يقع في
كلامهم من نحو ضيعت اللبن في الصيف بناء المنكلم، فليس بتمثيل بل مأخوذ
منه وإشاره إليه، ولكون المثل مما فيه غرابة استعير لفظه للحال أو الصفة
أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة، وهذا في القرآن كثير، قال تعالى:
مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً، أى ما لهم العجبة الشأن كحال الذي استوقد
ناراً، وقال جل شأنه: وفي المثل الأعلى، أى الوصف الذي له شأن من
العلو والجلالة، وقال: مثلهم في التوراة، أى صفتهم وشأنهم المتعجب منه،
وقال: مثل الجنة التي وعد المتقون، أى فيما قصصنا عليك من العجائب
قصة الجنة العجيبة، ثم أخذ في بيان عجائبا إلى غير ذلك مما لا يسكد يحصى
﴿فصل﴾ قد تعافرت آراء الناس على أنه إذا شبه أمر لمختر من غير قصر
بشئ من أركان التشبيه سوى الم شبه ودل عليه بذكر ما يخص الم شبه به كان
هناك استعارة بالكناية وتخيلية، لكن اضطربت أقوالهم في تعيين المبتدئين

الذين يطلق عليهما هذا اللفظان ، وحصل ذلك يرجع إلى ثلاثة أقوال : أحدها ما يفهم من كلام القدماء ، والثاني : ما ذهب إليه السكاكي ، والثالث : ما أورده المصنف هنا . ذهب السلف إلى أن الاستعارة بالكتابة لفظ المشبه به المستعار للشبه الرموز إليه بشيء من لوازمه الباقية عليه ، فالمقصود بقولنا أظفار المنيّة استعارة السبع للنية كاستعارة الأسد للرجل الشجاع في قولنا : رأيت أسداً ، لكننا لم نصرح بذكر المستعار أعني السبع ، بل اجتزأنا عنه بذكر لازمه لينقل من إلى المقصود كما هو شأن الكتابة ، فالمستعار هو لفظ السبع الغير المصرح به والمستعار منه هو الحيوان المفترس والمستعار له هو المنيّة وبهذا يشعر كلام صاحب الكشف في موله تعالى : ينقضون عهد الله ، حيث قال شاع استعمال التقصّص في إبطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من إثبات الوصلة بين المتعاهدين ، وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يكتبوا عن ذكر الشيء المستعار ، ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من بوابده فينبهوا بذلك الرمز على مكانه ، ونحوه قولك : شجاع يفترس أفرانه . وبالم يفترس منه الناس ، وإذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا إلا وقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر ، وعلى المرأة بأنها فراش . وسيجيء في الفصل التالي مذهب السكاكي ، ونسمع في هذا الفصل مذهب المصنف ، أما الشيخ الإمام رحمه الله فلم يشعر كلامه بذكر الاستعارة بالكتابة . وإنما دل على أن في قولنا أظفار المنيّة استعارة بمعنى أنه أثبت للنية ما ليس لها بناء على تشبيهها بما له الأظفار وهو السبع ، وهذا قريب مما ذكره المصنف في التخييلة ، قال في أسرار البلاغة : الاستعارة على قسمين : أحدهما أن ينقل الاسم عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت معلوم يمكن أن ينص عليه ، وذلك قولك رأيت أسداً وأنت قتي رجلاً شجاعاً ، ورنيت لنا ظلية وأنت قتي امرأة ، والثاني أن

سَوَى الشَّيْءِ ، وَبِذَلِكَ عَلَيْهِ بَأْسٌ يُنْبِتُ لِلشَّيْءِ أَمْرٌ مُخْتَصٌّ بِالشَّيْءِ
بِهِ ، فَيُسَمَّى التَّشْبِيهُ اسْتِعَارَةً بِالْكِنَايَةِ ، أَوْ مَكْنِيًّا عَنْهَا ، وَهَاتَيْنِ

يُؤْخَذُ الْأَسْمُ عَنْ حَقِيقَتِهِ وَبِوَضْعٍ مَوْضِعاً لَا يَبِينُ فِيهِ شَيْءٌ يَشَارُ إِلَيْهِ ، فَيَقَالُ هَذَا
هُوَ الْمُرَادُ بِالْأَسْمِ وَالَّذِي اسْتَعِيرَ لَهُ ، وَمِثَالُهُ قَوْلُ لَيْدٍ :

وَعَدَاةَ رَجُلٍ قَدْ كَشَفَتْ وَرَقَةً إِذْ أَصْبَحَتْ بَيْدَ الشَّمَالِ زَمَانَهَا

وَذَلِكَ أَنَّهُ جَعَلَ الشَّمَالَ يَدًا ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ مِثَالٌ إِلَيْهِ يُمْكِنُ
أَيُّ تَجَرُّي الْيَدِ عَلَيْهِ كَأَجْرَاءِ الْأَسَدِ عَلَى الرَّجُلِ فِي قَوْلِكَ : ابْرُحْ لِي أَسَدَ بَرَارٍ ،
وَلِهَذَا لَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ إِذَا أَصْبَحَتْ بَشْيٌ مِثْلُ يَدِ الشَّمَالِ ، كَأَقْصَالِ رَأَيْتَ
رَجُلًا مِثْلَ الْأَسَدِ ، وَإِنَّمَا يَتَأَنَّى لَكَ التَّشْبِيهُ فِي هَذَا بَعْدَ أَنْ تَقِيرَ الْفَرْقَةَ
وَتَخْرُجَ عَنِ الْمَذْوِ الْأَوَّلِ ، فَتَقُولُ : إِذَا أَصْبَحَتْ الشَّمَالُ وَلَهَا فِي قُوَّةِ تَأْيِيدِهَا فِي
الْعُدَاةِ شِبْهُ الْمَالِكِ تَصْرِيفِ الشَّيْءِ بِيَدِهِ ، فَأَمَّا كَمَا تَرَى تَجِدُ الشَّيْءَ الْمُنْتَزِعَ مِنْهَا
لَا يُلْقَاكَ مِنَ الْمُسْتَعَارِ نَفْسَهُ بَلْ عَمَّا يُضَافُ إِلَيْهِ ، لِأَنَّكَ أَرَدْتَ أَنْ تَجْعَلَ
الشَّمَالَ كَذِي الْيَدِ مِنَ الْأَحْيَاءِ ، فَتَجْعَلَ الْمُسْتَعَارَ لَهُ أَعْنَى الشَّمَالِ مِثْلًا ذَا شَيْءٍ ،
وَعَرَضَكَ أَنْ تُثَبِّتَ لَهُ حُكْمَ مَنْ يَكُونُ لَهُ ذَلِكَ الشَّيْءُ ، وَقَالَ أَيْضًا : لِاخْتِلَافِ
فِي أَنْ لَفْظَ الْيَدِ اسْتِعَارَةٌ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَنْقُلْ عَنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ
الْمَعْنَى عَلَى أَنَّهُ شِبْهُ شَيْءٍ بِالْيَدِ ، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُثَبِّتَ لِلشَّمَالِ يَدًا
(عَلَيْهِ) أَيُّ عَلَى ذَلِكَ التَّشْبِيهِ الْمَضْمُونِ فِي النَّفْسِ (بِأَنَّهُ يُثَبِّتُ لِلشَّيْءِ أَمْرٌ مُخْتَصٌّ
بِالشَّيْءِ بِهِ) مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ أَمْرٌ ثَابِتٌ حَسًّا أَوْ خَلًّا أَجْرَى عَلَيْهِ اسْمُ

(١) الْقُوَّةُ وَالْقَرَرُ : الْبَرْدُ . يَقُولُ كَمَا عَدَاةُ تَهَبُ فِيهَا الشَّمَالُ وَهِيَ بَرْدُ الرِّيَّاحِ .
وَبَرْدٌ قَدْ طَعِنَتْ الشَّمَالُ زَمَانَهُ هَذَا كَمَعْنَى عَادِيَةِ الْبَرْدِ عَنِ النَّاسِ شَحَرِ الْجُزْرِ
لَهُمْ . تَجَرُّرِ الْمَعْنَى : وَكَمْ مِنْ بَرْدٍ كَفَتْ غَرَبَ عَادِيَتِهِ بِطَاعَتِهِ النَّاسِ .

ذَلِكَ الْأَمْرُ لِلشَّيْءِ اسْتِعَارَةً تَخْيِيلِيَّةً ، كَأَنِّي قَوْلِي لِهَذَا :
وَهَذَا اللَّيْنَةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَفْنَيْتَ كُلَّ تَحْيِيَّةٍ لَا تَنْتَفِعُ
شَبَّةَ اللَّيْنَةِ بِالسَّبْعِ فِي اغْتِيَالِ النُّفُوسِ بِالْقَهْرِ وَالْقَلْبَةِ مِنْ غَيْرِ تَفَرُّقَةٍ
بَيْنَ خَالِجٍ وَصَرَّارٍ ، فَأَنْشَبَتْ لَهَا الْأُظْفَارَ الَّتِي لَا يَسْكُنُ ذَلِكَ فِيهِ بِدُونِهَا ،
وَكَأَنِّي قَوْلِي الْآخِرُ :
وَلَيْتَنِي نَفَقْتُ بِشُكْرِ بَرَكَةٍ مُنْصَحًا فَلَيْسَانِ حَالِي بِالشَّكَايَةِ أَنْفَقْتُ
شَبَّةَ الْحَالِ بِإِنْسَانٍ مُتَّكِلٍ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْقُصُودِ ، فَأَنْشَبَتْ هَذَا اللَّسَانَ
الَّذِي بِهِ قِيَامُهَا فِيهِ ، وَكَذَا قَوْلِي زَعِيمٍ :

عَمَّا الْقَلْبُ عَنْ سَلَمَى وَأَفْعَرَ بِالْخِلَّةِ وَغَرَى أَفْرَاسَ الصَّبَا وَرَوَّاحِلَهُ

ذَلِكَ الْأَمْرُ (كَأَنِّي قَوْلِي الْهَذَا) يَعْنِي أَمَا ذَوَيْبٍ مِنْ قَصِيدَةٍ قَالَهَا ، وَقَدْ هَلَكَ
لَهُ خَمْسُ بَنِينَ فِي عَامٍ وَاحِدٍ وَكَانُوا فِيمَنْ هَاجَرَ إِلَى مِصْرَ . وَالتَّحْيِيَّةُ هِيَ الْحُرْزَةُ
الَّتِي تَقْلَقُ عَلَى الصَّبِيِّ لَتَكُونَ لَهُ حِجَابًا زَعَمُوا مِنَ الْعَيْنِ وَالْجَنُونِ . يَقُولُ الْهَذَا :
إِذَا مَكَانَ الْمَوْتِ أَظْفَارُهُ مِنْ شَيْءٍ لِيَذْهَبَ بِهِ بَطَلَتِ الْوَقَايَاتُ وَالْحِيلُ وَأَسْبَابُ
النَّجَاةِ . هَذَا ، وَقَدْ مَثَلَ الْمَصْنُفُ بِثَلَاثَةِ أَمْثَلِهِ ، الْأَوَّلُ : مَا تَكُونُ التَّخْيِيلُ
لِإثْبَاتِ مَا بِهِ كَالْمَشَبِّهِ بِهِ ، وَالثَّانِي : مَا تَكُونُ لِإثْبَاتِ مَا بِهِ قِيَامُ الْمَشَبِّهِ بِهِ ،
وَالثَّالِثُ : مَا تَحْتَبِلُ الْاسْتِعَارَةَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ تَخْيِيلِيَّةً ، وَأَنْ تَكُونَ تَحْقِيقِيَّةً
فَاعْرِفْ ذَلِكَ (وَلَيْتَنِي نَفَقْتُ) قَبْلَهُ :

لَا تَحْسَبِينَ بِنَافِثِي لَنْ عَنْ رِضَى فَوَقَّعْتُ خُودِيكَ إِنِّي أَتَمَّكَتُ
(صَحَابًا) أَيْ سَلَا حِجَازًا مِنَ الصَّحَابِ خِلَافَ الْبُكَرِ وَأَنْصَرَ بِاللَّهِ) قَالَ أَنْصَرَ
عَنِ الشَّيْءِ : إِذَا أُلْقِيَ عَنْهُ ، أَيْ تَرَكَهُ وَامْتَنَعَ عَنْهُ . وَبَعْدَ ، فَقَدْ ظَهَرَ لَكَ

أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّهُ تَرَكَ مَا كَانَ بِرَمَكِبِهِ زَمَنَ اللَّحَبَةِ ، مِنْ الْجَهْلِ
وَالْفَنَى ، وَأَعْرَضَ عَنْ مُعَاوَدَتِهِ ، فَبَطَلَتْ آلَاتُهُ ، فَشَبَّهَ الصَّبَا بِجَهَةِ مِنْ
جِهَاتِ السَّيْرِ ، كَالْحُجِّ وَالتَّجَارَةِ ، فَضَى مِنْهَا الرُّطَرَ فَأَهْلَكَ آلَاتُهَا ، فَأَثَبَتْ
لَهُ الْإِفْرَاسَ وَالرُّوَاحِلَ ، فَالْعَبَا مِنَ الصَّبَوَةِ بِمَعْنَى اللَّيْلِ إِلَى الْجَهْلِ وَالْفُسُوحِ .
وَيَعْنِي أَنَّهُ أَرَادَ دَوَاعِيَ النُّفُوسِ وَشَهَوَاتِهَا وَالْقُوَى الْخَاصَّةَ لَهَا فِي اسْتِيفِهَا .
الْأَذَاتِ ، أَوْ الْأَشْيَابِ الَّتِي قَلَّمَا تَتَّخِذُ فِي اتِّبَاعِ الْفَنَى إِلَّا أَوَانَ الْعَبَا ،
فَتَكُونُ الْإِسْتِمَارَةُ تَحْقِيقِيَّةً .

﴿ فَضْلٌ ٩ ﴾

عَرَفَ السَّكَاكِي الْحَقِيقَةَ الْفَنَوِيَّةَ بِالْكَيْمَةِ السُّتَعْمَلَةِ فِيمَا وَضِعَتْ

من كلام المصنف هذا أن الاستعارة بالكناية هي التشبيه المضمحل في النفس .
قال الشيخ الفخازاني : وعن هذا لا وجه لتسميتها استعارة ، بل هي مجرد تسمية
عالية عن المناسبة ، قال وهذا التفسير شيء لا مستند له في كلام السلف ، ولا
هو يفتي على مناسبة لغوية وكأنه استنباط منه . والمعنى الصحيح هو ما ذهب
إليه السلف (أراد) أي بالإفراس والرواحل (فصل) تعرض فيه المصنف
لما ذهب إليه السكاكي ، في الحقيقة والمجاز والاستعارة بالكناية والاستعارة
التخييلية ، وبحث معه في ذلك . . . وبعد . فلا يذهب على الفارسي أن من
سنتنا في هذا الشرح الإبداعية عن كل ما لا طائل فراه ولا غناء فيه . وليس
بطالب البلاغة إليه حاجة . ومن هنا لا نزيد أن نزيد في هذا الفصل على شرح
كلام المصنف شيئاً حتى لا نزيد الطين للطين والطنبور نعمة ، ومن تأقت نفسه

لَهُ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ فِي الْوَضْعِ ، وَاحْتَرَزَ بِالتَّحْقِيدِ الْآخِيرِ عَنْ الْإِسْتِمَارَةِ
عَلَى أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ ، فَإِنَّهَا مُسْتَعْمَلَةٌ فِيمَا وَضِعَتْ لَهُ بِتَأْوِيلٍ ، وَعُرِفَتْ
لِلْجَازِ الْقَوِيُّ بِالْكَلِمَةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي غَيْرِ مَا وَضِعَتْ لَهُ بِالتَّحْقِيقِ فِي
اصْطِلَاحِ بِهِ التَّخَاطُبُ مَعَ قَرِيبَةٍ مَائِمَةٍ عَنْ إِرَادَتِهِ ، وَأَتَى بِمَقِيدِ التَّحْقِيقِ

إِلَى الْوُقُوفِ عَلَى شَيْءٍ وَرَاءَ هَذَا فَلْيَنْظُرْ فِي كَتَبِ الْقَوْمِ (الْآخِرِ) وَهُوَ قَوْلُهُ
مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ فِي الْوَضْعِ (عَلَى أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ) وَهُوَ الْقَوْلُ بِأَنَّ الْإِسْتِمَارَةَ
بِجَازِ لَفْوِي فَإِنَّهَا عَلَى هَذَا مُسْتَعْمَلَةٌ فِيمَا وَضِعَتْ لَهُ وَضْعاً بِالتَّأْوِيلِ ، وَهُوَ إِعْطَاءُ
دُخُولِ الْمَثَبِ فِي جُفْرِ الْمَثَبِ بِهِ بِجَعْلِ أَفْرَادِ الْمَثَبِ بِهِ قِسْمِينَ : مُتَعَارِفًا وَغَيْرِ
مُتَعَارِفٍ ، وَأَمَّا عَلَى أَقْوَالٍ بِأَنَّهَا بِجَازِ عَقْلٍ ، بِمَعْنَى أَنْ التَّصَرُّفَ فِي أَمْرِ عَقْلٍ
وَهُوَ جَعْلُ غَيْرِ الْأَسَدِ أَسْداً ، وَأَنَّ الْفِعْلَ مُسْتَعْمَلٌ فِيمَا وَضِعَ لَهُ فَيَكُونُ حَقِيقَةً
لَفْوِيَةً فَلَا يَصِحُّ الْإِحْتِرَازُ عَنْهَا (وَعُرِفَ الْجَازِ الْقَوِيُّ) بِأَنَّهُ الْكَلِمَةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ
فِي غَيْرِ مَا هِيَ مَوْضُوعَةٌ لَهُ بِالتَّحْقِيقِ اسْتِعْمَالًا فِي الْغَيْرِ ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَوْعِ
حَقِيقَتِهَا مَعَ قَرِيبَةٍ مَائِمَةٍ مِنْ إِرَادَةِ مَعْنَاهَا فِي ذَلِكَ النَّوْعِ . هَذَا لَفْظُ السَّكَاكِ
عَدَلَ عَنْهُ الْمَصْنَفُ كَمَا تَرَى لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِبْهَامِ وَالْخَفَاءِ ، وَقَوْلُهُ بِالنِّسْبَةِ مُتَعَارِفًا
بِالْغَيْرِ وَاللَّامُ فِي الْغَيْرِ لِمَعْنَى ، أَيْ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِي مَعْنَى غَيْرِ الْمَعْنَى الَّتِي الْكَلِمَةُ
مَوْضُوعَةٌ لَهُ فِي الْفِعْلِ أَوْ الشَّرْعِ أَوْ الْعَرَفِ ، غَيْرًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَوْعِ حَقِيقَةٍ
تِلْكَ الْكَلِمَةِ ، حَتَّى لَوْ كَانَ نَوْعُ حَقِيقَتِهَا لَفْوِيًا ، تَكُونُ الْكَلِمَةُ قَدْ اسْتَعْمَلَتْ
فِي غَيْرِ مَعْنَاهَا الْقَوِيُّ فَتَكُونُ بِجَازًا لَفْوِيًا وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ (عَلَى مَامَرٍ)
مِنْ أَنَّهَا مُسْتَعْمَلَةٌ فِيمَا وَضِعَتْ لَهُ بِالتَّأْوِيلِ لَا بِالتَّحْقِيقِ ، فَلَوْ لَمْ يَقِيدِ الْوَضْعَ
بِالتَّحْقِيقِ لَمْ تَدْخُلْ فِي التَّعْرِيفِ ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي غَيْرِ مَا وَضِعَتْ

لِتَذْخُلَ الْإِسْتِمَارَةُ عَلَى مَآرٍ : وَرَدُّ بَأْنِ الْوَضْعِ إِذَا أَطْلُقَ لَا يَتَنَاوَلُ
الْوَضْعُ بِتَأْوِيلٍ ، وَبَأْنُ التَّضْيِيدِ بِاصْطِلَاحِ التَّخَاطُبِ لَا بَدْءَ مِنْهُ فِي تَعْرِيفِ
الْحَقِيقَةِ ، وَقَسَمَ لِلْجَزْأِ الْقَوِيِّ إِلَى الْإِسْتِمَارَةِ وَغَيْرِهَا ، وَعَرَفَ الْإِسْتِمَارَةَ
بَأْنِ تَذَكُّرِ أَحَدِ طَرَفَيْ التَّشْبِيهِ وَتَرْيِدِهِ بِالْآخَرِ ، مُدْعِيًا دُخُولَ التَّشْبِيهِ
فِي جَنْبِ التَّشْبِيهِ بِهِ ، وَقَسَمَهَا إِلَى الْمَصْرُوحِ بِهَا وَالْمَكْتَبِيِّ عَنْهَا ، وَعَنَى
بِالْمَصْرُوحِ بِأَنَّ يَسْكُونَنَّ الذِّكْرُ هُوَ التَّشْبِيهِ بِهِ ، وَجَعَلَ مِنْهَا تَحْقِيقِيَّةً

له بالتأويل (ورد) يقول : إن ما ذكره السكاكي مردود لأمرين ، الأول :
أن الوضع وما يشتق منه كالوضوعة والموضوع له ، إذا أطلق لا يفهم منه
الوضع بتأويل ، وإنما يفهم منه الوضع بالتحقيق لما سبق من تفسير الوضع
فلا حاجة إلى تضيد الوضع في تعريف الحقيقة بعدم التأويل . وفي تعريف
المجاز بالتحقيق . قال في الإيضاح : المهم إلا أن يراد زيادة البيان لا تنعيم
الحمد . الثاني : أن تضيد الوضع اصطلاح التخاطب ونحوه كالنفي عبر به (١)
السكاكي إذا كان لابد منه في تعبير المجاز ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا
استعملها المخاطب بفرض الشرع في الدعاء مجازاً ، فلا بد منه في تعريف الحقيقة
أيضاً ، ليخرج نحو هذا اللفظ من كاسبق ، وقد أمله في تعريفها (وقسم)
مهد المصنف بنقل هذا القسم للبحث مع السكاكي في عدد التمثيل
الذي هو مجاز مركب من الاستعارة التي جعلها قسماً من المجاز
المفرد (وغير ما) كالمجاز المرسل (منها) أي من الاستعارة المصريح

(١) وهو قوله - ، ألا في النفي بالنسبة إلى نوع حقيقتها .

وَتَخْيِيلِيَّةٌ ، وَقَسَّرَ التَّحْقِيقِيَّةَ بِمَا مَرَّ ، وَعَدَّ التَّشْبِيلَ مِنْهَا ؛ وَرَدَّ بِأَنَّهُ
مُسْتَأْزِمٌ لِتَرْكِيبِ النَّاسِ لِلْإِفْرَادِ ، وَقَسَّرَ التَّخْيِيلِيَّةَ بِمَا لَا تَحَقُّقَ
لِنَسْأَلِهِ حَسًّا وَلَا عَقْلًا ، بَلْ هُوَ صُورَةٌ وَهَيْئَةٌ عَجْزٌ ، كَلَفَظَ الْأَعْفَارَ
فِي قَوْلِ الْهَذَلِيِّ ، فَإِنَّهُ لَمَّا شَبَّهَ لِلْيَبَّةِ بِالسَّبْعِ فِي الْإِغْتِيَالِ أَخَذَ الْوَهْمَ
فِي تَصْوِيرِهَا بِصُورَتِهِ وَاخْتِرَاعِ لَوَازِمِهِ لَهَا ، فَأَخْتَرَعَ لَهَا مِثْلَ صُورَةِ
الْأَعْفَارِ ، ثُمَّ أَطْلَقَ عَلَيْهِ لَفْظَ الْأَعْفَارِ ؛ وَفِيهِ تَعَسُّفٌ ، وَيُخَالَفُ تَقْسِيرَ
غَيْرِهِ لَمَا يَجْعَلُ الشَّيْءَ لِنَفْسِهِ ، وَيَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ التَّرْتِيبُ تَخْيِيلِيَّةً

بها (بما مر) أى بما يكون التشبه القوي متحققاً حساً أو عقلاً ، (منها) أى
من الحقيقية (ورد) يقول إن عد التثيل من الاستارة التخيلية التى هى
قسم من الجواز المفرد مردود بأن التثيل على سبيل الاستارة لا يكون إلا
مركباً كما تقدم فكيف يكون قسماً من الجواز المفرد (محض) لا يهوجها
شئ من التحقق العقلى أو الحسى (لوازمه) أى ما يلزم صورته ، ويتم به
شكله من الهيئات والجوارح ، وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتياله النفوس
به من الآتياب والمخالب (عليه) أى على ذلك المثل يهتدى على الصورة التى هم
مثل صورة الاعفار (وفيه تعسف) أى أخذ على غير الطريق لما فيه من كثرة
الاعتبارات التى لا يدل عليها دليل ولا تمس إليها حاجة (ويخالف تفسير غيره
لما يجعل الشئ لشيء) غير السكاكى فسر التخيلية بجعل الشئ لشيء يجعل اليد
الشمال فى قول ليلى :

وَعَدَاةٌ رِيحٌ قَدْ كَسَفَتْ وَقَرَّةً إِذْ أَصْبَحَتْ يَدُ الشَّمَالِ زِمَانَهَا

لِزُومٍ مِثْلٍ مَا ذَكَرَهُ فِيهِ ، وَعَنَى بِالْمَكْنَى حَتَّى أَنْ يَكُونَ لِلذِّكْرِ
هُوَ الْمَشَبَّهَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَنِيَةِ السَّبْعُ بِإِدْعَاءِ السَّبْعِيَةِ لَهَا ، بِقَوِيَّةِ

فعل تفسير السكاكي يجب أن يجعل الشمال صورة متوامة شبيهة باليد ، ويكون
إطلاق اليد عليها استعارة تعريجية تخيلية واستمالا لفظ في غير ما وضع له ،
وعند غيره الاستعارة هو إثبات اليد للشمال ولفظ اليد حقيقة لقوة
مستعملة في معناه الموضوع له ، ولهذا قال الشيخ عبد القاهر : لا خلاف في
أن اليد استعارة ، ثم إنك لا تستطيع أن تزعم أن لفظ اليد قد نقل عن شيء
إلى شيء ، إذ ليس المعنى على أنه شبه شيئا باليد بل المعنى على أنه أراد أن يثبت
لشمال يدا (لزوم مثل ما ذكره فيه) لأن الترشيع فيه إثبات بعض ما يخص
لمشبه به للمشبه ، إلا أن التعبير عن المشبه في التخييلة بلفظ الموضوع له ،
وفي الترشيع بنبر لفظه وهذا لا يفيد فرقا (وعنى بالمكنى عنها) هذا بحث
آخر ، يقول إن السكاكي : أراد بالاستعارة المكنى عنها أن يكون المذكور من
طرف التشبيه هو المشبه ، على أن المراد بالمنية في قول المفضل : وإذا المنية
أنشبت أظفارها السبع بإدعاء السبعية لها وإنكار أن يكون شيئا غير السبع
بقريئة إضافة الأظفار التي هي من خواص السبع إلى المنية ، فقد ذكر المشبه
وهو المنية وأريد به المشبه به وهو السبع . قال المصنف : وهذا التفسير
مردود بأن لفظ المشبه في الاستعارة بالكناية مستعمل فيها هو موضوع له على
التحقيق لقطع بأن المراد بالمنية في البيت هو الموت لا الحيوان المقترب ولا شيء
من الاستعارة مستعملا في معناه الموضوع له تحقيقا ، لأن السكاكي قصد
غير الاستعارة بأن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر وجعلها
قسما من المجاز الغري المضر بالكلمة المستعملة في غير ما وضعت له ،
قال أما إضافة نحو الأظفار قريئة التشبيه ، قال في الإيضاح : وأما ما ذكره

إِسْأَقَةِ الْأَفْطَارِ إِلَيْهَا ، وَرُدُّ بِأَنْ لَقَطَ لِشَبْوِهَا مُتَمَثِّلٌ مِمَّا وَضِيعَةٌ
تَحْقِيقًا ، وَالِاسْتِمَارَةُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ ، وَإِسْأَقَةُ نَحْوِ الْأَفْطَارِ قَرِينَةُ
التَّشْبِهِ ، وَاخْتَارَ رَدَّ التَّشْبِهِ إِلَى اللَّكْوِ عَنْهَا ، بِجَعْلِ قَرِينَتِهَا مَكْنِيًا
عَنْهَا وَالتَّشْبِهُ قَرِينَتَهَا ، عَلَى نَحْوِ قَوْلِهِ فِي اللَّيْنَةِ وَأَفْطَارِهَا ؛ وَرَدُّ بَأَنَّهُ

السكاكي في تفسير كلامه ، من أناذعي هنا أن اسم المنية اسم السبع ، مرادف
لفظ السبع بارتكاب تأويل وهو أن تدخل المنية في جنس السبع للبالغة
في التشبيه ثم تذهب على سبيل التخييل إلى أن الراضع كيف يصح منه أن يصنع
اسمين لحقيقة واحدة ، ولا يكونان مترادفين ، فبتأني لنا بهذا الطريق دهوى
السبعة للمنية مع التصريح بلفظ المنية فلا يفيد لأن ذلك لا يقتضى كون اسم
المنية غير مستعمل فيها هو موضوع له على التحقق من غير تأويل فيدخل في
تفريغه الحقيقة ويخرج من تفريغه الجواز (واختار رد التبعة إلى المكنى عنها)
واليك ما قاله في آخر فصل الاستمارة التبعة : هذا ما أمكن من تلخيص كلام
الاصحاب في هذا الفصل ، ولو أنهم جعلوا قسم الاستمارة التبعة من قسم
الاستمارة بالكناية بأن قلبوا لجلوا في قولهم فطقت الحال بكنا الحال فهي
ذكرها عندهم قرينة الاستمارة بالتصريح استمارة بالكناية عن المتكلم
بوساطة المبالغة في التشبيه على مقتضى المقام ، وجعلوا نسبة التعلق إليه قرينة
الاستمارة كاتزام في قوله :

• وَإِذَا اللَّيْنَةُ أَنْشَبَتْ أَفْطَارَهَا •

يجعلون المنية استمارة بالكناية عن السبع ويجعلون إثبات الاظفار لها
قرينة لاستمارة ، وهكذا لو جعلوا البخل إشارة بالكناية عن حي أبطلت
حياته بيف أو غير سيف ، فالتحق بالدم ، وجعلوا نسبة التعلق إليه قرينة

إِنْ قَدَّرَ التَّبَعِيَّةُ حَقِيقَةَ لَمْ تَكُنْ تَخْيِيلِيَّةً ، لِأَنَّهَا بَحَازٌ عِنْدَهُ ، فَلَمْ تَكُنْ
لِكَفَى عَنْهَا مُنْتَازِمَةً لِلتَّخْيِيلِيَّةِ ، وَذَلِكَ بِأَنَّهَا بِالِاتِّفَاقِ ، وَإِلَّا فَتَكُونُ
اسْتِعَارَةً ، فَلَمْ يَكُنْ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مُعْنًى عَمَّا ذَكَرَهُ غَيْرُهُ .

﴿ فَعَلًا ﴾

حَسُنَ كَلَامٌ مِنَ التَّحْقِيقِيَّةِ وَالتَّخْيِيلِ بِرِعايةِ حَيَاتِ حَسَنِ التَّشْبِيهِ

ولو جعلوا أيضاً للذميات استعارة بالكناية عن الملعومات العليمة الدنية على
التكلم وجعلوا نسبة لفظ القرى إليها قرينة الاستعارة لكان أقرب إلى الضبط .
وقال المصنف وهذا مردود ، لأن التبعية التي جعلها قرينة لقرينتها التي جعلها
استعارة بالكناية كتقطعت ، في قولنا نطقت الحال بكذا . لا يجوز أن
يقدرها حقيقة حيث لا يقدرها حقيقة لم تكن استعارة تخيلية ، لأن
الاستعارة التخيلية عنده مجاز ولو لم تكن تخيلية لم تكن الاستعارة بالكناية
مستلزمة للتخيلية واللازم باطل بالاتفاق فيتمين أن يقدرها مجازاً وإذا قدروها
مجازاً لزمه أن يقدروها من قبل الاستعارة ، لكون العلاقة بين المعنيين هي
المشابهة فلا يكون ما ذهب إليه معنياً عن فسخ الاستعارة إلى أصلية وتبعية
هـ هذا ، ما أحببنا ذكره في هذا الفصل مجتزئاً به عما لا طائل تحته مما تبثت
به القوم بحكم أنهم بين المصنف والسكاكي . فإن تشوفت إلى ذلك فحول
نظرك عن كتابنا واعمد به إلى أطول المعاصم ومطول التفاتاني واجمع إليهما
حاشيتي عبد الحكيم والجرجاني (برعاية حيات حسن التشبيه) مثل أن يكون التشبيه
واقفاً بإعادة ما علق به من الغرض ، وأن يكون وجه الشبه غير مبتدل بأن يكون
قريباً لطيفاً لكثرة التعصيل أو لندرة حضوره في الذهن ، إلى غير ذلك مما سبق

وَأَنْ لَا يَسْمَ رَاحَتَهُ نَفْطًا ، وَلِذَلِكَ يُوسَى أَنْ يَكُونَ الشَّبَّ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ
جَلِيًّا ، لِئَلَّا تَصِيرَ إِذْ بَرَأ ، كَالْوَقِيلِ رَأَيْتُ أَسَدًا وَأُرِيدُ إِنْسَانًا أُخْرُ ،
وَرَأَيْتُ إِبِلًا مَائَةً لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحَةً وَأُرِيدُ النَّاسَ ، وَبِهَذَا ظَهَرَ أَنَّ
التَّشْبِيهَ أَعْمُ مَحَلًّا ؛ وَيَتَّعِلُّ بِهِ أَنَّهُ إِذَا قَوِيَ الشَّبُّ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ حَقَّ
الْمُحَدِّثُ كَالسَّيْلِ وَالنُّورِ وَالشَّبَّهِ وَالظُّلْمَةِ لَمْ يَحْسَنْ التَّشْبِيهَ وَتَمَيَّلَتْ
الِاسْتِعَارَةُ ؛ وَلِلْكَيْ عَنْهَا كَالْتَحْقِيقِيَّةِ ، وَالتَّخْيِيلِيَّةِ حُسْنُهَا بِحَسَبِ حُسْنِ
لِلْكَيْ عَنْهَا .

ذكره (وَأَنْ لَا يَسْمَ رَاحَتَهُ لَفْظًا) لِأَنَّ ذَلِكَ يَبْطُلُ الْفَرْضُ مِنْ
الِاسْتِعَارَةِ ، أَعْنَى ادْعَاءُ دُخُولِ الشَّبِّ فِي جِنْسِ الشَّبِّ بِهِ (وَرَأَيْتُ إِبِلًا مَائَةً
لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحَةً) هَذَا مَأْخُذٌ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : النَّاسُ
كَإِبِلٍ مَائَةٍ لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحَةً ، يَعْنِي أَنَّ الْمُخْتَارَ مِنَ النَّاسِ فِي عِزَّةٍ وَجُودِهِ كَالْتَّجْبِيَةِ
الَّتِي لَا تَوْجِدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْإِبِلِ (أَعْمُ مَحَلًّا) أَيْ أَنَّ كُلَّ مَا يَتَأَنَّى فِيهِ
الِاسْتِعَارَةُ الْحَقِيقِيَّةُ أَوْ التَّخْيِيلُ ، يَتَأَنَّى فِيهِ التَّشْبِيهِ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا يَتَأَنَّى فِيهِ
التَّشْبِيهِ تَأَنَّى فِيهِ الِاسْتِعَارَةُ الْحَقِيقِيَّةُ أَوْ التَّخْيِيلُ ، لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ وَجْهُ
التَّشْبِيهِ فِيهِ خَفِيًّا فَيَصِيرُ تَعْمِيَةً - أَلَا بَرَأَ كَالْمُتَالِئِينَ الْمَذْكُورِينَ (لَمْ يَحْسَنْ التَّشْبِيهِ)
فَإِذَا فُهِمَ الرَّجُلُ الْمُسْتَعَارُ فَإِنَّهُ يَقُولُ حَصَلَ فِي قَلْبِي نُورٌ ، وَلَا يَقُولُ كُنْ نُورًا
حَصَلَ فِي قَلْبِي ، وَإِذَا وَقَعَ فِي شَبِّهِ يَقُولُ وَقَعَتْ فِي ظِلَّةٍ ، وَلَا يَقُولُ كَأَنِّي فِي
ظِلَّةٍ (كَالْتَّحْقِيقِيَّةِ) فِي أَنَّ حُسْنَهَا بِرِغَايَةِ جِهَاتِ حُسْنِ التَّشْبِيهِ (بِحَسَبِ حُسْنِ
الْمَكْنَى عَنْهَا) لِأَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا تَائِبَةً لَهَا عِنْدَ الْمُصَنِّفِ . وَأَمَّا صَاحِبُ الْمَفْتَاحِ
فَمَا لَمْ يَقُلْ بِوُجُوبِ كَرْنِهَا تَائِبَةً لِلْمَكْنَى عَنْهَا ، قَالَ إِنَّ حُسْنَهَا بِحَسَبِ حُسْنِ

﴿ فُضِّلَ ﴾

وَقَدْ يُطْلَقُ اللَّجَازُ عَلَى كَلِمَةٍ تَصِيرُ حُكْمُ إِتْرَائِهَا يَحْذِفُ لَفْظُ
أَوْ زِيَادَةُ لَفْظٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَجَاءَ رَبُّكَ ، وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ، وقوله تَعَالَى :

المكي منها حتى كانت تابعة لها ، وقلنا تحسن الحسن الباني غير تابعة لها ، ولذلك
استهجنتم في قول الثاني :

لَا تَقْنِي مَاءَ اللَّامِ فَلَوْنِي صَبَّ قَدْ اسْتَمْدَبَتْ مَاءَهُ بُكَائِي

(فصل) اعلم أن الكلمة كاتوصف بالجار لتفك لها عن معناها كما معنى
كذلك توصف به لتفك عن حكم كان لها إلى حكم ليس هو بحقيقة فيها الحذف
لفظ أو زيادة لفظ ، أما الحذف فكقوله تَعَالَى : وَاَسْأَلِ الْقَرْيَةَ ، الأصل وَاَسْأَلِ
أَهْلَ الْقَرْيَةِ ، فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل ، وعلى الحقيقة هو الجر الحذف
المضاف واكتفى المضاف إليه إعرابه ، واعلم أن الحكم بالحذف هنا إنما
هو لأمر يرجع إلى غرض التكلم ، حتى لو رأيت سل القرية في غير التنزيل
لم تقطع بأن معناها عنوناً ، لجواز أن يكون كلام رجل من قرية قد خربت
وباد أهلها ، فلو أن يقول لصاحبه واعظاً ومذكراً أو لنفسه متعظاً ومعتبراً
سل القرية عن أهلها وقل لها ما صنعوا ، على حد قولهم : سل الأرض من شق
أنهارك . وغرس أنهارك ، وجنى ثمارك . فإنها إن لم تجبك حواراً ، أجابتك
اعتباراً . وأما الزيادة فكقوله تَعَالَى : ليس كنهه شيء . على القول بزيادة الكاف
أي ليس منه شيء ، فأعراب منه في الأصل هو النصب فزيدت لكاف فصارت
جراً : وعندى أن البكاف ليست بزايدة وأن الآية من باب الكناية . قال في
الكشاف ، قالوا منك لا يخل . فنفوا البخل عن منه وهم يريدون فيه عن
ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلوكوا به طريق الكناية . لأنهم إذا نفوه عن

لَيْسَ كَيْفَهُ شَيْءٌ ، أَيْ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَأَهْلُ الْقُرْبَى ، وَلَيْسَ يَفْهَمُ شَيْءٌ .

﴿ الْكِنَايَةُ ﴾

الْكِنَايَةُ لَفْظٌ أُرِيدَ بِهِ لَزِمٌ مَعْنَاهُ مَعَ جَوَازِ إِزَادَتِهِ مَعَهُ ، فَظَهَرَ أَنَّهَا تَخَالُفُ لِلجَّازِ مِنْ جِهَةِ إِزَادَةِ اللَّفْظِ مَعَ إِزَادَةِ لَازِمِهِ ، وَفُرْقَ بِأَنَّ الْإِنْتِقَالَ

بِدَسَدَةٍ وَمِنْ هُوَ عَلَى أَحْصَى أَوْ صَاحِبِهِ قَدْ قَوَّهَ عَنْهُ ، وَظَهَرَ أَنَّ الْعَرَبِ الْعَرَبِ لَا تَحْضُرُ الْأَمْرَ ، كَانَ الْبَعْضُ مِنَ قَوْلِكَ أَنْتَ لَا تَحْضُرُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ قَدْ بَغِضْتَ لِمَا هُوَ وَبَغِضْتَ أَتْرَابَهُ ، يَرِيدُونَ إِفْخَاعَهُ وَبُلُوغَهُ ، لِحَيْثُ لَمْ يَقَعْ فَرْقٌ بَيْنَ قَوْلِهِ لَيْسَ كَلْفُهُ شَيْءٌ ، وَبَيْنَ قَوْلِهِ لَيْسَ كَيْفَهُ شَيْءٌ إِلَّا مَا تَطْلَعُ الْكِنَايَةُ مِنْ قَائِدَتِهَا ، وَكَأَنَّمَا عِبَارَتَانِ مُتَعَبَتَانِ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ ، وَهُوَ نَقِي الْمِثَالَةِ عَنْ ذَاتِهِ ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ عَرُوجِلْ : بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ . فَإِنْ مَعْنَاهُ بَلْ هُوَ جَوَادٌ مِنْ غَيْرِ تَصَوُّرٍ وَلَا بَسْطٍ لَهَا ، لِأَنَّهَا وَقَعَتْ عِبَارَةً عَنِ الْجُودِ لَا يَقْصِدُونَ شَيْئاً آخَرَ حَتَّى لِيَتِمَّ اسْتِمْلَاؤُهَا فِيمَنْ لَا يَدُهُ . فَكَذَلِكَ اسْتَمْلِعَ هَذَا فِيمَنْ لَهُ مِثْلٌ وَمِنْ لَا مِثْلَ لَهُ . وَهَذَا ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْحَذْفُ أَوْ الزِّيَادَةُ لَا يَوْجِبُ تَنْبِيْهُ الْإِعْرَابِ كَمَا فِي قَوْلِهِ : تَعَالَى : أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ . إِذَا أَمَلَهُ أَوْ كَثَلَ ذُوِي صَيْبٍ لِحَذْفِ ذُوِيهِ لِدَلَالَةٍ بِمَعْلُومٍ أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ عَلَيْهِ وَحَذْفِ مِثْلٍ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ عَطْفُهُ عَلَى قَوْلِهِ : كَثَلَ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً ، إِذْ لَا يَخْفَى أَنَّ التَّكْبِيْدَ . مِنْ صِفَةِ الْمُنَاقِقِينَ الْعَجِيْبَةِ الشَّانِ ، وَذَوَاتِ ذُوِي صَيْبٍ ، وَكَقَوْلِهِ : فَبَارِحَةٌ مِنَ اللَّهِ لَتِ لَهَا ، فَلَا تَوْصِفُ الْكَلِمَةَ بِالْمَجَازِ كَمَا حَقَّقَ ذَلِكَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ رَحِمَهُ اللَّهُ .

(الْكِنَايَةُ) هِيَ فِي عَرَفِ الْفَنِّ أَنْ تَكْتُمَ بَشْيَءٍ وَتُرِيدَ بِهِ غَيْرَهُ وَقَدْ كُنِيَ بَكُنَا عَنْ كَذَا أَوْ كُنِيَ وَأَقْدَأُ أَبُو زَيْدٍ :

فِيهَا مِنَ الْإِزْمِ ، وَفِيهِ مِنَ اللَّزُومِ ، وَرَدَّ بِأَنَّ الْإِزْمَ تَامٌ يَكُنْ مَلْزُومًا
لَمْ يُنْقَلْ مِنْهُ ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْإِنْتِقَالُ مِنَ اللَّزُومِ . وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ :

وَأَيُّ لَأَكُونَنَّ قَدَوِي يَتَّبِعُهَا . وَأَعْرَبُ أَحْيَانًا بِهَا فُصَارِحُ
وَفِي مَصْطَلَحِ النَّظَارِ مِنْ عِلَالِ الْبَيَانِ ، قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ : أَنْ يَرِيدَ الْمُتَكَلِّمُ
إِبْرَاهِيمَ مَعْنَى مِنَ الْمَعْنَى فَلَا يَذْكُرُهُ بِالْفَرْقِ الْمَوْضُوعِ لَهُ فِي الْقَلَمِ ، وَلَكِنْ يَجِيءُ
إِلَى مَعْنَى هُوَ تَالِيهِ وَرَدُّهُ فِي الْوَحْدِ قِيَمِي بِهِ إِلَيْهِ وَيَجْعَلُهُ دَلِيلًا عَلَيْهِ . وَقَالَ
غَيْرُ الشَّيْخِ : الْكُنْيَةُ لَفْظٌ أُرِيدَ بِهِ لَازِمٌ مَعْنَاهُ مَعَ جَوَازِ إِرَادَةِ مَعْنَاهُ حَيْثُ
كَقَوْلِكَ فَلَانِ طَوِيلِ النَّجَادِ : أَيْ طَوِيلِ الْقَامَةِ ، وَقَلَانِ تَوَمُّ الضَّحَى ، أَيْ مَرْفَعَةٍ
مَعْدُومَةٍ غَيْرِ مَحْتَاجَةٍ إِلَى السَّعْيِ بِنَفْسِهَا إِلَى إِصْلَاحِ الْمَهْمَاتِ ، وَذَلِكَ أَنَّ وَقْتُ الضَّحَى
وَقْتُ يَسْمَى فِيهِ نَسَاءُ الْعَرَبِ وَرَاءَ الْمَعَالِشِ وَكِفَايَةُ أَسْبَابِهِ وَتَحْصِيلُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ
فِي تَيْسَةِ الْمُتَنَاقُلَاتِ وَتَدْبِيرِ إِصْلَاحِهَا ، فَلَا تَنَامُ فِيهِ مِنْ نَسَائِهِمْ إِلَّا مَنْ تَكُونُ
لَهَا خُصْمٌ يَنْوِيهِ عَنْهَا أَيْ السَّعْيِ لِذَلِكَ . وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَرَادَ مَعَ ذَلِكَ طَوِيلُ النَّجَادِ
وَالنَّوْمُ فِي الضَّحَى مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ ، فَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْجَوَازِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ أَيْ
مِنْ جَنْبِ جَوَازِ إِرَادَةِ الْمَعْنَى مَعَ إِرَادَةِ لَازِمَتِهَا ، فَإِنَّ الْجَوَازَ يَنَاقِ ذَلِكَ فَلَا يَصِحُّ
فِي نَحْوِ قَوْلِكَ : إِنَّ الْخَامَ أَسَدٌ ، إِنْ تَرِيدَ مَعْنَى الْأَسَدِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ ، لِأَنَّ الْجَوَازَ
مَلْزُومٌ قَرِيبَةٌ مَعَانِدَةٌ لِإِرَادَةِ الْحَقِيقَةِ كَمَا تَقْدُمُ وَمَلْزُومٌ مَعَانِدُ الشَّيْءِ . مَعَانِدُ ذَلِكَ
الشَّيْءِ ، وَفَرْقُ السَّكَاتِيِّ وَغَيْرِهِ بَيْنَهُمَا بِوَجْهِ آخَرٍ أَيْضًا ، وَهُوَ أَنَّ مَعْنَى الْكُنْيَةِ
عَلَى الْإِنْتِقَالِ مِنَ الْإِزْمِ إِلَى الْمَلْزُومِ ، كَالْإِنْتِقَالِ مِنَ طَوِيلِ النَّجَادِ إِلَى هُوَ لَازِمٌ
لَطَوِيلِ الْقَامَةِ إِلَيْهِ ، وَبَيْنَ الْجَوَازِ عَلَى الْإِنْتِقَالِ مِنَ الْمَلْزُومِ إِلَى الْإِزْمِ كَالْإِنْتِقَالِ
مِنْ الْأَسَدِ إِلَى هُوَ مَلْزُومٌ الشَّجَاعِ إِلَى الشَّجَاعِ . قَالَ الْمُصَنِّفُ : وَهَذَا مُرَدُّهُ
بِأَنَّ الْإِزْمَ مَا لَمْ يَكُنْ مَلْزُومًا يَمْتَنِعُ أَنْ يَنْتَقِلَ مِنْهُ إِلَى الْمَلْزُومِ لِأَنَّ الْإِزْمَ مِنْ

الْأَوَّلَى الْمَطْلُوبُ بِهَا غَيْرُ صِفَةٍ وَلَا يَسْتَبِيحُ ، فَمِنْهَا مَا يَمِي تَمَقُّ وَاحِدٌ كَقَوْلِهِ :

* وَالطَّاعِنِينَ بِجَمَاعٍ الْأَضْفَانِ *

وَمِنْهَا مَا يَمِي بِجَمْعٍ مَعَانٍ كَقَوْلِنَا - كِتَابَةٌ عَنِ الْإِنْسَانِ - حَتَّى
مُسْتَوَى الْقَائِمَةِ عَرِيضُ الْأَطْفَالِ ، وَشَرْطُهَا الْإِخْتِصَاصُ بِالْمَكْنَى عَنْهُ ؛
وَالثَّانِيَةُ الْمَطْلُوبُ بِهَا صِفَةٌ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ الْإِنْتِقَالُ بِوَسِطَةِ قَرِيبَةٍ :

حيث أنه لازم ، يجوز أن يكون أعم من المزدوم ، ولا دلالة للعام على الخاص
فيكون الانتقال حيثئذ من المزدوم إلى اللازم كافى الجواز ، فلا يتحقق الفرق
(فيها) أى فن الأول (كقوله والطاعنين بجامع الاضفان) فجامع
الاضفان معنى واحد كناية عن القلب وصدر البيت :

* الضَّارِبِينَ يَكُلُّ أَيْمَسَ مَخْذَمٍ *

والمخذم : القاطع ، ونظير البيت قول البحري فى قصيدته التى يذكر فيها
قتله للذئب :

فَأَتَيْتُهَا أُخْرَى قَاضِلَتْ نَصْلَهَا يَحِثُّ يَكُونُ اللَّبُّ وَالرَّعْبُ وَالْحَقْدُ

فقوله بحيث يكون اللب والرعب والحقد ، ثلاث كنيات لا كناية واحدة ،
لاستقلال كل واحد منها بإفادة المقصود (وشروطها الاختصاص بالمكى
عنه) ليحصل الانتقال منهما إليه (والثانية المطلوب بها صفة) يقول : الثانية
من أقسام الكناية المطلوب بها صفة من الصفات ، كالجود والكرم والشجاعة
وهو ضربان قريبة وبعيدة ، فالقريبة ما ينتقل منها إلى المطلوب بها لا بواسطة

وَإِخْفَةُ ، كَقَوْلِهِمْ - كِتَابَةٌ عَنْ طَوِيلِ الْقَامَةِ - طَوِيلٌ نِجَادُهُ وَطَوِيلُ
النِّجَادِ ، وَالْأَوَّلَى سَادِجَةٌ ، وَفِي الثَّانِيَةِ تَصْرِيحٌ مَا لَتَتَصَنُّ الصِّفَةُ الضَّيِّعَ
أَوْ خَفِيَّةً ، كَقَوْلِهِمْ - كِتَابَةٌ عَنِ الْأَبْلَهِ - عَرِيضُ الْقَفَا ، وَإِنْ كَانَ

وهي إما واضحة كقولهم كتاب عن طويل القامة طويل نجاده ، وهذه كتاب
ساذجة لا يشوبها شيء من التصريح ، وطويل النجاد وهذه كتاب مشتملة على
تصريح ما تضمن الصفة فيه وهي طويل ضميم الموصوف ، وإما خفية يتوقف
الانتقال منها على تأمل وإعمال روية ، كقولهم كتاب عن الأبه عريض القفا ،
لأن عرض القفا وعظم الرأس إذا أفرط فها يقال دليل النجاوة ، ألا ترى إلى
قول طرفة بن العبد :

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ خَشَّاسُ كُرَاسِ الطَّبِيَةِ الْمُتَوَقِّدِ (١)
والبعيدة ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة ، كقولهم كثير الرماد ،
كتاب عن المضايق ، فإنه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الحطب بحسب
التدور ومنها إلى كثرة الطبايح ، ومنها إلى كثرة الأكلة ، ومنها إلى كثرة
الضيغان ومنها إلى القصود وكقولهم :

وَمَا يَكُ فِي مِثِّ غَنِيٍّ فَلَيْتَ جَبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْقَصِيلِ

لأنه يقتل من جن الكلب عن المرير في وجه من يدنو من دار من
هو بمرصد ، لأن يمس دونهما مع كون المرير في وجه من لا يعرفه طبيعياً
لأن استمرار تأديبه ، لأن الأمور الطبيعية لا تتغير بموجب لا يقوى ، ومن

(١) الضرب : الرجل الخفيف الغنم ، ورجل خشاس : هو الماسح من
الرجال ، وشبه يقطعه وذكاه ذعته بتوقد رأس الحية .

الِإِنْتِفَاقُ بِوَاسِطَةٍ فَبَعِيدَةٌ ، كَقَوْلِهِمْ : كَثِيرُ الرَّمَادِ ، كِنَايَةٌ عَنِ الْإِضْيَافِ
فَإِنَّهُ يُنْتَقَلُ مِنْ : كَثَرَةِ الرَّمَادِ إِلَى كَثَرَةِ إِحْرَاقِ الْمَطْلَبِ تَحْتَ
الْقُدُورِ ، وَمِنْهَا إِلَى كَثَرَةِ الطَّبَاخِ ، وَمِنْهَا إِلَى كَثَرَةِ الْأَكَلِ ،

ذلك إلى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجوهاً إثر وجوه ،
ومن ذلك إلى كونه مقصد أدان وأقام ، ومن ذلك إلى أنه مشهور بحسن قرى
الاضْيَافِ ، وكذلك ينتقل من هوال الفصيل إلى فقد الأم ، ومنه إلى قوة
الداعي إلى نحرها لكمال عناية العرب بالنوق لاسيما المثلثات (١) ، ومنها إلى
حرفها إلى الطباغ ، ومنها إلى أنه مضى ومن هذا النوع قول نصيب :

لِمَيْدٍ النَّزِيرِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ مِثْنٌ ظَاهِرَةٌ
وَمَبَاكُ أَهْلٍ أَبَوَائِهِمْ وَدَارِكُ مَأْمُونَةٍ عَامِرَةٍ
وَكُلُّكَ آتِسٌ بِالزَّائِرِينَ مِنَ الْأُمِّ بِالابْنَةِ الزَّائِرَةِ

فإنه ينتقل من وجف قلبه بما ذكر إلى أن الزائرين معارف عنده ، وإلى
ذلك إلى اتصال مشاهدته لإبام يلا ونها أ . ومنه إلى لاوهم سده ، ومنه
إلى تسنى ما معهم لديه من غير انقطاع ، ومنه إلى وفور إحسانه إلى الخاص
والعام وهو المقصود ، ونظيره مع زيادة لطف قول الآخر

يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يُكَلِّهُ مِنْ حَبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمُ
ومنه قول إبراهيم بن هرمة :

لَأَمْتِجُ الْمُؤَدَّ بِالْفِصَالِ وَلَا أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيْبَةَ الْأَحْلِ

(١) أى التى لها أولاد تتلوها ، من أثلث الناقة : إذا تبعها ولده .

وَمِنْهَا إِلَى كَثْرَةِ الضَّيْفَانِ ، وَمِنْهَا إِلَى الْقَصُودِ . الثَّالِثَةُ : الْمَطْلُوبُ بِهَا
نِسْبَةٌ ، كَقَوْلِهِ :

إِنَّ السَّمَاءَ وَالرُّوْءَ وَالنَّدَى * فِي قُبَّةٍ ضَرَبَتْ عَلَى ابْنِ الْخُشْرَجِ
فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُثَبِّتَ اخْتِصَاصَ ابْنِ الْخُشْرَجِ بِهَذِهِ الصَّفَاتِ ، فَفَرَّكَ
التَّصْرِيحَ بِأَنْ يَقُولَ إِنَّهُ مُخْتَصٌّ بِهَا أَوْ نَحْوَهُ إِلَى الْكِتَابَةِ بِأَنْ جَعَلَهَا

فَإِنَّهُ يَنْتَقِلُ مِنْ عَدَمِ إِسْمَاعِهَا إِلَى أَنَّهُ لَا يَبْقَى لَهَا فَصَالُهَا لِتَأْسِ بِهَا ، وَيَحْصِلُ لَهَا
الْفَرْجُ الطَّبِيعِيُّ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا ، وَمِنْ ذَلِكَ إِلَى نَحْرِهَا أَوْ لَا يَبْقَى الْعُودُ لِإِقْدَادِ عَلَى
فَصَالُهَا ، وَكَذَا قَرَبَ لِأَجْلِ يَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَى نَحْرِهَا وَمِنْ نَحْرِهَا إِلَى أَنَّهُ مَضِيافٌ .
وَمِنْ لَطِيفِ هَذَا الْقِسْمِ قَوْلُهُ تَسَالَى : وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ، أَيْ وَلَمَّا اشْتَدَّ نَدَمُهُمْ
وَحَسْرَتُهُمْ عَلَى عِبَادَةِ السُّجُلِ ، لِأَنَّهُ مِنْ شَأْنٍ مِنْ اشْتَدَّ نَدَمُهُ وَحَسْرَتُهُ أَنْ يَعْصُرَ
يَدَهُ غَمًّا قَتَمِيرَ يَدِهِ مَسْقُوطاً فِيهَا ، لِأَنَّهُ فَاهٌ قَدْ وَقَعَ فِيهَا (نِسْبَةٌ) أَيْ إِبْنَاتُ
أَمْرٍ لَأَمْرٍ أَوْ نَفْسِهِ عَنْهُ ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ صَاحِبِ الْمَفْتَاحِ : إِنَّ الْمَطْلُوبَ تَخْصِيسَ
الصِّفَةِ بِالْمَوْصُوفِ ، وَلَمْ يَرُدَّ بِالتَّخْصِيسِ الْحَصْرَ إِذْ لَا وَجْهَ لَهُ هُنَا (كَقَوْلِهِ)
أَيْ قَوْلِ زِيَادِ الْأَجْمِ ، فَإِنَّهُ أَرَادَ كَمَا لَا يَحْتَاجُ أَنْ يُثَبِّتَ هَذِهِ الْمَعْنَى وَالْأَوْصَافَ
خِلَالًا لِلْمَدْحِ وَحُسْرَاتِهِ فِيهِ ، فَفَرَّكَ أَنْ يَصْرَحَ يَقُولُ إِنَّهَا لِمَجْمُوعَةٍ فِيهِ أَوْ
مَقْصُورَةٍ عَلَيْهِ وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ عَمَّا هُوَ صَرِيحٌ فِي إِبْنَاتِ الْأَوْصَافِ لِلدُّكُورِ بِهَا
وَعَدَلَ إِلَى مَا تَرَى مِنَ الْكُتَابَةِ وَالتَّلَوُّجِ لِمَجْلُ كَوْنِهَا فِي الْقُبَّةِ الْمُضْرُوبَةِ عَلَيْهِ
عِبَارَةً عَنْ كَوْنِهَا فِيهِ ، فَخَرَجَ كَلَامُهُ بِذَلِكَ إِلَى مَا خَرَجَ إِلَيْهِ مِنَ الْجَزَائِلِ وَظَهَرَ
فِيهِ مَا أَنْتَ تَرَى مِنَ التَّخَنُّعِ ، وَلَوْ أَنَّهُ أَقْطَعَ هَذِهِ الْوَاسِطَةَ مِنَ الْبَيْنِ لَمَا كَانَ
إِلَّا كَلَامًا غَفْلًا وَحَدِيثًا سَازِجًا . وَمَا هُوَ لَطِيفٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ أَبِي حَوَاسٍ

فِي قُبَّةٍ مَفْرُوبَةٍ عَلَيْهِ ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُمْ : لَجَدُ بَيْنَ قَوْمَيْنِ وَالْكَرْمُ بَيْنَ
بُرْدَيْنِ ، وَالْمَوْصُوفُ فِي هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ قَدْ يَكُونُ غَيْرَ مَذْكُورٍ كَمَا يُقَالُ
فِي عَرْضٍ مَنْ يُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ : الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ . .
الْكَاتِبُ : الْكِتَابَةُ تَتَفَاوَتْ إِلَى تَمْرِضٍ وَتَلْوِيحٍ وَرَمَزٍ وَإِشَارَةٍ

مَا جَارَهُ جُودٌ وَلَا حَلَّ دُونَهُ وَلَكِنْ يَصِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ

وقول الآخر :

يَصِيرُ أَبَاكَ قَرِينَ السَّامَا ح وَالْكَرُمَاتُ مَتَا حَيْثُ صَارَا

وقول الثالث :

• وَحَيْثُمَا يَكُ أَمْرٌ صَالِحٌ تَكُنْ •

كل ذلك توصل إلى إثبات الصفة في المدح بإثباتها في المكان الذي يكون
فيه . وإلزامها له بلزومها الموضع الذي يحل . وهكذا إذا اعتبرت قول
الشعري الأزدی يصف امرأة بالغة :

يَبِيتُ بِمِنْجَاةٍ مِنَ الْقَوْمِ يَدْتَهَا إِذَا مَا بَيُوتُ بِالْمَلَاةِ حُلَّتْ

وجدته يدخل في معنى بيت زياد . وذلك أنه توصل إلى نفي القوم عنها
وإبعادها عنه بأن قاده عن بيتها وما عد بينه وبينه . وكان مذهبه في ذلك مذهب
زياد في التوصل إلى جعل الساحة والمروءة والتدنى في ابن المشرج ، بأن
جعلها في القبة المضروبة عليه . وإنما الترقى أن هذا ينفي ذلك يقبض ، وذلك
فرق لا في موضع الجمع ، فهو لا يمنع أن يكونا من يصاب واحد (في عرض)
العرض بضم العين : الباحة والجانب ، يريد كما يقال في التمرض بمن يؤذي
المسلمين إل الخ (كما يقال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) فإنه كتابة عن

وإيماء ، والناسب للعرضية التعريض ، وتفسيرها - إن كثرت
الوسائط - التلويح ، وإن قار: مع خفاء الرمز ، وبلا خفاء الإيماء
والإشارة ، ثم قال : والتعريض يكون مجازاً ، كقولك آذني

نفي الإسلام عن المؤذي (تفاوت) يريد تنوع (والمناسب العرضية
التعريض) إليك عبارة السكاكي . من كانت الكناية عرضية^(١) كان إطلاق
التعريض عليها مناسباً^(٢) وإذا لم تكن كذلك ، فإن كان بينها وبين المعنى
عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما في كثير الرماد وأشباهه كان إطلاق
اسم التلويح عليها مناسباً ، لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك عن بعد وإن
كانت المسافة قريبة من نوع من الإيماء كعرض النفا وعريض الوسادة كان
إطلاق اسم الرمز عليها مناسباً ، لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على
سبيل الخفية قال :

رَمَزْتُ إِلَى خَفَاةٍ مِنْ بَعَائِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُدْرِي هَذَاكَ كَلَامَهَا
وإن لم يكن هناك خفاء ، فالناسب أن نسمى إيماء وإشارة ، كقول أبو
تمام يصف إبلاً :

أَبَيْنَ مَا يَزُرُّنَ سَوَى كَرِيمٍ وَحَشَلَكُ أَنْ يَزُرُّنَ أَبَا سَعِيدٍ
فأية في إفادة أن أبا سعيد كريم غير علف ، وكقول البحري :

(١) أي مسوقة لموصوف غير مذكور .

(٢) لأن التعريض إمالة الكلام إلى عرض أى جانب يدل على المقصود ،
يقال عرضت بخلان ولعلان : إذا قلت قولاً وأنت تعنيه ، فكأنك أشرت به
إلى جانب وأنت تريد حائناً آخر .

فَسْتَعْرِفُ ، وَأَنْتَ تُرِيدُ إِنْسَانًا مَعَ الْمُخَاطَبِ دُونَهُ ؛ وَإِنْ أَرَدْتَهُمَا جَمِيعًا
كَانَ كِتَابَةً وَلَا بَدْءَ فِيهِمَا مِنْ قَرِينَةٍ .

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلْ
فَإِنَّهُ فِي إِثَارَةِ أَنْ آلَ طَلْحَةَ أَمَّا جَدُّ ظَاهِرٌ ، وَكَقَوْلِ الْآخَرِ :

إِذَا اللَّهُ لَمْ يَسْقِ إِلَّا الْكَرِيمَ فَسَقَى وَجْوهَ بَنِي حَنْبَلٍ
وَسَقَى دِيَارَهُمْ نَاصِرًا مِنَ التَّيْتِ فِي الزَّمَنِ لِلْمُعْجَلِ
وَكَقَوْلِ الْآخَرِ :

مَتَى تَخْلُفُ بَنِيهِمْ مِنْ كَرِيمٍ وَمَسْلَمَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ تميمٍ
وَأَمَّا قَوْلُهُ :

سَأَلْتُ النَّدَى وَالْجُودَ مَا لِي أَرَاكَ تَبَدُّلاً ذَلَا بَعْدَ مُؤِيدٍ
وَمَا بَالُ رُكْنِ الْمَجْدِ أَمْسَى مَهْدِمًا فَقَالَا أَصَبْنَا بِأَبْنٍ يَجِي بِعَمْدٍ
فَقُلْتُ فَلَا مَتَا غُنْدَ مَوْتِهِ فَقَدْ كُنَّا عَبْدِيهِ فِي كُلِّ مَشْدٍ
فَقَالَا أَفَنَا كَيْ نَمْرَى بِفَقْدِهِ سَاعَةَ يَوْمٍ ثُمَّ نَتْلُوهُ فِي غَدٍ

فعلى ما ترى من الظهور (دونه) أى دون المخاطب ، أى لا تريد تهديده
أى وحيث تريد هذا الكلام تهديد غير المخاطب دون المخاطب صارت
تاء الخطاب غير مراد بها أصلها ، وإذن يكون هذا الكلام مجازاً ، فكلمة ،
قال صاحب الكتاب : الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له ،
والتعريض أن تذكر شيئاً يدل به على شيء لم تذكره ، كما يقول المحتاج المحتاج
إليه ، حَتَّى لَا سَلَمَ عَلَيْكَ وَلَا نَظَرَ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ ، ولذلك يروى : حسبك
مالتسليم منى تقاضياً . فكلمة إمالة الكلام إلى عرض يدل على التقصود

﴿فصل﴾

أطبق البلفه على أن المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتعريض .
لأن الإتيان فيهما من اللزوم إلى اللازم فهو كدعوى الشيء بمينة ،
وأن الاستمارة أبلغ من التشبيه ، لأنها توغ من المجاز .

ويسمى التلويح ، لأنه يلوح منه ما يريد ، وقال ابن الأثير : الكناية ما دل على
معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما ، وتكون في
المفرد والمركب ، والتعريض هو اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي
أو المجازي ، بل من جهة التلويح والإشارة ، فيختص باللفظ المركب كقول من
يتوقع صلة واقفه إلى محتاج ، فإنه تعريض بالطلب مع أنه لم يوسع له حقيقة ولا
مجازاً ، وإنما فهم المعنى من عرض اللفظ أى جانبه ، وعرض كل شيء جاسه .

﴿فصل﴾ أجمع أبواب البلاغة وأصحاب الصياغة للمعاني . كتاب أن

المجاز أبداً أبلغ من الحقيقة ، والكناية أبلغ من الإفصاح ، والتعريض أوقع
من التصريح ، وأن الاستمارة مزينة وفضلا على التصريح بالتشبيه قال الشيخ
الإمام : ليس ذلك لأن الواحد من هذه الأمور يفيد زيادة في المعنى نفسه
لا يفيد ما خلاه ، بل لأنه يفيد تأكيداً لإثبات المعنى لا يفيد خلافه . فليست
فضيلة قولنا : رأيت أسداً على قولنا رأيت رجلاً هو والأسد سواء
في الشجاعة ، أن الأول أفاد زيادة في مساوئه للأسد في الشجاعة لم يفدها
الثاني ، بل هي أن الأول أفاد تأكيداً لإثبات تلك المساواة له لم يفده الثاني .
وليست فضيلة قولنا كثير الرماد على قولنا كثير القرى ، أن الأول أفاد زيادة
قراءة لم يفدها الثاني . بل هي أن الأول أفاد تأكيداً لإثبات كثرة القرى له
لم يفده الثاني . فالسبب في أن الكناية مزينة لا تكون التصريح ، أن كل عاقل

﴿ الْمَنْ الثَّالِثُ عِلْمُ الْبَدِيْعِ ﴾

وَهُوَ عِلْمٌ يَعْرِفُ بِذَوْنِهِ تَحْمِينَ الْكَلَامِ بِمَدِّ رَعَايَةِ الطَّلَاقَةِ
وَوُضُوحِ الدَّلَالَةِ ، وَهِيَ صَرَّاحَانِ : مَمْنُونٌ وَلَفْظِيٌّ ، أَمَّا الْمَمْنُونُ فَيَنْتَه

يعلم أن إثبات الصفة بإثبات دليلها أكد وأبلغ في الدعوى من أن نحمي إليها
فتثبتها هكذا ساذجاً غفلاً ، وذلك أنك لا تدعي دليل الصفة إلا والامر ظاهر
معروف ، وبحيث لا يشك فيه ولا يظن بالخبر التجوز والغلط ؛ وأما
الاستعارة : فببب ما ترى لها من المزية والنعامة أنك إذا قلت رأيت أسداً ،
كنت قد تلطفت لما أردت إثباته له من فرط الشجاعة ، حتى جعلتها كالشيء
الذي يجب له الثبوت والحصول والامر الذي نصب له دليل يقطع بوجوده ،
وذلك أنه إذا كان أسداً فواجب أن تكون له تلك الشجاعة العظيمة وكالمستحيل
أو الممتنع أن يعرف عنها ، وإذا صرحت بالتشبيه فقلت رأيت رجلاً كالأسد
كنت قد أثبتنا إثبات الشيء بترجح بين أن يكون وبين ألا يكون ، ولم يكن
من حديث الوجود في شيء (وحوه تحمين الكلام) أعلم أنه قد أطبق
اللفظ على أن هذه المحسنات البديعية لا سيما اللفظية منها لا تحمل عليها من
القول ، ولا تقع موقعها من الحسن ؛ حتى يكون المعنى هو الذي استدعاها .
وساها نحوه ، وحتى تجدها لا تبتغي بها بدلاً ولا تجد عنها حولا . ومن هنا
فم الاستكثار منها والولوع بها لأن المعاني لا تدبر في كل موضع لما إذ هي في
الغالب ألقاظ . والالفاظ خدع المعاني ، مصرفة في حكمها ، فن نصر اللفظ
على المعنى كان كن أزال الشبهة عن جهته وأحاله عن طبيعته ، وذلك مظنة
الاستكراه . وفيه فتح أبواب اليب والتعرض للثبوت ، ولهذا الحالة كان
كلام للمتمنعين الذين تركوا فصل الاحتفاء بالبديعيات ولزموا بحجة الطبع

لِلطَّائِفَةِ ، وَتُسَمَّى الطَّائِفَ وَالتَّضَادَّ أَيْضًا ، وَهِيَ الْجُمْلَةُ بَيْنَ مُتَضَادِّينِ
أَيَّ مَعْنَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ فِي الْجُمْلَةِ ، وَيَكُونُ بِلَفْظَيْنِ مِنْ نَوْعِ التَّحْنِينِ

أمكن في القول وأوضح للمراد ، وأسلم من التفاوت وأبعد من التعمد الذي
هو ضرب من المداع بالتزويق . وقد تجد في كلام المتأخرين كلاماً حمل صاحبه
فرط شغفه بالبديعيات إلى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ويقول ليبين ، ويخيل
أنه إذا جمع بين أقسام البديع في بيت فلا ضير أن يقع ما عناء في عياده ،
وأن يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء . وربما طمس بكثرة ما يتكلمه
على المعنى وأفسده . كن أثقل العروس بأصناف الحلى حتى ينالها من ذلك مكروه
في نفسها ، ولعمري لن تجد أمين طائراً . وأحضر أولاً وآخرها ، وأهدى إلى
الإحسان وأجلب . استحسان ، من أن ترسل المعاني على عجيبتها ، وتدعها تطلب
لأنفسها الألفاظ ، فإنها إذا تركت وما تريد لم تنكسر إلا ما يليق بها . ولم
تلبس من المعارض إلا ما يزينها ، فأما أن تضع في نفسك أنه لا بد من أن
تجنس أو تسجع بلفظين مخصوصين مثلاً فهو الذي أمنت منه بمرض الاستكراه
وعلى خطر من الخطأ والوقوع في الهم ، وهو الذي يجعل عبارتك حرة
بقول أبي الطيب :

إِذَا لَمْ تَشَاهِدْ غَيْرَ حَسَنِ شَيْئِهَا وَأَعْضَاتِهَا فَلِحَسَنِ عَنْكَ مُغْنٍ

(أي معنيين متقابلين في الجملة) يعني ليس المراد بالمتضادين ههنا الأمرين
الموجودين المتواردين على محل واحد بينهما غاية الخلاف ، كالسواد
والبياض ، بل أعم من ذلك وهو ما يكون بينهما تقابل وتناف في الجملة .
ومن بعض الأحوال سواء كان التقابل حقيقياً أو اعتبارياً وسواء كان تقابل
التضاد أو تقابل الإيجاب والسلب ، أو تقابل العدم والملك . أو تقابل التعاضيف

نحو : وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَانًا وَهُمْ رُقُودٌ ، أَوْ فَنَلَيْنَ نَحْوُ : يَنْجِي وَيُمِيتُ :
أَوْ حَرْفَيْنِ ، نحو : لَهَا مَا اكْتَسَبَتْ وَعَاشِيَهَا مَا اكْتَسَبَتْ ، أَوْ مِنْ تَوْعِينِ
نحو : لَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ : طَبَاقُ الْإِيحَابِ ، كما مر .

وما يشبه شيئاً من ذلك (نحو يحيى ويميت) مثله قوله تعالى . تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ مِنْ
تَعَالَى وَتَزِدْكَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ تَعَالَى وَتَزِدْكَ مِنْ تَعَالَى . وقوله صلى الله
عليه وسلم للأَنْصَارِ : إِنَّكُمْ لَتَكُونُونَ عِنْدَ الْفُرُجِ ، وتقولون عند الطلوع ،
وقول بشارة :

إِذَا أُيْقِنْتَكَ حُرُوبُ الْيَدَا فَنَبَّهَ لَهَا عَمْرًا ثُمَّ نَمَّ

(نحو لها ما كسبت) فَإِنَّ فِي الْإِلَامِ مَعْنَى الْإِنْتِفَاعِ ، وَفِي عَلَى مَعْنَى
التَّضَرُّرِ ، أَيْ لَهَا مَا كَسَبَتْ مِنْ خَيْرٍ ، وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ مِنْ شَرٍّ ، لَا يَنْتَفِعُ
بِطَاعَتِهَا ، وَلَا يَتَضَرَّرُ بِمَعْصِيَتِهَا غَيْرَهَا ، وَتُخَصِّصُ الْحِمْدُ بِالْكَسْبِ وَالشَّرُّ
بِالْاِكْتِسَابِ ، لِأَنَّ الْاِكْتِسَابَ فِيهِ اعْتِمَالٌ وَالشَّرُّ تَقْصِيهِ النَّفْسِ وَتَجَذُّبُ إِلَيْهِ ،
فَكَانَتْ أَجْدَى فِي تَحْصِيلِهِ وَأَعْمَلُ ، وَمَا كَانَ الطَّبَاقُ فِيهِ بَيْنَ حَرْفَيْنِ قَوْلِ الشَّاعِرِ :
عَلَى أَتَقَى رَافِضٍ بِأَنَّ أَجْمَلَ الْهَوَى وَأَخْلَصَ مِنْهُ لَا عَلَى وَلَا لِيَا
(نحو أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ) فَإِنْ أَحَدُهُمَا اسْمٌ وَالْآخَرُ فِعْلٌ ، وَمِثْلُهُ
قَوْلُ طَبِيعِ الْقَنُوزِيِّ يَصِفُ فَرَسًا :

يَسِيرُ الْوَجْهَ لَمْ تَقْطَعْ أَبَا جِلْهُ يُصَانُ وَهُوَ لِيَوْمِ الرُّوْحِ مَبْدُولُ
وَهَذَا ، وَمِنْ لَطِيفِ الطَّبَاقِ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

أَسْمَ بِكَ النَّاسِي وَهِنْ كَانَ أَسْمَاً وَأَمْنِيحَ مَنَقَى الْجُودِ بَعْدَكَ بَلَقْمَا
وَقَالُوا هَذَا أَحْسَنُ ابْتِدَاءٍ ، مَرِيئَةٌ إِسْلَامِيَّةٌ . وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

وَلَطِيقُ السَّرِيحِ نَحْوُ : وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ، وَنَحْوُ :
فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُونِ ، وَمِنْ الطَّبَاقِ نَحْوُ قَوْلِهِ :
تَرَدَّى نِيَابَ اللَّوْتِ نَحْراً فَأَتَى لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَجْهِي مِنْ سُندُسٍ خُضِرُ

وَصَلَّ بِكَ الْمُرْتَادُ مِنْ حَيْثُ يَهْتَدِي وَصَرَّتْ بِكَ الْأَيَّامُ مِنْ حَيْثُ تَنْفَعُ
وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لَا بِسُ الصَّبْرِ حَازِماً فَأُصْبِحَ يُدْعَى حَازِماً حِينَ يَجْزَعُ
ومنه قول كثير بن هراة لابنه : يابني إن من الناس ناساً ينقصونك إذا
زدتهم ، وتهون عليهم إذا أكرمهم ، ليس لرضاهم موضع فتقصده ، ولا لسخم
موقع فتخطره ، فإذا عرفت أولئك بأعيانهم ، فأبد لهم وجه المودة ، وانضم
موضع الخاصة . ليكون ما أبديت لهم من وجه المودة حاجزاً دون شرم ،
وما منعتهم من موضع الخاصة قاطعاً بحرمتهم (وطباق السلب) وهو أن
يجمع في الكلام بين الثبوت والانتفاء . ومنه قول امرئ القيس :
هَضِيمُ الْخَشْيِ لَا يَمْلَأُ الْكَفَّ خَضِرُهَا وَنَمْلًا يَنْبَأُ كُلَّ حِجَابٍ وَذَمْلَجٍ
وقول السموأل :

وَنَشْكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يَنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ قَوْلِ
وقول أبي تمام :

إِلَى سَالِمٍ الْأَخْبَتِي مِنْ كُلِّ عَائِبٍ وَلَيْسَ لَهُ مَالٌ عَلَى الْجُودِ سَالِمُ
(ومن الطباق نحو قوله) أي قول أبي تمام من قصيدته التي يرى بها أبا
نوشل حين استشهد وأولها :

كَذَّافَتِي جَلَّ أَنْطَبُ وَلَيْتَ دَحِ الْأَمْرِ وَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفْهَرْ مَاوَهَا غَدْرُ

وَيَلْحَقُ بِهِ نَحْوُ : أَشَدُّهُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَةً بَيْنَهُمْ ، فَإِنَّ الرَّحْمَةَ
مُسْكَبَةٌ عَنِ الْإِيمَنِ ، وَنَحْوُ قَوْلِهِ :

وهي من أعيان المراتي . وهذا النوع من الطباق سماه بعضهم تدييجاً ،
وفسره بأن يذكر في معنى المدح أو غيره ألوان بقصد الكناية أو التورية ،
أما تدييج الكناية فكيفيت أبي تمام فإنه ذكر فيه لون الحرة والحضرة ، وكفى
بالأول عن القتل وبالتالي عن دخول الجنة ، وأما تدييج التورية فكقوله
الحريرى . فكذا زور المحبوب الأصفر . واغبر العيش الأخضر ، اسود بوى
الابيض ، وابيض فودى الأسود ، حتى يرى لى العدو الأزرق فياجبنا الموت
الأحمر ، فقوله المحبوب الأصفر : تورية عن الذهب ، لأن مناه القريب إنسان
له صفة (هذا) ومن طباق التدريج قول عمرو بن كلثوم فى معلقته :

بَأَنَّا نُوْرِدُ الرِّبَابَاتِ بَيْعًا وَنُصْدِرُهُنَّ خُمْرًا قَدْ رَوَيْنَا
وقول ابن حيوس :

إِنْ تَرُدُّ عَلَيَّ حَالِيَّ عَنْ يَقِينٍ فَالْقَهْمُ يَوْمَ نَائِي أَوْ نَزَالِي
تَلَقَّ بَيْعَ الْوُجُوهِ سَوْدَ مَثَارِ الثَّمَعِ خُمْرَ الْأَكْنَانِ خُمْرَ النَّصَالِ
(خضر) : هو رفوع هل أنه خبر بعد خبر لا بالجر صفة لسندس ، لأن
الترواقى مضمومة الروى (ويلحق به) أى بالطباق شيطان : فأولها الجمع بين
معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تلاق مثل السدية والروم كافى
الآية ، فإن الرحمة وإن لم تكن مقابلة للشدّة ، فهى صبية عن الإين الذى هو ضد
الشدّة ، وثانيهما الجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معناه

لَا تَمَجِّبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ * صَحِكَ الشَّيْبُ بِرَأْيِهِ فَبَسَكَ
وَيُسَمَّى الثَّانِي لِإِهَامِ التَّضَادِّ ، وَدَخَلَ فِيهِ مَا يَخْتَصُّ بِاسْمِ الْمَقَابِلَةِ
وَهُوَ أَنْ يُوَلِّيَ مَعْنَيْنِ مُتَوَافِقَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ ، ثُمَّ بَاقِيًا ذَلِكَ عَلَى
التَّزْيِيدِ . وَالْمُرَادُ بِالتَّوَافُقِ خِلَافُ التَّقَابُلِ ، نَحْوُ : فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا
وَلْيَسْكُوا كَثِيرًا .

الحقيقتان كانا البيت . فإنه لا تقابل بين البكاء وظهور الشيب ، لكنه عبر
عن ظهور الشيب بالضحك الذي معناه الحقيق مقابل للبكاء . وهذا البيت
لم يجعل بعده :

قَدْ كَانَ يَضْحَكُ فِي شَبَابِهِ وَالْآنَ يَحْشُدُ كُلَّ مَنْ يَضْحَكُ
لَا تَأْخُذًا بِظِلَامَتِي أَحَدًا . قَائِمِي وَطُورِي فِي دَمِي اشْتَرَاكَ
ومثله قول أبي تمام :

مَا إِنْ تَرَى الْأَسْبَابَ بَيْضًا وَضَعَا إِلَّا بِحَيْثُ تَرَى الْمَلَايَا سُودًا
وقوله أيضاً في الشيب :

لَهُ مَنْظُورٌ فِي الْعَيْنِ أَيْبَعُ نَاصِبٍ وَأَكْبَرُ فِي الْقَابِ أَسْوَدُ أَشْفَعُ
(ويسمى الثاني لإِهَامِ التَّضَادِّ) لِأَنَّ الْعَيْنَيْنِ هَذَا ذَكَرَا بِمُظَاهِرِ وَمَا
التَّضَادُّ نَظَرًا إِلَى الظَّاهِرِ (فِيهِ) أَيْ فِي الطَّبَاقِ (مَا يَخْتَصُّ بِاسْمِ الْمَقَابِلَةِ)
جمله السكاكي وغيره قسماً برأيه من المحسنات المنوية (والمراد بالتوافق
خِلَافُ التَّقَابُلِ) فَلَا يَشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَيَانِ مُتَنَاسِبَيْنِ أَوْ مُتَمَاثِلَيْنِ (نَحْوُ)
فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَسْكُوا كَثِيرًا (مثله قول الديلمي :

ونحو قوله :

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالْأُثْنَ إِذَا اجْتَمَعَا * وَأَفْبَحَ الْكُفْرَ وَالْإِفْلَاسَ بِالرَّجُلِ
ونحو : فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَتَنْبِئْهُ لَيْسَ لَهُ ،
وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَتَنْبِئْهُ لَيْسَ لَهُ ، وَالْمُرَادُ
يَسْتَفْتَى أَنَّهُ زَهَدَ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى كَأَنَّهُ اسْتَفْتَى عَنْهُ فَلَمْ يَتَّقِ ،
أَوْ اسْتَفْتَى بِشَهَوَاتِ الدُّنْيَا عَنْ تَمِيمِ الْجَنَّةِ فَلَمْ يَتَّقِ ، وَزَادَ السَّكَامُ :

فَقِيَ حَمِّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوهُ الْأَعْدَاءُ

(ونحو قوله) أى قول أبى دلالة ومنه قول أبى الطيب :

فَلَا الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ وَالْجُدُّ مُقْبِلٌ وَلَا الْبُخْلُ يُبْنِي الْمَالَ وَالْجُدُّ مُذِيرٌ

هذا ، وإنما كرر المصنف كلمة نحو لانه مثل : أولاً لما كان فيه مقابلة

اثنين باثنين ، وثانياً لمقابلة ثلاثة بثلاثة ، وثالثاً لأربعة بأربعة والمقابلة فى الآية

الثانية مركبة من طاق وملحق به كما لا يخفى (وزاد السكاكى وإذا شرط) .

عبارته : المقابلة أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضدهما ، ثم إذا

شرطت هنا شرطاً شرطت هناك ضده كقوله تعالى : فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى الْآيَتِينَ ،

لما جعل التيسير مشتركاً بين الإعطاء والانقضاء والتصديق جعل ضده ، وهو

التعسير مشتركاً بين أضرار تلك ، وهى المنع والاستثناء والتكذيب (ومنه)

أى ومن المعنوى (وقوله) أى قول البحرى فى وصف الإبل الانقضاء .

ومنه قول أسيد فى عفا العزلى :

وَإِذَا شَرِطَ هَذَا أَمْرُ شَرِطَ نَمَّةٌ ضِدُّهُ كَهَاتَيْنِ الْآبَتَيْنِ ، فَاهُ نَا جِلْ
التَّيْسِيرُ مُشْتَرَكَا بَيْنَ الْأَعْمَالِ وَالْإِتْقَانِ وَالْقَصْدِيَّةِ جِيلٌ ضِدُّهُ مُشَقُّ كَا
بَيْنَ أَضْدَادِهِمَا ... مَرَامُهُ مِرَاعَاةُ النَّظِيرِ ، وَيُسَمَّى التَّنَاسُبُ وَالتَّوْفِيقُ ،
وَهُوَ جَمْعُ أَمْرٍ وَمَا يَنْاسِبُهُ لَا بِالتَّضَادِّ نَحْوُ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ،
وقوله :

كَالْقَيْنِ الْمَطْفَأَاتِ بَلَى الْأَشْهُمِ مَبْرِيَّةٌ بَلَى الْأَوْتَارِ
وَمِنْهَا مَا يُسَمَّى بِمُضَاهِيَةِ تَنَاسُبِ الْأَطْرَافِ ، وَهُوَ أَنْ يُخْتَصِمَ الْكَلَامُ
بِمَا يُنَاسِبُ ابْتِدَاءَهُ فِي اللَّاتِي ، نَحْوُ : لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ
الْأَبْصَارَ وَهُوَ الْعَلِيفُ الْخَفِيرُ ، وَيُلْحَقُ بِهَا نَحْوُ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ

كَأَنَّ الثَّرْيَا عُلِقَتْ فِي جَبِينِهِ وَفِي خَدِّهِ الشَّعْرَى وَفِي وَجْهِهِ الْبَلَدُ
وقول ابن خفاجة يصف فرساً :

مِنْ جُلَنَارٍ نَاصِرُ خَدِّهِ وَأَذُنُهُ مِنْ وَرَقِي الْأَسِي

(ومنها) من مراعاة النظير (نحو لا تدركه الأبصار) فإن العلف يناسب
ما لا يدرك بالبر ، والخبرة تناسب من يدرك شيئاً فإن من يدرك شيئاً يكون خبيراً
به (جاء) أى بمراعاة النظير (نحو الشمس والقمر بحسبان) أى بحسب معلوم
وتقدير سوى ، والنجم : النبات الذى ينجم من الأرض لاساق له كالقول والشجر
الذى له ساق ، ونجمودهما : اتقيادهما فهما خلقا له ، فالنجم بهذا المعنى وإن لم
يكن مناسباً للشمس والقمر ، فقد يكون بمعنى الكوكب وهو مناسب لهما

وَالْتَجَمُّ وَالشَّجَرُ يَجْدَانِ ، وَيُسَمَّى لِإِهَامِ التَّنَاسُبِ . وَمِنْهُ الْإِرْصَادُ ،

ولمّا سَمِيَ إِهَامُ التَّنَاسُبِ (وَمِنْهُ الْإِرْصَادُ) وَهُوَ فِي الْأَمَلِ : نَصَبُ الرَّقِيبِ فِي الطَّرِيقِ ، مِنْ رَصَدِهِ أَيْ رَقَبَتِهِ ، وَالرَّصِيدُ : السَّجْعُ الَّذِي يَرْصُدُ لِيُثْبِتَ ، وَالرَّصْدُ : الْقَوْمُ يَرْصُدُونَ كَالْحُرَسِ ، يَسْتَوِي فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ الْمَوْثِقُ . وَهَذَا النَّوْعُ قَالُوا إِنَّهُ مِنْ عَمُودِ الصَّنْفَةِ ، فَإِنْ خِيفَ الْكَلَامُ مَادِدٌ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ، وَفِي الْإِفْتِخَارِ بِهِ يَقُولُ ابْنُ بَنَاتِ الْعَدِيِّ :

خُذْهَا إِذَا أَنْشِدْتَ فِي الْقَوْمِ مِنْ طَرَبٍ مَذُورُهَا عُرِفَتْ مِنْهَا قَوَائِمُهَا
يَنْتَسِي لَهَا الرَّاكِبُ التَّجْلَانُ حَاجَتَهُ وَيُصْبِحُ الْحَاسِدُ الْقَضْبَانُ بَطْوِيهَا
ومن لطيف هذا النوع قول زهير :

سَمِيتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَهَنْ بَيْتِي ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ
وقول الراعي :

وَإِنْ وَزَنَ الْخَمْسَى قَوَّزَتْ قَوِي وَجَدْتُ خَمْسَى ضَرَبَتِهِمْ رَذِيئًا
وقول البحري :

أَبْكَيكَا دَمًا وَلَوْ أَنِّي عَلَى قَفَرٍ الْجَوَى أَبْكَى بِكَتَيْكَا دَمًا
وقوله أيضًا :

أَحَلَّتْ دِيَّ مِنْ غَيْرِ جَزْمٍ وَحَرَمَتْ بِلَا تَبَيٍّ يَوْمَ الْفَقَاءِ كَلَامِي
فَلَيْسَ الَّذِي حَقَّتْهُ بِمُحَلَّلٍ وَلَيْسَ الَّذِي حَرَمْتِهِ بِمَحْرَمٍ
فليبين يذهب على السامع ، وقد عرف القافية وصدر البيت الثاني ، أن

وَيُسَمِّيهِمْ بِمَنْزِلِهِمْ ، وَهُوَ أَنْ يُحْمَلَ قَبْلَ الْبَحْرِ مِنَ الْفِتْرَةِ أَوْ الْبَيْتِ
مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ إِذَا عُرِفَ الرَّوِيُّ نَحْوُ : وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ، وقوله :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
وَمِنْهُ الشَّاكِلَةُ ، وَهِيَ ذِكْرُ الشَّيْءِ بِلَفْظٍ غَيْرِهِ لَوْ قُرِعَ فِي مُحَبِّبِهِ
بَحْثِيًّا أَوْ تَقْدِيرًا ، فَأَلَّوْلُ نَحْوُ قَوْلِهِ .

قَالُوا اقْرَحْ شَيْئًا نَحْدَكَ طَبَخَهُ قُلْتُ اطْبَخُوا لِي جَبَّةً وَقَيْصًا
وَنَحْوُ : تَقَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ، وَالثَّانِي نَحْوُ : صَبَّخَهُ
اللَّهُ ، وَهُوَ مُصَدَّرٌ مُؤَكَّدٌ لَأَمَّا بِاللَّهِ ، أَيْ تَطْيِيرَ اللَّهِ ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ

مجرده هو ما قاله البحري (التسمي) من البرد ، المسهم : أَيْ المخطط (إذا
لم تستطع) هو لمعرو بن معد يكرب (نحو قوله) أَيْ قول ابن الرقعمق فإنه
ذكر خياطة الجبة بلفظ الطبخ لوقوعها في حبة طبخ الطعام (ونحوه تعلم
ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) حيث أطلق النفس على ذات الله تعالى لوقوعه
في حبة نفس ، هذا ، ومن لطيف المشاكلة قول عمرو بن كلثوم :

أَلَا لَا يَهْمُنُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجَهَّلَ قَوْقَ جَهْلٍ الْجَاهِلِينَ

(وهو مصدر مؤكد لَأَمَّا بِاللَّهِ) أصل هذا الكلام لصاحب الكشف
رحمه الله قال : صَبَّخَهُ الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله أَنَا بِاللَّهِ ، وهو
قصة من صبح كالجلسة من جلس ، والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس

يُطَهِّرُ النَّفْسَ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ أَنَّ النَّصَارَى كَانُوا يَنْمِسُونَ أَوْلَادَهُمْ فِي مَاءِ
أَصْفَرٍ يُسَمُّونَهُ الْمَسْمُودِيَّةَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ تَطْهِيرٌ لَهُمْ ، فَخَبَّرَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ

والأصل فيه أن النصارى كانوا ينمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه
المسمودية ، ويقولون هو تطهير لهم ، وإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال
الآن صار نصرانياً حقاً ، فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم قولوا آمنا بالله
وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيراً لا مثل تطهيرنا ،
أو يقول المسلمون صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصنع صبغتك ، وإنما جئنا
بالصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يفرس الأشجار : اغرس كما يفرس
فلان ، تريد رجلاً يصنع الكرم . قال في الإيضاح بعد هذا النوع : ومنه
الاستطراد وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول
التوصل إلى ذكر الثاني كقول الحنابلة :

وَإِنَّا لَقَوْمٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سَبَةً إِذَا مَارَأْتُهُ عَامِرٌ وَسَلُولٌ

وعليه قوله تعالى : يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً
ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلمهم بذكر السوات . قال الزعزعي :
هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد غيب ذكر السوات ، وخفف الورق
عليها إظهاراً للنعمت فيما خلق الله من اللباس ، ولما في العري وكشف العورة من
المهانة والفضيحة ، وإشعاراً بأن القتر باب عظيم من أبواب التقوى هذا
أصله ، وقد يكون الثاني هو المقصود فيذكر الأول قبله ليتوصل إليه كقول
أبي إسحاق الصابي :

إِن كُنْتُ خَشْتُكَ فِي الْمَوَدَّةِ سَاعَةً فَذَمَعْتُ سَيْفَ الْفَوَدَةِ الْخُمُودَا

صِبْنَةُ اللَّهِ لِلشَّارِكَةِ بِهَذِهِ الْقَرِينَةِ . وَمِنْهُ لِلزَّوْجَةِ : وَهِيَ أَنْ يُرَاجَعَ
بَيْنَ مَتْنَيْنِ فِي الشَّرْطِ وَالْجَوَابِ ، كَقَوْلِهِ :

إِذَا مَا نَعَى النَّاهِي فَلَجَّ بِي النَّهْوِي أَصَاخَتْ إِلَى الْوَائِي فَلَجَّ بِهَا النَّهْجَرُ
وَمِنْهُ التَّكْسُ ، وَهُوَ أَنْ يَجْهَدَ جُزْءٌ مِنَ الْكَلَامِ ثُمَّ يُؤَخَّرُ ، وَيَقَعُ
عَلَى وَجْهِهِ ، مِثْلُهَا أَنْ يَقَعَ بَيْنَ أَحَدِ طَرَفَيْ مُجْتَمَعٍ وَمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ نَحْوُ :
عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ الْعَادَاتِ . وَمِثْلُهَا أَنْ يَقَعَ بَيْنَ مُتَمَلِّقَيْنِ فَيَقْلَبَيْنِ

وَزَعَمْتُ أَنَّ لَهُ شَرِيكَاً فِي الْمَلَا وَجَعَدْتُهُ فِي فَضْلِهِ التَّوْحِيدَا
قَسماً لَوْ أَنِّي خَالِفٌ بِمَوَاسِيهَا لِغَرِيمِ دِينِي مَا أَرَادَ مَزِيدَا
ولا بأس أن يسمى هذا إيهام الاستطراد (أن يزواج) أى يحصل
معنيان واضعان في الشرط والجواب ، مزدوجين في أن يرتب على كل منهما
معنى مرتبط على الآخر (كقوله) أى قول البحتري ، فقد زواج بين نهى الناهي
وإصاغت للواشي ، الواقعين في الشرط والجواب في أن ترتب عليهما لجاج نهى ،
ومن المزاوجة قول البحتري أيضاً :

إِذَا اخْتَرَبْتَ يَوْماً فَقَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرْتَ الْقَرْبَى فَقَاضَتْ دُمُوعُهَا
فزواج بين الاحتراب وتذكر القربي الواقعين في الشرط والجواب في ترتب
فيضان شيء عليهما (ومنه العكس) قالوا وهو أن تقدم في الكلام جزأ ثم
نعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت وهذا أوضح مما قاله المصنف (أضيف)

فِي بُحْلَتَيْنِ ، نَحْوُ : يُخْرِجُ الْحَمَى مِنَ اللَّيْتِ وَيُخْرِجُ اللَّيْتِ مِنَ الْحَمَى ،
وَمِنْهَا أَنْ يَقَعَ بَيْنَ لَفْظَيْنِ فِي طَرَفَيَّ بُحْلَتَيْنِ ، نَحْوُ : لَا مَنْ حِلَّ لَهُمْ
وَلَا مَنْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ • وَمِنْهُ الرُّجُوعُ ، وَهُوَ التَّوَدُّ إِلَى الْكَلَامِ السَّابِقِ
بِالنَّفْسِ لِنُكْتَةٍ ، كَقَوْلِهِ :

قِفْ بِالْبَيَارِ الَّتِي لَمْ يَفْعَلْ الْقِدْمُ عَلَى وَغَيْرِهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِّيمُ
وَمِنْهُ اِتِّوَرِيه ، وَيُسَمَّى الْإِيهَامُ أَيْضًا : وَهُوَ : أَنْ يُطْلَقَ لَفْظٌ لَهُ

أَيُّ ذَلِكَ الطَّرَفِ (نَحْوُ يُخْرِجُ الْحَمَى مِنَ اللَّيْتِ) مِثْلَهُ قَوْلُ الْحَاسِي :

فَرَدَّ شُورَةً الشُّودَ بِيضًا وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُودًا

(نَحْوُ لَا مَنْ حِلَّ لَهُمْ) مِثْلَهُ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ :

فَلَا تَجِدُ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ تَجَدُّهُ

وقول الآخر :

إِنْ الْيَسَّالِي لِلْأَنَامِ مَنَاهِلَ قَطَوِي وَتَنَشَّرَ دُونَهَا الْأَعْمَارُ
فَقِصَارُهُنَّ مَعَ الْهُمُومِ طَوِيلَةٌ وَطَوَالُهُنَّ مَعَ الشُّرُورِ قِصَارُ

(قِفْ بِالْبَيَارِ) مَوْزَعِيرٌ بِنِ أَبِي سُلَيْسٍ : الْأَرْوَاحُ : الرِّيحُ ، وَالْدِّيمُ
جَمْعُ دِيمَةٍ : وَهِيَ الْمَطَرُ الْهَائِمُ فِي سَكُونٍ . فَقَدْ دَلَّ صَدْرُ الْبَيْتِ عَلَى أَنَّ قَطَاوِلَ
الرِّيحِ وَقَتَادِمَ الْمَطَرِ يَفِي الْبَيَارَ ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ وَقَضَى بِأَنَّهُ قَدْ غَيَّرَهَا الرِّيحُ
وَالْأَمْطَارُ لِنُكْتَةٍ ، وَهِيَ إِظْهَارُ الْكَاتِبَةِ وَالْحَزَنُ وَالْحَيَرَةُ وَالْهَمَّةُ ، حَتَّى كَأَنَّهُ
أَخْبَرَ أَوَّلًا بِمَا لَمْ يَتَقَعُ ، ثُمَّ تَلَبَّأَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ فَتَدَارَكَ كَلَامَهُ ، فَقَالَ بَلَى ، وَغَيَّرَهَا
الْأَرْوَاحُ وَالْدِّيمُ ، وَمِثْلُ هَذَا بَيْتُ الْحَاسِي :

مَعْتَمِدَانِ قَرِيبٌ وَبَعِيدٌ وَيُرَادُ الْبَعِيدُ ، وَهِيَ ضَرْبَانِ : مُجَرَّدَةٌ ، وَهِيَ الَّتِي لَا تُجَامِعُ شَيْئًا مِمَّا يَلْتَمُ الْقَرِيبُ ، نَحْوُ : الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ، وَمُرُشَّةٌ نَحْوُ : وَالسَّمَاءُ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ . وَمِنْهُ الْإِسْتِغْدَامُ : وَهُوَ أَنْ يُرَادَ بِقَلْبِهَا مَعْنَيَانِ : أَحَدُهُمَا نَحْنُ يُرَادُ بِصَمِيرِهِ الْآخَرُ ، أَوْ يُرَادُ بِأَحَدِ صَمِيرَيْهِ أَحَدُهُمَا نَحْنُ يُرَادُ بِالْآخِرِ الْآخَرُ ، فَالْأَوَّلُ كَقَوْلِهِ :

أَلَيْسَ قَلِيلًا نَفَرَةً إِنْ نَظَرْتَهَا إِلَيْكَ وَكَلَّا لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلٌ
وقول الآخر :

قَافٍ لِهَذَا الدَّهْرِ لَا بَالَ لِأَهْلِهِ

(نحو الرحمن على العرش استوى) فإنه أريد باستوى معناه البعيد ، وهو استوى ولم يقترن به شيء مما يلائم القريب الذي هو الاستقرار (ومرشحة) وهي التي قربت بها ما يلائم القريب المورى به عن البعيد (نحو والسما ببنيناها بأيد) فإن المراد بالأيدى المعنى البعيد وهو القدرة ، وقد قرن بها ما يلائم القريب الذي هو الجسارة المخصوصة وهو قوله ببنيناها ، وهذا والذي ذكره صاحب الكشف في قوله تعالى : الرحمن على العرش استوى إنه تمثيل لأنه لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يرادف الملك جعلوه كناية عن الملك ، ولما امتنع معنا المعنى الحقيقي صار مجازاً كقوله : وقالت اليهود يد الله مغلولة ، أى هو مجلول ، بل يدها ميسوطان أى جواد من غير تصور يد لا غل ولا سط ، والفسير بالنعمة والمحلل للتشبيه ، من ضيق

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضٍ قَوْمٌ * رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِصَابًا
وَالثَّانِي كَقَوْلِهِ :

فَسَقَى النَّعْصَى وَالسَّاكِنِيهِ وَإِنْ هُمْ * شَبَّوْهُ بَيْنَ جَوَانِحِي وَضُلُوبِي
وَمِنَّةُ اللَّفِّ وَالشَّيْخِ : وَهُوَ ذِكْرُ مُتَعَدِّدٍ عَلَى التَّفْصِيلِ ، أَوْ الْإِجْمَالِ ،
ثُمَّ مَا لِكُلِّ وَاحِدٍ ، مِنْ غَيْرِ تَمَيُّينٍ ، يَفْهَمُ أَنَّ السَّامِعَ يَرُدُّهُ إِلَيْهِ ،

لعلمن والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام ، وكذلك قوله حل شأنه :
والسقاء بفيناها بأبد ، تمثيل وتصور لعظمته من غير ذهاب بالأيدي إلى جهة
حقيقة أو مجاز (١) ، وقد شدد التكثير على تفسير اليد بالنعمة والأيدي
بالقدرة والاستواء بالاستيلاء ، وقد ذكر الشيخ في دلائل الإيجاز ما يؤيد ذلك ،
وشنع على من يذهب هذه المذاهب من المفسرين أكبر تشنيع ، حتى لقد
قال : ومن عادة قوم من يتعاطى التفسير بغير علم أن توهوا أبدأ في الانقضاء
الموضوعة على المجاز والتمثيل أنها على ظواهرها ، فيفسدوا المعنى بذلك ويطلقوا
الفرض ، ويمنعوا أنفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة ، وبمكان
الشرف ، وناهيك بهم إذا هم أخذوا في ذكر الوجوه وجاهلوا يكثرون
في غير طائل هناك ترى ما شئت من باب جهل قد فتحوه ، وزند ضلالة قد
قدحوا به ، نسأل الله تعالى العصمة والتوفيق (كقوله إذا زل) فإنه أراد
بالسقاء التثيت ، وبضميرها التثيت ، والبيت قيل لجرير ، وقيل لمؤد الحكام
(كقوله فسقا النضا) فإنه أراد بضمير النضا في قوله والساكنية المكان ،
وفي قوله شبوه : أى أوقدوا النحر ، والبيت للمعترى من قصيدة بائنة وحقيقته :
فسقى النضا والساكنية وإن هم شبوه - بين جوانح وقلوب

(١) يعنى المجاز المرسل ، وإلا فهو مجاز بالاستعارة لأنه تمثيل كما قال .

قَالَ أَوَّلُ ضَرْبَيْنِ : لِأَنَّ النَّشْرَ إِنَّمَا عَلَى تَرْتِيبِ أَلْفٍ نَحْوُ : وَمِنْ رَحْمَتِهِ
جَعَلَ لَكُمْ الْبَيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ، وَإِنَّمَا عَلَى غَيْرِ
تَرْتِيبِهِ ، كَقَوْلِهِ :

كَيْفَ أَسْلَوْا وَأَنْتَ حِفْتُ وَغَضَنْتَ وَغَزَا لَ لَحْطًا وَقَدَّا وَرِدَقَا
وَالثَّانِي نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا

(نحو ومن رحمة) مثله قول ابن حيوس :

فِيْلُ لِلْدَّامِ وَلَوْ نَهَا وَمَذَاهِبًا فِي مُقَلَّتِهِ وَوَجَنَّتِيهِ وَرَبِيهِ
وقول ابن الرومي :

أَرَأَوْكُمْ وَوُجُوهَكُمْ وَسُيُوفَكُمْ فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَوْنَ بُحُومُ
فِيهَا مَتَالِمٌ لِلْهَدَى وَمَصَابِيحُ تَجَلُّو الدَّجَى وَالْأَخْرِيَاتُ رُجُومُ

(كَقَوْلِهِ) أَيْ قَوْلِ ابْنِ حَيُوسَ . وَالْحَقْفُ : الرَّمْلُ الْعَظِيمُ الْمُسْتَدِيرُ يَشْبَهُ
بِهِ الْكَمَلُ فِي الْعَظَمِ وَالِاسْتِدَارَةُ : فَالْحَقْفُ الْغَزَالُ ، وَالْقَدُّ : الْقَضْنُ ، وَالرِدْفُ :
الْحَقْفُ . وَهَذَا ، وَهَذَا نَبْعٌ آخَرُ مِنَ الْكَلِمِ الْعَلِيفِ الْمُسْلَكِ ، وَهُوَ أَنْ يَذَكَرَ
مُتَعَدِّدٌ عَلَى التَّفْصِيلِ ثُمَّ يَذَكَرُ مَا الْكُلُّ وَيُؤْتَى بِهِ بِذِكْرِ ذَلِكَ الْمُتَعَدِّدِ عَلَى الْإِجْمَالِ
مِثْلَهُ ظَا أَوْ مُقَدَّرًا فَيَمُجُّ الْفَتْرَ بَيْنَ لَفْظَيْنِ أَحَدُهُمَا مُفَصَّلٌ وَالْآخَرُ مُجْمَلٌ ، وَعَلَى
هَذَا جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى : فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ
فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يَرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا
اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ : التَّعْمَلُ الْمَطْلُ
مَحْذُوفٌ مَدْلُولٌ عَلَيْهِ بِمَا سَبَقَ تَقْدِيرُهُ : وَلِتُكْلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا

أَوْ نَصَارَى، أَيْ قَالَتِ الْيَهُودُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا، وَقَالَتِ
النَّصَارَى لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ نَصَارَى، فَلَمْ يَلِدْهُمُ الْإِلَهَاسِي .
لِلْعِلْمِ بِتَضَلُّلِ كُلِّ قَرِينٍ صَاحِبِهِ . وَمِنْهُ الْجَمْعُ : وَهُوَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ
مُتَعَدِّ فِي حُكْمٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : لِلَّاتِ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ،
وَنَحْوُ قَوْلِهِ :

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاحَ وَالْجُدَّةَ مَفْتَدَةٌ لِلرَّءِ أَيْ مَفْتَدَةٌ
وَمِنْهُ التَّفْرِيقُ : وَهُوَ إِقَاعُ تَبَاطُي بَيْنَ أُمُورٍ ، مِنْ نَوْعٍ ، فِي اللَّذَرِ
أَوْ غَيْرِهِ ، كَقَوْلِهِ :

مَا تَوَالٍ النَّمَامِ وَقَتَ رَبِّيعٍ كَتَوَالِ الْأَمِيرِ وَقَتَ سَخَاةِ

هَذَا كَمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ، شَرَحَ ذَلِكَ بِمَنْ جَعَلَ مَا ذَكَرَ مِنْ أَمْرِ الشَّاهِدِ بِصَوْمِ
النَّهْرِ ، وَأَمْرِ الْمُرْخَصِ بِمَرَاةٍ عِدَّةٍ مَا أَفْطَرَ فِيهِ ، وَمِنْ التَّرْخِيسِ فِي إِجَاحِ
النَّهْرِ ، فَقَوْلُهُ لَتَكْلُوا : عِدَّةَ الْأَسْرِ بِمَرَاةٍ الْعِدَّةِ ، وَلَتَكْبُرُوا : هَذِهِ مَا عِلْمُ مِنْ
كَيْفِيَةِ انْقِضَاءِ وَالْخُرُوجِ مِنْ عِدَّةِ النَّهْرِ ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ : عِدَّةُ التَّرْخِيسِ
وَالْتِمِيزِ ، وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ التَّحْقِيقِ لَطِيفِ الْمَسْأَلَةِ لَا يَكَادُ يَهْتَدِي إِلَى تَيِّبِهِ إِلَّا التَّغَلُّبُ
الْمُحَدَّثُ مِنْ عِلْمِ الْبَيَانِ (إِنَّ الشَّبَابَ) هُوَ لِأَيِّ الْعَنَافَةِ ، وَالْجُدَّةُ : الْاسْتِنَاءُ
(مَا تَوَالٍ النَّمَامِ) هُوَ لِرَشِيدِ الدِّينِ الْوُطُوطِ . وَبَدْرَةُ الْعَيْنِ : جَعَلَ وَلَدَ الْعُنَانِ
مَلُوءًا مِنَ الدَّرَامِ . فَهَذَا أَوْقَعَ التَّبَاطُي بَيْنَ التَّوَالِيَيْنِ مَعَ أَنَّهُمَا مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ وَهُوَ
مُطْلَقُ تَوَالٍ ، وَمِنْ لَطِيفِ هَذَا النَّوْعِ قَوْلُهُ :

مَنْ تَمَسَّ جَدُّوَالَهُ بِالنَّمَامِ فَمَا انْقَصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ شَكْلَيْنِ

فَقَوْلُ الْأَمِيرِ بَذَرَهُ عَيْنٍ * وَقَوْلُ النَّصَامِ قَطْرَةُ مَاءٍ
وَمِنْهُ التَّقْسِيمُ : وَهُوَ ذِكْرُ مُتَعَدِّدٍ ، ثُمَّ إِسَافَةٌ مَا لِكُلِّ إِيَّاهُ عَلَى
التَّعْيِينِ ، كَقَوْلِهِ :

وَلَا يَقِيمُ عَلَى ضَمِّهِ يَرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْدَلَانِ عَيْزُ الْحَيِّ وَالْوَيْدُ
هَذَا عَلَى الْخُصْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمْتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْنِي لَهُ أَحَدُ
وَمِنْهُ الْجَمْعُ مَعَ التَّفْرِيقِ : وَهُوَ أَنْ يُدْخَلَ شَيْئَانِ فِي مَقْنَى وَيُفْرَقَ

أَنْتَ إِذَا جُدْتَ ضَاحِكٌ أَبَدًا * وَهُوَ إِذَا جَادَ دَامِعٌ الْقَيْنِ
(وهو ذكر متعدد) وقال السكاكي هو أن تذكر شيئاً ذا جزئين أو أكثر ،
ثم تعين إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك كقوله :

أَدِيبَانِ فِي بَلْعٍ لَا يَأْ كِلَانِ إِذَا صَحِبَا الْمَرْءَ غَيْرَ الْكَيْدِ
فَهَذَا طَوِيلٌ كَقَوْلِ الْقَنَاءِ وَهَذَا قَصِيرٌ كَقَوْلِ الْوَيْدِ
وهذا يقتضى أن يكون التقسيم أعم من الف والفر (كقوله ولا يقيم)
البيان للتلصص : الضم : الظلم ، والغير : الحار غلب على الوحى . والمناسب هنا
الاهل ، والخسف : الذل ، والرمة : قطعة من جبل ، والنج : الفخ والكسر ،
والحنى ظاهر ، فقد ذكر الغير والوند ، ثم أضاف إلى الأول الربط مع الخسف ،
وإلى الثانى الشج على التعيين . ومن جيد التقسيم قول أبي تمام :

فَمَا هُوَ إِلَّا الْوَحْيُ أَوْ حَدٌّ مَرْهَفٍ تُمِيلُ ظَبَاهُ أَخْدَعْنِي كُلَّ مَائِلٍ
فَهَذَا دَوَاهِ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ عَالِمٍ وَهَذَا دَوَاهِ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ جَاهِلٍ

بَيْنَ جِهَتَيْ الْأَدْعَالِ ، كَقَوْلِهِ :

فَوَجْهَكَ كَالنَّارِ فِي صَوْنِهَا وَقَلْبِي كَالنَّارِ فِي حَرِّهَا
وَمِنْهُ الْجَمْعُ مَعَ التَّقْسِيمِ وَهُوَ جَمْعٌ مُتَعَدِّدٌ تَحْتَ حُكْمٍ ، ثُمَّ
تَقْسِيمُهُ ، أَوِ الْمَكْسُ ، فَأَلَّوْا كَقَوْلِهِ :

حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضٍ خَرَشَتْةٍ تَشَقَّى بِهَا الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبَيْعُ
فَلَسِي مَا نَكْخُوا وَالْقَتْلُ مَا وَلَدُوا وَالنَّهْبُ مَا جَمَعُوا وَالنَّارُ مَا زَبَعُوا
وَالثَّانِي كَقَوْلِهِ :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا مَرَرُوا عَذَابُهُمْ أَوْ حَارَبُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ فَمَرُّوا

(كَقَوْلِهِ فَوَجْهَكَ) فَقَدْ شَبَّهَ وَجْهَ الْحَبِيبِ وَقَلْبَ نَفْسِهِ بِالنَّارِ ، وَلَفَرْقَ بَيْنَ
وَجْهِ الْمَشَاجِدِ وَالْبَيْتِ لِقُطُوطٍ (أَوِ الْمَكْسُ) أَيْ تَقْسِيمٌ مُتَعَدِّدٌ ، ثُمَّ جَمَعَهُ
تَحْتَ حُكْمٍ (حَتَّى أَقَامَ) الْبَيْتَانِ لِلتَّقْنِي ، وَالْأَرْبَاضُ جَمْعُ رَيْضٍ : وَهُوَ مَا حَوْلَ
الْمَدِينَةِ . وَخَرَشَتْةٌ : بَلَدٌ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَالشَّامِ فِي الْبَيْتَيْنِ ظَاهِرٌ (كَقَوْلِهِ قَوْمٌ)
الْبَيْتَانِ لِحَسَنِ بْنِ ثَابِتٍ ، وَالْبَدْعُ جَمْعُ بَدْعَةٍ : وَهِيَ الْحَدِيثُ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ الْكَلَامِ ،
وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا مَعْدَنَاتُ الْأَخْلَاقِ . فَقَدْ قَسَمَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ صَفَةَ الْمَدْحِ
لِلْمُرَادِ الْأَعْدَاءِ ، وَنَفَعَ الْأَوْلِيَاءِ ، ثُمَّ جَمَعَهُمَا فِي الْبَيْتِ الثَّانِي حَيْثُ قَالَ حَبِيبَةٌ
تلك ، وَمِنْ لُطُفِ هَذَا الضَّرْبِ قَوْلُ الْآخَرِ :

لَوْ أَنَّ مَا أَنْتُمْ فِيهِ يَذْوُ لَكُمْ ظَنَنْتُ مَا أَنَا فِيهِ دَائِمًا أَبَدًا
لَكِنْ رَأَيْتُ الْبَيَّالَ غَيْرَ تَارِكَةٍ مَاتَرَةً مِنْ حَادِثٍ أَوْ سَاءَ مُطَرِّدًا

سَجِيَّةً تَكُ مِنْهُمْ غَيْرُ مُخَدَّعَةٍ * إِنَّ الظَّالِمِينَ قَاعِلٌ شَرَّهَا الْبِدْعُ
وَمِنْهُ الْجَمْعُ مَعَ التَّفْرِيقِ وَالتَّقْسِيمِ : كَقَوْلِهِ تَعَالَى : يَوْمَ يَأْتِي لَا تَنْكَلُمُ
فَسًّا إِلَّا بِأَذْنِهِ ، فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنَادُونَ عَنِ الْغُلَىٰ لَهُمْ فِيهَا
رَقِيرٌ وَتُسْمِعُ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ
إِنَّ رَبَّكَ فَاعِلٌ لِّمَا يُرِيدُ ، وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَيُنَادُونَ عَنِ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوذٍ . وَقَدْ يُطْلَقُ التَّقْسِيمُ
عَلَىٰ أَمْرَيْنِ آخَرَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ تُذَكَّرَ أَجْوَالُ الشَّيْءِ مُصَافًا إِلَىٰ كُلِّ
مَائِلِينَ بِهِ ، كَقَوْلِهِ :

قَدْ سَكَنْتُ إِلَىٰ أُنَىٰ وَأُنْكُمْ سَنَسْتَعِدُّ خِلَافَ الْخَالَتَيْنِ عَدَا

قَوْلُهُ خِلَافَ الْخَالَتَيْنِ جَمْعُ مَا قَسَمَ لَطِيفٌ ، وَقَدْ أَزْدَادَ لُطْفًا بِحَسَنِ مَا بَنَاهُ
عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ قَدْ سَكَنْتُ إِلَىٰ أُنَىٰ وَأُنْكُمْ (كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ يَوْمَ يَأْتِي) أَمَّا الْجَمْعُ
فَعَنِ قَوْلِهِ : يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلُمُ فَسًّا إِلَّا بِأَذْنِهِ ، فَإِنْ قَوْلُهُ نَفْسٌ مُتَعَدِدَةٌ مَعْنَى ، وَأَمَّا
التَّفْرِيقُ فَعَنِ قَوْلِهِ : فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ . وَأَمَّا التَّقْسِيمُ فَعَنِ قَوْلِهِ : فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا
إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ . يَأْتِي أَيْ أَقْبَلُ سَبْحَانَهُ ، أَيْ أَسْرَهُ أَوْ يَأْتِي الْيَوْمَ أَيْ حَوْلَهُ ،
وَالزُّلْفَى : إِخْرَاجُ النَّفْسِ بَعْدَهُ . وَالتَّشْوِيقُ : رَدُّهُ يَشْدُو ، وَغَيْرُ مَجْذُوذٍ : غَيْرُ
مَقْطُوعٍ ، وَمِنْ هَذَا النَّوعِ قَوْلُ ابْنِ شَرَفٍ الْفَتِيرِ وَاقِي :

لِيَتَقَلَّبَنَّ الْحُجَّاتُ جَمْعٌ بِبَابِ فَهَذَا لَهُ فَنٌّ وَهَذَا لَهُ فَنٌّ
فَلْيَحْتَابِلِ النَّاسُ وَالنَّاسُ النَّاسُ وَالَّذِينَ النَّاسُ وَالَّذِينَ النَّاسُ

سَأَلْتُ حَتَّى بَالَقْنَا وَمَشَايَحُ كَانَتْهُمْ مِنْ طُولِ مَا التَّشَمُّوا مُرْدُ
يَقَالُ إِذَا لَأَقَوْا خِفَافٌ إِذَا دُعُوا كَثِيرٌ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٌ إِذَا عُدُّوا
وَالثَّانِي: اسْتَقْبَلَهُ أَقْسَامُ الشَّيْءِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: يَهْبُ لِيَنْ يَشَاءَ إِنَانَا

(كَقَوْلِهِ سَأَلْتُ) الْبَيْتَانِ لِلثَّانِي، وَهَاتَيْنَا: الرِّمَاحَ وَأَرَادَ بِالْمَشَايَحِ قَوْمَهُ،
وَالْأَقْسَامَ: وَضَعَ الْقَامَ عَلَى الْقَمِّ وَالْأَنْفَ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ دَابِ الْعَرَبِ، فَقَوْلُهُ
مِنْ طُولِ مَا التَّشَمُّوا: أَيْ شَدُّوا الْقَامَ حَالَةَ الْحَرْبِ، يَرِيدُ كَثِيرًا مَا شَتَرُوا
الْفُتُوحَاتِ، ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِشِدَّةِ الرِّمَاحَةِ عَلَى الْعَدَا وَالْتِمَاتِ عَلَى الْقَتْلِ، وَأَنَّهُمْ
مُسْرِعُونَ إِلَى الْإِجَابَةِ إِذَا دُعُوا إِلَى كِفَايَةِ مَهْمٍ، وَمُدَافِعَةَ خَطْبِ مَدْلُومٍ، وَأَنَّ
الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَقُومُ بِمَقَامِ جَمَاعَةٍ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَقَدْ ذَكَرَ أَحْوَالَ الْمَشَايَحِ وَأَضَافَ
إِلَى كُلِّ حَالٍ مَا يَنْبَغِيهَا وَهُوَ ظَاهِرٌ (كَقَوْلِهِ يَهْبُ لِيَنْ يَشَاءَ إِنَانَا) فَإِنَّ
الْإِنْسَانَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ أَوْ لَا يَكُونَ، فَإِنْ كَانَ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ذَكَرًا أَوْ
أُنْثَى أَوْ ذَكَرًا وَأُنْثَى، وَقَدْ اسْتَوْفَى جَمِيعَ الْأَقْسَامِ وَإِنَّمَا قَدَّمَ ذِكْرَ الْإِنَاثِ لِأَنَّ
سِيَاقَ الْكَلَامِ أَنَّهُ تَعَالَى فَعَلَّ مَا يَشَاؤُهُ لَا مَا يَشَاؤُهُ الْإِنْسَانُ، فَكَانَ ذِكْرُ الْإِنَاثِ
الْخَلْقِ مِنْ مَنْ جَعَلَ مَا لَا يَشَاؤُهُ الْإِنْسَانُ أَمُّ؛ وَلِيْلَ لِلْجِنْسِ الَّذِي كَانَتْ الْعَرَبُ
تَعُدُّهُ بَلَاءً ذَكَرَ الْبَلَاءِ، فَلَمَّا أُخِرَ الذِّكْرُ لِمَا كَانَ حَادِثًا تَأْخِيرُهُمْ وَمُحَادَّةُ التَّعْدِيمِ
بِغَيْرِهِمْ، لِأَنَّ التَّعْرِيفَ تَتَوَحُّهُ وَتَنْبَغِيهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَيَهْبُ لِيَنْ يَشَاءَ الْفَرَسَانِ
الْأَطْلَامِ الْمَذْكُورِينَ الَّذِينَ لَا يَخْشَوْنَ عَلَيْكَ، ثُمَّ أَعْطَى بَعْدَ ذَلِكَ كَلَامَ الْجِنْسَيْنِ
حَقَّهُ مِنَ التَّعْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ. وَعَرَفَ أَنَّ تَعْدِيمَهُنَّ لَمْ يَكُنْ لَتَعْدِيمِهِ وَلَكِنْ لِقَتْلِهِ
آخِرُ: وَمِنْ هَذَا الْقَرْبِ مَا حَكَى عَنْ أَعْرَابٍ وَقَفَ عَلَى حَلْقَةِ الْحَسَنِ فَقَالَ:
وَحَمْدُ اللَّهِ مِنْ تَصَدَّقَ مِنْ فَعَلٍ أَوْ أَمْرٍ مِنْ كَهَافٍ أَوْ آثَرٍ مِنْ قُوْتٍ، فَقَالَ
الْحَسَنُ: مَا تَرَكَ لِأَحَدٍ عَفْرًا، وَمَنْهُ قَوْلُ طَرِيحٍ:

وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ كُورًا أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَمْعُلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيًّا . وَمِثْلُ التَّجْرِيدِ : وَهُوَ أَنْ يُنْتَزَعَ مِنْ أَمْرِ ذِي صِفَةٍ آخَرُ مِثْلُهُ فِيهَا مُبَالَغَةٌ لِكُلِّهَا فِيهِ ، وَهُوَ أَفْسَأَمُ : مِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِمْ : مِنْ فَلَانٍ صَدِيقٍ حَسِيمٍ ، أَيْ بَلَغَ فَلَانٌ مِنَ الصَّدَاقَةِ حَدًّا صَحَّ مَعَهُ أَنْ يُسْتَخْلَصَ مِنْهُ آخَرُ مِثْلُهُ فِيهَا ، وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِمْ : لَئِنْ سَأَلْتَ فَلَانًا لَتَسْأَلَنِي بِهِ الْبَحْرَ ، وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ :

وَشَوْهَاءُ تَعْدُو بِي إِلَى صَارِحِ الْوَعْيِ * بِمُسْتَلْتِمٍ مِثْلِي الْفَنِيْقِ لِلرَّحْلِ

إِنْ يَمْلِكُوا اتَّخِذُوا يَحْيَاهُ وَإِنْ عَلُوا شَرًّا أَذَاعُوهُ وَإِنْ لَمْ يَعْلَوْا كَذَّبُوا
وقول أبي تمام في الأفسنين للأحرق :

صَلَّى لَهَا حَيًّا وَكَأَنَّ وَقُودَهَا مَيْتًا وَيَدْخُلُهَا مَعَ الْقَنْجَلِ

(نحو قولهم الخ) مما يكون حاصلًا من التجريدية (حميم) في الصحاح
حينئذ : فريك الذي تنتم لأمره (نحو قولهم الخ) مما يكون حاصلًا بالباء
التجريدية الداعية على المنتزع منه ، وهذا القول يقال في مقام المبالغة في
وصف فلان بالكرم (نحو قوله الخ) مما يكون حاصلًا بدخول الباء في
المنتزع (وشوهاء) فرس شوهاء صفة محمودة يراد بها سمة أشدّها ، وصارخ
الوعى : أي المستفيث في الحرب ، والمستلم : لابس اللأمة وهي الفرع ، والفنيق
الفعل المكرم عند أهل . والمرحل : من رحل البعير أضاعه عن مكانه وأرسه ،
فقد بالغ في اتصافه بالاستعداد للحرب ، حتى انتزع منه مستعداً آخر

وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : لَهْمُ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ، أَيْ فِي جَهَنَّمَ ، وَمِنْ دَارِ
الْخُلْدِ ؛ وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ :

فَلَيْتَ بَقِيتُ لِأَرْحَلَنَ بِغَزْوَةٍ نَحْوِي الْقَتَاثِمَ أَوْ يَمُوتَ كَرِيمٌ
وَقِيلَ تَقْدِيرُهُ أَوْ يَمُوتَ مِنِّي كَرِيمٌ ؛ وَفِيهِ نَظَرٌ ، وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ :
يَا خَيْرَ مَنْ يَرْغَبُ اللَّطِيءَ وَلَا يَشْرَبُ كَأْسًا يَكْفُ مِنْ بَخْلًا
وَمِنْهَا مَخَاطَبَةُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ ، كَقَوْلِهِ :

لَا خَيْرَ لَكَ عِنْدَكَ تَهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْمِدِ الثُّلُوحُ إِن لَمْ يُسْمِدِ الْخَلْقُ

لأبداً دعاءً (ومنها نحو قوله تعالى) عما يكون حاصلًا بدخول في على المنزخ
منه ، فإن جهنم أعادنا الله منها هي دار الخلد ، لكن انتزع منها مثلاً ، وجعل
معداً فيها الكفار تهويلاً لأمرها ومبالغة في اتصافها بالشدّة (ومنها نحو
قوله) عما يكون حاصلًا بدون توسط حرف ، وعنى بالكريم نفسه . فكأنه
انتزع من نفسه كريماً بمبالغة في كرمه ، وبالبيت لقادة بن هاشم الحنفى (وقيل
تقديره أَوْ يَمُوتَ مِنِّي كَرِيمٌ) فيكون من قبيل لي من فلان صديق حميم
فلا يكون قسماً آخر (وفيه نظر) لحصول التجريد وتعمم المعنى بدون هذا التقدير
(ومنها نحو قوله) أى قول الأعشى : فإن فيه تجريداً بطريق الكتابة حيث
انتزع من المدحوح جواداً يشرب هو الكأس بكفه على طريق الكتابة
لأنه إذا نفي عنه الشرب بكف البخل ، فقد أثبت له الشرب بكف كريم ،
ومعلوم أنه يشرب بكفه فهو ذلك الكريم (كقوله لا خيل عندك) هو
اللتنى ومثله قول الأعشى :

وَمِنْهُ الْمُبَالغةُ الْقَبُولَةُ وَالْمُبَالغةُ أَنْ يَدْعَى لِوَضْعٍ بُلُوغُهُ فِي الشَّدَّةِ
أَوْ الضَّعْفِ حَدًّا مُتَجَبِّلًا أَوْ مُتَبَدِّلًا ، لِئَلَّا يُظَنَّ أَنَّهُ غَيْرُ مُتَنَاوِلٍ فِيهِ ،

وَدَعِ هُرَيْرَةَ بْنَ الرَّكْبِ مِنْ بَحْلٍ . وَهَلْ يُطِيقُ وَدَاعًا أَثِمًا الرَّجُلُ

• هذا ، ومن لطيف التحديد قول المعري :

تَاجَتْ غَيْرُ فَهَاجَتْ مِنْكَ ذَا لَيْدٍ وَاللَّيْتُ أَفْثَكُ أَفْثَالًا مِنْ النَّيِّرِ
وقول الآخر :

إِنْ تَقَفِّي لَأَتْرَى غَيْرِي بِنَاطِرَةٍ تَنْسُ السَّلَاحَ وَتَعْرِفُ جَنَّةَ الْأَسَدِ
(المقبولة) يشير بهذا إلى الرد على من دعى أنها مردودة مطلقاً عنجاً
بأن غير الكلام ما خرج عرج الحق ، وكان على منهج الصدق ، كما قال السيد
حسان بن ثابت :

وَإِنَّا الشَّمْرُ لُبٌّ لِلرَّءِ يَمْرُضُهُ عَلَى الْجَالِسِ إِنْ كَانَ كَيْسًا وَإِنْ حَقًّا
وَإِنْ أَشْمَرَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يَقَالُ إِذَا أُنْشِدَتْهُ صَدَقَا
وعلى من دعى أنها مقولة مطلقاً ، وأن الفضل مقصور عليها ، والخاص
كلها مفسوبة إليها ، عنجاً بأن أحسن الشعر أكذبه ، وغير الكلام ما بولغ فيه ،
ولهذا استدرك النابغة على السيد حسان في قوله :

لَنَا الْجَفْنَاتُ الْفَرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّعَى وَأَشْيَافُنَا يَقَطْرُنَ مِنْ بَجْدَةٍ دَمًا

حيث استعمل جمع العلة ، يعني الجفنت والاشياف ، وقد ذكر وقت
الضخوة وهو وقت تناول الطعام ، وقال يقطرن دون يسرن أو يغضن أو نحو
ذلك (فيه) أى في الشدة أو البهت (كقولهم) أى قول امرئ القيس

وَتَنْصَحِرُ فِي التَّبْلِيغِ وَالْإِغْرَاقِ وَالْقَوْلُ ، لِأَنَّ الدَّاعِيَ إِنْ كَانَ مُنْكَرًا
عَقْلًا وَعَادَةً فَتَبْلِيغٌ ، كَقَوْلِهِ :
فَعَادَى عِدَاءَ تَيْنِ تَوْرٍ وَنَجِيَّةٍ • ذِرَاكَاءَ قَلَمٍ يَنْصَحُ بِمَا فِيهِ قَسَلٌ
وَإِنْ كَانَ مُنْكَرًا عَقْلًا لَا عَادَةً فَإِغْرَاقٌ ، كَقَوْلِهِ :

حيث وصف هذا القوس بأنه أدرك ثورا وبقرة وحسين في مظهر واحد
ولم يهرق ، وذلك غير متنع عقلا ولا عادة ... ومن الحسن في باب المبالغة
قول الخاسي :

رَهَنْتُ يَدَيَّ بِالْمَعْزِ عَنْ شُكْرِ رِيٍّ وَمَاتُوقَ شُكْرِى وَشُكُورَ مَزِيدٍ
وَلَوْ كَانَ بِيَا يُسْتَطَاعُ اسْتِطَاعَتُهُ وَلَكِنْ مَا لَا يُسْتَطَاعُ شَدِيدٌ
وقول ابن نباتة السعدي في سيف الدولة .

لَمْ يَبْقَ جُودُكَ لِي مَبْنًى أَوْ مَهْ تَرَكْتَنِي أَحَبَّ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلٍ
ومن المبالغة في البخل قول ابن الرومي :

لَوْ أَنَّ قَعْرَكَ يَابَنَ يُوصَفُ مُنْتَلِ إِذَا بَضِيقُهَا فَنَاءَ النَّزْلِ
وَأَنَّكَ يُوصَفُ بِسْتَعِيرِكَ إِزَّةً لِيَخِيطَ قَدْ قَبِيعِهِ لَمْ تَقْطَعْ
وقال أيضا :

فَقَى عَلَى خُبْرِهِ وَتَأَلَّى أَشَقُّ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدِهِ
رَغِيْفَةٌ مِنْهُ حِينَ نَسَاهُ مَكَانَ رُوحِ الطَّيْلِانِ مِنْ جَدِيدِهِ
(كَقَوْلِهِ) أَيْ قَرُوبِ الْإِيهِمِ التَّغْلِي : أَيْ أَنْ جَارَهُ لَا يَمِيلُ عَنْهُ إِلَيْهِ

وَنُكْرِمُ بَجَارَتَنَا مَا دَامَ فِيْنَا وَنُنْبِغُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ مَا لَا
وَمَا مَقْبُولَانِ ، وَإِلَّا فَنُلْوَ ، كَقَوْلِهِ :
وَأَخَذْتُ أَهْلَ الشَّرِّ حَقِّي إِنَّهُ لَتَخَافَكَ الثُّغْلُ الَّذِي لَمْ تَخْلُقْ

جهة إلا وهو يتبعه الكرامة . وهذا ممتنع عادة وإن كان غير ممتنع عقلا ، ومن
هذا النوع قول امرئ القيس :

تَنْوَرَتْهَا مِنْ أَذْرُعَاتِ وَأَهْلُهَا
يَبْتَرِبُ أَذَى دَارِهَا نَقَرًا عَالِيًا
وقول الغال :

وَلَوْ أَنَّ مَا بِي مِنْ جَوْى وَصَبَابَةٍ عَلَى جَمَلٍ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ كَافِرٌ
يريد أنه لو كان ما به من الحب يجعل لنحل حتى يدخل في سم الحيات
(كَقَوْلِهِ وَأَخَذْتُ) هو لابي نواس من قصيدة يمدح بها الرشيد ، وما يتصل
بهذا ما يمكن أن العناني الشاعر لقي أبا نواس فقال : أما استحييت من الله بهوك ،
وأخذت أهل الشرك . . . البيت ؛ فقال له أبو نواس وأنت أما استحييت من
الله بهوك :

مَا زِلْتُ فِي عَمَرَاتٍ لِلْوَتِ مَطْرَحًا بِضَيْقٍ عَنِّي وَبِشِعْ الرُّأْيِ مِنْ حَيْلٍ
فَلَمْ تَزَلْ دَائِبًا تَسْمَى بِأَطْفِكَ لِي حَتَّى اخْتَأَسَتْ حَيَاتِي مِنْ يَدَيَّ أَجَلٍ
ومن الغلو قول البحري :

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَسَكَّفَتْ فَوْقَ مَا فِي وَسْوَهِ لَسَمَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرِ
ومن هنا أخذ المتنبي قوله :

لَوْ تَمَقَّلُ الشَّجَرُ الَّذِي قَابَلَتْهَا مَدَّتْ حُجِّيَّةً إِلَيْكَ الْأَغْصَانُ

وَالْقَبُولُ مِنْهُ أَضَافَ : مِنْهَا مَا أَدْخَلَ عَلَيْهِ مَا يُقَرَّبُهُ إِلَى الصَّحَّةِ نَحْوُ :
يَكَادُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِي ، وَلَوْ لَمْ تَحْسَهُ نَارٌ ، وَمِنْهَا مَا بَقِيَ
نَوْعًا حَسَنًا مِنَ التَّخْيِيلِ ، كَقَوْلِهِ :

عَدَّتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عَفِيرًا لَوْ تَبَتَّنِي عَنَّا عَلَيْهِ لَأَمَكْنَا
وَقَدْ اجْتَمَعَ فِي قَوْلِهِ :

ومن الغلو الفث قول المتنبي :

فَتَى أَنْفُ جُرْدٍ رَأْيُهُ فِي زَمَانِهِ أَقْلُ جُرْدِي بِمَنْعَةِ الرُّأْيِ أَتَجَمُّ
ومثل هذا من الكلام مردود ، لا يشتغل بالاحتجاج عنه ، والتحسين
لأمره ، وهو بترك التداول أولى . إلا على وجه التعجب منه ، ومن قائله
(والمقبول منه) أى من الغلو (عُدَّتْ) هو للتنبي من قصيدة يمدح بها ابن
عمار وقيل :

أَفْكَتْ تَبْسِيمُ الْجِيَادِ عَوَائِسُ يَجْبُونُ بِإِلْهَاقِ الضَّاعِفِ وَأَقْنَا

السابك جمع سبك : وهو طرف الحافر ، والمثير : التراب ، والعنق : نوع
من السير . ادعى تراكم الفجار المرتفع من سنايك الخيل فوق رؤسها ، بحيث
صار أرضاً يمكن سيرها عليه ، وهذا يمتنع عقلاً وعادة ، لكنه تخييل حسن
(وقد اجتمعا) أى إدخال ما يقربه إلى الصحة ، وتضمن التخييل الحسن
(في قوله) أى في قول القاضى الأرجاني يصف الليل بالطول . يقول يخيل لى
أن الشهب محكمة بالسامير في الظلام لا تنتقل من مكانها ، وأن أجفان عينى
قد شدت بأهدابها إلى الشهب ، لطول سهرى في ذلك الليل ، وهذا تخييل

يُخَيِّلُ لِي أَنْ تَمُوتَ الشَّهْبُ فِي الدَّحَى وَشَدَّتْ بِأَهْدَابِي إِلَيْهِنَّ أَجْنَانِي
وَمِنْهَا مَا أَخْرَجَ مُخْرَجَ الْهَوَلِ وَالْغَلَاغَةِ ، كَقَوْلِهِ :
أَشْكُرُ بِالْأَمْسِ لِمَنْ عَزَمْتُ عَلَى الشَّرِّ بِ غَدَاً إِنِّي ذَا مِنْ التَّجَبُّ
وَمِنْهُ لِلذَّهَبِ الْكَلَامِي ، وَهُوَ إِزَادَةُ حُبَّةِ التَّلَوُّبِ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ
الْكَلَامِ ، نَحْوُ : لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَقَدَّتَا ، وَقَوْلِهِ :

حسن ، ولط بخيل يريده حسناً ، وهذا ، ومن المقبول في الفلوقول أبي
العلاء المروى :

يَكَادُ قَيْثُهُ مِنْ غَيْرِ رَامٍ يَمَكُنُ فِي قُلُوبِهِمُ النَّالَا
يُذِيبُ الرُّغْبَ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ قَوْلَا أَلَيْسَ بِمِثْلِكَ لَالَا
وَقَوْلِ ابْنِ عَبْدِ بَرٍّ :
يَكَادُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ إِبَابِهِ إِذَا تَدَلَّى السَّوْطُ لَوْلَا الْقَبْ
وَقَالَ الْفَرُودِيُّ :
يَكَادُ بِمِثْلِهِ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ ذَكَرَ الْخَطِيمُ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
وَقَالَ آخَرُ :

يَكَادُ يَخْرُجُ سُرْعَةً بَعْنِ ظِلِّهِ لَوْ كَانَ يَرُغَبُ فِي فِرَاقٍ رَفِيقِ

وَدَمِ أَعْرَابِيٍّ رَجُلًا قَال : يَكَادُ بِمَعْنَى لَوْ أَنَّ مِنْ تَسْمِيٍّ بِاسْمِهِ ، وَمِثْلُ هَذَا
النَّوْعِ فِي الْكَلَامِ كَثِيرٌ (أَشْكُرُ بِالْأَمْسِ) لَا يَعْلَمُ قَائِلُهُ ، وَمَعْنَاهُ ظَاهِرٌ (وَمِنْهُ
الْمَقْبُولُ الْكَلَامِي) وَأَوَّلُ مَنْ ذَكَرَهُ الْجَاهِلُ وَأَنْكَرَ وَبَرَّدَهُ فِي الْقُرْآنِ
(طَرِيقَةُ أَهْلِ الْكَلَامِ) هِيَ أَنَّ تَكُونُ الْحِجَةُ بَعْدَ تَسْلِيمِ الْمَقْدَمَاتِ مُسْتَلْزِمَةً
لِلتَّلَوُّبِ (لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَقَدَّتَا) وَالْإِلَازِمُ وَهُوَ فَسَادُ السَّمَوَاتِ

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ إِلَهٌ مَقْلَبُ
لَئِنْ كُنْتُ قَدْ بُلُغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لَمَبْلُطُكَ الْوَائِي أَعْسُ وَأَكْذَبُ
وَلَيْكُنِّي كُنْتُ امْرَأً لِي جَانِبُ مِنْ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ
مُلُوكٍ وَإِخْوَانٍ إِذَا مَا مَدَحْتُهُمْ أَحْكَمُ فِي أُمُورِهِمْ وَأَقْرَبُ
كَفَيْكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَفَيْتَهُمْ فَلَمْ تَرْفَعْ فِي مَدْحِهِمْ لَكَ أَذُنُوهَا
وَمِنْهُ حُسْنُ التَّمْلِيلِ : وَهُوَ أَنْ يُدْعَى لِوَصْفٍ عِلَّةٌ مُنَاسِبَةٌ لَهُ
بِاعْتِبَارِ لَطِيفٍ غَيْرِ حَقِيقَةٍ ، وَهُوَ أَرْبَعَةٌ أَضْرِبُ : لِأَنَّ الصَّمَّةَ إِنَّمَا ثَابِتَةٌ
فَصِدِّ بَيَانُ عِدَّتِهَا ، أَوْ غَيْرُ ثَابِتَةٍ أُرِيدَ إِثْبَاتُهَا ، وَالْأُولَى إِنَّمَا أَنْ لَا يَظْهَرَ

والأرض باطل ، لأن المراد به خروجها عن النظام الذي هما عليه فكذا
الملزوم وهو تعدد الآلة . ومثل الآية قوله تعالى أيضاً : وهو الذي يبدأ الخلق
ثم يعيده وهو أهون عليه ، أى والإعادة أهون عليه من البدء ، والأهون من
البدء أدخل في الإسكان من البدء ، فالإعادة أدخل في الإسكان من البدء
وهو المطلوب . وقوله تعالى : فلم يعذبكم بذنوبكم ، أى أنتم تعذبون ولبنون لا
يعذبون فليسهم ببين له (وقوله حلفت) الآيات التابعة للذي يأتي من قصيدة
يمتد فيها إلى الثمان بن المنذر ، وقد كان مدح آل جفنة بالشام ، فتكر الثمان
من ذلك ، والرية : الشك ، ومستراد بامتناء موضع يتردد فيه لطلب الرزق .
ومتجع : من راد الكلام فهو يقول : أنت أحسنت إلى قوم قدحوك ، وأنا
أحسن إلى قوم قدحتهم ، فكأن مدح أولئك لك لا يعد ذنباً ، فكذلك
مدحى لمن أحسن إلى لا يعد ذنباً .

لَهَا فِي الْمَادَّةِ عِلَّةٌ ، كَقَوْلِهِ :

لَمْ يَحِكْ نَائِكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا * حُمَّتْ بِهِ فَصَيَّبَهَا الرِّحَاءُ
أَوْ بَطَّحَتْ لَهَا غِلَّةٌ عِوَاذَ لَذِّ كُورَةٍ ، كَقَوْلِهِ :

مَا بِهِ قَتْلُ أَكَادِيهِ وَلَكِنْ * يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرَجُّو الذُّنَابُ
فَإِنَّ قَتْلَ الْأَعْدَاءِ فِي الْمَادَّةِ لِيَقْعِرَ مَفْرَعَتِهِمْ ، لَا لِمَا ذَكَرَهُ

(كقوله لم يحك) هو المتنبى ، والناتل : المطاء ، والرحضاء : العرق أثر الحمى :
فنزول المطر من السحاب صفة ثابته لا يظهر لها علة في المادة . وقد عله
بأنه عرق حاملا الناجمة عن عطاء المدوح . ومن هذا الضرب قول أبي تمام :
لَا تُنْكِرِي عَطْلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغَنَى فَالْسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي
علل عدم إصابة النعم الكريم بالقياس على عدم إصابة السيل المكان العالي
كالطود العظيم من جهة أن الكريم لا تصافه بعلو القدر . كالمكان العالي والغنى
لحاجة الخلق إليه كالسيل . وقول ابن نباتة في صفة فرس آدم عجل القوائم
ذى غرة :

وَأَدْهَمَ بَسْمِذُ الذَّنْلِ مِنْهُ وَتَطْلُعُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ التَّرْيَا
سَرَى خَلْفَ الصَّاحِ يَطِيرُ مَشْيَا وَيَطْلُو خَلْفَهُ الْأَفْلَاكُ طَيَا
فَلَمَّا خَافَ وَشَكَ الْقَوْتُ مِنْهُ تَشَبَّ بِالتَّوْأَمِ وَالْحَيَا
وفي معناه وهو جيد إلى النجاة :

وَكَاثِمًا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فَاقْتَصَرَ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ
(كقوله) أى قول المتن من قصيدة يمدح بها بدر بن عيار (لا لا ذكره)

وَالثَّانِيَّةُ : إِنَّمَا تُمْكِنُهُ ، كَقَوْلِهِ :

يَا وَاشْيَا حَسَنْتَ فِينَا إِنْسَانُهُ نَجَى حِذَارُكَ إِنْسَانِي مِنَ الْفُرْقِ

من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ، وعجته أن يصدق رجاء الراجين بعته على قتل أعدائه ، لما علم أنه لما غدا الحرب غدت الذئاب تتوقع أن ينزع عليها الرزق من قتلاهم ، وهذا مبالغة في وصفه بالجود ، ويتضمن المبالغة في وصفه بالشجاعة على وجه تعييل ، أى تنامى في الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات المجمع ، فإذا غدا الحرب رجعت الذئاب أن تنال من لحوم أعدائه . ومن لطيف هذا الضرب قول ابن المعتز :

فَلَوْ اشْتَكَيْتَ عَيْنَهُ قَتَلْتُ لَهُمْ مِنْ كَثَرَةِ الْقَتْلِ نَالَهَا الْوَصْبُ

تُحَرِّمُهَا مِنْ دِمَاءٍ مَنْ قَتَلَتْ وَالدَّمُ فِي النَّعْلِ شَاهِدٌ عَجَبُ

وقول الآخر :

أَتَتْنِي تَوْتُبْنِي بِالْبُكَاءِ فَأَهْلًا بِهَا وَبِتَأْنِيهَا

تَقُولُ وَفِي قَوْلِهَا حِشْمَةٌ أَتَبْكِي بِبَيْنِ تَوَانِي بِهَا

فَقَتُّ إِذَا اسْتَحَسَنْتَ غَيْرَكُمْ أَمَرْتُ الدَّمُوعَ بِتَأْدِيبِهَا

وذلك أن العادة في دمع العين أن يكون السبب فيه إعراض الحبيب أو أعراض الرقيب ، ونحو ذلك من الأسباب الموجبة للاكتئاب لا ما جله من التأديب على الإساءة باستحسان غير الحبيب (والثانية) أى الصفة النيرة الثابتة التي أريد إلبستها (كقوله) أى قول مسلم بن الوليد (حذارك) أى حذارى إياك (إنساني) أى إنسان عني (نجى إنسانه الخ) أى حيث ترك

فَلَمْ اَسْتَحْضِرْ اِنْسَانَهُ الْوَائِي مُمَكِّنٌ ، لَكِنْ لَمَّا خَافَ النَّاسُ فِيهِ
عَتَبَهُ بِأَنْ حَذَرَهُ مِنْهُ نَجَّى اِنْسَانَهُ مِنَ الْفَرَقِ فِي الدُّمُوعِ ، أَوْ غَيْرُ
مُمَكِّنَةٍ ، كَقَوْلِهِ :

لَوْ لَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الْجُوزَاءِ خِدْمَتَهُ . لَمَّا رَأَيْتَ عَلَيْهَا عِقْدُ مُنْتَقِطٍ
وَالْبَقَى بِهِ مَا يُبْنَى عَلَى الشُّكِّ ، كَقَوْلِهِ :

كَانَ السَّحَابُ الْفَرْغَ عَيْنَ تَحْتَهَا حَبِيبًا فَا تَرَقَّا لَهُنَّ مَدَامِغُ

البكاء خوفاً منه - من الواشي - (كقوله لو لم تكن) فنية الجوزاء خدمة
الممدوح صفة غير ممكنة قصد إيهاتها ، والاتطابق : شد المنطقة ، وطاق
الجوزاء : كواكب حولها ، وهذا البيت مترجم من الفارسية ومثله قول الآخر :
لَوْ لَمْ يَكُنْ أَقْصَوَانَا فَرُّ مَبِيسِمَا مَا كَانَ يَزْدَادُ طَيْبًا سَاعَةَ السَّحَرِ
(والحق به ما يبنى على الشك) ولكونه مبنياً على الشك لم يعمل من
حسن التعليل لأن فيه ادماء وإصراراً والشك ينافيه (كقوله كان السحاب)
البيت لا يتمام . والفرد : جمع الآخر . والسحاب : اسم جنس يطلق على الواحد
والجمع . ومن ثم وصفه بالجمع والمراد السحاب الماطرة : الغزيرة الماء . والضمير
في تحتها للرب في قوله قبل هذا البيت :

رُبِّي شَفَعَتْ رِيحُ الصَّبَا لِرِيَاضِهَا إِلَى اللَّزَنِ حَقٌّ جَادَهَا وَهُوَ خَائِعُ
وترقا أصله ترقا بالهمز . فقد علل على سبيل الشك نزول المطر من
السحاب بأنها غيت حبياً تحت تلك الربا . فهي تبكي عليه . وهذا البيت يشير
إلى قول محمد بن وهيب :

وَمِنَهُ التَّضَرُّعُ : وَهُوَ أَنْ يُثَبَّتَ لِمَتَّقٍ أَمْرٌ حُكْمٌ بَعْدَ اثْبَاتِهِ
لِمَتَّقٍ آخَرَ ، كَقَوْلِهِ :

أَحْلَامُكُمْ لِمَتَّقٍ الْجَهْلُ شَاقِيَةٌ * كَادِمَاؤُكُمْ تُثَنِّي مِنَ الْكَلْبِ

طَلَّانٍ طَالَ عَلَيْهَا الْأَمَدُ دَرَسًا فَلَا عِلْمَ وَلَا نَعْدَ

لَيْسَ إِلَيَّ فَكَأَنَّا وَجَدًا بَعْدَ الْأَحِيَةِ مِثْلَ مَا أَجَدَ

ونظيره قول المتنبي :

رَحَلَ الْعَزَاءُ بِرَحَلِي فَكَأَنِّي أَتَيْتُهُ الْأَنْفَاسَ لِتَشْيِيرِ ،

علة تضعيد الأنفاس في العبادة ، هي التحسر والتأسف ، لا ما جرد أن يكون إياه ، والمعنى رحل عني العزاء بارتحال منك ، أي معه أي بيدي ، فكأنه لما كان الصدر محل الصبر ، وكانت الأنفاس تصعد منه أيضاً ، صار العزاء والتنفس الصداه كأنهما تزيلان ، فلما رحل ذلك كان حثاً على هذا أن يشبه قضاء لحق الصعبة (كقوله أحلامكم) فقد أثبت لسماتهم أنها تنفي من الكلب بعد أن أثبت لأحلامهم أنها تنفي من مقام الجهل ، والبيت للكيت من قصيدة يمدح بها أمل البيت ، والكلب ما يحدث في الإنسان عيب عن الكلب ولا دواء له ، زعموا أنجح من شرب دم الملوك ، يقول : أنتم أرباب العقول الراجعة كما أنكم أشراة وملوك ، وفي طريقته قول المتنبي :

بُنَاةٌ مَسَاكِرِمٌ وَأَسَاءَةٌ كَلِمٌ دِمَائِكُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشُّفْلَةِ

هذا ومن التضرع قول الشريف الرضي :

إِذَا طَلَّ شَوْيٌ سَمَّةٌ دَلَّ أَقْبَهُ وَإِنْ فَاتَ عَيْفِيهِ رَأَى بِالْمَلِيعِ

وَمِنْهُ تَأْكِيدُ لِلدَّحِّ بِمَا يُشَبِّهُ الدَّمَ : وَهُوَ مَرَبَّانٍ : أَفْضَلُهُمَا أَنْ
يُسْتَفْتَى مِنْ حِفَّةِ دَمٍ مُتَقَيَّةٍ عَنِ الشَّيْءِ حِفَّةٌ مَدْحٌ ، يَتَقَدَّرُ دُخُولُهَا
فِيهَا ، كَقَوْلِهِ :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوفَهُمْ * بَيْنَ قُلُوبٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
أَيُّ إِنْ كَانَ قُلُوبُ السَّيْفِ عَيْبًا ، فَأَتَبَتَ شَيْئًا مِنْهُ عَلَى تَقْدِيرِ سَيُوفُهُمْ

وقول ابن المعتز :

كَلَامُهُ أَخْذَعٌ مِنْ لَحْظِهِ وَوَعْدُهُ أَكْذَبُ مِنْ طَبِيعِهِ

فينا هو يصف خدع كلامه أثبت خدع لحظه ، وبيننا هو يصف كذب
وعده أثبت كذب طبعه (ومنه تأكيد المدح بما يشبه الذم) النظر في هذه
التسمية إلى الأعم الأغلب ، وإلا فقد يكون ذلك في غير المدح والذم ويكون
من محسنات الكلام كقوله تعالى : وَلَا تَنكَحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا
مَا قَدْ سَلَفَ ، يعني إِنْ أَمَكْتُمْ أَنْ تَنكَحُوا مَا قَدْ سَلَفَ فَانكحوه فلا يحمل
لكم غيره ، وذلك غير ممكن ، والفرض المبالة في تحريره وسد الطريق إلى
إباحته وليس تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه (كقوله) أي قول النابتة الديباني ،
قُلُوبُ جَمْعُ قَلْبٍ : وَهُوَ التَّمُّ بِصِيبِ السَّيْفِ فِي حِدَةٍ (قِرَاعِ الْكَتَائِبِ) مُضَارَبَةُ
الْجِيُوشِ عِنْدَ الْقِتَالِ (فَأَتَبَتَ) أَي فَقَدَ أَثْبَتَ الشَّاعِرُ شَيْئًا مِنَ الْعَيْبِ عَلَى تَقْدِيرِ
كَوْنِ قُلُوبِ السَّيُوفِ مِنَ الْعَيْبِ وَهَذَا مُحَالٌ ، لِأَنَّهُ كِتَابَةٌ عَنْ كَالِ الشَّجَاعَةِ فَوُ
فِي الْحَقِّ تَمَازُجٌ بِالْمُحَالِ كَمَا يُقَالُ حَتَّى يَبْلُغَ الْقَارِ (١) ، وَحَتَّى يَلْجِ الْجَمَلُ فِي سَمِّ

حينئذٍ ، وهو محال ، فهو في المتن تعليل بالمحال ، والثأ كيد فيه من جهة
أنه كدعوى الشيء ببيته ، وأن الأصل في الاستثناء الاتصال ، فذكر
أدائه قبل ذكر ما بعدها يوم إخراج شيء عما قبلها ، فإذا وليها صفة
مدح جاء الثأ كيد ، والثاني أن يغيب لشيء صفة مدح ، ونعقب بأداة
استثناء ، يليها صفة مدح أخرى له ، نحو : أنا أفصح العرب بيد أي
من قريش ، وأصل الاستثناء فيه أيضاً أن يكون منقطعاً لكنه
لم يقدر متصلاً ، فلا يفيد الثأ كيد إلا من الوجه الثاني ، ولهذا كان

الخياط ، وتأ كيد المدح في هذا الضرب من وجهين : أحدهما أنه كدعوى
الشيء ببيته كأنه استدل على أنه لا عيب فيهم بأن ثبوت عيب فيهم معلق
بكون فلان السيوف عيباً وهو محال ، والثاني أن الأصل في الاستثناء الاتصال
أي كون المستثنى منه بحيث يدخل فيه المستثنى على تقدير الكوت عن
الاستثناء ، ليكون ذكر المستثنى إخراجاً له عن الحكم الثابت للمستثنى منه ،
وذلك لأن الاستثناء المنقطع مجاز على ما تقرر في أصول الفقه ، وإذا كان
الامر كذلك فإذا نطق المتكلم - إلا أو نحوها - ثم السامع قبل أن ينطق بما
بعدها أن ما يأتي بعدها يخرج عما قبلها فيكون شيء من صفة الذم ثانياً ، فإذا
ولها صفة مدح جاء التوكيد لكونه مدحاً على مدح ، وإن كان فيه شيء من
السر ونوع من الخلافة (بيد) بيد هنا بمعنى غير وهو أداة استثناء (وأصل
الاستثناء فيه) يقول أصل الاستثناء في هذا الضرب أن يكون منقطعاً كما كان الاستثناء
في الضرب الأول منقطع لعدم دخول المستثنى في المستثنى منه ، وهذا لا ينافي
أن الأصل في مطلق الاستثناء هو الاتصال (لكنه لم يقدر متصلاً) بل بقى

الْأَوَّلُ أَفْضَلُ ، وَمِنْهُ قَرِيبُ آخَرُ ، نَحْوُ : وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا ، وَالْإِسْتِذْرَاكُ فِي هَذَا الْبَابِ كَالِاسْتِثْنَاءِ ، كَافِي قَوْلُهُ : هُوَ الْبَدْرُ إِلَّا أَنَّهُ الْبَحْرُ زَاخِرًا * سَوَى أَنَّهُ الضَّرْعَامُ لَكِنَّهُ الْوَيْلُ وَمِنْهُ تَأْكِيدُ الْقَدَمِ بِمَا يُشَبِّهُهُ لِلدَّحْ : وَهُوَ قَرِيبَانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يُسْتَفْتَى مِنْ صِفَةٍ مَدْحٍ مُنْفِيَةٍ عَنِ الثَّنَى صِفَةً ذَمٍّ ، بِتَقْدِيرِ دُخُولِهَا فِيهَا ، كَقَوْلِهِ : فَلَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ إِلَّا أَنَّهُ يُبْقِي إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَثَانِيهِمَا أَنْ يُثَبَّتَ الثَّنَى صِفَةً ذَمٍّ ، وَتُعَقَّبَ بِأَدَاةِ اسْتِثْنَاءٍ ، تَلْبِهَا صِفَةً ذَمٍّ أُخْرَى لَهُ ، كَقَوْلِكَ : فَلَنْ فَلَيْقَ إِلَّا أَنَّهُ جَاهِلٌ ، وَتَحْقِيقُهَا عَلَى قِيَاسٍ مَا مَرَّ

على حاله من الانقطاع ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي هَذَا الضَرْبِ صِفَةٌ ذَمٍّ مُنْفِيَةٍ عَامَةً يُمْكِنُ تَقْدِيرُ دُخُولِ صِفَةِ الْمَدْحِ فِيهَا (فَلَا يَغِيدُ التَّأْكِيدُ إِلَّا مِنَ الْوَجْهِ الثَّانِي) وَهُوَ أَنَّ الْأَصْلَ مَطْلُوقُ الْإِسْتِثْنَاءِ الْإِصْطِقَالُ ، فَذَكَرَ أَدَاتَهُ قَبْلَ ذِكْرِ الْمُسْتَفْتَى بِرُجْمِ إِخْرَاجِ شَيْءٍ مِمَّا قَبْلُهَا مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ ، فَإِذَا ذَكَرَ بَعْدَ الْأَدَاةِ صِفَةً مَدْحٍ أُخْرَى جَاءَ التَّأْكِيدُ وَلَا يَأْتِي فِيهِ التَّأْكِيدُ مِنَ الْوَجْهِ الْأَوَّلِ أَعْنَى دَعْوَى الثَّنَى بِنَيْتَةٍ لِأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى التَّنْطِيقِ بِالْمَحَالِّ الْمُنْفَى عَلَى تَقْدِيرِ الْإِسْتِثْنَاءِ مُتَّصِلًا (وَمِنْهُ) أَيْ مِنْ تَأْكِيدِ الْمَدْحِ بِمَا يُشَبِّهُهُ الذَّمُّ (نَحْوُ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا) أَيْ وَمَا نَصِيبُ مِنَّا إِلَّا الْأَصْلُ الْمُتَنَافِئُ وَالْمُخَاخِرُ كَمَا ، وَهُوَ الْإِيمَانُ بِآيَاتِهِ (كَافِي قَوْلُهُ هُوَ الْبَدْرُ) فَلَا وَلا نَ فِيهِ اسْتِثْنَاءٌ أَنْ مِثْلَ : يَبْدَأُ أَيْ مِنْ قَرَشٍ ، وَقَوْلُهُ لَكِنَّهُ الْوَيْلُ ، اسْتِذْرَاكٌ يَغِيدُ مِنَ التَّأْكِيدِ مَا يَغِيدُهُ هَذَا الضَرْبُ مِنَ الْإِسْتِثْنَاءِ ، لِأَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ وَإِلَّا فِيهِ بَعْضٌ لَكِنْ ، وَابْتِغَاءُ لِبَدِيعِ الزَّمَانِ الِهْمْدَانِي يَدْحُ بِهِ خَلْفُ بْنُ أَحَدِ السَّجِسْتَانِي

وَمِنْهُ الْإِسْتِنْبَاحُ : وَهُوَ اللَّذْخُ بِشَيْءٍ عَلَى وَجْهِ يَسْتَتِيعُ اللَّذْخَ بِشَيْءٍ
آخَرَ ، كَقَوْلِهِ :

نَهَبْتَ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ لَهَبْتِ الدُّنْيَا بِأَنْتَ خَسَائِدُ
مَدَحُهُ بِالْهَابَةِ فِي الشَّجَاعَةِ عَلَى وَجْهِ اسْتِنْبَاحِ مَدَحُهُ بِكَوْنِهِ سَبَبًا لِصَلَاحِ
الدُّنْيَا وَنِظَامِهَا ، وَفِيهِ أَنَّهُ نَهَبَ الْأَعْمَارَ دُونَ الْأَمْوَالِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ظَالِمًا
فِي قَتْلِهِمْ . وَمِنْهُ الْإِدْمَاجُ : وَهُوَ أَنْ يُصَمَّنَ كَلَامٌ سَبَقَ لِمَعْنَى مَعْنَى آخَرَ

(نهبت من الأعمار) هو للثني (مدحه الهابة في الشجاعة) إذ كثر
قتله بحيث لو وُثِرَ أعمارهم لخلد في الدنيا (على وجه استنباح مدحه بكونه
سبباً لصلاح الدنيا) حيث جعل الدنيا مهنة بخلوده ، ولا معنى لتهنئة أحد
بشيء لا فائدة له فيه ولا ثمرة يجنيها منه (وفيه) يقول إن في البيت وجهين
آخرين من المدح ذكرهما علي بن عيسى الربعي ، فأولهما أنه نهب الأعمار دون
الأموال وهذا مما يشف عن علو الهمة ، وثانيهما أنه لم يكن ظالماً في قتل أحد
من مقتوليه لأنه لم يقصد بذلك لإصلاح الدنيا وأهلها ، فهم مسؤولون ببقائه
(ومنه الإدماج) يقال أدمج الشيء في الثوب : إذا لعه فيه (وهو أن يضمن
كلام سبق لمعنى معنى آخر) فهذا المعنى الثاني يجب ألا يكون مصرحاً به
ولا يكون في الكلام إشعار بأنه مسوق لأجله ، فن قال في قول الشاعر يعني
بعض الوزراء لا استوزو :

أَبَى دَهْرُنَا إِسْقَافَنَا فِي قُوسِنَا وَأَسْتَفَنَّا فِيمَنْ نَحِبُّ وَنُكْرِمُ
صَلَّتْ لَهُ نُصْلَكَ فِيمَنْ أُمِّمْنَا وَدَعَّ أَمْرَنَا إِنَّ لِلْهَيْمِ الْقُدَمُ

فَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الْإِسْتَبَاحِ ، كَقَوْلِهِ :

أَقْلَبُ فِيهِ أَجَنَانِي كَأَنِّي * أَعْدِيًّا عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا
فَإِنَّهُ صَمِنَ وَصَفَ اللَّيْلِ بِالطُّولِ ، الشَّكَايَةَ مِنَ الدَّهْرِ . وَمِنْهُ مَنْ
قَالَ لِأَعْوَرَ : * لَيْتَ عَيْنَيْهِ سَوَاءٌ *

لأنه أدمج شكوى الزمان ، وما هو عليه من اختلال الأحوال ، في التهنئة
لقدسها ، لأن الشكاية مصرح بها فكيف تكون مدحاً ولو جعل التهنئة مدحاً
لكان أقرب (فهو أعم من الاستباحت) لضمومه المدح وغيره ، واختصاص
الاستباحت بالمدح (كقوله) أى قول أبي الطيب يصف طول الليل عليه ،
ومثله قول ابن المعتز في الخمرى :

قَدْ نَعَضَ الْمَاشِقُونَ مَا صَنَعَ الْهَجْرُ بِأَلْوَانِهِمْ عَلَى وَرَقِهِ
فَإِنَّ الْفَرَسَ وَصَفَ الْخَمْرَ بِالصَّفْرَةِ ، فَأَدْمَجَ النَزْلَ فِي الْوَصْفِ ، وَكَذَلِكَ
قَوْلُ ابْنِ نَبَاتَةَ :

وَلَا بَدْلِي مِنْ جَهَنَّمَ فِي وَصَالِهِ * فَمَنْ لِي يَنْزِلَ أَوْدُغَ الْحِلْمِ عِنْدَهُ
فإنه ضمن النزل الصخر بكونه حليماً المكى عنه بالاستفهام عن وجود
خل صالح ، لأن يودعه حله ، وضمن الصخر بذلك بإخراج الاستفهام مخرج
الإنكار شكوى الزمان لتغير الإخوان حتى لم يبق فهم من يصلح لهذا الشأن ،
ونبه بذلك على أنه لم يزم على مفارقة حله جملة أبداً ، ولكن إذا كان سريراً
لوصول هذا المحبوب المستلزم للجهل المتأني للحلم . عزم على أنه إن وجد من
يصلح لأن يودعه حله أودعه إياه ، فإن الودائع تستلزم (كقول من قال
لأعور ليت عينيه سواء) فإنه لا يحتمل تمني أن يصير العين الموراء صحيحة

السكاكي : وَمِنْهُ مُتَشَابِهَاتُ الْقُرْآنِ بِاخْتِيَارٍ . وَمِنْهُ الْمَزَلُ الَّذِي

يُرَادُّ بِهِ الْجِدُّ ، كَقَوْلِهِ :

إِذَا مَا نَمِيحِي أَنَاكَ مُفَاخِرًا • صَاغَ عَدُوٌّ ذَا كَيْفٍ أَكْثَرَ لِلْغَيْبِ

وَمِنْهُ تَحَاوُلُ الْكِرْفِ : وَهُوَ كَمَا سَمَّاهُ السَّكَاكِيُّ سَوَقُ الْمَسْلُومِ .

فيكون مدحاً أو بالعكس فيكون ذمّاً . والقائل هو بشار بن برد قاله في خياط
أعور يسمى عمرو وصدوره :

« خَاطَ لِي عَمْرُو قَبَاءً »

(قال) السكاكي : والمتشابهات من القرآن مدخل في هذا النوع ، يعني
التوجيه ، باعتبار وهو احتمالها الوجهين المختلفين . أي وفارقه باعتبار آخر
وهو عدم استواء الاحتمالين لأن أحد المعنيين في المتشابهات قريب والآخر
بعيد لما ذكره السكاكي نفسه من أن أكثر متشابهات القرآن من قبيل التورية
والإيهام . ويجوز أن يكون وجه المفارقة هو أن المعنيين في المتشابهات لا يجب
تضادهما ، إذ يجوز اجتماعهما كالقدرة واليد بمعنى الجارحة ، بخلاف التوجيه
فإنه يجب فيه تضاد المعنيين . (ومنه المزل الذي يراد به الجمد) وترجمته تقني عن
تضيره ، ومن أمثله قول امرئ القيس :

وَقَدْ عَلِمْتُ نَفْسِي وَإِنْ كَانَ مَعَهَا • بَأْسَ الْعَقَى يَهْدِي وَلَيْسَ بِفَعَالٍ

فهو الفتح لهذا الباب (كقوله) أي قول أبي نواس ، فإنه أوردته على
سبيل المزل ، والمراد به الجمد . قالوا لأن مجازاً كانت تكثر أكل الضب

مَسَكَ غَيْرِهِ لِسْكَنَةٍ ، كَالْتَوْبِيخِ فِي قَوْلِ الْحَارِجِيَّةِ :
 أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ
 وَلِلْبَالِقَةِ فِي الْمَذْحِ ، كَقَوْلِهِ :
 أَلَمْ يَرْقُ سَرَى أَمْ صَوَّهْ مِصْبَاحَ أَمْ ابْتَسَاثَهَا بِالْمَنْظَرِ الصَّاحِي
 أَوْ فِي الذَّمِّ كَقَوْلِهِ :

وَمَا أَذْرِي وَسَوْفَ إِخَالَ أَذْرِي أَقَوْمُ آلِ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ
 وَالتَّدْلِيلُ فِي الْمُبِّ فِي قَوْلِهِ :
 يَا ظَلِيَّاتِ الْقَاعِ فَلَنْ لَنَا لَيْلَايَ مِنْكُنْ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ
 وَمِنْهُ الْقَوْلُ بِالْمُوجِبِ ، وَهُوَ صَرَبَانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ تَقَعَ صِفَةٌ
 فِي كَلَامِ الْغَيْرِ كِتَابَةً عَنْ شَيْءٍ أَثْبِتَ لَهُ حُكْمَ فَتَنَّتِهَا لِغَيْرِهِ مِنْ

وتعبر به (في قول الحارجية) هي ليلي بنت طريف ، ترقى أعمامها حين قتل
 وبعد البيت :

فَقَى لَا يُرِيدُ الْإِمْرَ إِلَّا مِنَ الثَّقَى وَلَا الرُّزْقَ إِلَّا مِنْ قَنَاءٍ وَسُيُوفِ
 (الخابور) نهر من ديار بكر نبت على حافته أشجار (المص برق) هو
 البحرى ، والمنظر أراد به الوجه ، والضحى : الفاهر المشرق (وما أدرى)
 هو لاهير (ياطليات) هو الحسين بن عبد الله الغريب ، ومثله قول
 ذى الرمة :

أَيَا ظَلِيَّةَ الْوَعْدَةِ مِنْ جَلَّالٍ وَبَيْنَ النِّقَا آتَتْ أَمْ أَمْ نَامٍ

غَيْرِ تَعْرِضٍ لِثُبُوتِهِ ، أَوْ تَقْيِيدِ عَنْهُ ، نَحْوُ : يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ
لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَهَا الْأَذَلَّ وَفِي الْبِرَّةِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ، وَالثَّانِي
سَحَابُ لَفْظٍ وَقَعَ فِي كَلَامِ الْفَقِيرِ عَلَى خِلَافِ مُرَادِهِ بِمَا يَحْتَمِلُهُ بِذِكْرِ
مُسْتَقْبَلِهِ ، كَقَوْلِهِ :

قُلْتُ ثَقُلْتُ إِذْ أَتَيْتُ مِرَارًا * قَالَ ثَقُلْتُ كَأَهْلِي بِالْأَبَادِي
وَمِنْهُ الْإِطْرَادُ : وَهُوَ أَنْ تَأْتِيَ بِاسْمَاءِ الْمَذُوحِ أَوْ غَيْرِهِ وَآبَاءِهِ عَلَى

وَالْقَاع : هُوَ الْمُسْتَوْدُ مِنَ الْأَرْضِ (القول بالموجب) ويسمى أسلوب
الحكيم (نحو يقولون) فإنهم كانوا بالأعز عن فريقهم ، وبالأذل عن فريق
المؤمنين ، وأثبتوا للأعز الإخراج ، فأثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة
له ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج للوصوفين بصفة
العزة ولا لنتفيهم عنهم (كقوله قلت ثقلت) فلفظ ثقلت وقع في كلام الفقير
بمعنى حملتك المؤنة ، وثقلتك بالإتيان مرة بعد أخرى ، وقد حمله على تثقيل
حامله بالأبدي والمأن وبعد البيت :

قُلْتُ طَوَّلْتُ قُلْ لَا بَلْ تَطَوَّلْتُ وَأُبْرَمْتُ قَالَ خُتِلَ وَدَادَى
أى طولت الإقامة والإتيان ، وأبرمت: أى أملت ، وأبرم أيضاً : أحكم ،
والتطول : الإنعام ، فقوله أبرمت أيضاً من هذا القليل ، ومن هذا الباب قول
القاضي الأرجاني :

غَالِبَتْنِي إِذْ كُنْتُ جُنْبِي الْمَا كُنُوزُهُ حَرَّتْ مِنَ الْخَمْرِ الْيُظْلَمَا
نَمْ قَالَتْ أَنْتَ عِدِّي وَفُتْوَى مِثْلُ عَيْنِي صَدَقَتْ لَكِنْ سَقَامَا
(ومنه الاطراد) لأن تلك الأسماء في محذورها كالأسماء الجارية في اطراده

ترتيب الولادة من غير تكلف ، كقوله :

إِنْ يَمُوتُوكَ قَدْ تَلَّتْ عُرُوشَهُمْ * بِمُتَيْبَةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شَيْلَبٍ
 وَأَنَا الْفُظِيُّ * فِنَّهُ الْجِنْسُ بَيْنَ الْفُظِيِّ ، وَهُوَ تَشَابُهَا فِي الْفُظِ ،
 وَالتَّامُّ كَمَنْهُ أَنْ يَتَّفَقَا فِي أَنْوَاعِ الْحُرُوفِ وَأَعْدَادِهَا وَهَيَاتِهَا وَتَرْتِيبِهَا ، فَإِنْ
 كَانَ مِنْ نَوْعٍ ، بِدِ كَاتَمَيْنِ سُمِّيَ ثَمَانِيًّا ، نَحْوُ : وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ
 لِلْجَرْمُونِ مَا لَيْشُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ نَوْعَيْنِ سُمِّيَ مُسْتَوْقٍ ، كَقَوْلِهِ :
 مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ * يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

وسهولة انجاهه (أن يقتلوك) أى إن تبجحوا بقتلك وفرحوا به ، فقد
 أثرت في عزم وهدمت أساس مجدهم بقتل رئيسهم . هذا آخر المحسنات المعنوية
 وقد أخذ المصنف في بيان المحسنات اللفظية وذكر منها في هذا الكتاب سبعة
 أنواع : (أن يتفقا في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها) فخرج نحو
 يفرح ويمرح ، ونحو الساق والملاق ، ونحو البرد والبرد ، ونحو الفتح والخف
 (نحو ويوم تقوم الساعة) ومثل قول أبي تمام :

إِذَا اتَّخِلْتُ جَابَتْ قَسَطُ الْحَرْبِ صَدُّعُوا صُدُورَ الْقَوَالِي فِي صُدُورِ الْكِتَابِ

وقول الشاعر :

حَذَقُ الْآجَلِ آجَلًا وَالتَّوْهِىَ لِمَرَّةٍ قَتَالَ

الأول جمع أجل بالكسر : وهو الفطيع من بقر الوحش ، والثاني جمع
 أجل : والمراد به انتهى الأعمار (مامات) هو لابي تمام :

وَأَيْضًا إِنْ كَانَ أَحَدُ لَفْظَيْهِ مُرَكَّبًا سُمِّيَ جِنَاسَ التَّرْكِيبِ ، فَلِإِنْ
اتَّفَقَا فِي اتِّخَاذِ خُصٍّ بِاسْمِ التَّشَابُهِ ، كَقَوْلِهِ :

إِذَا مَلَكَتُمْ يُسْكُنُ ذَاهِبَةً • فَدَعَهُ فِدْوَلَتَهُ ذَاهِبَةً

وَالْأَخْصَرُ بِاسْمِ الْفُرُوقِ ، كَقَوْلِهِ :

كُلُّكُمْ قَدْ أَخَذَ الْجَامِ • وَلَا جَامَ لَنَا

مَا الَّذِي مَرَّ مُدِيرَ الْجَسَامِ • لَوْ جَاتَنَا

وَأَيْنِ اخْتِلَافًا فِي هَيَاتِ الْحُرُوفِ فَحَقَّ سُمِّيَ مُحَرَّفًا ، كَقَوْلِهِمْ : جِبَّةُ

الْبُرْدِ جِبَّةُ الْبُرْدِ وَنَحْوُهُ : الْجَاهِلُ إِمَامًا مُفَرِّطًا أَوْ مُفَرِّطًا ، وَالْحَرْفُ لِلشَّدَدِ

فِي حُكْمِ الْخَفْفِ ، وَكَقَوْلِهِمْ : الْبِدْعَةُ شَرَكُ الشَّرِكِ ، وَإِنْ اخْتَلَفَا فِي

(خَصَّ بِاسْمِ التَّشَابُهِ) اتِّشَابُهُ الْفُظَيْنِ فِي الْكِتَابَةِ (إِذَا مَلَكَ) هُوَ لَا فِي الْفَتْحِ

الْبَسِيِّ ، وَقَوْلُهُ لَمْ يَكُنْ ذَاهِبَةً : أَيُ صَاحِبِ هَبَةٍ وَعَطَاءٍ ، وَقَوْلُهُ فِدْوَلَتَهُ ذَاهِبَةً : أَيُ

غَيْرِ بَاقِيَةٍ (كُلُّكُمْ قَدْ أَخَذَ الْجَامِ) هُوَ لَا فِي الْفَتْحِ أَيْضًا ، وَالْجَامُ : إِذَا شَرِبَ فِيهِ الْحَمْرُ ،

وَمُدِيرُهُ : يَعْنِي بِهِ السَّاقُ ، وَقَوْلُهُ لَوْ جَاتَنَا : أَيُ عَامِلًا بِالْجِيلِ (خَصَّ بِاسْمِ

الْمُفْرَقِ) لِاتِّفَاقِ الْفُظَيْنِ فِي صُورَةِ الْكِتَابَةِ (سُمِّيَ مُحَرَّفًا) لِانْحِرَافِ هَيْئَةِ

أَحَدِ الْفُظَيْنِ عَنْ هَيْئَةِ الْآخَرِ (كَقَوْلِهِمْ جِبَةُ الْبُرْدِ الْخ) فَتَقَعُ الْإِخْتِلَافُ

بَيْنَ الْبُرْدِ وَالْبُرْدِ ، لِأَنَّ الْبَاءَ فِي الْأَوَّلِ رَجَحٌ ، وَفِي الثَّانِي فَتْحَةٌ ، وَأَمَّا الْجِبَةُ وَالْجِنَةُ

فَمِنْ التَّجْنِيسِ الْإِلَاسِيِّ لِأَنَّ الْحَرْفَ ، وَالْجِنَةَ : الرِّقَابَةَ (إِمَامًا مُفَرِّطًا أَوْ مُفَرِّطًا) كَقَوْلِهِمْ

الْبِدْعَةُ (مِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي الْمَلَاءِ الْحَمَرِيِّ :

وَالْحَسَنُ يَظْهَرُ فِيهِ بَيِّنَتَيْنِ رَوَّاقَتُهُ بَيْتٌ مِنَ الشُّعْرِ أَوْ بَيْتٌ مِنَ الشُّعْرِ

أَعْدَادِهَا سَمِيَّ نَاقِصًا ، وَذَلِكَ إِذَا بَحَرَفَ فِي الْأَوَّلِ ، مِثْلُ : وَالتَّقَتِ السَّاقُ
بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَ تَنْزِيلِ السَّاقِ ، أَوْ فِي الْوَسْطِ ، نَحْوُ : جَدَى جَهْدَى
أَوْ فِي الْآخِرِ ، كَقَوْلِهِ :

* يَمْدُونُ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمِ *

وَرُبَّمَا سَمِيَّ هَذَا مُطَرِّفًا ، وَإِلَّا بِأَكْثَرِ ، كَقَوْلِهَا :

إِنَّ الْبُكَاءَ هُوَ الشَّقَا ، مِنَ الْجَمَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ

(سَمِيَّ نَاقِصًا) لِنَقْصَانِ أَحَدِ الْقَظْمَيْنِ عَنِ الْآخِرِ (جَدَى جَهْدَى) أَيْ حَقَى
مِنَ الدُّنْيَا وَغَنَى فِيهَا إِذَا هُوَ بِاجْتِهَادِي وَسَمِيَّ (كَقَوْلِهِ يَمْدُونُ) تَامَةً :

* تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ *

وَالْبَيْتُ لِأَنِّي تَامَ ، وَقَوْلُهُ مِنْ أَيْدٍ : فَمِنْ زَائِدَةٍ عَلَى مَذْهَبِ الْأَخْفَشِ أَوْ
لِتَبْيِضِ مِثْلَهَا فِي قَوْلِهِمْ هُوَ مِنْ عَطْفِهِ وَحَرَكِ مِنْ نَشَاطِهِ . وَبِالْجَمْعِ هُوَ الْوَاقِعُ
مَوْقِعُ مَفْعُولٍ يَمْدُونُ ، وَعَوَاصٍ جَمْعُ عَاصِيَةٍ مِنْ عَصَاهُ ضَرْبُهُ بِالْعَصَى : أَيْ
السِّيفِ ، وَعَوَاصِمِ : مِنْ عَصَمَهُ حَمَلَهُ وَحَمَاهُ ، وَقَوَاضٍ جَمْعُ قَاضِيَةٍ : مِنْ فَضَى عَلَيْهِ
قَتْلَهُ ، وَقَوَاضِبِ جَمْعُ قَاضِبٍ مِنْ قَضَبِهِ جَمْعُهُ : أَيْ يَمْدُونُ لِلضَّرْبِ يَوْمَ الْحَرْبِ
أَيْدِيًا ضَارِبَاتٍ لِلْأَعْدَاءِ حَامِيَاتٍ لِلْأَوْلِيَاءِ صَافِلَاتٍ عَلَى الْإِقْرَانِ بِسُيُوفٍ
قَاتِلَةٍ قَاطِعَةٍ (وَبِمَا سَمِيَّ مُطَرِّفًا) يَعْنِي هَذَا الْقَظْمَ الَّذِي تَكُونُ فِيهِ الزِّيَادَةُ
فِي الْآخِرِ لِتَطَرُّفِ الزِّيَادَةِ فِيهِ . هَذَا ، وَوَجْهٌ حَسَنٌ أَنَّكَ تَتَوَمَّلُ قَبْلَ أَنْ يَرُدَّ
عَلَيْكَ آخِرُ الْكَلِمَةِ كَالَّذِينَ مِنْ عَوَاصِمِ أَنَّهَا هِيَ الَّتِي مَضَتْ ، وَإِنَّمَا أَتَى بِهَا
لِلتَّأَكِيدِ حَتَّى إِذَا تِمَكَّنَ آخِرُهَا فِي نَفْسِكَ وَوَعَاهُ سَمْعُكَ . انْصَرَفَ عَنْكَ ذَلِكَ

وَرُبَّمَا سُمِّيَ هَذَا مُذْبِلًا ، وَإِنْ اخْتَلَفَ فِي أَنْوَاعِهَا فَيُشْتَرَطُ أَنْ لَا يَمْتَقِعَ بِأَكْثَرِ مِنْ حَرْفٍ ، ثُمَّ الْخُرُفَانِ إِنْ كَانَا مُتَقَارِبَيْنِ سُمِّيَ مُضَارِعًا ، وَهُوَ إِمَّا فِي الْأَوَّلِ نَحْوُ : بَيْفِي وَتَيْنِ كَيْفِي لَيْلٍ دَائِسٍ وَطَرِيقُ طَائِسٍ ، أَوْ فِي الْوَسْطِ نَحْوُ : وَنَحْمُ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ، أَوْ فِي الْآخِرِ نَحْوُ : الْخَلِيلُ مَقْقُودٌ يَنْوَامِيهَا الْخَلِيلُ ، وَإِلَّا سُمِّيَ لَاحِقًا ، وَهُوَ أَيْضًا إِمَّا فِي الْأَوَّلِ ، نَحْوُ : وَيْلٌ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لَمْزَةٍ ، أَوْ فِي الْوَسْطِ ، نَحْوُ : ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَرِ الْخَفُّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ، أَوْ فِي الْآخِرِ نَحْوُ : وَإِذَا جَاءَكُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ ، وَإِنْ اخْتَلَفَ فِي تَرْتِيبِهَا سُمِّيَ تَجْنِيسَ الْقَلْبِ ، نَحْوُ : حُسَامُهُ فَتَنَحَّ الْأَوَّلِيَّانِ حَتْفٌ لِأَعْدَائِهِ ، وَيَسْمَى قَلْبَ كَلْبٍ ، وَنَحْوُ : اللَّهُمَّ

التوم . وفي ذلك حصول الفائدة بعد أن يحاطك اليباس منها قاله الشيخ الإمام (كقولها) أي الحفساء . والجوى : الحرقه (مذبلا) لأن تلك الزيادة في آخره كالذيل (سمى مضارعا) لمضارعة المابين من اللفظين لصاحبه في المخرج (نحو بيني) هذا كلام الحريري . والكن : المنزل . والدامس : الشديد الظلة . والطماس : الطموس العلامات الذي لا يهتدى فيه إلى المراد (ويل لكل همزة لمزة) الهمز : الكسر . والهمز : الطعن . والمراد الكسر من أعراض الناس والنقص منهم . وبناء فملة يدل على أن ذلك عادة منه قد ضربى بها ونحوهما العنة والضحكة (سمى تجنيس القلب) لوقوع القلب : أى عكس بعض الحروف في أحد اللفظين بالنظر للآخر (نحو حسامه) هذا تأخوذ من قول الأحنف ابن قيس :

اسْتُرَّ عَوْرَاتِنَا وَآمِنَ رَوْعَانَا ، وَيُسَى قَلْبَ بَغْنِي وَإِذَا وَقَعَ أَحَدُهُمَا فِي أَوَّلِ
الْبَيْتِ وَالْآخَرِ فِي آخِرِهِ سُمِّيَ مَقْلُوبًا مُجْتَمَعًا ، وَإِذَا وَلَّى أَحَدُ اللَّتَجَانِسَيْنِ
الْآخَرَ سُمِّيَ مُزْدَوَجًا وَمَكْرُورًا وَمُرْدَّدًا نَحْوُ : وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَا بِنْتًا بَقِيَّةً .
وَيَلْتَقِ الْبُلْغَاسِ شَيْئَانِ ، أَحَدُهُمَا أَنْ يَجْتَمَعَ الْفُطْنَانِ الْإِشْتِقَاقُ نَحْوُ : فَأَقِمَّ
وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ، وَالثَّانِي أَنْ يَحْمِصَهَا الْمُشَابَهَةُ ، وَهِيَ مَا يُشَبَّهُ الْإِشْتِقَاقَ
نَحْوُ : قَالَ إِنِّي لِمَسْلُوكٌ مِنَ الْعَالِينَ . وَمِنْهُ رَدُّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ وَهُوَ فِي

حُسَامُكَ فِيهِ لِلْأَخْبَابِ فَتَحَ وَرُئُوحَكَ فِيهِ لِلْأَعْدَاءِ حَتَفَ
(سَمِيَ مَقْلُوبًا مُجْتَمَعًا) لِأَنَّ الْفُطْنَيْنِ كَانَهُمَا جَنَاحَانِ الْبَيْتِ . وَهَذَا كَقَوْلِ
ابْنِ بَنَاتَةَ :

سَاقِي يَرْبِي قَلْبُهُ قَسْوَةً وَكُلُّ سَاقِي قَلْبُهُ قَاسٍ
(نَحْوُ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَا) وَنَحْوُ قَوْلِهِمْ مَنْ طَلَبَ وَجَدَ وَجَدَ . وَقَوْلُهُمْ مَنْ
فَرَحَ بِأَبَا وَجَلْ وَجَلْ . وَقَوْلُهُمْ الذِّيدُ بَغْنِي بَغْنِي غَمٌ . وَبَغْنِي الْغَمُّ سَمٌ (نَحْوُ فَأَقِمَّ
وَجْهَكَ) مِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : فَرُوحٌ وَزَيْحَانٌ . وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الظُّلُمُ ظُلُمَاتُ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَقَوْلُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ وَقَدْ سَتَلَ عَنْ الْبَيْدِ : أَجْمَعَ أَهْلَ الْحَرَمَيْنِ
عَلَى تَحْرِيمِهِ ، وَقَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

• فَمَا دَمَعْتُ أَنْجِدَنِي عَلَى سَاقِي تَجَدِّ •

وقول البحري :

يَسَى عَنِ الْمَجْدِ النَّبِيِّ وَلَيْسَ تَوَسَّى فِي سَوَادِ أَرْبَا لِنَيْرِ أُوَيْبٍ
(نَحْوُ قَالَ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى : وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٌ . وَقَوْلُ الْبَحْرِيِّ :

النَّثَرِ أَنْ يُجْعَلَ أَحَدُ الْفُظَيْنِ الْمَكْرُورَيْنِ أَوْ الْمُتَجَانِسَيْنِ أَوْ لِلْمُحَقِّقَيْنِ يَهْمَا فِي
أَوَّلِ الْفِقْرَةِ ، وَالْآخَرُ فِي آخِرِهَا ، نَحْوُ : وَتَحْتَسَى النَّاسُ وَاقَهُ أَحَقُّ أَنْ
تَحْتَسَاهُ ، وَنَحْوُ : سَائِلُ الشَّيْخِ يَرْجِعُ وَدَمْتُهُ سَائِلٌ ، وَنَحْوُ : اسْتَغْفِرُوا
وَبِكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا وَنَحْوُ : قَالَ ابْنُ لِمَيْلِكٍ مِنْ الْقَائِلِينَ ، وَفِي النِّظْمِ
أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا فِي آخِرِ الْبَيْتِ وَالْآخَرُ فِي صَدْرِ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ أَوْ
آخِرِهِ أَوْ صَدْرِ الثَّانِي ، كَقَوْلِهِ :

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْقَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ * وَلَيْسَ إِلَى دَائِي النَّدَى يَسْتَرِيعُ

وَإِذَا مَارِياً بِجُودِكَ هَبْتُ * صَارَ قَوْلُ الْقَدُولِ فِيهَا هَبًا ،
(وَنَهْ) أَيْ مِنَ الْفُظَى (الْمَكْرُورَيْنِ) يَعْنِي الْمُتَقَابِلَيْنِ فِي الْفُظِّ وَالْمَعْنَى
(أَوْ الْمُتَجَانِسَيْنِ) أَيْ الْمُتَشَابِهَيْنِ فِي الْفُظِّ دُونَ الْمَعْنَى (أَوْ الْمُحَقِّقَيْنِ) هُمَا
أَيْ الْمُتَجَانِسَيْنِ وَالْمُرَادُ بِهِمَا الْفُظَّانِ الْقَدَانِ يَجْمَعُهُمَا الْإِسْتِشْقَاقُ أَوْ شَبْهُ الْإِسْتِشْقَاقِ
وَقَدْ مَثَلَ الْمُصَنِّفُ لِهَذِهِ الْأَرْبَعَةِ عَلَى التَّرْتِيبِ (أَحَدُهُمَا) أَيْ أَحَدُ الْفُظَيْنِ
الْمَكْرُورَيْنِ أَوْ الْمُتَجَانِسَيْنِ أَوْ الْمُحَقِّقَيْنِ هُمَا (وَالْآخَرُ فِي صَدْرِ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ
أَوْ حُشْوِهِ أَوْ آخِرِهِ أَوْ صَدْرِ الثَّانِي) وَعَلَى هَذَا قَصُرَ الْأَقْسَامُ سِتَّةَ عَشَرَ نَاجِمَةً
عَنْ ضُرُوبِ أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : الْمَكْرُورَيْنِ وَالْمُتَجَانِسَيْنِ وَالْمُحَقِّقَيْنِ اسْتِشْقَاقًا وَالْمُحَقِّقَيْنِ
بِقَبْضِ الْإِسْتِشْقَاقِ فِي أَرْبَعَةٍ ، وَهِيَ كَوْنُ الْفُظِّ الْمُقَابِلِ لَهَا فِي هِجْرِ الْبَيْتِ وَأَصْفًا فِي
صَدْرِ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ ، أَوْ حُشْوِهِ أَوْ آخِرِهِ ، أَوْ صَدْرِ الثَّانِي ، وَالْمُصَنِّفُ أَوْرَدَ
ثَلَاثَةَ عَشَرَ مَثَالًا وَأَهْمَلُ ثَلَاثَةَ اكْتِفَاءً لَهُ بِأَمثلة الْإِسْتِشْقَاقِ ، وَسَذَكَرَهَا أُخْرَى
إِنْ شَاءَ اللَّهُ (كَقَوْلِهِ سَرِيعٌ) فَيَا يَكُونُ الْمَكْرُورُ الْآخَرُ فِي صَدْرِ الْمِصْرَاعِ

وقوله :

تَمْتَحُّ مِنْ شَمِيمِ عَرَارٍ تَحْدُ فَا بَعْدَ الصَّيْفَةِ مِنْ عَرَارٍ

وقوله :

وَمَنْ كَانَ بِالْبَيْضِ الْكَوَاعِبِ مُفْرَمًا فَازِلْتُ بِالْبَيْضِ الْقَوَاضِبِ مُفْرَمًا

وقوله :

وَأِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُتَرَجِّجٌ سَاعَةً قَلِيلًا فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا

الأول والبيت للأبيشر وتقدم الدبيب في قوله له (وقوله تمتح) فيما يكون المكرر الآخر في حشو المصراع الأول والبيت الصمة بن عبد الله القشيري ، والعرار : وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة ، وموضع من عرار رفع على أنه اسم ما ومن رائدة ، وتمتخ مقول أقول في قوله :

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْيَدِيسُ تُتَهَوَّى بِنَا بَيْنَ الْمَنِيْفَةِ فَالْفَجَارِ

(وقوله ومن كان) فيما يكون المكرر الآخر في آخر المصراع الأول ، والبيت لأبي تمام ، والكواعب جمع كاعب : وهي الجارية حين يبدو ثديها للتهوض ، والبيض القواضب : السيوف القواطع (وقوله وإن لم يكن) فيما يكون المكرر الآخر في صدر المصراع الثاني ، والبيت لذى الرمة وقوله :

أَيُّهَا عَلَى الدَّارِ الَّتِي لَوْ وَجَدْتُهَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَا كَانَ وَخْشًا مَقِيلُهَا

الإلام : الزول القليل ، والتعريج على الشيء : الإقامة عليه ، وانتصب معرج على أنه خبر يكن واسمه ضمير الإلام ، وقليلا صفة مؤكدة ، لأن الثقة بهم من إضافة التعريج إل الساعة ، وقليلا فاعل نافع أو هو مبتدأ ونافع خبره ، والضمير في قليبها الساعة أي قليل التعريج في الساعة ينغنى وييل أو أي ويروي

وقوله :

دَعَايَ مِنْ مَّلَاحِمَکَ سَفَاحًا فَدَاعِي الشُّوقِ قَبْلَکَ دَعَايَ

وقوله :

وَإِذَا الْبَلَابِلُ أَفْصَحَتْ بِلُغَاتِهَا فَأَنْفِ التَّلَابِلِ بِإِحْسَاءِ بَلَابِلِ

وقوله :

فَشَفُوفٌ بِآيَاتِ الشَّائِي وَمَقْتُوفٌ بِرَنَاتِ الشَّائِي

وقوله :

أَمَلْتُهُمْ نَمِ تَأَمَّلْتُهُمْ فَلَاخَ لِي أَنْ لَيْسَ فِيهِمْ فَلَاخَ

غلق (وقوله دعائي) فيما يكون المتجانس الآخر في صدر المصراع الأول ، دعائي الأول بمعنى اتركاني ، والثاني من الدعاء بمعنى الطلب ، والسفاه : الطيش ، والبيت للقاضي الأرجاني (وقوله وإذا البلابل) فيما يكون المتجانس الآخر في حشو المصراع الأول البلابل الأول جمع بلبل وهو الطائر المعروف ، والثاني جمع بلبال وهو الحزن ، والثالث جمع بلبلة وهو إبريق الحر ، والاحساء : الشرب ، والمقصود بالتشيل هو البلابل ، الثالث بالنسبة إلى الأول والبيت لشمالي (وقوله فشوف) فيما يكون المتجانس الآخر في آخر المصراع الأول ، للثاني الأول القرآن (١) والآخر أوتار المزمار التي حزم طاق منها إلى طاق ، ورناتها : نغماتها ، والبيت الحريري (وقوله أماتهم) فيما يكون المتجانس الآخر

(١) قال الجوهري : للثاني من القرآن ما كان أقل من المائتين ، ونسب فاعية الكتاب مثاني لأنها ثني في كل ركعة ، ويسمى جميع القرآن مثاني أيضاً لاقران آية الرحمة بآية العذاب .

وقوله :

ضَرَائِبُ أَبْدَقَتْهَا فِي السَّمَاحِ قُلْنَا نَرَى لَكَ فِيهَا ضَرِيًّا

وقوله :

إِذَا لَرَّهْ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ يَخْزَانِ

وقوله :

لَوْ اخْتَصَرْتُمْ مِّنَ الْإِحْسَانِ زُرْتُكُمْ وَالْعَذْبُ يُهْجَرُ لِلْإِفْرَاطِ فِي الْخَفَرِ

وقوله :

فَدَحِ الْوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ طَائِرِي أَطَيْنُ أَجْنَحَةَ الدَّيَابِ بِضِيرِ

في صدر المصراع الثاني ومعناه ظاهر وهو للقاضي الأرجاني (وقوله ضرائب) فيما يكون الملحق الآخر بالمتجانسين اشتقاقاً في صدر المصراع الأول ، فالضرائب جمع ضريبة : وهي الطيعة والسجدة التي طبع الرجل عليها ، والضرب : المثل وأصله المثل في ضرب القداح فهما راجعان إلى أصل واحد في الاشتقاق والبيت للبحر (وقوله إذا المرء) مما يكون الملحق الآخر اشتقاقاً في حشو المصراع الأول : أي إذا لم يخزن المرء لسانه على نفسه ولم يحفظه مما يعود ضرره إليه فلا يخزنه على غيره ولا يحفظه مما لا ضرره فيه فيخزن وخزان مما يجمعهما الاشتقاق ، والبيت لأمري القيس (وقوله لو اختصرتم) مما وقع أحد الملاحقين في آخر البيت والآخر في حشو المصراع الأول ويجمعهما شبه الاشتقاق والبيت لأبي العلاء المري ، قوله والعذب يعني من الماء والحصر البرودة ، يقول إن بعدى عنكم لكثرة ما أنعمتم على وطوقتموني من الإحسان (وقوله فدح الوعيد) فيما يكون الملحق الآخر اشتقاقاً في آخر المصراع الأول

وقوله :

وَقَدْ كَانَتْ الْبَيْضُ الْقَوَامِ فِي الْوَقْتِ * بَوَاتِرَ نَهَى الْآنَ مِنْ بَدِيهِ بُتْرُ
وَمِنْهُ السَّجْعُ : وَهُوَ تَوَامُلُو الْفَاصِلَيْنِ مِنَ النَّثْرِ عَلَى حَرْفِ
وَاحِدٍ ، وَهُوَ مَثْنَى قَوْلِ السَّكَكِيِّ : هُوَ فِي النَّثْرِ كَالْقَافِيَةِ فِي الشُّعْرِ ،

فصائر ويضرب عما يجمعهما الاشتقاق ، والبيت لابن عينة الملهي (وقوله وقد كانت) فيما يكون الملحق الآخر اشتقاقاً في صدر المصراع الثاني . قوله القواضب أي القواطع من ذاتها ، وقوله بواتر : أي قواطع لحسن استمهال إيها ، وبتر جمع أوتر : مقطوع الفائدة ، فالبواتر والبتر عما يجمعهما الاشتقاق والبيت لأي تمام من قصيدته التي روى بها محمد بن نهدل حين استشهد . هذا ، وأما الأمثلة الثلاثة التي أهلها المصنف ، فثال ما يقع أحد الملحقين الذين يجمعهما شبه الاشتقاق في آخر البيت ، والآخر في صدر المصراع الأول قول الحريري :

وَلَا حَ يَلْحَقِي عَلَى جَرَى الْعَيْنَيْنِ إِلَى مَلْهَى فَسُخْفًا لَهُ مِنْ لَأَحْمَرٍ لَأَحْمَرٍ
فالأول ما مضى بلوح والآخر اسم فاعل . من لحاه أبعد . ومثال ما وقع
الآخر في آخر المصراع الأول قول الحريري أيضاً :

وَمُضْمَلِجٍ يَنْلَخِيصُ الْعَاثِي وَمُطْلِعٍ إِلَى تَخْلِيصٍ عَاثِي
فالأول من عنى يعني ، والثاني من عنا يعنو ، ومثال ما وقع الآخر في صدر
لمصراع الثاني قول الآخر :

مَتَرَى لَقَدْ كَانَتِ الثَّرَا مَسْكَاتٍ ثَرَاهُ فَأَنْتَى الْآنَ مَتَوَاهُ فِي الثَّرَى
فالتراه : وأوى من الثروة ، والثرى : يائي (ومنه السجع) وليس تصاراه

(١) المضطلع بالثرى التوى فيه الناحض به وتخليص العاني فكذلك الأسير .

وَهُوَ مُطَوَّنٌ : إِنِ اخْتَفَا فِي الْوِزْنِ ، نَحْوُ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ بِهِ وَلَقَدْ
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَرَ ، وَإِلَّا فَن كَانَ مَا فِي إِحْدَى الْقَرِيبَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرُهُ
مِثْلَ مَا يَقَابِلُهُ مِنَ الْآخَرَى فِي الْوِزْنِ وَالتَّنْفِيزِ فَتَرَضِيعُ نَحْوُ : فَهُوَ يَطْبَعُ
الْأَسْمَاعَ بِجَوَاهِرٍ لَقِظِهِ ، وَيَقْرَعُ الْأَتَمَلَّاعَ بِزَوَاجِرٍ وَعَظِهِ ، وَإِلَّا فَتُتَوَازَ ،

إِنْ تَقَبَّ عِنْدَ تَوَاطُؤِ الْفَوَاصِلِ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ
الْأَلْفَاظُ الْمَسْجُوعَةُ حُلُوةً حَادَّةً ، لَاغَةً وَلَا بَارِدَةً ، وَإِلَّا كُنْتَ كَمَنْ يَنْقُشُ
أَمْوَابًا مِنَ الْكَرْسَفِ ، أَوْ يَنْظُمُ عَقْدًا مِنَ الْحَرْفِ الْمَلُونِ ، وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ
يَكُونَ الْفِظُّ فِيهِ تَابِعًا لِلْعَنَى وَإِلَّا كَانَ كَظَاهِرِ مَوْءٍ عَلَى بَاطِنٍ مَشُوءٍ ، فَإِذَا تَوَفَّرَتْ
هَذِهِ الْأُمُورُ فَإِنْ رَأَى ذَلِكَ مَطْلُوبًا آخَرَ وَهُوَ أَنْ تَكُونَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْقَرِيبَتَيْنِ
وَالَّةً عَلَى مَعْنَى غَيْرِ الْمَعْنَى الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا الْآخَرَى ، وَإِلَّا لَكَانَ تَطْوِيلًا
كَقَوْلِ الصَّابِي : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تَذْكُرُهُ الْأَعْيُنُ بِالْحَاطِطِ ، وَلَا تَعْبُدُهُ الْأَلْسُنُ
بِالْفَاظِ ، وَلَا تَحْفَظُهُ الْعُصُورُ بِمُرُورِهَا . وَلَا تَهْرَمُهُ الدُّهُورُ بِكُرُورِهَا ، ثُمَّ انْتَهَى
إِلَى الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : لَمْ يَرِ الْكُفْرُ أَثَرًا إِلَّا طَمَسَهُ وَغَاءَ ،
وَلَا رَسْمًا إِلَّا أَزَالَهُ وَغَاءَ ، إِذَا لَفِرَ بَيْنَ مَرُورِ الْعُصُورِ وَكُرُورِ الدُّهُورِ ،
وَكَذَلِكَ لَافِرٌ بَيْنَ مَحْوِ الْأَثَرِ وَغِيَاةِ الرَّسْمِ (الْقَرِيبَتَيْنِ) أَيْ الْقَرِيبَتَيْنِ .
سَمِيتُ الْفَقْرَةَ كَذَلِكَ لِأَنَّهَا تَخَارَنَ اخْتِبَا (قَرَضِيع) وَاسْمُ ذَلِكَ تَشْبِيهَا
بِحَمَلِ إِحْدَى الْقَرُولَتَيْنِ فِي الْعَقْدِ فِي مَقَابِلَةِ الْآخَرَى . وَهَذَا النَّوعُ لِمَا فِيهِ مِنْ
تَعَمُّقِ الصَّنِيعَةِ وَتَعَسُّفِ السَّكْفَةِ ، لَا يُوْجَدُ إِلَّا فِي كَلَامِ الْمُتَفَصِّحِينَ (نَحْوُ فُهِو
يَطْبَعُ) فَإِنَّ الْحَرِيرِيَّ كَمَا تَرَى قَدْ جَعَلَ يَطْبَعُ بِإِزَاءِ بَرَجٍ . وَالْإِجْمَاعُ بِإِزَاءِ
الْأَسْمَاعِ ، وَجَوَاهِرُ بِإِزَاءِ زَوَاجِرَ ، وَلَقَفَهُ بِإِزَاءِ وَعَظِهِ (وَإِلَّا) أَيْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ
مَا فِي إِحْدَى الْقَرِيبَتَيْنِ وَلَا أَكْثَرُهُ مِثْلَ مَا يَقَابِلُهُ مِنَ الْآخَرَى ، فَهُوَ السَّجْعُ

نحو: فيها سرٌّ مرفوعةٌ وأكوابٌ مَوْضُوعَةٌ. قيل: وأحسنُ السجع ما سَوَّاتْ قَوَائِنُهُ، نحو: في سِدْرِ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنُضُودٍ وَظِلٍّ مَتَدُودٍ، ثم ما طَالَتْ قَرِيبَتُهُ، الثانيةُ نحو: وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى، أو الثالثة، نحو: خَذُوهُ فَذُلُّهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوْهُ، وَلَا يَحْسُنُ

المتراوى وذلك بأن يكون ما في إحدى القريبتين أو أكثره وما يقابله من الأخرى مختلفين في الوزن والتقفية جميعاً كما في الآية، أو في الوزن فقط نحو: والمرسلات عرفاً فالماضيات عصفاً، أو في التقفية فقط كقولهم حصل الناطق والصامت^(١)، وهلك الحاسد والشامت (قيل) قال ابن الأثير: السجع ثلاثة أقسام، الأول: أن يكون الفصلان متساويين كقوله تعالى: فأما اليقيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر، وهذا أشرف السجع منزلة للاعتدال الذي فيه، الثاني أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول لا طولاً يخرج به عن الاعتدال كثيراً وإلا كان قبيحاً، فمن ذلك قوله تعالى: وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إذا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال عدداً، فإن الأول ثمان لفظات والثاني تسع، وله في القرآن غير نظير ويستثنى منه ما كان على ثلاث، فإن الأولين يمحiban في عدة واحدة واحدة ثم تأتي الثالثة بحيث تزيد عليها طولاً، ويجوز أن تجيء تساوية لهما كقوله تعالى: وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضوض وطلح منضود وظل معدود فهذه الثلاث كل منها من لفظتين ولو جعلت الثالثة منها خمس لفظات أو ستاً كان حسناً، الثالث أن يكون الآخر أقصر من الأول وهو عندى عيب فاحش، لأن السجع قد استوفى أبده من الفصل الأول بحكم طوله ثم يجيء الفصل الثاني قصيراً عن الأول

(١) أى وجد عندى الناطق وهو العبيد، والصامت نحر الإبل والمضار.

أَنْ يُولَى قَرِينَةً أَقْصَرَ مِنْهَا كَثِيرًا . وَالْأَسْجَاعُ تَبَيَّنَتْ عَلَى سَكُونِ الْأَجْمَاعِ .
كَقَوْلِهِمْ : مَا أَبْعَدَ مَا فَاتَ وَمَا أَقْرَبَ مَا هَوَات ، قِيلَ : وَلَا يُقَالُ فِي
الْقُرْآنِ أَشْجَاعٌ بَلَّ يُقَالُ فَوَاصِلُ ، وَقِيلَ : السَّجْعُ غَيْرُ مُحْتَضَرٍ بِالْفَتْحِ ،

فَيَكُونُ كَالثَّوِيَّ الْمَبْتُورِ فَيَبْقَى الْإِنْسَانُ عِنْدَ سَمَاعِهِ ، كَمَنْ يَرِيدُ الْإِنْتِهَاءَ إِلَى غَايَةٍ
فَيَمُتُّ دُونَهَا ، هَذَا ، وَلَسَجْعٌ لِمَا تَصِيرُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَالْمُرْسَلَاتُ عِرفًا فَالْمَصَافَاتُ
صَفَاءً ، أَوْ طَوِيلٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا
مِنَهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ بِكَفُورٍ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءً بَعْدَ ضَرَاءٍ مِمَّا يَلْفُوفُونَ ذَهَبَ
السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا ، أَوْ مُتَوَسِّطٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ
وَانْفَقَ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيُقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ . وَمَنْ لَطِيفُ
السَّجْعِ قَوْلُ الْبَدِيعِ الْهَمْدَانِيِّ مِنْ كِتَابِ لَهُ إِلَى ابْنِ فَرِيقُونَ : كِتَابِي
وَالْبَحْرُ وَإِنْ لَمْ أَرَهُ ، فَقَدْ سَمِعْتُ خَبْرَهُ ، وَاللَّيْثُ وَإِنْ لَمْ أَلْقَهُ ، فَقَدْ تَصَوَّرْتُ
خَلْقَهُ ، وَالْمَلِكُ الْعَادِلُ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ لَقِيْتُهُ ، فَقَدْ لَقِيتُ صَيْتَهُ ، وَمَنْ رَأَى
مِنْ السَّيْفِ أَثَرَهُ ، فَقَدْ رَأَى أَكْرَهُ (وَالْأَجْمَاعُ) فَوَاصِلُ الْأَجْمَاعِ ،
مُخْتَلَعَةٌ عَلَى أَنْ تَكُونَ سَاكِنَةً الْأَوَّاحِرِ مَوْفُوفًا عَلَيْهَا ، لِأَنَّ الْفَرْضَ
أَنْ يَرَاوَجَ بَيْنَهَا ، وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ فِي كُلِّ صُورَةٍ إِلَّا بِالْوَقْفِ ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ وَصَلْتَ
قَوْلَهُمْ : مَا أَبْعَدَ مَا فَاتَ وَمَا أَقْرَبَ مَا هَوَات . لَمْ يَكُنْ بَدٌّ مِنْ إِجْرَاءِ كُلِّ مَنْ
الْفَاصِلَتَيْنِ عَلَى مَا يَحْتَضِرُهُ حُكْمُ الْإِعْرَابِ ، فَيَقُوتُ الْفَرْضُ مِنَ السَّجْعِ ، وَإِذَا
رَأَيْتَهُمْ يَخْرُجُونَ الْكَلِمَ مِنْ أَوْضَاعِهَا لِلزَّادِ وَاجٍ فِي قَوْلِهِمْ لَئِنْ لَآتَيْتَهُ بِالْعُنْدَايَا
وَالْعُنْدَايَا : أَيْ بِالْعُنْدَوَاتِ ، فَاسْتَظْنِكْ بِهِمْ فِي ذَلِكَ (قِيلَ وَلَا يُقَالُ فِي الْقُرْآنِ
أَجْمَاعُ) السَّجْعُ نَوْعٌ مِنَ الْكَلَامِ يَعْتَمِدُ الصَّنْعَةَ ، وَقَدْ لَا يَنْجُو مِنَ التَّكَلُّفِ
وَالْتَمَظُفِ ، وَمَنْ قَصَدَهُ فِي كَلَامِهِ أَجْبَرَ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ الْمَعْنَى تَابِعًا لَهُ وَهَذَا نَقَصُ

في الكلام كبير ، وعيب يغمش وجه فصاحة ، فذلك ذهب العقلاء إلى أن القرآن يرى من السجع ، وهذا الذي يظن به أنه سجع إنما هو فواصل يستريح الكلام إليها . قال الباقلاني : قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعاً ، لأن ما يكون به الكلام سجعاً يختص ببعض الوجوه دون بعض ، لأن السجع من الكلام يقع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع ، وليس كذلك ما اتفق على أنه في تقدير السجع من القرآن ، لأن اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى ، وفصل بين أن ينظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ ، ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت إعادة السجع كإعادة غيره ، ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلباً لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى ، ثم قال ولو كان الذي في القرآن سجعاً لكان مذموماً ، لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه واختلفت طرقه كان قبيحاً من الكلام ، والسجع منهج مرتب وطريق مضبوط متى أحل به التكلم نسب إلى الخروج عن الفصاحة ، وهذا الذي يظن به أنه سجع قد علمنا أن بعضه متقارب التواصل ، متداني المقاطع ، وبعضه مما يمتد حتى يتضاعف طوله عليه وترد الفاصلة على ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير ، وهذا في السجع غير محمود (ومثاله من النظم قوله) وقول ذي الرمة :

كحللاً في برج صقراً في صبح كأنها فيسة قد مهباً ذهب
وقول الحنفاء :

حامي الحقيقة محمود الحقيقة مهدي الطريقة فلان ومولر

تَجَلَّى بِهِ رُشْدِي وَأَثَرْتُ بِهِ يَدِي * وَقَاضَ بِهِ يَمْدِي وَأَوْزَى يَمَزْدِي
وَمِنَ السَّجْعِ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ مَا يُسَمَّى التَّشْطِيرَ ، وَهُوَ جَعْلُ كُلِّ

جَوَابٍ قَاصِيَةً جَزَائِرَ نَاصِيَةً هَقَادُ الْوَيْةِ لِنَحْيِلِ جَزَائِرَ
كُلُّ حَلَاوَتُهُ فَضْلٌ مَقَالَتُهُ فَاشٍ حَالَتُهُ لِعَظَمِ جَبَائِرَ
وقول أبي صخر المذلي :

سُودُ ذَوَائِبِهَا بَيْضُ تَرَائِبِهَا تَحْفُضُ صَرَائِبَهَا صِبْغَتُ مِنَ الْكُفْرِ
وهذا النوع كثير لا يحصره الاستقصاء (بجمل) هو لابي تمام ، قوله بجمل
به رشدي : يريد ظهر هذا المدحوح بلوغى المقاصد ، وأثرت : أى صارت ذات
ثروة ، والحمد : الماء القليل لا مادة له ، والمراد هنا المال القليل ، ومعنى أوزى
به زدى : صار ذا وري ، وهو عبارة عن الظفر المطلوب (ومن السجع على
هذا القول ما يسمى التشطير) وكذلك من ما يسمى التصريع ، وهو جعل
العروض مقفاة بفتحة الضرب ، والعروض هو آخر المصراع الأول من البيت
والضرب آخر المصراع الثانى منه . قال ابن الأثير : التصريع ينقسم إلى سبع
مراتب ، الأول : أن يكون كل مصراع مستقلا بنفسه فى فهم معناه ، ويسمى
بالتصريع الكامل كقول امرئ القيس :

أَفَاطِمُ مَهْلًا بَعْفُ هَذَا التَّدْلِيلِ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَرَمْتُ صَرِي فَأَجْعِلِ
الثانية : أن يكون الأول غير محتاج إلى الثانى ، فإذا جاء مربطاً به
كقوله أيضاً :

حَقًّا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ يَسْقُطُ الْقَوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَتَوَمَّلِ
الثالثة : أن يكون المصراعان بحيث يصح وضع كل منهما موضع الآخر ،
كقول ابن الحجاج البغدادي :

مِنْ شَطْرِي التَّيْتِ سَجَّةً مُخَالِفَةً لِأَخْتِهَا ، كَقَوْلِهِ :

تَذِيرٌ مُفْتَصِّرٌ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٌ • اللَّهُ مُرْتَقِبٌ فِي اللَّهِ مُرْتَقِبٌ

مِنْ شُرُوطِ الصَّبُوحِ فِي اللَّهْرِ جَانٍ خِثَّةُ الشَّرْبِ مَعَ خُلُوكِ السَّكَنِ
الرابعة : ألا يفهم معنى الأول إلا بالثاني ويسمى المصريع ناقص كقوله
أبي العلي :

مَقَامِي الشَّعْبِ طَيْبًا فِي اللَّغَايِ بِمَنْزِلَةِ الرَّيِّحِ مِنَ الزَّمَانِ
الخامسة : أن يكون المصريع بلفظة واحدة في المصراعين ويسمى التصرع
المكرر ، وهو طربان ، لأن اللفظة أما متحدة المعنى في المصراعين كقول عبيد
ابن الأبرص :

فَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يُوْثِبُ وَغَائِبُ السَّوْتِ لَا يُوْثِبُ
وهذا أنزل درجة . وأما مختلفة المعنى لكونه مجازاً كقول أبي تمام :
فَقَى كَانَ شَرِبًا لِقَفَاةٍ وَمَرَاتِمًا فَأَصْبَحَ لِلْمَهْدِيَّةِ الْبَيْضِ مَرَاتِمًا
السادسة : أن يكون المصراع الأول مطلقاً على صفة يأتي ذكرها في أول
الثاني ويسمى التمليق : كقول امرئ القيس :

أَلَا أَيُّهَا الْقَيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلُ بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَنْتَلِ
لأن الأول مطلق بصبح وهذا صليب جداً . السابعة : أن يكون المصريع في
البيت مخالفاً لقيافته ويسمى التصرع المشطور . كقول أبي نواس :

أَقْلَبِي قَدْ تَدْنَيْتُ مِنَ الذُّنُوبِ وَبِالْإِقْرَارِ عُدْتُ عَنِ الْجُنُودِ
فصرع بالباد ثم قضاء بالمال انتهى . وهذا الصانع خارج عما نحن فيه .
(كقوله تدير) فالشطر الأول كما ترى جملة مبنية على الميم والثانية جملة

وَمِنَ اللَّوْزَةِ : وَهِيَ تَسَاوَى الْفَاصِلَتَيْنِ فِي الْوِزْنِ ذَوْنِ التَّفْقِيعَةِ نَحْوُ :
وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَائِي مَبْثُوثَةٌ ، فَإِنْ كَانَ مَا فِي إِحْدَى الْقَرِيفَتَيْنِ
أَوْ أَكْثَرُهُ مِثْلَ مَا يُقَابَلُهُ مِنَ الْآخَرَى فِي الْوِزْنِ ، خُصَّ بِاسْمِ الْمَآثِلَةِ
نَحْوُ : وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، وَقَوْلُهُ :
مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسَ فَمَا انْخَطُ إِلَّا أَنْ تِلْكَ ذَوَائِلُ
وَمِنْهُ الْقَلْبُ ، كَقَوْلِهِ :

مَوَدَّتُهُ تَدْوُمُ لِكُلِّ هَوًى وَعَلَى كُلِّ مَوَدَّتِهِ تَدْوُمُ

مبلية على الباء . والبيت لابي تمام . والمرتبب في الله : الراغب فيما يقربه من
رضوانه . والمرتقب : المنتظر الثواب الخائف العقاب (ومنه) أى ومن النقطي
(نحو ونمارق) فلفظا مصفوفة ومبثوثة متساويان في الوزن لافي النغمة . لأن
الأول على الاء والثاني على الاء . ولا عبرة ببناء التأنيث لما هو معروف من
علم القوافي (مها الوحش) هو لابي تمام يصف النساء بسعة الميول وطول
القدود ، والمها جمع مهاة : البقرة الوحشية . والخط : موضع تفسب إليه الرماح
المستقيمة والمثالان - الآية لبيت - عما يكون أكثر ما في إحدى القريفتين
مثل ما يقابله من الأخرى لعدم تماثل آتيناهما وهديناهما وزناً ، وكذا هاتَا وتلك
ومثال الجميع قول ابي تمام :

فَأَخْبَرَهُمْ لَمَّا لَمْ يَخِدْ فَيْكَ مَعَانِمَا وَأَقْدَمَ لَمَّا لَمْ يَخِدْ عَنْكَ مَهْرَبَا
(ومنه القاب) وهو أن يكون الكلام بحيث إذا قلبت حروفه لم تتغير
قراءته ، ولا بد مع ذلك أن يكون جيد السبك منسجم المعاني . ويجري هذا

وَفِي التَّنْزِيلِ : كُلُّ فِي فَلَكٍ ، وَرَبِّكَ فَكَكَبَرُ . وَمِنْهُ التَّشْرِيعُ :
وَهُوَ بِنَاءُ الْبَيْتِ عَلَى قَافِيَتَيْنِ بِصَحْهُ اللَّفْظِ عِنْدَ الْوُقُوفِ عَلَى كُلِّ مِنْهُمَا ،
بِحَقُولِهِ :

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدِّينِيَّةُ إِنَّمَا شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْأَكْدَارِ

النوع في النظم والنثر . أما في النظم فقد يكون بحيث يكون كل من المصراعين
قلباً للآخر كقولهم :

• أَرَانَا الْإِلَهَ حِلَالًا أَنَا زَا •

وقد يكون بمجوع البيت قلباً لمجموعه ، كقول القاضى الأرجانى : مودته
تدوم البيت ، وأما في النثر فكان في قوله تعالى : كل في فلك . وقول جل شانه :
وربك فكبر . قالوا والحرف المشدد في هذا الباب في حكم المخفف . لأن المعبر
هو الحروف المكتوبة (ومنه التشريع) ويسمى التوشيح . قال ابن الأثير :
وهو أن يبنى الشاعر أبيات قصيده على بحر من مختلفين . فإذا وقف من البيت
على القافية الأولى كان شعراً مستقيماً من بحر على عروض . وإذا أضاف إلى
ذلك ما بنى عليه شعره من القافية الأخرى كان كذلك شعراً مستقيماً من بحر
آخر على عروض ، وصار ما يضاف إلى القافية الأولى البيت كالوشاح ، فمن ذلك
قول بعضهم :

إِنَّمَا وَدُمْتُ عَلَى الْخَوَادِثِ مَارَسًا رُكْنَا فَبِيرٍ أَوْ هَضْبُ حِرَاءِ

وَتَلَّى الْمَرَادَ مُمَكَّنًا مِنْهُ عَلَى رَغَمِ الدُّهُورِ وَقَرَّ بِطُولِ بَهَاءِ

إذا نظر إلى هذين البيتين وجدوهما يذكران على قافية أخرى وبحر آخر
وهذا أن يحال :

وَمِنْهُ لُزُومٌ مَّا لَا يَتَزَمُّ : وَهُوَ أَنْ يَجِيءَ قَبْلَ حَرْفِ الرَّوِيِّ أَوْ مَا فِي

إِسْمٍ وَدُمْتَ عَلَى الْكَلِمَا دِثِّ مَارَسَا رُكْنَا ثَبِيرٍ
وَتَلِ الْوَادِ مُمَكَّنَا مِثْنَةً عَلَى رَغَمِ الدُّهُورِ

وقد استعمل ذلك الحريري في مقاماته نحو قوله :

يَا خَلِيبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَةُ إِنَّمَا شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْأَكْدَارِ
دَلَوُ مَتَى مَا أَضْعَكْتَ فِي يَوْمِهَا أَبْكْتَ نَدَا بُدَا لَهَا مِنْ دَارِ
غَارَاتِهَا لَا تَنْقُضِي وَأَسِيرُهَا لَا يُفْتَدَى بِجَلَائِلِ الْأَخْطَارِ
واعلم أن هذا النوع لا يحسن إلا إذا كان يسيراً كالرقم في الثوب أو
القبة في الجلد . وحسنه منوط بما فيه من الصناعة . لا بما فيه من البراعة .
(ومنه لزوم مالا يلزم) قال ابن الأثير : وهو من أشق هذه الصناعة مذهباً
وأبعدها مسكاً . وذلك لأن مؤلفه يلزم مالا يلزمه . فإن اللازم في هذا
الموضوع وما جرى مجراه إنما هو السجع الذي هو تساوى أجزاء الفواصل من
الكلام المنثور في قوافيها . وهذا فيه زيادة على ذلك وهو أن تكون الحروف
التي قبل القاصلة حرفاً واحداً وهو في الشعر أن تساوى الحروف التي
قبل روى الآيات الشعرية . ومن هذا النوع نثر ما رواه صاحب الأغاني
أن لقيط بن زوراء تزوج بنت قيس بن خالد بن ذى الجدين فخطبت عنده
وحظي عندها ثم قتل فأمت بعده وتزوجت زوجاً غيره فكانت كثيراً ما تذكر
لقيطاً ، فلما على ذلك قتالت : إنه قد خرج في يوم دجن وقد تعيب وشرب
فطرد البقر فصرع منها . ثم أتاني وبه نضج دم ، فضفى ضمة وشفى شمة
طيتي مة ثمة . فلم أر سخطاً كان أحسن من لقيط ، فقولها ضفى ضمة وشفى

مَعْنَاهُ مِنَ الْفَاعِلَةِ مَا لَيْسَ بِلَازِمٍ فِي السَّجْعِ ، نَحْوُ : فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَهْزُقْهُ
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ، وَقَوْلُهُ :

شبهة فليتي مت نعمة : من الكلام الخلو في باب الزوم ولا كلفة عليه ، وهكذا
فليكن ومن ذلك قول الحماسي :

إِنَّ الَّتِي زَعَمْتَ فُؤَادَكَ مَلَهَا خُلِقْتَ هَوَاكَ كَاخْلَقْتَ هَوَايَ لَهَا
بِغْفَاهُ بِأَكْرَهَا النَّعِيمُ فَصَاعَهَا يَلْبَاقِي فَأَدَقَهَا وَأَجْلَهَا
سَجَبَتْ تَحِيَّتَهَا قُلْتُ لِعَاصِي مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَهَا
وَإِذَا وَجَدْتَ لَهَا وَسْوَاسَ سَلْوَةٍ شَفَعَ الضَّيِيرُ إِلَى الْوَادِ فَسَلَهَا
وعذا من الطاقة على ما يشهد لنفسه ، وكذلك قول الفرزدق :

مَنْعَ الْحَيَاةِ مِنَ الرِّجَالِ وَنَهَمَهَا حَذَقَ تَقْلُبَهَا النِّسَاءُ مِرَاضُ
وَكَأَنَّ أَفْئِدَةَ الرِّجَالِ إِذَا رَأَوْا حَذَقَ النِّسَاءَ لِنَبْلِهَا أَغْرَاضُ أ
وعن قصد من العرب قصيده كله على الزوم كثير عزة ، وهي القصيدة
التي أولها :

خَلِيلٌ هَذَا وَنُحْ بِعِزَّةٍ فَاعْتَلَا فَلَوْصِيكُمَا ثُمَّ اخْلُلَا حَيْثُ خَلَّتْ
وهذه القصيدة تزيد على عشرين بيتاً ، وهي مع ذلك سهلة لينة تكاد تفرق
من لينا وسهوانها . وبالجملة ما يقع من هذا النوع المتقدم فهو غير مقصود
منه ، ولذلك لا يرى عليه من أثر الكلمة شيء ، أما المأخرون فنقصوا عمله
وأكثروا منه ، حتى أن أبا العلاء المعري عمل من ذلك ديواناً كاملاً سماه
الزوم ، فأنى فيه بالجيد الذي يحمد والردى الذي يذم (وقوله) أى قول

تَشْكُرُ عُمْرًا مَا تَوَاحَتْ مَنِيقِي أَيَادِي لَمْ تُنْشَنَ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ
فَتَى غَيْرُ مَحْبُوبِ الْفَتَى عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مَظْهَرُ الشُّكُورِ إِذَا النَّمْلُ زَلَّتِ
رَأَى خَلْقِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانَهَا فَكَانَتْ قَدَّيْ عَيْنِيهِ حَتَّى تَجَلَّتِ
وَأَصْلُ الْحَسَنِ فِي ذَلِكَ كَلِمَةٌ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ تَائِبَةً لِلْمَعْنَى
دُونَ الْمَسْكَدِ ..

﴿ خاتمة ﴾

(فِي السَّرِقَاتِ الشَّعْرِيَّةِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ)
أَمَّا قَوْلُ الْقَائِلِينَ إِنَّ كَانَ فِي الْغُرُضِ عَلَى الْمُؤْمَرِ ، كَأَنَّهُمْ يَصِفُ بِالْجَاعَةِ
وَالسَّخَاءِ فَلَا يُدْ سَرَفَةً ، لِتَقَرُّرِهِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَادَاتِ ، وَإِنْ كَانَ فِي وَجْهِ
الدَّلَالَةِ ، كَالْتَشْبِيهِ وَالْجَازِ وَالْكِنَايَةِ ، وَكَذَلِكَ هِيَ تَذَكُّ عَلَى

عبد الله بن الربيع الأسدي في عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنهما (لم
تخن) أي لم تقطع ، أو لم تخلط بمنة (إذا النمل زلت) زلة القدم والنمل :
كنية عن نزول الشر والحنة (خلق) الحلة : الخصاصة والفقر (وأصل
الحسن في ذلك) قد أسلفنا أول البديع جملة كافية في هذا المعنى فاجعلها على
ذكر منك وعض عليها بالتواجد تكن من الفائزين (وما يتصل بها) مثل
الاستبصار والضمين والمقد والحل والتلخيص (وغير ذلك) مثل القول في
الابتداء والتخلص والانتها (في الغرض على المؤمر) أي فيما يشترك فيه
المرسامة من الأغراض والمقاصد (لتقرره) فيشارك فيه التفصيح والأعجم
والشاعر والمفهم (وجه الدلالة) أي طريق الدلالة على الغرض .

الصِّفَةِ لِاخْتِصَاصِهَا بِمَنْ هِيَ لَهُ ، كَوَصْفِ الْجَوَادِ بِالتَّهْلِيلِ هِنْدَ وَرُودِ
الْعَفَاةِ ، وَالتَّبْخِيلِ بِالْبُوسِ مَعَ سِتَّةِ ذَاتِ الْيَدِ ، فَلِنْ لَشَرَكِ النَّاسِ
فِي مَعْرِفَتِهِ ، لِاسْتِفْرَافِهِ فِيهَا ، كَتَشْبِيهِ الشَّجَاعِ بِالْأَسَدِ ، وَالْجَوَادِ
بِالْبَحْرِ ، فَهُوَ كَالْأَوَّلِ ، وَإِلَّا جَازَ أَنْ يُدْعَى فِيهِ السَّبْقُ وَالزِّيَادَةُ ، وَهُوَ
مُتَرَبِّانٍ : خَاصٌّ فِي نَفْسِهِ غَرِيبٌ ، وَعَامٌّ تُصَرَّفُ فِيهِ بِمَا أُخْرِجَهُ مِنْ
الِابْتِدَالِ إِلَى الْغَرَابَةِ ، كَأَمْرٍ ، فَالْأَخْذُ وَالسَّرِقَةُ تَوْعَانِ : ظَاهِرٌ ، وَغَيْرُ
ظَاهِرٍ ، أَمَّا الظَّاهِرُ : فَهُوَ أَنْ يُؤْخَذَ الْكَلِمَةُ مَعَ الْقَفْظِ كُلِّهِ أَوْ بَعْضِهِ ،
أَوْ وَحْدَهُ ، فَلِنْ أَخِذَ الْقَفْظُ كُلُّهُ مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ لِنُظْمِهِ فَهُوَ مَذْمُومٌ ، لِأَنَّهُ
مَرَّةً مَحْمُومَةٌ ، وَيُسَمَّى تَشْخَا وَاتِّحَالًا ، كَأَحْكِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ
أَنَّهُ قُلَّ ذَلِكَ بِقَوْلِ مَنْ بَنَى أَوْسٍ :

(العفاة) أى الساتين جمع عاف (مع ستة ذات اليد) وأما البوس مع فلة
ذات اليد فن أوصاف الأحياء (معرفته) أى معرفة وجه الدلالة (فيها) أى
في المقول والمعادات (فهو كالأول) أى فالافتاق في هذا النوع من وجه
الدلالة على الفرض كالافتاق في الفرض العام في أنه لا يمد سرقه ولا أخذاً
(وإلا) أى وإن لم يشترك الناس في معرفته بأن كان مما لا ينال إلا بفكر
غذا الذى يجوز أن يدعى فيه الاختصاص والسبق ، وأن يقضى بين القائلين
فيه بالتفاضل ، وأن أحدهما فيه أفضل من الآخر ، وأن الثانى زاد على الأول
أو نقص عنه (كأمر) في باب التشبيه والاستعارة (كأحكي) حكى أن عباده
ابن الزبير الشاعر دخل على معاوية فأنشده البيتين فقال له معاوية لقد شعرت

فَلَمَّا أَمَرَ أَنْ تُنْصِفَ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْمِجْزَانِ إِنْ كَانَ يَقْبَلُ
وَرَبَّكَ حَدَّ السِّيفِ مِنْ أَنْ تُنْصِفَهُ . إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفَرَةِ السِّيفِ مَزْجَلُ

بمدى يا أبا بكر ، ولم يفارق عيد الله المجلس حتى دخل معن بن أوس المزني ،
فأنفذه قصيده التي أولها :

لَمَسْتُكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَا وَجَلَ عَلَى أَيُّنَا تَمْدُو اللَّيْلَةَ أَوَّلُ

حتى أتى عليها ، وفيها ما أنشده عبد الله . فأقبل معاوية على عبد الله ، وقال
له ألم تخبرني أنهما لك ، فقال المعنى واللفظ له ، وبعد فهو أخى من الرضاة
وأنا أخى بشعره . قوله من أن تنصيه : أى بدلا من أن تظله . وشفرة السيف
حده ، ومرحل من زحل عن مكانه زحولا : إذا اتحنى وتباعد . يقول إنه
لا يبال أن يركب من الأمور ما يؤثر فيه تأخير السيف مخافة أن يدخل عليه
ضيم أو يلحقه محم أو احتقار متى لم يجد عن ركوبه مبعدا ولا معدلا . وهذا
ومما هو من قبيل ذلك ما روى للأبيورد البربوعى :

فَقَى يَشْتَرِي حُسْنَ الشَّاءِ بِمَالِهِ إِذَا السَّنَةُ الشَّيْبُ لَا أُعَوِّزُهَا الْقَطْرُ
وَلَا بِي نَوَاسِ :

فَقَى يَشْتَرِي حُسْنَ الشَّاءِ بِمَالِهِ وَيَقْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ
قال ابن الأثير : وما كنت أستحسنه من شعر أبي نواس قوله من قصيدة
التي أولها :

• دَغَّ عَنْكَ لَوْنِي فَإِنَّ اللَّوْنِ إِغْرَاهُ •

دَلَّوَتْ عَلَى فِتْنَةِ ذَلِكَ الزَّمانِ لَمْ يَسْأَلْ فَمَا يُصِيبُهُمْ إِلَّا بِنَا شَاوَا

وَفِي مَتْنِهِ أَنْ يُبَدِّلَ بِالسُّلَمَاتِ كُلِّهَا أَوْ بِمَقْصِدِهَا مَا يُرَادُ مِنْهَا ، وَلَئِنْ
كَانَ مَعَ تَفْصِيلٍ لِنُظْمِهِ ، أَوْ أُخِذَ بِمَقْصِدِ الْقَفْلِ ، ثُمَّ إِفْرَاقُهُ وَتَشْغُلُهُ ،

وهذا من مآل الشعر ، وقعت في كتاب الإعراف لأبي الفرج على هذا
البيت في أصوات معبد وهو :

لَمَنِي عَلَى فِتْنَةٍ ذَلِكَ الزَّمَانُ لَهُمْ قَا أَصَابَهُمْ إِلَّا بِمَا شَاؤَا
وما أعلم كيف هذا ، وقد أكثر الفردوق وجري من هذا في شعرها ، حتى
لقد حكى أن امرأة من عتيل يقال لها ليل كان يتحدث إليها الشاب ، فدخل
الفردوق إليها وجعل يحادثها ، وأقبلت من قومها كانت تألقه ، فدخلت إليها
فأقبلت عليه وتركته الفردوق ، فناظ ذلك ، فقال لفتى أنصار عني ، فقال فاك
إليك ، فقام إليه فلم يلبث أن أخذ الفردوق نصرة وجلس على صدره فصرط ،
فومب الفتى عنه وقال : يا أبا فراس هذا مقام المائد بك ، والله ما أردت
ما جرى ، فقال ويحك والله ما لي أنك صرعتي ، ولكن كأي بابن الأمان ،
يعني جريراً ، وقد بلغه خبري فقال يهجوني :

جَلَسْتُ إِلَى لَيْلَى لَتَحْطَى بِقُرْبِيهَا فَنَانِكَ دُبُرٌ لَا يَزَالُ يُخُونُ
فَلَوْ كُنْتُ ذَا حَرَمٍ شَدَّدْتُ وَكَاهُ كَا شَدَّ جُرْبَانُ الدَّلَاصِيِّ قُيُونُ
قال فوافقه ماضى إلا أيام حتى بلغ جريراً الخبر ، فقال فيه مدين البيتين ،
وهذا من أغرب ما يكون في مثل هذا الموضع وأجبه (أن يبدل) كقول
أمرئ القيس :

وَقَرَفَا بِهَا تَحِيَّ عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَحْمَلِ
وقول طرفة :

وَقَرَفَا بِهَا تَحِيَّ عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَحْمَلِ

فَإِنْ كَانَ الثَّانِي أَبْلَغَ لِإِخْتِصَاصِهِ بِفَضِيلَةٍ ، فَمَدُّوحٌ ، كَقَوْلِ بَشَّارٍ :
مَنْ رَقَبَ النَّاسَ لَمْ يَطْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَقَارَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَانِكِ اللَّوْجِ
وَقَوْلِ سَلَمَةَ :

مَنْ رَقَبَ النَّاسَ مَاتَ هَمًّا وَقَارَ بِاللَّذَّةِ الْجُسُورِ
وَإِنْ كَانَ دُونَهُ قَدَمُومٌ ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

وكقول حاتم :

وَمَنْ يَبْتَدِعْ مَا لَيْسَ مِنْ خِيَمِ نَفْسِهِ يَدَعُهُ وَيَقْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمَهَا
وقول الأعور :

وَمَنْ يَقَرِّفْ خُلُقًا سِوَى خُلُقِ نَفْسِهِ يَدَعُهُ وَيَقْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمَهَا
(لاختصاصه بفضيلة) كمن السبك أو الاختصار أو الإيضاح أو زيادة
معنى (كقول بشار) فبيت سلم قالوا أجود سبكا وأخصر لفظاً ، وقد روى
عن أبي معاذ راوية بشار أنه قال أنشدت بشاراً قول سلم فقال : ذهب والله
بقي فهو أخف منه وأعذب ، والله لا أكلت اليوم ولا شربت . . هذا ، ومن
السرقات المدوحة قول الشاعر :

خَلَقْنَا لَهُمْ فِي كُلِّ عَيْنٍ وَحَاجِبَ يَسْمُرُ الْقَنَا وَالْبَيْضَ عَيْنًا وَحَاجِبَ
وقول ابن نباتة بعده :

خَلَقْنَا بِأَطْرَافِ الْقَنَا فِي ظُهُورِهِمْ عَيْنُونَا لَهَا وَقَعَ السُّيُوفِ حَوَاجِبَ
فبيت ابن نباتة ألغى لاختصاصه بزيادة معنى ، وهو الإشارة إلى انهزامهم ،
ومن الناس من جعلهما متساويين (كقول أبي تمام) فإن مصراعه أحسن

هَيْهَاتَ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَحِيلٌ

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

أَعْدَى الزَّمَانِ سَخَاوَةٌ فَسَخَا بِهِ وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بِحِيلًا

وَإِنْ كَانَ مِثْلَهُ فَأَبَدُ مِنَ الدَّمِّ ، وَالْفَضْلُ لِلأَوَّلِ ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

سبكا من مصراع أبي الطيب ، لأن أبا الطيب أراد أن يقول ولقد كان الزمان به بغيلا فصل عن الماضي إلى المضارع للوزن . فإن قلت المعنى أن الزمان لا يسمح بهلاكه ، قلنا السخاء بالشيء هو بذله لغيره ، فإذا كان الزمان قد سحا به فقد بذله فلم يبق في تصريفه حتى يسمح بهلاكه أو يبتل به (أعدى الزمان أي قتل الزمان منه السخاء لجاد به ، وأخرجه من العدم إلى الوجود ولولا سخاؤه الذي استفاده منه لبتل به على الدنيا واستبقاه لنفسه (فأبعد من الدم) هذا على تقدير ألا يكون في الثاني دلالة على السرعة بانقضاء الوزن والتأني ، وإلا فهو بالدم حقيق كقول أبي تمام :

مُعِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي
وَإِنْ قَلَيْتُ رِكَابِي فِي الْبِلَادِ
وَمَا سَافَرْتُ فِي الْأَفَاقِ إِلَّا
وَمِنْ جَدْوَالِكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي
وقول أبي الطيب :

وَإِنِّي عَنْكَ بَعْدَ غَدٍ لَفَادِي
وَقُلْتُ عَنْ فِتَائِكَ غَيْرُ غَادٍ
نَحْيُكَ حَيْثَمَا انْجَحَّتْ رِكَابِي
وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْبِلَادِ
(كقول أبي تمام) وقول بشار :

يَأْقُومُ أَذْنِي لِمَعْضِرِ الْمَجِيِّ عَاشِقَةً
وَالْأَذُنُ تَمُشُّ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانًا
وقول ابن الشعث الموحل :

لَوْ حَارَ مُرْتَادُ اللَّيْتَةِ لَمْ يَحْدَ إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى الثُّفُوسِ دَلِيلًا

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

لَوْلَا مُفَارَقَةُ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدْتُ لَهَا لِلنَّيَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلًا

وَهِنْ أَخِذَ لَأَنفَى وَخَدَهُ نَحْنَى فَلَمَّا وَصَلْنَا ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ كَذَلِكَ

أَوَّلُهَا كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

وَلِيَّ أَمْرٍ أَحَبُّنِيكُمْ لِكَارِمٍ تَمَيَّنْتُ بِهَا وَالْأَذُنُ كَالثَمَنِ تَشَقُّ

وَكَذَا قَوْلُ الْأَرَجَانِيِّ .

لَمْ يُبَكِّنِي إِلَّا حَدِيثُ فِرَاقِكُمْ لَمَّا أَسْرَ بِِي إِلَى مُوَدَّعِي

هُوَ ذَلِكَ الدُّرُّ الَّذِي أَوْدَعْتُمْ فِي سَمْعِي الْقَيْئَةَ مِنْ مَدْمَعِي

وَقَوْلُ جَارِ اللَّهِ :

وَقَالَتْ مَا مَبْذُورُ الدُّرِّ الَّذِي نَسَاعِلُهَا عَيْنَاكَ يَمْعَلَيْنِ يَمْعَلَيْنِ

فَقُلْتُ هِيَ الدُّرُّ الَّذِي قَدْ حَسَا بِهَا أَبُو مُعْتَمِرٍ أَذْنِي تَأْكُطُ مِنْ عَيْنِي

(كقول أبي تمام لو حار) فإن أبا الطيب أخذ المعنى برمت مع بعض

اللفاظ كالمنية والفرار والوجدان واليتان متساويان في البلاغة ، والارتياد

الطلب ، وإحالة المرتاد إلى المنية بيانية والمعنى ظاهر (لأنما) من ألم بالشئ

إذا قصده وأصله من ألم بالمنزل إذا نزل به (وسلخاً) وهو كشط الجلد

عن نحو الشاة ، واللفظ للمنى بمنزلة الجلد ، فكأنه كشط عن المعنى جداً

والنحو جداً آخر (كذلك) أى مثل ما يسمى لغارة وسخاً ، لأن الثاني

أما أبلغ من الأول أو دونه أو مثله (كقول أبي تمام) وكقول البحري

هُوَ الْمُنْعُ إِنْ يَنْجَلِ غَيْرُهُ إِنْ يَرِثَ فَلَرَيْثُ فِي بَعْضِ لَلْوَاضِعِ أَفْعُ
 وَقَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ :
 وَمِنْ الْخَفِيرِ بَطْنُ سَيْبِكَ عَفَى أَسْرَعَ الشَّحْبِ فِي اللَّيْلِ الْجَهَامِ
 وَثَانِيهَا كَقَوْلِ الْبُخْتَرِيِّ :

نَعْدُ حَيْكَ أَنْ تَرَكَ بِأَوْجِهِ أَتَى الْقَنْبَ عَامِيًا فَلِمَ يُطِيعُهَا
 وَقَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ :

وَجُرْمُ جَرَّةٍ سَفَهَا قَوْمٍ وَحَلَّ بَيْنِي جَارِيهِ الْمَذَابِ
 فَإِنْ بَيْتُ أَبِي الطَّيِّبِ أَحْسَنُ سَبْكَ ، وَكَأَنَّهُ اقْتَبِهَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : أَتَهْلِكُنَا
 بِمَا فَعَلَ السَّهَاءُ مَنَا ، وَكَقَوْلِ الْآخَرِ :

وَلَسْتُ بِنَظَائِرٍ إِلَى جَانِبِ النَّفَى إِذَا كَانَتْ التَّلْيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ
 وَقَوْلُ أَبِي تَمَامٍ بَعْدَهُ :

يَصْدُ عَنْ الدُّنْيَا إِذَا عَنَّ سُودَدٌ وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيٍّ عَذْرَاءُ نَاهِدٍ
 بَيْتُ أَبِي تَمَامٍ أَخْصَرُ وَالْمَخ ، لِأَنَّ قَوْلَهُ وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيٍّ عَذْرَاءُ نَاهِدٍ :
 زِيَادَةٌ حَسَنَةٌ (كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ هُوَ الصَّنْعُ) فَبَيْتُ التَّنْبِيهِ أَلْبَغُ لَاشْتِهَائِهِ عَلَى
 زِيَادَةِ بَيَانٍ ، وَالرَّيْثُ : الْإِبْطَالُ ، وَالسَّيْبُ : الْعَطَاءُ ، وَالْجَهَامُ : السَّحَابُ الَّذِي لَا مَاءَ
 فِيهِ (كَقَوْلِ الْبُخْتَرِيِّ) فَإِنْ بَيْتُ أَبِي الطَّيِّبِ دُونَ بَيْتِ الْبُخْتَرِيِّ ، لِأَنَّهُ قَدْ قَامَ
 مَا أَقَادَهُ الْبُخْتَرِيُّ بِمَقْطَعِ تَأْتِي ، وَالْمَقْصُولُ مِنَ الْاسْتِعَارَةِ التَّخْيِيلِيَّةِ حَيْثُ أَتَتْهُ
 التَّأْتِي وَالصَّفَاقَةُ لِلْكَلَامِ ، كَأَيْبَاتِ الْأَطْفَارِ لِلْنِّبَةِ ، وَيُلَومُ مِنْ هَذَا تَقْدِيرُهُ كَلَامَهُ
 بِالسَّيْفِ وَهُوَ الْاسْتِعَارَةُ بِالْكُتَابَةِ ، وَمَعْنَى تَأْتِي : لَمَعَ ، وَالتَّنْبِيُّ : الْجُلُوسُ الْغَائِصُ
 بِأَشْرَافِ النَّاسِ ، وَالْمَقْصُولُ : الْمَنْعُ ، وَالضَّبُّ : السَّيْفُ الْقَاطِعُ . شَبَّ لَمَاهُ بِسَيْفِهِ .

وَإِذَا تَأَلَّقَ فِي النَّدِيِّ كَلَامُهُ السَّمْعُ قَوْلُ خِلَتِ لِسَانَهُ مِنْ عَطِيئِهِ
وَقَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ :

كَأَنَّ السُّهُمَ فِي الثُّغْرِ قَدْ جُمِلَتْ عَلَى دِمَاحِهِمْ فِي الطُّغْرِ خُرُصَانَا
وَمَثَلُهَا كَقَوْلِ الْأَعْرَابِيِّ :

وَلَمْ يَكْ أَكْثَرَ الْفِتْيَانِ مَالًا وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعًا

وعرسان الرماح : أسننها أو الحلق ، تطيف بأسافل الأسنة ، وواحدا خرص
بالعم والكسر ، وصف فصاحة أسنة المدوحين وعلاقتهما . يقول إن أسنتهم
في المعنا والنفوذ تشابه أسنتهم عند الطمن ، فكان أسنتهم جعلت أسنة
وماحهم . ومن هذا القبيح قول بعض الأعراب :

وَرِيحُهَا أَطْيَبُ مِنْ طَيِّبِهَا وَالطَّيِّبُ فِيهِ لِسْتُكَ وَالْقَبِيحُ
وقول بشار :

وَإِذَا أُذِنَتْ مِنْهَا بَقَبَلَا غَابَ لِسْتُكَ عَلَى رِيحِ الْبَقَلِ
وكذلك قول أجمع :

وَقَلَّ عَدُوُّكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَجَدَانِ صَوْنِ الْعُشْبِ وَالْإِعْلَامِ
فَإِذَا تَلَبَّهَ رُغْتَهُ وَإِذَا هَذَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الْأَحْلَامِ
وقول أبي الطيب :

يَرَى فِي النَّوْمِ رُيْحَكَ فِي كَلَامِهِ وَيَحْتَشَى أَنْ يَرَاهُ فِي الشَّهَادِ
فقد ريد ذكر الشهاد لأنه أراد القطة فأخطأ ، إذ ليس كل قطة شهاداً
وإنما الشهاد امتناع الكرى في الليل ، وأما المستيقظ بالنهار فلا يسمى ساهداً .
(كقول الأعرابي) وكذا قول أبي بكر بن النطاح :

وَقَوْلِ اشْجَع :

وَلَيْسَ بِأَوْسَمِهِمْ فِي الْفَقَى • وَلَكِنَّ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعَ

• وَأَمَّا غَيْرُ الظَّاهِرِ فَهُنَا أَنْ يَتَشَابَهَ اللَّفْظَانِ ، كَقَوْلِ جَرِيرٍ :

كَأَنَّكَ بِمَنْدِ السَّكَرَى حَوَمَةَ الرِّغَى تَذِرُ مِنَ الصَّفِّ الَّذِي مِنْ وَرَائِكَ
وقول أبي الطيب :

فَسَكَاتُهُ وَالطَّلْنُ مِنْ قُدَامِي مَتَخَوَّفْتُ مِنْ خَلْفِي أَنْ يُطْعَمَ •

وكذا قول الآخر يذكر ابناً له مات :

الْعَبْرُ يُنَمِّدُ فِي اللَّوَاتِنِ كُهَا إِلَّا عَلَيْكَ قَلْبُهُ مَذْمُومٌ

وقول أبي تمام بعده .

وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لِأَبِي الدُّنْبَرِ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَبْعَثُ

وفلان روح الذراع والباع • حتى (كقول جرير) فإن تعبیر الجرير
عن الرجل يذو البامة كتمبير أبي الطيب عنه بمن في كفه قناة ، وكذا العبارة
عن المرأة بذات الحمار ، ومن في كفه خضاب : ومن هذا النوع قول الطرماح
ابن حكيم الطائي :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي بَنِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ دَغِيرٌ طَائِلٌ

وقول أبي الطيب :

وَإِذَا أَتَيْتَكَ مَذْمُومٌ مِنْ قَائِمٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ

فَلَا يَمْنَعُكَ مِنْ أَرْبٍ لِحَاظُ سَوَاهِ ذُو الْعِمَامَةِ وَالْطَّامِرِ .

وقول أبي الطيب :

وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاقَةٌ كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابَةٌ

وَمِنْهُ أَنْ يُنْقَلَ اللَّتْفُ إِلَى مَتْنٍ آخَرَ ، كقول البُخَيْرِيِّ :

سَلَبُوا وَأَشْرَقَتِ الدَّمَاءُ عَلَيْهِمْ مُحْمَرَّةٌ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسَلَبُوا

وقول أبي الطيب :

فإن ذم الناقص أبا الطيب كبعض من هو غير طائل ذلك الرجل ، وشهادة ذم الناقص أبا الطيب بعضه كزيادة حب الطرماح لنفسه ، وكذا قول أبي العلاء المهرى في مرمية :

وَمَا كَلْفَةُ الْجَذْرِ النُّبْرِ قَدِيمَةٌ وَلَكِنَّهَا فِي وَجْهِهِ أَثَرُ الْعَلَمِ

وقول الفيراني :

وَأَهْوَى الَّذِي أَهْوَى لَهُ الْبَدْرُ سَاجِدًا أَلْتَمَسَتْ تَرَى فِي وَجْهِهِ أَثَرُ التُّرْبِ

ولا يفرنك من البيتين المتشابهين أن يكون أحدهما نسياً والآخر مدحاً أو مجاء أو افتخاراً أو غير ذلك ، فإن الشاعر الحاذق إذا عمد إلى المعنى المختلس لينظمه يحيل في إحصائه فغير لفظه وعدل به عن نونه ووزنه وقايمته (كقول البُخَيْرِيِّ) فإن أبا الطيب كما ترى نقل المعنى من التتلى والجرحى إلى السيف . سلَبُوا : أى سلَبوا ثيابهم ، وأشْرَقَتِ الدَّمَاءُ عَلَيْهِمْ : أى فظهرت الدماء عليهم ملاعبة لإشراق شعاع الشمس ، فكأنهم لم يسلبوا لأن الدماء المشرقة كانت بمنزلة ثياب لهم : وأصل هذا المعنى من قول بعض العرب

يَكُونُ النَّجِيعُ عَلَيْهِ وَهُوَ جَرِيرٌ مِنْ غَدِيهِ فَكَأَنَّمَا هُوَ مُتَمَدُّ
وَمِنْهُ أَنْ يَكُونَ الثَّانِي أَشْتَلَّ : كَقَوْلِ جَرِيرٍ :
إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ وَجَدْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا
وَقَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ :

لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُتَنَكِّرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ
وَمِنْهُ الْقَلْبُ : وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مَتْنِ الثَّانِي قَيْضَ مَتْنِ الْأَوَّلِ ،
كَقَوْلِ أَبِي الشَّيْخِ :

وَفَرَّقْتُ بَيْنَ ابْنَيْ هُشَيْمٍ بِطَقْنَةٍ لَهَا عَائِدٌ يَكُونُ السَّيِّبُ لِإِذَا^(١)
(النجيع) النجيع من الدم : ما كان إلى السواد ، وهو دم الجوف
(كقول جرير) فإن جريراً جعل الناس كلهم بنو تميم ، وأبو نواس جعل العالم
كله في واحد (كقول أبي الشَّيْخِ) فإن ما في بيته مناقض لما في بيته
أبي الطيب ، لأنه صرح بحب الملاحة ، والمتنفي في حبها بهمة الإنكار ، لكن
كل منهما باعتبار آخر ، ولهذا قالوا الأحسن في هذا النوع أن يبين السبب
كما في هذين البيتين^(٢) إلا أن يكون ظاهراً كما في قول أبي تمام :

وَنَفَقَةُ مُتَعَتِي جَدُّوَاهُ أَحْلَى عَلَى أُذُنَيْهِ مِنْ نَفَمِ السَّمَاعِ

(١) عند العرق سال فلم يكدر قافاً ، وهو عرق عائد .
(٢) فإن الأول علل حب الملاحة بحبه لذكره ، والثاني علل كراهيته
لها بكونها تصدر عن الأعداء .

أَجِدُ اللَّامَةَ فِي مَوَالِيكَ قَرِيذَةً حُبًّا لِكُرِّكَ فَلْيَتَنَبَّهِ الْهَوَمُ

وقول أبي الطيب :

أَحِبُّهُ وَأَحِبُّ فِيهِ تَلَامَةً إِنَّ اللَّامَةَ فِيهِ مِنْ أَغْدَانِهِ

وَمِنْهُ أَنْ يُؤَاخَذَ بِغَفْرِ اللَّغْوِ وَيُضَافَ إِلَيْهِ مَا يَحْتَسُّهُ كَقَوْلِ الْأَفْوَى :

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا رَأَى عَيْنٍ هِجَةً أَنْ سَتَمَارَ

وقول أبي تمام :

وَقَدْ ظَلَمْتُ عِقْبَانَ أَغْلَانِيهِ نَضَى بَعِيقَانِ طَيْرٍ فِي السَّمَاءِ تَوَاحِلِ

أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَتْ مِنَ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَقَاتِلِ

فَلَنْ أَبَا تَمَامٍ لَمْ يَلِدْ بِشَيْءٍ مِنْ مَتْنِ قَوْلِ الْأَفْوَى رَأَى عَيْنَ .

وقول أبي الطيب :

وَالْجِرَاحَاتُ عِنْدَهُ تَقَمَّتْ سَمِيتَ قَبْلَ سَبِيهِ بِسُؤَالِ

أراد أبو تمام أن المددوح يستلذ نفقات السائلين لما فيه من غاية الكرم ونهاية الجود، وأراد أبو الطيب أنه إن سببت نفقة من سائل عطاء المددوح يبلغ ذلك منه مبالغ الجراحة من المروح، لأن عادة أرمي على نكير سؤال (علي آثارنا) ورامنا كاتبة لنا (رأى عين) يعني عياناً (سندر) أي ستعظم من لحوم من تقتلهم من القتل (وقد ظلمت) يقول : إن رايات المددوح التي هي كالعقبان قد صارت مظلة بالعقبان من الطيور النوازل في دماء القتل، لأنه إذا خرج للفرو تسمير العقبان فوق إمامته، وثوباً بأنها ستطعم لحوم القتل فتلقى ظلالها عليها، والنوازل جمع ناهلة : من نهل إذا روى (فلان أبا تمام)

وَلَا مِنْ قَوْلِهِ نَمَّةٌ أَنْ سَمَّارُ ، لَكِنْ زَادَ عَلَيْهِ يَقُولُهُ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلْ
وَيَقُولُهُ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلُ ، وَيُقَامَتُهَا مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا مِنَ الْجَيْشِ
وَبَيْنَا نَبِيَّهُ حُسْنُ الْأَوَّلِ ، وَأَكْثَرُ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ وَنَحْوُهَا مَقْبُولَةٌ ، بَلَنْ
مِنْهَا مَا يُخْرِجُهُ حُسْنُ التَّصَرُّفِ مِنْ قَبِيلِ الْإِتِّبَاعِ إِلَى حَيْزِ الْإِبْتِدَاعِ ،
وَكُلَّمَا كَانَ أَشَدَّ خَفَاءً كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْقَبُولِ ، هَذَا كُلُّهُ إِذَا عَلِمَ أَنَّ
الثَّانِي أَخَذَ مِنَ الْأَوَّلِ ، لِيَجُوزَ أَنْ يَكُونَ الْإِتِّفَاقُ مِنْ قَبِيلِ تَوَارِدِ

يعنى أن أبا تمام أخذ بعض معنى بيت الأفوه لأكله ، لأن الأموه أفاد بقوله
رأى عين قرب الطير من الجيش لأنها إذا بدت تخيلت ولم تر ولأنما يكون
قربها توقفاً للفرسة ، وهذا يؤكد المعنى المقصود أعنى وصفهم بالشجاعة
والافتداز على قتل الأعداء ، ثم قال نمة أن سمار لجملة وائمة بالميرة ، وأما
أبو تمام فلم يلم بشئ من ذلك ، لكن زاد على الأفوه بقوله إلا أنها لم تقاتل ،
وبقوله في الدماء نواهيل ، ثم بإقامتها مع الرايات حتى كانتها من الجيش ،
وبهذا يتم حسن قوله إلا أنها لم تقاتل ، وهذه الزيادات حسنت قوله ،
وإلى أن قد ترك بعض ما أتى به الأفوه . فقول المصنف وبها أى بهذه
الزيادة الأخيرة وهى إقامتها مع الرايات حتى كانتها من الجيش ، وقوله الأول
يعنى قوله إلا أنها لم تقاتل (إذا علم أن الثاني أخذ من الأول) بأن يعلم أنه
كان يحفظ قول الأول حين نظم قوله ، أو بأن يخبر هو عن نفسه أنه أخذ منه
(لجواز أن يكون الاتفاق من قبيل توارد الخواطر) كما وقع لى فيما دوج من
الأيام أيام كنت لا أعرف شعراً ولا شاعراً ، وذلك بيت قلته فى صديق غاب
عنى حرساً من الزمن وهو :

انكوا ليطر ، أى يحيط به على سبيل الاتفاق من غير قصد للأخذ ، فإذا لم يُعلم قيل قال فلان كذا وقد سبته إليه فلان قال كذا .

ومما يتصل بهذا القول في الإقياس والتضييق والتقدير والحل والتلخيص .
أما الإقياس : فهو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه ، كقول الخليلي : فلم يكن إلا كلفح البصر أو هو أقرب ، حتى أشد فأغرب ، وقول الآخر :

إن كنت أزمعت على هجرنا من غير ما جرم فصبر جميل
وإن تبدلت بنا غيرنا تحبنا الله ونعم الوكيل

وما كنت أدري قبل بُدك ما الجوى ولا حادثات الدهر كيف تنوب
فأسمعت صاحباً لي فقال إن مثله لكبر عزة وهو :

وما كنت أدري قبل عزة ما البكا ولا موجبات القلب حتى نولت
لما كاد يتمه حتى أخذت من هزة الطرب ، وكدت أخرج من جلي فرحاً
وقلت الآن أغبط نفسي إذ طبع على غرار أعيان الشعراء ، وكما يحكى عن ابن
ميادة أنه أشد لنفسه :

مُفِيدٌ وَمِثْلَانِ إِذَا مَا أَتَيْتُهُ تَهَلَّلَ وَاهْتَرَّ اهْتَزَّارَ الْمَهْدِ
ف قيل له أين يذهب بك هذا الحطية ، قال الآن علمت أني شاعر . إذ
واقفته على قوله ولم اسمه (الآخر) هو أبو القاسم بن الحسن الكاتب
(أزمعت) أى عزمت (من غير ما جرم) من غير ذنب صدر منا فازائمه

وَقَوْلِ الْكَرِيمِ: فَلَمَّا شَهِدَ الْوُجُوهَ، وَقُبِحَ السَّكَمُ وَمَنْ يَرُجُوهُ.
وَقَوْلِ ابْنِ عَبَّادٍ:

قَالَ لِي ابْنُ رَقِيْبٍ سَمِعَهُ انْطَلَقَ فِدَارِهِ
قُلْتُ دَعْنِي وَجْهَكَ الْجَنَّةُ خَفْتُ بِالْمَكَارِهِ
وَهُوَ صَرَبَانٍ: مَا لَمْ يُنْقَلْ فِيهِ الْمُقْتَبِسُ عَنْ مَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ، كَمَا
تَقَدَّمَ، وَخِلَافُهُ، كَقَوْلِهِ:

لَنْ أخطأتُ فِي مَدْحِكَ مَا أخطأتُ فِي مَنِي
قَدْ أَتَرْتُ حَاجَاتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ
وَلَا بَأْسَ بِتَمْيِيزِ بَيْعٍ لِلزَّوْنِ أَوْ غَيْرِهِ، كَقَوْلِهِ:

(فلما شاهد الوجوه) أى فحوت وهو لفظ الحديث، فإنه روى أنه لما اشتكت
الحرب يوم حنين، أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كعاً من الحصاء فرمى به
المشركين، وقال شاهد الوجوه (السك) أى التيم، ويقال هو العبد الذليل
الفس (فداره) من المداراة، وهى الجمالة والملاطفة (وجهك الجنة)
فقد اقتبس من لفظ الحديث حمت الجنة المكاره، وحمت النار بالشهوات:
يعنى أن وجهك جنة فلا بد لي من تحمل مكاره الرقيب، كما لا بد لطالب الحنة
من مشاق التكاليف (كقوله) أى قول ابن الرومى، فإن بواد غير ذى زرع
مقتبس من القرآن الكريم، لكن معناه فى القرآن واد لا ماء فيه ولا نبات.
وفى البيت جذب لإخيه فيه ولا نفع (كقوله) أى قول بعض الممارعة
عند وفاة بعض أصحابه، ومثله قول عمر الحليم

قَدْ كَانَ مَا خِفْتُ أَنْ يَكُونَا * إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَ
وَأَمَّا التَّصْنِيعُ : فَهُوَ أَنْ يُصَنَّ الشَّعْرُ شَيْئًا مِنْ شِعْرِ الْغَيْرِ مَعَ التَّصْنِيعِ
عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَشْهُورًا عِنْدَ الْبُلَّغَاءِ ، كَقَوْلِهِ :

سَبَقْتُ الْقَائِلِينَ إِلَى اللَّيَالِي بِصَائِرِ فِكْرَةٍ وَعُلُومَةٍ
وَلَا حَاجَ بِحِكْمَتِي نُورِ الْهَدْيِ فِي لَيْالٍ لِلضَّلَالَةِ مُدْلِمَةٍ
يُرِيدُ الْجَاهِلُونَ لِيُطْفِئُوهُ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيشَهُ

وكذلك قول القاضي منصور المروى الأزدى :

قُلْتُ كَانَتْ الْأَخْلَاقُ تُحَوِّى وَرَأْفَةً وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْهَافُ لَا تَنْشَبُ
لَأُصْبِحَ كُلُّ النَّاسِ قَدْ تَمَّهَمُ هَوًى كَأَنْ كُلَّ النَّاسِ قَدْ تَمَّهَمُ أَبُ
وَلَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ كُلُّهَا مُبَسَّرٌ لَهَا هُوَ خَلْقٌ لَهُ وَمُقَرَّبٌ
(عليه) أى على أنه من شعر الغير (كقوله) أى قول الحريرى يحكى ما قاله

الغلام الذى عرضه أبو زيد اللبيح : والمصراع الأخير المرجى وتامه :

* لَيَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ نَعْرِ *

ومن هذا النوع قول ابن العميد :

وَصَاحِبِ كُنْتُ مَتَّبِعُهَا بِصُحْبَتِهِ
هَبْتُ لَهُ رِيحَ إِهْبَالٍ فَطَلَّ بِهَا
رَأْتُهُ كَانَ مَقْلُوبًا عَلَى إْحَنِ
دَفَرًا فَفَادَرَنِي فَرْدًا يَلَا سَكْنِي
نَحْوُ الشَّرُورِ وَالْجَانِي إِلَى الْحَزَنِ
وَلَمْ يَكُنْ فِي ضَرْبِ الشَّعْرِ أَنْشَدَنِي

حَتَّى أَتَى سَائِدُ عِنْدَ بَنِي أَصَاعُودٍ وَأَيَّ قَتَى أَصَاعُوا
وَأَحْسَنَهُ مَا زَادَ عَلَى الْأَصْلِ بِنُكْتَةٍ كَالْتُورِيَةِ وَالتَّشْيِيهِ فِي قَوْلِهِ :
إِذَا الْوَيْحُ أَبْدَى لِي لَمَاعًا وَتَفَرَّهَا تَذَكُّرْتُ مَا بَيْنَ الْمَذْيَبِ وَبَارِقِ
وَيَذْكُرُنِي مِنْ قَدَّهَا وَمَدَامِي مَجْرَى عَوَالِينَا وَتَجْرَى السَّوَابِقِ
، وَلَا يَضُرُّ التَّنْفِيرُ الْيَسِيرُ ، وَرُبَّمَا سُمِّيَ تَصْمِينُ التَّيْسِ ، فَإِذَا زَادَ

إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا اسْتَهَلُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْتِيهِمْ فِي الدَّرَجِ أَنْتَشِينِ
والبيت لأبي تمام (كالتورية والتشبيه في قوله) أي قول ابن أبي الأصبح ،
قاله صراعان الأحمران مطلع قصيدة لأبي الطيب ، والمذيب وبارق : موضعان ،
والحوالي : الرماح ، والسوابق : الخيل . يقول إنهم كانوا نزولاً بين هذين الموضعين
وكانوا يجرمون الرماح عند مطاردة القرسان ويسابقون على الخيل ، فالشاعر
الثاني أراد بتضمينه المذيب وبارق منيهم ما البعدين ، لأنه جعل المذيب
تصغير المذنب ، وعنى به شفة الحبيبة . وبارق تفرها الشيء بالرق ، وبما بينهما
ريقها ، وهذا تورية ، وشبه تبحر قدها بتأبل الرخ وجريان دمه على التابع
بجريان الخيل السوابق ، فزاد على أبي الطيب هذه التورية والتشبيه (ولا يضر
التفسير اليسر) ليدخل في معنى الكلام كقول بعض المتأخرين في يهودى^(١) به
داه التعلب^(٢) :

أَقُولُ لِمَشْرِ غَلَطُوا وَغَضُوا عَنِ الشَّيْخِ الرَّشِيدِ وَأَنْكَرُوهُ

(١) ذمًا له بكونه أقرع .

(٢) هو مرض يقط الشعر من الرأس .

اسْتِمَانَةً ، وَ تَضْمِينَ الْمَضْرَاعِ فَأَ دُونَهُ إِيدَاعًا وَ رَفُوعًا . وَأَمَّا التَّقَدُّ : فَهُوَ أَنْ يُنْظَمَ نَثْرٌ لَا عَلَى طَرِيقِ الْإِقْتِيَّاسِ ، كَقَوْلِهِ :

مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ * وَحَبِيفَةُ آخِرُهُ يَنْفَخَرُ

عَقَدَ قَوْلَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَمَا لِابْنِ آدَمَ وَالْفَخْرَ ، وَإِنَّمَا أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ وَآخِرُهُ حَبِيفَةٌ . وَأَمَّا الْحُلُّ : فَهُوَ أَنْ يُنْثَرَ نَظْمٌ كَقَوْلِ بَعْضِ الْمَعَارِبَةِ : فَإِنَّهُ لَمَّا قَسَحَتْ قَمَلَاتُهُ ، وَخَنَظَلَتْ نَحْلَاتُهُ ، لَمْ يَرَلْ سُوهُ الظَّنَّ

هُوَ ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ النَّبَايَا مَتَى يَضَعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُوهُ

البيت لسحيم بن وثيل وأصله :

أَنَا ابْنُ رَجُلَا وَطَلَّاعُ النَّبَايَا مَتَى أَضَعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

على طريقة التكلم كما زى . فغيره إلى طريقة النسيب ليدخل في المأصود (إيداعاً) لأن الشاعر الثاني قد أودع شعره شيئاً من شعر الأول (ورفوعاً) لأنه رفعه شعره بشعر غيره (كقوله) أى قول أبي الصنابغة . ومثله قوله أيضاً :

وَكَأَنْتَ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعِظُ مِنْكَ حَيَّ

عقد قول بعض الحكماء في الإسكندرية لما مات . كان الملك أسى أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أو عظم منه أسى (وأما الحل) وشرط كونه مقولاً شيئاً أحدهما . أن يكون سبكه مختاراً لا اختصاراً عن سبكه أصله ، والثاني : أن يكون حسن الموضع مستمراً في عمله غير فلق (كقول بعض المعاربة) يصعب شخصاً لأنه سيء الظن لفساده غيره على همه . والمعملات الأفعال وخنظلت نخلاه .

يَعْتَادُهُ ، وَيَصَدِّقُ تَوَهُمَهُ الَّذِي يَعْتَادُهُ . حَلُّ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

إِذَا سَاءَ فِضْلُ الرَّءِ سَاءَتْ ظَنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُمِهِ
وَأَمَّا التَّنْصِيحُ : فَهُوَ أَنْ يُنْزَلَ إِلَى قِصَّةٍ أَوْ شِعْرِ مِنْ غَيْرِ
ذِكْرِهِ ، كَقَوْلِهِ :

قَوْلُهُ مَا أَذْرِي أَأَحْلَامُ نَائِمٍ أَلَمْتُ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرَّكْبِ بَوْشَعُ

صارت ثمار تخللة كالنخل في المارة . ومثل هذا قول صاحب الرشي المرقوم
في حل المنظوم يصف فلم كاتب : فلا تحظى به دولة إلا غرت على الدول ،
وغشيت به عن الخيل والحول ، وقالت أعلى المالك ما بيني على الأعلام لا على
الأسل حل قول أبي الطيب ..

* أَغَى لِلْمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الْأَسَا *

وكقول بعض الكتاب في وصف السيف : أورهه عشق الرقاب محولا ،
فبكي والدمع مطر تزيد به الحدود محولا ، حل قول أبي الطيب أيضاً :
فِي الْغَدِّ أَنْ عَزَمَ الْغَلِيظُ رَجِيلاً مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الْغُلْدُودُ مُحُولاً
وكقول في أستاذنا الإمام الشيخ محمد عبده : صار له دوى في كل قطر
كأنما تداول سمع المرء أنمله المشر ، حلت قول أبي الطيب يخاطب على بن أحمد
الانطاكي :

وَتَرَسَكَكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا تَدَاوَلُ سَمْعَ الْمَرْءِ أَشْنُهُ الْمَشْرِ
(كَقَوْلِهِ فَوَاقَهُ) هُوَ لَا يَتِمُّ وَقِيلَ .

لَحِقْنَا بِأَسْمَاعِهِمْ وَقَدْ حَبَبَ الْهَوَى قُلُوبَنَا عَيْدَنَا حَيْرَةً وَفِي وَقَعِ

أَشَارَ إِلَى قِصَّةِ يُوْشَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاسْتَيْقَافِهِ الشَّمْسَ ، وَكَقَوْلِهِ :
لَمَمَرُّوْا مَعَ الرِّمَاءِ وَالْفُلُوكِ تَلْتَلِيْ
أشار إلى البيت المشهور :
الْمُسْتَجِيرُ بِمَمَرٍ عِنْدَ كُرْبَتِهِ كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرِّمَاءِ بِالْثَّارِ

فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَالْقَبْلُ رَاغِمٌ شَمْسٌ لَهُمْ مِنْ بَنَائِبِ الْغَدْرِ تَطْلُعُ
نَقَاصُوهَا صَبِيحَ الدُّجْنَةِ وَانْطَوَى لِبَهْجَتِهَا ثَوْبُ السَّمَاءِ الْمَجْرَعُ
الضمير في آخرهم ولم للأحبة المرتحلين وإن لم يجر لهم ذكر في اللفظ ،
وحام الطير على الماء : دار ، وحومه غيره ، ونفا : ذهب به وأزاله ، الضمير
في صوبها وبهجتها الشمس الطالعة من الحدر ، والدجنة : الظلة ، وانطوى :
انضم ، والمجزع : ذو لونين ، وقوله أحلام نائم : استعظام لما رأى واستغرب
(أشار إلى قصة يوشع) على ما روى أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت
الشمس خاف أن تغيب قبل أن يخرج منهم ، ويدخل السبت فلا يعمل له ،
فقاتلهم ، فدعا الله فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم (لممرؤ) هو لابي تمام ،
والرمضاء : الأرض الشديدة الحر ، وأحقى من حقى بفلان : إذا بالغ في إكرامه
وأظهر السرور والفرح (المستجير بممرؤ) لهذا البيت قصة هي أن البسوس
زارت أختها الهيلة وهي لم تجلس بحار لها من جرم بن زبأن له ناقة وكليب
قد حمى أرضاً من العالية فلم يكن يرعاها إلا إبل جالس لمصاةة بينهما ،
فخرجت في إبل جالس ناقة الجرسي ترعى ن حمى كليب ، فأنكرها كليب فرماها
فاختل ضرعها ، فولت حتى بركت بفناء صاحبا رضعها يشحب دماً ولبناً وصاحت
البسوس واذا له واغريته ، فقال لها جالس أيتها الحرة اهدنى فواقه لا تعقرن

﴿ فَعَلَّ ﴾

يَنْبَغِي لِمُسْتَكْلَمٍ أَنْ يَتَأَنَّقَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ مِنْ كَلَامِهِ ، حَتَّى تَكُونَ
أَعَذَبَ لَقَطًا ، وَأَحْسَنَ سَبْكًا ، وَأَصَحَّ مَعْنَى أَحَدُهَا : الْإِبْطَالُ كَقَوْلِهِ :
﴿ قِمْنَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَيْبٍ وَمَنْزِلٍ ﴾

حَلَّاهُ أَوْ أَعْرَ عَلَى أَمَلِهِ مِمَّا ظَلَمَ يَزِلُ جَسَاسَ بَتَوَقُّعِ غُرَّةِ كَلْبٍ حَتَّى يَحْرَجَ وَبَعْدَ
عَنِ الْحَيِّ ، فُلُجَ حَسَّاسًا خُرُوجِهِ ، فَخَرَجَ عَلَى فَرْسِهِ فَأَتْبَعَهُ فَرَسُ صِلْبِهِ ، ثُمَّ
وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ بِأَعْمَرٍ أَتَقْتِي بَشْرَةَ مَاءٍ ، فَأَجْهَزَ عَلَيْهِ مَعْنَى . فَقِيلَ الْمُسْتَجِيرُ
بِمَعْمَرٍ الْبَيْتِ ، وَنَشَبَ الشَّرْبُ بَيْنَ قَلْبٍ وَبِكْرٍ أَيْ بَيْنَ سَنَةِ كَلْبٍ لِلْغَلَبِ عَرَّ مَكْرَهُ ،
وَلِهَذَا قِيلَ أَشْأَمُ مِنَ الْبُيُوسِ . هَذَا وَمِنَ اللَّيْلِ ضَرْبُ يَتْبَعُ الْخَزَرَ ، كَمَا رَوَى أَنَّ
تَيْمًا قَالَ لِشَرِيكَ الْغُبَرِيِّ : مَا فِي الْمَجَارِحِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْبَازِي فَقَالَ : إِذَا كَانَ
يَصِيدُ الْقَطَا . أَشَارَ الْغُبَرِيُّ إِلَى قَوْلِ جَرِيرٍ :

أَنَا الْبَازِي الْمِطْلُ عَلَى تَيْمٍ أُنِيحَ مِنَ السَّمَاءِ أَمَّا أَنْصَابًا

وَأَشَارَ شَرِيكَ إِلَى قَوْلِ الطَّرَمَاحِ :

تَيْمٍ يَغَارِقِي الْوُحْمَ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا : وَلَوْ سَلَكْتُ طُرُقَ الْكَلَامِ ضَلَّتْ

(أَحَدُهَا الْإِبْطَالُ) لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَا يَفْرَعُ السَّمْعُ ، وَإِنْ كَانَ عَذْبًا حَسَنًا

فَلَيْسَ صَحِيحَ الْمَعْنَى أَيْبَلُ السَّمْعِ عَلَى الْكَلَامِ . وَلِهَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

لِلْوَحْمِ وَطَسَ وَطَسَمَ وَكَيْمَيْسَ . فَيَفْرَعُ أَسْبَاحَهُمْ بَنَى . بِدَعِ بَيْسَ لَهُمْ بِمَثَلِهِ

عَبْدٌ لِيَكُونَ ذَلِكَ دُعَايَةً لَهُمْ إِلَى الْإِسْتِنَاعِ لَا بَعْدَهُ . وَمِنْ هُنَا جَمِلَ أَكْثَرُ الْإِبْطَالَاتِ

بِالْحَدِيثِ لِأَنَّ الْفُتُوسَ تَتَشَوَّفُ لِقَاءَ اللَّهِ ، فَهُوَ طَاعِيَةٌ إِلَى الْإِسْتِنَاعِ (كَقَوْلِهِ

قَتَابَةُ) قِيلَ لِمَا سَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : قَاتِلِ اللَّهَ الْمَلِكَ

وكفوه :

قَصْرٌ عَلَيْهِ نَجْمَةٌ وَسَلَامٌ خَلَمْتُ عَلَيْهِ جَمَلًا الْأَيَّامُ
وَأَنْ يَتَجَنَّبَ فِي الدَّيْعِ مَا يَتَطَيَّرُ بِهِ ، كَقَوْلِهِ :
* مَوْعِدُ أَحِبَّائِكَ بِالْفُرْقَةِ غَدِ *

الضليل . وقف واستوقف وبكى واستبكى . وذكر الحبيب ومنزله في مصراع واحد ، والبيت مطلع معلقة امرئ القيس ونعامة :

* يَسْقُطُ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَخَوْتَايَ *

ومن الابتدآت الحميدة قول النابغة الجعدي :

يَكِلِينِي لَهْمٍ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَكَلِيهِ بَيْلَى الْكَوَكِبِ .
وقول المتنبي :

أَثَرَاهَا لِكَثْرَةِ الْمَشَاقِي تَحْسَبُ الدَّمْعَ خَلْفَةً فِي الْمَآقِي

(وكفوه) أى قول أجمع السلى (موعِد) مطلع قصيدة لابن مقارل الطبري أنشد لها الداعي الطوى ، فقال له الداعي : موعِدُ أَحِبَّائِكَ يَا أَعْمَى وَلَكِ الْمَثَلُ السُّوءُ ، ويروى أيضاً أنه دخل عليه في يوم مهرجان وأنشد :

لَا تَقُلْ بَشْرَى وَاسْكِنْ نَشْرِيَانِ غُرَّةُ الدَّاعِي وَيَوْمَ الْمَهْرَجَانِ

فتطير به وقال يا أعمى تبندى . بهذا يوم المهرجان ، وقيل بطحه وضربه نحسين عساً ، وقال لإصلاح أدبه أبلغ من ثوابه . ويروى أنه لما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان ، جلس فيه وجمع أهل وأصحابه ، وأمرهم أن يخرجوا في دقتهم . فلما رأى الناس أحسن من ذلك اليوم ، فاستأذن إحدى الموصلى المتنبي

وَأَحْسَنُهُ مَا يُنَاسِبُ الْقَصُودَ ، وَيُسَمَّى بَرَاعَةً الْإِسْهَالِ ، كَقَوْلِهِ
فِي التَّهْنِئَةِ :

* بَشْرَى قَدْ أَنْجَزَ الْإِقْبَالَ مَا وَعَدَا *

وقوله في المزمعة :

هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِمِلٍّ فِيهَا حَذَارٍ حَذَارٍ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي

شعراً أجاد فيه . إلا أنه ابتداء بذكر البيار وغنائها فقال :

يَا دَارُ غَيْرِكَ الْبِلَاءُ وَتَحَاكِ يَأْتَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَبْلَاكَ

فتعير المعتصم وتنامر الناس ، ومجربوا كيف ذهب على أبي إسحاق مع
فهمه وعله وطول خدمته للوك ، ثم أقاموا يومهم وانصرفوا ، فأتاه منهم
اثنان إلى ذلك المجلس . وخرج المعتصم إلى سر من رأى وغرب القصر
(بشرى) هو لابي محمد الخازن بنى ابن عباد بمولود لبنته . وأحسن منه مول
أبي تمام بنى المعتصم باقه بفتح عمورية . وكان أهل التنجيم زعموا أنها
لا تفتح في ذلك الوقت :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ أُنْفَى حَذِّهِ الْخُذُّ بَيْنَ الْجُدِّ وَالْعَمِّ

بعض الشعراء يرحب لآسود الصحائف في متونين جلاء الشك والرئيس

وقول أبي العلي في التهنئة بوزال مرض :

نَحْنُ غَوِيٌّ إِذْ غَوَيْتَ وَالْكَرَمُ وَرَأَى نِيكَ إِلَى أَعْدَائِكَ التَّمُّ

(هي الدنيا) لابي الفرج الساوي يرى بعض ملوك بني بويه . وأحسن

منه قول أوس بن حجر :

وثانيها التخصُّصُ بِمَا شَبَّهَ الكلامُ بهُ ، مِنْ نَسِيبٍ أَوْ غَيْرِهِ ،
إِلَى الْمَقْصُودِ ، مَعَ رِعايَةِ اللَّامَةِ بَيْنَهُمَا ، كَقَوْلِهِ :
يَقُولُ فِي قَوْمِي قَوْمِي وَقَدْ أَخَذْتُ مِنَّا الشَّرَّيَ وَشَعْنًا لِلْكُرْبَى الْقَوْدِ
أَمْطَلَعَ الشَّمْسُ تَبَيَّنَ أَنْ تَوْمُ بِنَا ضَلَّتْ كُلًّا وَلَكِنْ مَطْلَعُ الْجُودِ

أَيْتَهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي خَزَعَا إِنَّ الدِّيَّ تَحْدَرِيْنَ قَدْ وَقَعَا
وقول أبي تمام :

كَذَا فَلْيَجْلِ انْطَلَبْ وَلْيَتَذَحِ الْأَمْرُ وَلَيْسَ لَتَيْنِ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عَذْرُ
(وثانيها التخصُّص) لأن السامع يكون مترقباً للانتقال من التشبيب
إلى المقصود كيف يكون . فإذا كان حسناً متلائماً للطرفين حرك من نشاط
السامع . وأمان على إصغاء ما بعده . وإن كان بخلاف ذلك كان الأمر
بالعكس . هذا وكان الأحسن والأوضح للصنف أن يقول وثانيها التخصُّص .
وهو الانتقال عما ابتدئ به الكلام به من نسيب أو غيره إلى المقصود الخ ، كما
لا يخفى على البصير . فقوله بما شَبَّهَ الكلام به : أراد مطلق الابتداء والافتتاح
لا خصوص التشبيب الذي هو ذكر أيام الشباب والهوى والنزول والنسيب
أن يصف الشاعر جمال المرأة وحاله معها في العشق (أو غيره) كالانتظار
والهجو والشكاية (بينهما) أي بين ما شَبَّهَ أي ابتدئ به الكلام وبين
المقصود (كقوله يقول) قوس : صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل
وأخذت منا السرى : أي أثر فينا السر ليلاً ونقصت من قروانا . والمهرية : الإبل
المقسومة إلى مائة بن حيدان . والقود : الطوال الظهور والأعناق . واليتان
لأن تمام في عهد الله من طام . هذا . من بدائع التخصُّص قول زهير

وَقَدْ يُنْقَلُ مِنْهُ إِلَى مَالٍ يَلَامُهُ، وَيُسَمَّى الْاِقْتِصَابَ، وَهُوَ مَذْهَبُ
الْفَرَبِ الْأَوَّلَى وَمَنْ يَلْعَبُ مِنَ الْمُضَرَمِينَ، كَقَوْلِهِ:

لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ خَيْرًا جَاوَزَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الظُّلُمِ شَيْبًا
كُلُّ يَوْمٍ يُبْدِي صُرُوفُ الْيَالِي خُلُقًا مِنْ أَبِي سَعِيدٍ غَرِيبًا

لَنْ الْبَغِيلُ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَكِنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَالِهِ هَرِمُ
وقول مسلم بن الوليد:

أَجِدُكَ مَا تَكْدِرُنَ أَنْ رُبَّ لَيْلَةٍ كَانَ دُجَاهَا مِنْ قُرُونِكَ يُنْشَرُ
سَهْوَتْ بِهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بِفِرَّةٍ كَفَرَةٍ يَحْيَى حِينَ يُذْكَرُ جَفَرُ
وقول الخنفي:

خَلِيلٌ مَا لِي لَا أَرَى غَيْرَ شَاهِدٍ فَكَمْ مِنْهُمْ الْقَوِيُّ وَمِنَ الْقَصَائِدِ
فَلَا تَمْنَجِبَا لَنْ الشُّيُوفَ كَثِيرَةً وَلَكِنَّ سَيِّفَ النُّوَلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدُ

(الأول) يعنى الجاهلية (من المضمرين) وهم الذين أدركوا الجاهلية
والإسلام مثل لبيد. قال العنبري: ناقة مضرمة أى جدد نصف أذنبا، ومنه
المضرم الذى أدرك الجاهلية والإسلام كأنما قطع نصفه حيث كان فى الجاهلية
(كقوله) أى قول أبى تمام وهو من الإسلاميين، لأنه كان فى زمن الدولة
عباسية. هذا والاقتصاب فى الشعر كثير والتخلص بالنسبة إليه فطرة
من بحر، فن الاقتصاب قول أبى نواس فى قصيدته النونية التى أولها:

• يَا كَثِيرَ النُّوحِ فِي النَّعَنِ •

هَاتِفِي كَأْسًا عَلَى عَذَلٍ كَرِهَتْ مَشْوَعَهُ أَذْنِي

وَمِنْهُ مَا يَقْرُبُ مِنَ الْفُخْلِيِّ ، كَقَوْلِكَ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ : أَمَّا بَعْدُ ، قِيلَ
وَهُوَ فَصْلُ الْخُطَابِ ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : هَذَا وَإِنَّ لِطَائِفِينَ لَشَرًّا تَابَ ، أَيْ
الْأَمْرُ هَذَا أَوْ هَذَا كَمَا ذَكَرَ ، وَقَوْلُهُ : هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِمُتَّقِينَ لِحُسْنِ
تَابٍ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْكَاتِبِ : هَذَا بَابٌ • وَتَالَيْتُهَا الْإِنْتِهَاءَ ، كَقَوْلِهِ :
وَإِنِّي جَدِيرٌ بِذِي بَلَنْتُكَ بِالْمُنَى وَأَنْتَ بِمَا أَثْلَتُ مِنْكَ جَدِيرٌ
فَلَنْ يُؤْلِي مِنْكَ الْجَلِيلَ فَأَخْلَهُ وَإِلَّا فَأِنِّي عَازِرٌ وَشَكُورٌ

مِنْ كَيْتِ الْقَوْنِ صَاحِبَةٍ خَيْرٍ مَا سَلَسْتُ فِي بَدَنِي
مَا اسْتَقَرَّتْ فِي فُرَادِي قَتَى فَدَرَى مَا لَوْحَةُ الْحَزَنِ
تَضَحَّكَ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ قَامَ بِالْأَكْمَارِ وَالسَّنَنِ
سَنَ لِنَاسٍ النَّدَى فَنَدَوْا فَكَأَنَّ الْبُخْلَ لَمْ يَكُنْ

(قِيلَ وَهُوَ فَصْلُ الْخُطَابِ) قَالَ ابْنُ الْأَمِيرِ : وَالَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ
مِنْ عِلَالِ الْبَيَانِ أَنَّ فَصْلَ الْخُطَابِ هُوَ أَمَّا بَعْدُ لِأَنَّ التَّكَلَّمَ بِفَتْحِ كَلَامِهِ فِي
كُلِّ أَمْرٍ شَأْنٌ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتَحْمِيدِهِ ، لِإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ إِلَى الْفَرْضِ
الْمُسَوِّقِ لَهُ فَصْلٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ أَمَّا بَعْدُ (وَتَالَيْتُهَا الْإِنْتِهَاءَ)
لِأَنَّهُ آخِرُ مَا يَبْدُو السَّمْعَ وَبَرَزَ فِي النَّفْسِ ، فَإِنْ كَانَ عَتَارُ جَرَّ مَا عَسَاهُ وَفَع
فِيهَا قَبْلَهُ مِنَ التَّضْمِيرِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ عَتَارُ كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ ، وَبِمَا أَنَّى عِلَسَ
مَا قَبْلَهُ (كَقَوْلِهِ وَإِنِّي) أَيْ قَوْلُ أُنَى نَوَاسٍ فِي الْحَصِيبِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ

وَأَحْسَنُهُ مَا آذَنَ بِانْتِهَاءِ الْكَلَامِ ، كَقَوْلِهِ :
 بَقِيَتْ بَقَاةُ الدُّعَا يَا كَتِفَ أَهْلِهِ • وَهَذَا دُعَاةُ الْفَرِيْقَةِ شَامِلُ
 وَجَبِيعُ فَوَائِحِ الشُّوْرِ وَخَوَاتِمَا وَارِدَةٌ عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ وَأَكْتَمَلِهَا
 يَنْظَرُ ذَلِكَ بِالتَّأَمُّلِ مَعَ التَّدَكُّرِ لِمَا قَدَّمَ .

(بقيت) قيل إنه للمرى (واردة على أحسن الوجوه وأكملها) فلأنك
 إذا نظرت إلى فوائح السور جلتها ومفرداتها رأيت من البراعة والتفنن وضروب
 الإشارة ما قد أصاب الخمر وطبق الفصل . وإذا نظرت إلى خواتمها وجدت
 من الأدعية والوصايا والمواظ والتحميد والوعد والوعيد ، وغير ذلك من
 الحوائج ما لا يبيح للنفوس بعده مطمع . وما تجد لحسنه مصافح البلغاء .
 هذا آخر ما يسره الله سبحانه عما أردنا وضعه على هذا الكتاب ، في أوقات
 كنا نختلسها اختلاسا من بين قسمة الأعمال وتراحم الأشغال . فإن كنت
 وفيك بما وعدت فالتسكرة سبحانه على معونته وحسن توقيفه . وإلا فأحق
 الناس بقبول عذره ، وإفلال عبه ، من وقف نفسه لصناعة التأليف في زمن
 قرت فيه همم طلاب العلوم ، وخرت عزائمهم عن مساعدة المؤلفين وتنشيطهم
 على الدأب في عملهم والصناية بصنائعهم . فإن فاني إيفاء العمل حقه من الأجر ،
 فلن يغوتني إن شاء الله إعطاؤه قسطه من المنز ، ربنا لا تؤاخذنا إن سئنا
 أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا
 ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وأعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا .
 ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير .

عبد الرحمن البرقوقي

-٤٣٦-
فهرست التلخيص

الموضوع	صفحة
مقدمة الشارح للطبعة الأولى	٢
مقدمة الشارح للطبعة الثانية	٢١
مقدمة في القصص والبلاغة	٢٤
✓ (القرن الأول علم للماني)	٢٧
تنبية (في صدق الخبر وكذبه)	٢٨
أحوال الإسناد الخبري	٤٠
أحوال للسند إليه	٥٣
أحوال للسند	١٠١
أحوال متعلقات الفعل	١٢٦
القصر	١٣٧
الإثناء	١٥١
القصر والوصل	١٧٥
تذنيب أصل الحال	١٩٦
الإيجاز والإطناب والساواة	٢٠٩
✓ (القرن الثاني علم للبيان)	٢٣٥
التشبيه	٢٣٨
حقيقة والمجاز	٢٩٢

الموضوع	صفحة
فصل (في الاستشارة بالكتابة)	٣٢٤
» (في منب السكاكي في الحقيقة والمجاز)	٣٢٨
» (فيما به تمس الاستشارة)	٣٣٤
» (في المجاز بالخلف والزيادة)	٣٣٦
الكتابة	٣٣٧
فصل « أطيع البلاء الخ »	٣٤٦
(الفن الثالث علم البديع)	٣٤٧
- المطابقة -	٣٤٨
صراحة الظهير	٣٥٤
الأرضاد	٣٥٦
الشاكلة	٣٥٦
للزوجة	٣٥٨
العكس	٣٥٨
الرجوع	٣٥٩
التورية	٣٥٩
الاستخدام	٣٦٠
الحق والنشر	٣٦١
المجم	٣٦٣

الوضوع	صفحة
التفريق	٣٦٣
التقسيم	٣٦٤
الجمع مع التفريق	٣٦٤
الجمع مع التقسيم	٣٦٥
الجمع مع التفريق والتقسيم	٣٦٦
التجريد	٣٦٨
المبالغة	٣٧٠
المنهك الكلامي	٣٧٤
حسن التعليل	٣٧٥
التفريع	٣٧٩
تأكيد للدخ بما يشبه التهم	٣٨٠
تأكيد التهم بما يشبه الدخ	٣٨٢
الاستنباع	٣٨٣
الإدماج	٣٨٣
التوجيه	٣٨٤
المرز الذي يراد به الجد	٣٨٥
تجاهل المعارف	٣٨٥
القول بالموجب	٣٨٦

صفحة	الموضوع
٣٨٧	الاطراد
٣٨٨	الجنس
٣٩٣	رد الجز على الصدر
٤٠٤	السج
٤٠٤	الموازنة
٤٠٤	القلب
٤٠٥	التشريع
٤٠٦	زوم مالا يلزم
٤٠٨	خاتمة في السرقات وما يتصل بها
٤٢٩	فصل ينبغي للتكلم أن يتأق
	في ثلاثة مواضع

